غراهام مور

قائمة نيويورك تايمز لأكثر الكتب مبيعاً

رواية

المُعْتَرِضَة

محلَّفة واحدة غيّرت الحُكم.
ماذا لو كانت مخطئة؟





غراهام مور

المُعْتَرِضَة

الكتاب

المُعْتَرِضَة

تأليف

غراهام مور

ترجمة

زياد حسّون

الطبعة

الأولى، 2023

الإيداع القانوني:

2023MO2470

الترقيم الدولي:

63-1

جـ

©

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 212 522 305726+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

العنوان الأصلي للرواية:

Graham Moore
The Holdout



غراهام مور

المُعْتَرِضَة

رواية

ترجمة: زياد حسّون



عشرة أعوامٍ في لوس أنجلوس

الآن



أخرجت مايا سِيل صورتين من حقيبتها. أمسكتْ بهما قبالة تنّورتها. كان الأمر برمّته مرتبطاً بالتوقيت.

- «آنسة سِيل؟» جاء صوت القاضي بنبرةٍ تنمُّ عن نفاد صبر. «نحن ننتظر».

كانت بيلين فاسكيز، موكّلة مايا، عرضةً على مدار سنوات لاعتداءات مروّعة على يد زوجها إليان. وهناك تقارير مفصّلة من غرفة الطوارئ تثبت ذلك. ذات صباحٍ قبل بضعة أشهر، انفجرت بيلين فاقدةً صوابها. طعنتْ زوجها أثناء نومه ثمَّ قطعتْ رأسه بمقصّ الحديقة. جالت بعد ذلك بسيّارتها الهيونداي إلنترا ليومٍ كامل، والرأس المقطوع فوق لوحة القيادة. إمّا أنَّ أحداً لم يلاحظ ذلك، أو أنَّ أحداً لم يشأ أن يكون له علاقة بالأمر. في النهاية، طلب منها شرطيٌّ أن تتوقّف بسبب مشكلة في الضوء، فتدبَّرت أن تحشر الرأس في درج السيارة الأمامي.

من وجهة نظر مايا، كان الخبر الجيّد أنَّه لم يكن لدى الادّعاء

سوى دليل ماديٍّ واحد قويّ لاستخدامه ضدَّ بيلين. وكان الخبر السيّئ أنَّ الدليل هو عبارةٌ عن رأس.

- «أنا جاهزة، حضرة القاضي». ربّتتْ مايا على كتف موكّلتها مطمْئنةً إيّاها. وسارت بتؤدة نحو منصّة الشهود حيث كان الضابط جايسون شو يجلس منتظِراً، وقد برزت ميدالية الخدمة المميّزة من ثنية الصدر في بذلته الخاصة بشرطة لوس أنجلوس.

- «أيّها الضابط شو، ما الذي حدث عندما أوقفتَ سيّارة السيّدة فاسكيز؟»، قالت مايا.

- «حسنٌ، سيّدتي، كما كنتُ أقول، بقي زميلي خلف سيّارة السيّدة فاسكيز بينما كنت أقترب من نافذتها».

كان أحد هؤلاء الشرطيين الذين سيلقّبونها «سيّدتي»، أليس كذلك؟ كانت مايا تكره كلمة «سيّدتي». ليس لأنّها كانت في السادسة والثلاثين، الأمر الذي كان عليها أن تعترف أنّه يستحقُّ كلمة «سيّدتي»، بل لأن هذا اللقب محاولةٌ صريحة لجعلها تبدو شخصاً متعالياً.

دفعت بشعرها الغامق القصير وراء أذنها. «ولمّا اقتربتَ من النافذة، هل رصدتَ السيّدة فاسكيز جالسةً في مقعد السائق؟».

- «نعم، سيّدتي».

- «هل سألتها عن الرخصة وأوراق التسجيل؟».

- «نعم، سيّدتي».

- «هل أعطتهم لك؟».

- «نعم، سيّدتي».

- «هل سألتها عن شيءٍ آخر؟».

- «سألتُها لماذا كانت يداها ملطّختين بالدماء».

- «وماذا أخبرتك السيّدة فاسكيز؟».
- «قالت إنّها جرحت يدها في المطبخ».
- «وهل قدّمتْ أيَّ إثباتٍ يدعم ادّعاءها؟».
- «نعم، سيّدتي. لقد أرتني الضماد على راحة يدها اليمنى».
- «هل سألتها أيَّ شيءٍ آخر؟».
- «طلبتُ منها الخروج من السيّارة».
- «لماذا فعلتَ ذلك؟».
- «لأنّ يديها كانتا ملطَّختَين بالدماء».
- «لكن ألم تعطكَ تفسيراً منطقياً جدّاً لمسألة الدماء؟».
- «أردتُ أن أتحقَّق أكثر».
- «لماذا أردتَ أن تتحقَّق أكثر طالما أنَّ السيِّدة فاسكيز قدّمتْ لكَ تفسيراً منطقياً؟»، سألتْ مايا.

نظر إليها شو وكأنّها ناظرة قاعة تريد إرساله إلى مكتب المدير بسبب مخالفة بسيطة.

- «الحدس»، قال لها.

شعرتْ مايا بالأسف على الرجل المسكين عندئذٍ. لم يحضِّرهُ المدَّعي العام جيّداً.

- «آسفةٌ أيّها الضابط، هل يمكنك أن تصف «الحدس» بمزيدٍ من التفصيل؟».

- «ربّما أكون قد رأيتُ بعضاً من الرأس». كان يحفر حفرته أعمق فأعمق وحسب.

- «ربّما»، كرَّرتْ مايا ببطء، «رأيتَ بعضاً من الرأس؟».
- «كان الجو مظلماً»، اعترف شو. «لكنّني قد أكون لاشعورياً

لاحظتُ بعض الشعر - مثل شعر الرأس - يبرز خارجاً من درج السيارة».

نظرتْ إلى المدّعي العام. جلس يحكُّ لحيته البيضاء بصمتٍ بينما كان شو قد نسف للرجل القضيّة برمّتها بمفرده.

حان وقتُ الصور.

رفعت مايا صورة في كلِّ يد. أظهرت الصورتان زوايا مختلفة لرأس رجلٍ محشورٍ داخل درج السيارة. كان لإليان فاسكيز تسريحة شعر قصيرة جدّاً، وشارب رفيع أشعث، مكسوٌّ بالدم. كان هناك خطٌّ قرمزي اللون على طول خدّه. من الواضح أنَّ الرأس كان قد نزف في مكان آخر ثمَّ حُشر لاحقاً في الدرج، فوق دليل استخدام الهيونداي المهترئ وبطاقات التسجيل القديمة.

- «أيّها الضابط، هل التقطتَ هاتين الصورتين في الليلة موضوع حديثنا؟»، قالت وسلّمتِ الصورتين له.

- «لقد فعلتُ، سيّدتي».

- «هل تُظهران الرأس بالكامل داخل درج السيارة؟».

- «الرأس داخل درج السيارة، سيّدتي».

- «هل كان درج السيارة مغلقاً حين طلبتَ من السيّدة فاسكيز الترجّل من السيّارة؟».

- «نعم، سيّدتي».

- «إذاً كيف أمكن أنّك ربّما رأيتَ الرأس طالما كان محشوراً بالكامل داخل درج السيارة؟».

- «لا أعرف، لكن أعني أنّنا عثرنا عليه هناك حين بحثنا. لا يمكنكِ أن تقولي لي إنَّ الرأس لم يكن في الدرج، لأنّه كان هناك بالفعل».

- «أنا أسأل لمَ فتّشتَ السيّارة في المقام الأول».

- «كانت يداها ملطّختين بالدماء».

- «ألم تقل منذ دقيقة أنّك «ربّما» كنتَ قد رأيتَ شعراً يبرز خارجاً من درج السيارة؟ يمكنني أن أجعل كاتب المحكمة يعيد قراءة ذلك لك مجدّداً».

- «لا، أعني - كان هناك دم. وربّما رأيتُ بعض الشعر. لا أعرف. كما قلتُ سابقاً، إنّه الحدس».

وقفتْ مايا قريباً جدّاً من منصّة الشهود. «أيُّ الأمرين كان أيّها الضابط؟ هل فتَّشتَ سيّارة السّيدة فاسكيز لأنَّك رأيت جزءاً من الرأس المقطوع - وهو ما كنتَ عاجزاً عن رؤيته في الواقع - أم أنّكَ قمتَ بالتفتيش لأنَّ يديها كانتا ملطَّختَين بالدماء، وهو ما كان له تفسيرٌ تماماً؟».

ظهر على شو قلقٌ مشوبٌ بالغضب فيما هو يعاني للعثور على إجابة مقبولة. لقد أدركَ للتوّ حجم إخفاقه.

ألقت مايا نظرةً على المدّعي العام، والذي كان يفرك الآن صدغيه كما لو أنّه يعاني نوبة صداعٍ نصفي.

قام المدّعي العام بمحاولةٍ بطولية أخيرة ليربط شو بواحدةٍ من قصّتيه، لكن الضرر كان قد وقع. أمر القاضي كلا الطرفين بتقديم مذكّرات كتابية بحلول يوم الاثنين، حيث سيُصدر عندها حكماً نهائياً بشأن قبول اعتماد الرأس المقطوع كدليل.

جلست مايا بجانب موكّلتها وهمست لها أنَّ جلسة الاستماع سارت على ما يرام. «حسنٌ»، تمتمت بيلين دون أن تتواصل معها

بصرياً. لم تكن مستعدّةً للاحتفال بعد. قدّرت لها مايا التشاؤم الحذر.

اصطحب الحاجبُ بيلين خارج قاعة المحكمة عائداً بها إلى السجن. ثم نادى الكاتب على جلسة الاستماع التالية.

مرَّ المدّعي العام بقربها وهو يمشي جانبياً. «إذا استُبعد الرأس، سألاحقهما بتهمة القتل من الدرجة الثانية».

هزأت مايا به. «إن خسرتَ الرأس، فستخسر الجسد الذي في المطبخ، والمقصّ الذي في الدرج. لن يكون لديكَ أصغر دليلٍ مادي لتربط به موكّلتي بوفاة زوجها».

- «زوجها الذي قتلتْه».

- «هل رأيتَ سجلّات غرفة الطوارئ؟ الأضلاع المكسورة؟ الفكُّ المهشّم؟».

- «إذا كنتِ تنوين أن تجادلي في مسألة الدفاع عن النفس، فأنتِ على الرحب. وإن أردتِ أن تجادلي في أنَّ زوجها كان يستحقُّ الموت، فلربّما تكسبين المحلّفين إلى صفّك. لكن استبعاد الرأس هكذا؟ حقّاً؟».

- «هي لن تقضي فترة عقوبة. هذا غير قابلٍ للتفاوض. يمكنكَ اليوم أن تقبل بتوجيه تهمة القتل عن طريق الخطأ، وتوافق بالتالي على الاكتفاء بالمدّة التي قضتْها حتى الآن في انتظار الحكم. وإلّا يمكنكَ أن تجرّب حظّك الأسبوع المقبل بعد صدور الحكم». أومأت مايا نحو القاضي. «إذاً، كيف سيجري هذا الأمر باعتقادك؟».

دمدم المدّعي شيئاً من تحت ربطة عنقه حول حاجته إلى موافقة رئيسه، ثمَّ انسلَّ مبتعداً. أعادت مايا الصورتين إلى حقيبتها، وأغلقت مشابكها بفرقعةٍ تنمُّ عن الرضا.

في الخارج، كانت الردهة مزدحمة. عشرات الأحاديث التي يتردّد صداها عبر السقف المقبّب. كانت المحاكم من بين آخر الأماكن التي لا تزال كلُّ طبقات المجتمع تقف فيها كتفاً لكتف. الأغنياء والفقراء، الشيوخ والشباب، أناسٌ من كلّ عِرقٍ وإثنية وخلفية اجتماعية في لوس أنجلوس يمشون فوق الأرضية الرخامية كل يوم. استمتعتْ بكونها جزءاً من هذا الحشد الديمقراطي مؤقّتاً بينما كانت تحثُّ الخطى عائدةً إلى المكتب.

- «**مايا**».

جاءها الصوت من الخلف. ميّزتْه على الفور، لكنّه لا يمكن أن يكون هو... هل يمكن ذلك؟

استدارت وهي تجبر نفسها على التنفّس. ولأوّل مرّة منذ عشر سنوات، وجدت نفسها وجهاً لوجه مع ريك ليونارد.

كان لا يزال نحيفاً، وطويلاً. ولا يزال يرتدي النظارات، رغم أنَّ الإطار الفضّي الرفيع الذي كان يرتديه كطالبٍ حديث التخرّج قد أصبح الآن الإطار السميك الأسود لمحترفٍ متمرّس. لا يزال يرتدي ملابس رسمية، وارتدى اليوم بذلةً رمادية فاتحة. لا بدَّ أنّه في أواخر الثلاثينيات من عمره الآن، أيْ أكبر منها بقليل. جعلَه هذا العَقد من الزمان أكثر وسامةً على نحوٍ قاسٍ.

- «أنا آسف»، قال ريك. بدا صوته رقيقاً، واثقاً. «لم أقصد التسلّل إليكِ هكذا».

تذكَّرتْ مايا طبع ريك المتردّد على نحوٍ محرج. الآن هو يقف كرجلٍ عرف كيف يستقرُّ أخيراً داخل جلده.

أما هي، فقد شعرت بالقلق. «ما الذي تفعله هنا؟».

- «هل يمكننا التحدّث؟».

لمرّاتٍ عديدة خلال العقد الماضي، كانت متأكدة أنّها لمحتْه: في محلّات البقالة والمطاعم، وذات مرّة على متن رحلةٍ إلى سياتل، وهو أمرٌ غير مرجّح الحدوث. في كلٍّ مرّة كانت تشعر بالبرودة تجتاح جلدها قبل أن تتمكّن من إقناع نفسها أنّها كانت تتخيّل فحسب. فما احتمال أن تصطدم به وهي خارجة من إحدى صيدليات والغرينز؟ لكنّه الآن كان هنا حقّاً، في المحكمة. كان هذا يحدث بالفعل.

كرّرتْ سؤالها بغباءٍ: «ما الذي تفعله هنا؟».

- «لقد جرّبتُ البريد الإلكتروني، والهاتف، ومكتبك. لكنّي لم أتلقَّ أيَّ ردّ. جئتُ إلى هنا كي أتحدَّث إليكِ».

هي لم تتلقَّ أيّة رسائل، لكنّها بالطبع ما كانت لتفعل. إذ كان لدى مساعِدتها تعليماتٌ صارمة أن تنهي المكالمة مع أيِّ شخص يتّصل للسؤال عن القضيّة. كما أبقت مايا على فلتر البريد العشوائي في بريدها الالكتروني، والذي أعاد توجيه أيّة رسالة واردة تحتوي على أحد أسماء الشخصيات الرئيسية في القضيّة. ولم يكن عنوانها مدرجاً في أيّ دليلٍ أيضاً. كانت قد اشترت منزلها بموجب تسجيل شركةٍ محدودة المسؤولية كي تبقي اسمها خارج سجّلات الملكية.

كانت مايا قد حقّقتْ ذلك المستوى المحدّد من الخزي الذي يجعل الغرباء يعرفون عنها شيئاً واحداً بالضبط. في بعض الأحيان تخيّلتْ ماهيَّة الأمر لو أنّها كانت ممثّلة متورّطةً في فضيحة، أو حتّى سياسية في خضمِّ أزمة كبرى. كانت آثام هؤلاء الأشخاص تُبوَّب وتُفهرَس، ويمكن البحث عنها من قِبل العامة باستخدام كلمات مفتاحية. كانوا كتباً مفتوحةً من الخطايا والشرور. أمّا خطايا مايا فقد ظلّت جميعها طيَّ الكتمان، مع استثناءٍ واحد.

كلّما أدرك شخصٌ مَن تكون، كان هذا الشيء الوحيد الذي أراد التحدّث عنه. كان المساعدون القانونيّون المحتمَلون يلمّحون إلى الأمر أثناء مقابلات العمل. والأحبّاء المحتملون يرمون ببعض التعليقات حوله في المواعيد الأولى. تجنَّبت مايا الجلوس في الزاوية أثناء أعشية أعياد الميلاد حتى لا ينتهي بها الأمر محاصرةً مجدّداً عند نهاية الطاولة، تصطنع ضحكةً على نكتةٍ حول الأمر ألقاها صديقٌ لأحد الأصدقاء. لقد فعلت كلَّ ما في وسعها كي تترك الأمر وراءها، لكن هذا لم يكن كافياً.

كانت جلسات الاستماع بشأن الأدلّة علنية. واسمها موجودٌ على ملفّات جلسات بيلين فاسكيز. كان الظهور هنا هو أفضل وسيلة لريك كي يعثر عليها.

- «ما الذي تريد التحدّث عنه؟»، سألتْ متظاهرةً بأنّها لا تعرف الإجابة.

- «الذكرى السنوية على الأبواب»، قال ريك.

- «لم أفكّر في ذلك»، كذبتْ مايا.

- «في التاسع عشر من أكتوبر، يصادف مرور عشر سنوات بالضبط منذ أن وُجد بوبي نوك غير مذنبٍ بجريمة قتل جيسيكا سيلفر».

لاحظت مايا حرصه على استخدام صيغة المبني للمجهول. لكنّها كانت تعلم علم اليقين أنَّ **شخصاً ما** كان قد وجد بوبي نوك غير مذنبٍ بقتل جيسيكا سيلفر. في الواقع، لقد كانوا اثني عشر شخصاً.

وكانت مايا وريك اثنين منهم.

قبل عشر سنوات - قبل أن تصبح محامية، قبل أن تكون قد رأت قاعة محكمة في حياتها - أرسلت بالبريد عبر ظرفٍ مسبق الدفع جواباً على استدعاء للخدمة في هيئة محلّفين. أمضتْ بعد ذلك خمسة أشهر من جلسات المحاكمة والمداولات مع ريك والآخرين، معزولون بالكامل عن العالم الخارجي.

لم يكن أيٌّ منهم مستعدّاً للجدل الذي أعقب الحكم الذي أصدروه. فقط بعد أن خرجوا من عزلتهم، عرفت مايا أنَّ 84 في المئة من الأمريكيين يعتقدون أنَّ بوبي نوك قد قتل جيسيكا سيلفر. ما يعني أنّ 84 في المئة من الأمريكيين يعتقدون أنَّ مايا وريك كانا قد أطلقا سراح قاتل طفلة.

بحثت مايا جاهدة عن مسألةٍ أخرى اتّفق عليها 84 في المئة من السكان. فاكتشفتْ أنَّ 79 في المئة فقط من الأمريكيين يؤمنون بالله. وكانت ممتنّة حين عرفت أنَّ 94 في المئة على الأقل يعتقدون أنّ الهبوط على القمر كان أمراً حقيقياً.

كان ريك أوّل المحلّفين الذين تراجعوا عن الحكم تحت الوطأة الثقيلة للإدانة العلنية. ظهر في جميع البرامج الإخبارية واعتذر علناً متوسّلاً المغفرة من عائلة جيسيكا سيلفر، كما أنه ألّف كتاباً مدّعياً أنَّ حكمهم الجائر كان خطأ مايا بالكامل، حتّى أنّه اتّهمها بالتنمّر عليه لدفعه إلى تبرئة رجلٍ لطالما كان على يقين كامل من أنّه قاتل.

انضمَّ إليه قلّةٌ قليلة في التراجع عن قرارهم، فيما ظلّت غالبيّتهم صامتين مثل مايا، على أمل أن تهدأ العاصفة.

ما زالت تتمنّى في بعض الأحيان لو أنّها ألقت بالاستدعاء لهيئة المحلّفين في سلّة المهملات كما قد يفعل أيٌّ شخصٍ عادي.

- «كلُّ القنوات الإخبارية تخطّط لاسترجاع الأحداث»، تابع ريك. «CNN، Fox، MSNBC، إضافةً لبرنامج 60 Minutes، وبعض البرامج الحوارية الأخرى. بالطبع سوف يفعلون ذلك، بالنظر إلى كل الاهتمام الذي حظيتْ به المحاكمة آنذاك. وبالنظر إلى ما حدث منذ ذلك الحين».

على مرِّ السنين، كانت قد تحدّثتْ عن المحاكمة مع والديها. تحدّثتْ عنها مع أصدقائها، والذين قلّ عددهم منذ أن حظيتْ بسمعتها السيّئة. تحدّثت عنها مع كوكبةٍ من المعالجين النفسيين. زوّدت شركاءها الأعلى مقاماً في شركة المحاماة ببعض العناوين العريضة فقط، وأخبرت موكّليها ببعض التفاصيل ذات الأثر المهدِّئ. لكنّها وخلال عشر سنوات، لم تقم أبداً بمناقشة القضية بشكلٍ علنيّ.

- «أنا لن أتحدّثُ عن الأمر»، قالت مايا. «ليس إلى CNN، وليس إلى 60 Minutes، وليس إليك حتّى. لقد انتهيت».

- «هل سبقَ لكِ أن سمعتِ بـ **مدينة القتل؟**»، سأل ريك.

- «لا».

- «إنّها مدونةٌ صوتية تحظى بشعبية كبيرة».

- «حسنٌ».

- «الآن شبكة نتفليكس تصنع سلسلة وثائقية من ثماني ساعات مستوحاةٍ من المدونة الصوتية».

فكّرت مايا في كلِّ ساعات حياتها التي ابتلعتها قضيّة جيسيكا سيلفر. أربعة أشهر في المحاكمة، تلتْها ثلاثة أسابيع من المداولات الساخنة. خلال فترة العزل، كُرِّستْ كل ساعة يقظة من حياة مايا للقضيّة. حين تفكّر في ذلك الجناح في فندق أومني حيث كانت تنام

كلّ ليلة - ولكَمْ كانت تتذكر جيّداً كل شريطٍ من شرائط ورق الجدران الزهري في تلك الغرفة، وكلّ شبرٍ من السجّاد البنّي الفاتح - يبدو لها أنَّ القضيّة استهلكت ساعات نومها أيضاً. في بعض الأحيان ومن أجل تمضية الوقت، كانت تعود إلى تلك الأيام وتجري الحساب في رأسها. **عشرون أسبوعاً مضروبةً بسبعة أيامٍ في الأسبوع، مضروبةً بأربعٍ وعشرين ساعة في اليوم**... كانت لا تزال تحفظ عملية الضرب هذه عن ظهر قلب.

- «مَن يريد أن يقضي ثماني ساعات أخرى في استرجاع ما حدث لجيسيكا سيلفر؟»، سألتْ مايا.

- «الكثير من الناس. وأنا واحدٌ منهم».

- «هل أنتَ مشاركٌ في هذه السلسلة؟».

- «إنّها سلسلة وثائقية. أنا أساعد المنتجين، أقوم بجمعنا معاً، أقصد نحن هيئة المحلّفين».

شعرت مايا بالإعياء.

- «يمكننا أن نتشارك أفكارنا حيال ما حدث، بعد كل هذا الوقت. وبعد معرفة ما نعرفه الآن...»، قال ريك.

صمت ريك للحظة كما لو كانا بالفعل يظهران على التلفاز.

- «... هل ما زلتِ ستصوّتين بـ 'غير مذنب'؟».

أحسّت مايا فجأة بالحشد الذي يتدافع متجاوزاً إيّاهما في ردهة المحكمة. كلُّ هؤلاء الغرباء الذين جاؤوا إلى هذا المبنى بحثاً عن العدالة أو الغفران أو الانتقام.

- «لا، شكراً»، قالت مايا.

- «لقد تحدّثتُ إلى الآخرين، إنّهم قادمون»، قال ريك.

- «جميعهم؟».

- «لقد ماتت كارولينا. لا أعلم إن كنتِ تعرفين ذلك».

لم تكن مايا تعرف ذلك. كانت كارولينا كانسيو في الثمانينات من عمرها أثناء المحاكمة. ومع ذلك، شعرت مايا بشيءٍ من الحرج لكونها منقطعةً بالكامل عن أيِّ نوعٍ من التواصل بعد كلِّ ما مرّوا به معاً. **عشرون أسبوعاً مضروبةً بسبعة أيام، مضروبةً بأربعٍ وعشرين ساعة...**

لكنَّ مايا لم تتحدّث إلى كارولينا، أو إلى أيٍّ من الآخرين، منذ سنوات.

- «كيف؟ متى؟»، سألت مايا.

- «بالسرطان. قبل أربع سنوات، هذا ما قالته عائلتها». هزَّ ريك كتفيه. «أمّا واين فقد قال 'لا' للمنتجين. في الواقع قال لهم 'تبّاً، لا'».

واين راسل. لطالما تساءلت مايا إن كان سيتمكّنُ يوماً من جمع شتات نفسه. كانت تأمل ذلك. لكن إذا كان هو نفس الرجل الذي رأته في نهاية مداولاتهم، فمن الأفضل له أن يبقى بعيداً بكلِّ تأكيد.

- «لكن البقيّة، الثمانية الآخرون... إنّهم قادمون».

- «أتمنّى لكم جميعاً قضاء وقتٍ ممتع».

- «جئتُ إلى هنا كي أطلب منكِ الانضمام إلينا».

- «لا».

- «لقد كنّا على خطأ»، قال ريك.

لم تستطع مايا أن تكبح انفجار غضبها المفاجئ. «لقد قرأتُ كتابك. لكَ كلُّ الحقّ أن تعذّب نفسك وتجلد ذاتك بأيِّ قدرٍ من الندم ترغب به، لكن دعني خارج كلّ ذلك».

التفتَ بعض الغرباء نحوهما، ثمَّ سرعان ما انصرفوا إلى شؤونهم.

- «هناك فتاةٌ قد ماتت»، قال ريك بجدّيةٍ واقتناع ميّزتْهما مايا جيّداً، «وقاتلها طليقٌ لأنّنا ارتكبنا خطأً. ألا يؤرّقكِ ذلك؟ ألا تريدين فعل شيء - أيّ شيء - للتعويض عن ذلك؟».

- «حتّى لو اعتقدتُ أنَّ بوبي كان مذنباً - وهو ما لا أعتقده - فلا شيء يمكننا فعله حيال ذلك. علينا أن نمضي قدماً».

جال ريك بنظره في ردهة المحكمة. «أنتِ محامية دفاع جنائي. أنتِ تعملين في نفس المبنى حيث أُجريت محاكمة بوبي. لقد 'مضيتِ قدماً' مسافة طابقين هنا».

- «وداعاً»، قالت مايا.

- «لقد وجدتُ شيئاً».

- «ماذا؟».

- «لقد أجريتُ تحقيقات».

لم تتفاجأ بذلك. كانت تعرف أفضل من معظم الناس كم يمكن أن يكون مهووساً. بمجرّد أن يصبَّ تركيزه على شيءٍ ما، خاصة إن كان يتعلّق بظلمٍ أو افتقارٍ للعدالة، فلن يتركه مطلقاً. ولكن حين يتعلّق الأمر بقضيّة جيسيكا سيلفر، فهو لم يكن المهووس الوحيد. كانت ثروة والدَي جيسيكا سيلفر، لو وإيلين، تساوي ما يقارب ثلاثة مليارات دولار. تبّاً، فكّرت مايا، بحلول هذا الوقت سيكون ذلك الرقم قد تضاعف. لقد امتلك لو سيلفر نسبةً قيّمة من العقارات في مقاطعة لوس أنجلوس. كان التحقيق في اختفاء ابنته قد تمَّ على يد أفضل العناصر على الإطلاق.

- «عمل العشرات من محقّقي شرطة لوس أنجلوس على هذه

القضيّة»، قالت مايا. «مكتب التحقيقات الفيدرالي. صحافيون من كلِّ أرجاء العالم هبطوا في المدينة، محقّقون خاصّون عملوا لحساب العائلة في الليالي وأيام العطل، فرقٌ من المحامين على جانبي المحاكمة، جيشٌ من المدوِّنين الهواة وأصحاب نظريات المؤامرة على قنوات اليوتيوب...»، أوقفت مايا نفسها. لا يمكن أن تسمح لنفسها بأن تُسحَب إلى ذلك المستنقع مجدّداً. «ليس هناك المزيد من الأدّلة التي يمكن العثور عليها».

- «حسنٌ، لقد عثرتُ على شيء».
- «ما هو؟».
- «تعالي إلى التصوير».
- «ما الذي عثرتَ عليه؟».

اقتربَ منها أكثر. شعرتْ بأنفاسه الدافئة على خدّها. «لا أستطيع أن أخبركِ الآن».

- «هراء».
- «إنّه أمرٌ معقّد وحسّاس... اسمعي، تعالي إلى التصوير فحسب، وسوف أعرض على الجميع - جميعنا - دليلاً لا جدال فيه على أنَّ بوبي نوك قد قتل جيسيكا سيلفر».

نظرت مايا في عينيه المتوسّلتين. أمكنها أن ترى كم كان يحتاج إلى هذا. كان مقتنعاً، بكلِّ ذرّة في كيانه، أنّهم ارتكبوا خطأً لا يغتفر.

لم تكن مايا تعرف ما إذا كان بوبي نوك قد قتل جيسيكا سيلفر. كان هذا مربط الفرس: هي لم تعرف قطّ. لذلك برّأتْه. ليس لأنّه كان بريئاً، بل لأنّه ببساطة لم يكن هناك دليلٌ كافٍ ليعرف المرء

الحقيقة على وجه اليقين. جادلت بأنّه من الأفضل إطلاق سراح عشرة رجال مذنبين على أن يعاقب بريءٌ واحد خطأً.

ربّما كان ريك يعتقد صدقاً أنّه وجد دليلاً حاسماً ونهائياً. لكنَّ مايا كانت قد تخلّت منذ زمنٍ طويل عن أيِّ أملٍ في وجود دليلٍ كهذا. أمضت عشر سنوات تعلّم نفسها كيف تتعايش مع شكوكها. وإن أراد ريك أن يتحرّر من هذا يوماً فعليه أن يفعل الشيء نفسه.

كان ريك شخصاً اهتمَّتْ لأمره ذات يوم. لم يكن وجهُه ذاك وجهاً يتسبّب بشعور الانقباض في المعدة الذي كانت تعاني منه الآن. كان شخصاً صالحاً. لقد استحقَّ السعادة، وكانت تعلم أنّه لن يعثر عليها أبداً وسط رُكام موت جيسيكا سيلفر.

- «حظّاً طيّباً»، قالت مايا بهدوء. «آمل أنّكَ ستحصل على ما تريد من هذا. لكنّني لا أستطيع أن أكون جزءاً منه».

استدارت ومشت مبتعدة.

لم تنظر إلى الوراء.

كان مكتب مايا في شركة كانتويل ومايرز للمحاماة في الطابق الثالث والأربعين من ناطحة السحاب التابعة للشركة في وسط المدينة. جلست إلى مكتبها، وهو قطعة من طراز يعود لحقبة الخمسينيات كانت مساعِدتها قد اختارتها من كتالوج شركة مفروشات. شعرت بصعوبةٍ في التركيز.

استدارت نحو النوافذ، وسرّحتْ نظرها باتّجاه أفق وسط المدينة الجديد، حيث يتسامق في الهواء أسطولٌ من ناطحات السحاب الأنيقة. نصف هذه المباني لم يكن موجوداً منذ عقدٍ من الزمن. تُرى كم منها كانت مملوكة للو سيلفر؟

بدتِ السماء الزرقاء فوق لوس أنجلوس سرمدية، بل وحتّى أصليّة - نفس اللون اليوم، نفس اللون غداً، الظلُّ الأزرق نفسه بالضبط كما كان قبل عشر سنوات بعد ظهر أحد الأيام حين اختفت فتاة مراهقة. حدث ذلك على بعد ميلٍ واحدٍ فقط من هذه البقعة. لطالما قال الناس أنّه ليس لدى لوس أنجلوس أيُّ إحساسٍ بالتاريخ، لكنَّ مايا كانت قد تعلّمتْ أنَّ العكس بالضبط هو الصحيح. لقد كانت لوس أنجلوس كبسولةً زمنية بنفسها، ملفوفةً ومحفوظة للأبد في قوقعةٍ سماويّة زرقاء عصيّة على التغيير.

- «هل لي بثانية؟».

وقف كريغ روجرز عند الباب المفتوح. كان يرتدي بذلةً داكنة، مصمّمةً لتناسبه بشكلٍ مثالي. كان شعره القصير مرشوشاً بالأبيض عند الصدغين. حين باشرتِ العمل مع كريغ لأوّل مرّة، كان عليها أن تراجع سيرته الذاتية كي تعرف كم كان يبلغ من العمر - هل كان أقرب للثلاثين أم للخمسين؟ إذ بدا من المستحيل معرفة ذلك. اكتشفتْ أخيراً تاريخ تخرّجه من كليّة الحقوق وأجرت العملية الحسابية: كان عمره ستةً وخمسين عاماً.

كان كريغ في شبابه محامياً ناشطاً في حركة الحقوق المدنية. وفي الثمانينيات، كان واحداً من المحامين السود المتحمّسين الذين رفعوا دعاوى مدنية ضدَّ ضبّاط شرطة لوس أنجلوس الفاسدين. وفي التسعينيات، عمل مع صندوق الدفاع القانوني التابع للجمعية الوطنية للنهوض بالملوّنين في القضيّة الشهيرة: **توماس ضدَّ مقاطعة لوس أنجلوس**. والآن، هو شريكٌ رئيسيّ في كانتويل ومايرز.

هل خان كريغ، وباع مبادئه؟ ربّما، لكنَّ ثمنه لم يكن بخساً.

فقد كانت تحت تصرّفه في كانتويل ومايرز موارد لا مثيل لها ليكرّسها في القضايا التي يعتبرها مهمّة.

- «بالطبع»، قالت له.

أغلق الباب خلفه وجلس. إذا كان المدّعي العام في قضيّة بيلين فاسكيز قد قفز من فوق رأس مايا، وقدّم عرض تسويةٍ إلى كريغ بشكلٍ مباشر، فسوف تدفن ذلك الوغد حيّاً.

- «لقد تلقّى قسم العلاقات العامّة لدينا اتّصالاً من منتجي شيءٍ يسمَّى **مدينة القتل**»، قال كريغ.

كان عليها أن تعرف أنّه لا يمكن التخلّص من ريك ليونارد بهذه السهولة. كان سيتواصل مع رئيسها بالطبع.

- «إنّهم يعملون على سلسلةٍ وثائقية من ثماني ساعات حول قضية جيسيكا سيلفر»، قالت مايا، «وهم يريدون مشاركة جميع أعضاء هيئة المحلّفين في تلك القضية، بمن فيهم أنا».

- «هم تحدّثوا إليكِ إذاً؟».

شرحت مايا له باختصار حديثها مع ريك في ذلك الصباح.

بدا كريغ سعيداً. «هذا ممتاز. هل ستشاركين في العرض؟».

- «لقد رفضتُ».

عبس كريغ. «هل لي أن أسأل عن السبب؟».

- «لا أعتقد أنّه تبقّى 'دليلٌ جديدٌ' قيّمٌ ليُعثَر عليه. وحتّى لو كان ريك قد حوّل نفسه إلى ما يشبه المحقّق الهاوي، فالحقائق مثبتةٌ منذ زمنٍ بعيد: الدم، الحمض النووي، كاميرات المراقبة، سجلّات الأبراج الخليوية، الرسائل النصّية الغامضة...». كانت لا تزال تتذكّر كل شيء. «لقد عُرِّيت العظام من اللحم بالكامل».

- «ظننتُ أنّهم لم يعثروا على الجثّة أبداً».

- «إنّه تعبيرٌ مجازيّ».

أسند كريغ ظهره إلى الكرسيّ، وكأنّه يشير إلى أنَّ هذه «العظام» قد تكون أكثر من مجرّد استعارةٍ لفظية.

- «من غير الوارد على الإطلاق أن يكون ريك ليونارد قد عثر على جثّة جيسيكا سيلفر»، قالت مايا.

- «سواءٌ كان هاوياً أم محترفاً، إذا قضيتِ عشر سنين في الحفر ف... حسنٌ، إنّه بالضبط السبب الذي يجعلني أقترح عليكِ أن تحضري».

- «حدّد معنى 'أقترح'».

- «إنّه خياركِ»، قال كريغ، وهو ما يقوله الناس فقط عندما لا تكون مخيَّراً. «أنتِ حرّةٌ في فعل ما تشائين»، وهو ما يقوله الناس فقط عندما لا تكون حرّاً. «الشركة تدعمكِ».

كانت مايا تدرك جيّداً أنَّ دورها في هيئة محلّفين بوبي نوك كان من بين الأسباب التي دفعت كانتويل ومايرز لتوظيفها. هل ساعدها ذلك في كسب الموكّلين؟ بالطبع. لقد كان بشكلٍ ما جزءاً من عرضها الترويجي. الكثير من محاميّ الدفاع الجنائي كانوا مدّعين عامّين سابقين، لكنَّ مايا كانت محلَّفةً سابقة - وفي واحدة من أكثر القضايا شهرةً على مرِّ العصور. هي لم تكن على الجانب الآخر من الممرّ الذي يفصل جهة الادّعاء عن جهة الدفاع فحسب - بل كانت على الجانب الآخر من قاعة المحكمة. مَن يعرفُ أفضل منها كيف تتّخذ هيئة المحلّفين قرارها؟ ومَن هو المتَّهم، سواءٌ كان مذنباً أم غير مذنب، الذي لا يرغب في استشارة المرأة التي كانت مسؤولة عن تبرئة بوبي نوك؟

نعم، لقد ساعد الحُكم مايا في وضع قدمها داخل الباب. لكنَّ

ليس الحُكم هو مَن تخرّج محرزاً الترتيب الحادي عشر على كامل الدُفعة في كلية الحقوق بجامعة بركلي. ليسَ الحكم مَن قاد ببراعة مساومات الإقرار بالذنب شديدة التعقيد لثلاثين موكِّلاً، وربح حكماً بالبراءة في القضايا الأربع التي وصلت إلى المحاكمة. ليس الحكم الذي نجح في أن يصبح شريكاً خلال ثلاث سنوات فقط. وبالنّظر إلى كلِّ شيءٍ آخر فعله الحُكم بها على مرِّ السنين، فقد كانت ترفض الاعتذار عن الأشياء القليلة التي فعلها الحُكم **لأجلها**.

- «يعتقد الجميع بالفعل أنَّ بوبي نوك هو من فعلها»، قالت مايا. «مَن يهتمُّ بما يقوله ريك ليونارد - للمرّة الألف - في برنامجٍ تلفزيوني؟».

- «أنتِ شريكةٌ الآن»، قال كريغ. «ما يعني أنَّ أيَّ شيءٍ يقال عنكِ - **شخصياً** - ينعكس على جميع الشركاء الآخرين. نحن ندعمكِ مئةً في المئة في المسائل ذات الطابع الشخصي. وهذا هو السبب في تشجيعي لكِ كي تدعمي نفسك».

كانت قدرة كريغ على تأطير كلِّ شيءٍ يريده كما لو أنّه يصبّ في مصلحتها الخاصّة مثيرةً للإعجاب فعلاً. ما كان يقصده حقّاً هو أنَّ الشركة سوف تدافع عن نفسها من أن تتلوّث بسبب دور مايا في قضية لم يكسبوا منها سنتاً واحداً.

- «إنّه لأمرٌ أن أتشبّث بموقفي بكلِّ ما أوتيتُ من عزم طوال عقدٍ كامل معتقدةً أنّني أفعل الصواب»، قالت مايا، «لكنّه أمرٌ مختلفٌ تماماً أن أكون مغفّلةً تتمسّكُ بقرارٍ غبيّ حتّى بعد أن أثبتَ دليلٌ جديد أنّني كنتُ على خطأ».

- «نسعى جميعاً للتعلّم من أخطائنا، أليس كذلك؟».

كان الجزء الملتبس في المسألة هو ما إذا كان ريك ليونارد

يملك بالفعل دليلاً جديداً يدين بوبي نوك بشكلٍ قاطع - وقامت مايا بالاعتذار علناً - فستكون عندها في موقعٍ أفضل من ناحية العلاقات العامّة ممّا هي عليه الآن. قد يكون بعض محاميّ الدفاع متعنّتين في الدفاع عن قتلة، لكن هذا لا ينطبق على مايا. كانت شخصاً يمكنه أن يدّعي أنّه يلحق بالأدّلة أينما قادته، حتّى لو كان ذلك يعني تغيير رأيها في مرحلةٍ ما. كانت ستدخل قاعات المحكمة بعدها مسلّحةً بفرضية أنّها لطالما كانت شخصاً نزيهاً وشديد الوضوح.

كلُّ ما كان عليها فعله بعد سماع هذا الدليل الجديد الغامض هو الاعتراف بأنّها كانت مخطئة.

لم تقل مايا الكثير حين سلّمها كريغ مذكّرةً بالتفاصيل. سيُعقد اجتماع لمّ الشمل في غضون شهر. ستُدعى هيئة المحلّفين لقضاء ليلةٍ في فندق أومني مجدّداً. الفندق نفسه الذي كانوا قد عُزلوا فيه أثناء المحاكمة.

لم تلفظ مايا في الواقع كلمة «نعم» أبداً في أيِّ وقتٍ من المحادثة. أومأت برأسها وأنصتت فحسب، فيما هي تحاول تجاهل الشعور المزعج بكونها محاصَرة.

نهض كريغ أخيراً. نظر إلى مكتبها ورسمَ تكشيرةً على وجهه.

- «هل هذا رأس زوج بيلين فاسكيز؟».

كانت قد وضعت الصور على المكتب لدى وصولها. «نعم».

- «سمعتُ أنّهم سيعرضون عليكِ صفقة القتل عن طريق الخطأ. أحسنتِ صنعاً».

بعد أن غادر، ظلّتْ مايا جالسةً تنقر بأصابعها فوق الصور الملساء.

ما الذي كانت لتفعله قبل عشر سنوات؟ تلك الفتاة الجادّة

الساذجة، التي تبلغ من العمر ستّةً وعشرين عاماً، وتدخل قاعة المحكمة لأوّل مرّة في حياتها - تلك كانت شخصاً مختلفاً، شخصاً تتذكره مايا بصورةٍ ضبابية، مثل أحدٍ قابلتْه ذات مرّة في حفلة.

لا يزال الغضب يتملّك مايا في بعض الأحيان. هناك الكثير ممَّن يمكن أن تغضب منهم: القاضي الذي أبقى عليهم في العزل لوقتٍ طويل، المحامون الذين تلاعبوا بهم، مقدِّمو البرامج الحوارية الذين حوّلوهم إلى مجرّد عبارات ترويجية لحلقات برامجهم. كانت ترغب في الصراخ عليهم جميعاً: هي لم تقتل جيسيكا سيلفر.

كان وجه جيسيكا مغموراً أبداً تحت صفحة ماء ذاكرتها مباشرةً، ويمكن له أن يطفو في أيّة لحظة. قد تكون واقفةً في طابورٍ في المقهى، وفجأةً: ها هي ذا. عينا جيسيكا الزرقاوان، وخدّاها الناعمان، وابتسامتها المشرقة. تلك الصورة الشهيرة لفتاةٍ جميلة مُحيت عن وجه الأرض بكل بساطة. أيّاً كان مَن قتَلها فهو الوحش الذي كان يستحقّ أن تصبّ مايا جام غضبها عليه، وغضب كلّ شخصٍ آخر أيضاً.

ومع ذلك، وفيما هي جالسةٌ إلى مكتبها، فإنَّ القاتل لم يكن الشخص الذي وجّهتْ مايا غضبها إليه. لا، إنَّ صاحب الإرث الحالي للمرارة التي تعيشها مايا، الشخص المسؤول بشكلٍ رئيسي عن جعلها في هذه الحال، كان المحلّف 272.

ريك

29 مايو، 2009

- «مَن الذي لا يستطيع التملّص من واجب الخدمة في هيئة محلّفين بحقّ الجحيم؟» هكذا صاغ جيل - شريك سكن ريك ليونارد - الأمر في ذلك الصباح. كانا في مطبخ شقّتهما المكوّنة من غرفتي نوم.

كان ريك طالباً حديث التخرّج، في الثامنة والعشرين من عمره. لم يكن قد استُدعي للخدمة في هيئة محلّفين من قبل، لكنّه يتذكّر أنَّ والده تلقّى استدعاءً مماثلاً حين كان شاباً. كما حدث ذلك مع بعض المعلّمين أيّام المدرسة الابتدائية والذين أخذ المعلّمون البدلاء مكانهم. إن كان ريك صادقاً، فإنَّ مسألة هيئة المحلّفين هذه بدتْ كمشكلة من الطراز الرفيع. حتّى أنّ الشكوى من الأمر حملت نفحةً من الرقيّ. «آه، هل يمكنكَ تصديق ذلك، لقد علقتُ بواجب الخدمة في هيئة المحلّفين».

- «إن أردتَ التملّص من الخدمة في هيئة المحلّفين يا صاح، فيمكنكَ التملّص من الخدمة في هيئة المحلّفين مئة في المئة»، قال جيل.

- «يمكنني الخوض في ذلك والانتهاء منه أيضاً»، قال ريك وهو يهز كتفيه.

حدث هذا في شهر مايو. كانت فترة استراحة بين فصلين دراسيين، وكان سيُجري بحثاً بدوامٍ جزئي خلال الصيف لصالح أستاذ جامعي حول مواضع الخلل والإخفاق في تخطيط مدينة برازيليا، والتي أدّت إلى ظهور أحياء **الفافيلا** العشوائية الخارجة عن السيطرة. كان يملك الوقت. أضف إلى ذلك - وهو ما لم يكن ليقوله لجيل - ألم تكن تلك فرصةً ليكون قادراً على فعل بعض الخير؟ يمكن لنظام العدالة الاستفادة من محلَّفين يأخذون خدمتهم على محمل الجدّ. وأيّاً كانت عيوب ريك ومثالبه، فقد كان بكلِّ تأكيد رجلاً يأخذ مسألة العدالة على محمل الجدّ.

عدَّل ريك سترته الزرقاء عند مستوى كتفيه الهزيلتين.

- «فليكن»، قال ريك. «يومٌ واحد، يومان على الأكثر. أدخل وأخرج، وينتهي الأمر. ما أسوأ ما يمكن أن يحدث؟».

وصل ريك إلى مركز كلارا شورتريدج فولتز(*) للعدالة الجنائية، ليجد حشداً من الصحافيين في الخارج. اعتقد أنَّ وجود المراسلين وأطقم التصوير كان شيئاً يومياً - لتغطية ظهور نجوم السينما هناك بسبب مخالفات السرعة أو المغنين بسبب حوزتهم المخدرات. شعر بالغباء لاحقاً، حين أصبحت الأيّام أسابيعَ، والأسابيع شهوراً، لعدم

(*) قصر العدل في مقاطعة لوس أنجلوس سمّي تيمّناً بكلارا شورتريدج فولتز، وهي أوّل محامية أنثى في الساحل الغربي للولايات المتّحدة، ورائدة فكرة حقّ المتّهم في الحصول على محامٍ على نفقة الولاية إذا لم يكن قادراً على تحمّل تكاليفه - المترجم.

ربطه الحضور الصحفي الكثيف بحقيقة أنَّ بوبي نوك كان على وشك أن يُحاكَم بتهمة قتل جيسيكا سيلفر. وهل هناك قصّة أفضل من هذه ليهتمَّ هؤلاء المراسلون بتغطيتها؟

قبل التاسعة صباحاً ببضع دقائق، دخل ريك إلى غرفة التحفّظ على المحلّفين. تحقّق موظّف المحكمة بالزيِّ الرسميّ من اسمه، وسلّمه قصاصة ورق كانت بمثابة هويّته الجديدة: المحلّف 158.

- «من أجل الحفاظ على خصوصيّتك وسلامتك الشخصية، ستتمُّ مخاطبتكَ من خلال رقم المحلّف الخاص بك **وفقط** من خلال رقم المحلّف الخاص بك طوال فترة وجودك هنا. هل تفهم ذلك؟».

- «حسنٌ».

- «هذا يعني أنَّه لا استخدام لأسماء حقيقية. ليس معنا، وليس فيما بينكم».

- «فيما بينكم؟».

- «المحلّفون الآخرون»، قال الموظّف، وانتقل إلى الشخص التالي في الصفّ.

جلس ريك. راقب بضع عشرات الأشخاص الذين ينتظرون معه. تمعّنَ في ملابسهم، ومجلّاتهم، وصحفهم، وكتب التشويق والألغاز التي كان بعضهم يحملها.

مَن الذي لا يستطيع التملّص من واجب الخدمة في هيئة المحلّفين بحقِّ الجحيم؟ فكّر ريك.

تساءل أيٌّ من هؤلاء سوف يقدّم أكاذيب سهلة كي يعفي نفسه. أطفالٌ صغار، آباءٌ مرضى، مصاعب ماليّة، إعاقات عقلية - يمكن استخدام أيٍّ من هذه الأعذار كي تعود إلى المنزل. كلُّ ما عليكَ

فعله هو الشهادة أمام قاضٍ. وليس لدى المحكمة وسائل كافية للتحقّق من صحة ما تقول.

كلُّ ما عليك فعله هو الكذب.

ما يعني أنَّ الأشخاص الذين يبقون، أيّاً كانت صفاتهم الأخرى، فهم صادقون.

جلست فتاةٌ على المقعد المجاور لمقعده. كانت بيضاء، بشعرٍ قصيرٍ داكن وملامح ناعمة لدرجةٍ جعلته يعتقد أنّها أصغر منه بكثير، قبل أن تجعله هالة الوقار المحيطة بها يفكّر أنّها في مثل عمره تقريباً. كانت ترتدي تنّورةً كحلية وقميصاً رسمياً فاتحاً. ارتدى معظم المحلّفون الآخرون الجينز وقمصاناً مفتوحة الأزرار، لكنّها مثله كانت ترتدي ملابس رسمية.

فكّر في أن يقول مرحباً، لكنّه فكّر، **ثمّ ماذا بعد؟** لم تكن لديه أيّة فكرة ما الذي يُفترض به أن يقوله بعد مرحباً.

جلسا صامتين إلى أن أخذت الفتاة آخر رشفة من كوب قهوتها الكرتونيّ ووضعتْه على الأرض بالقرب من كوبه.

وقف ريك. «هل انتهيتِ من هذا؟».

بدا أنّ الأمر استغرق منها بضع لحظات كي تفهم ما الذي كان يتحدّث عنه. «أوه... نعم».

التقط الكوبين عن الأرض، وحملهما إلى سلّة إعادة التدوير.

أشار إلى لوحة قواعد معلّقة على الحائط. كانت القاعدة الثانية: **الرجاء التخلّص من المهملات بشكلٍ مناسب.** «أنا أتّبع القواعد فحسب»، قال ريك.

رمقتْه بنظرةٍ سريعة، مرَّتْ بها على سرواله وقميصه المكويّ بعناية. «أخمّنُ أنَّكَ لستَ من النوع المتمرِّد».

رفعتْ حقيبة ظهرها ووضعتْها في حجرها. لاحظ ريك زرّاً كبيراً من حملة أوباما الانتخابية مثبّتاً على إحدى جيوب الحقيبة. كان الزرُّ مربّع الشكل، كُتبتْ عليه كلمة «أمل» H-O-P-E بأحرف مقطّعة بألوان العلم الأمريكي: الأحمر والأبيض والأزرق.

رفع ريك حقيبته وكشف عن نفس الزرِّ مثبَّتاً عليها.

- «إنّه يشغل المنصب منذ أربعة أشهر الآن»، قالت مبتسمة. «أعتقد أنّه آن الأوان لنزع هذه الأشياء». كانت لديها ابتسامة مذهلة.

- «احتفظي بها، يمكنكِ أن تعيدي وضعها في غضون ثلاث سنوات».

- «يا إلهي، هل تستطيع أنْ تتخيّل خوض كلَّ ذلك مجدّداً؟».

- «بلى. أستطيع ذلك». شعر كما لو أنّها كانت تكشف اللثام عن جانبٍ شديد الجدية والإخلاص منه حدَّ الإحراج. «هل تطوَّعتِ؟».

- «طرقتُ الأبواب خلال عطل نهاية الأسبوع في بنسلفانيا. كنت أعيش في نيويورك حينها».

- «نيفادا. أعني أنَّ الأبواب التي طرقتُها كانت في نيفادا. كنتُ أعيش هنا»، قال ريك.

- «سيّداتي وسادتي»، نادى موظّف المحكمة، «شكراً لكم على خدمتكم لمدينة لوس أنجلوس. إذا أعطيتموني انتباهكم هنا، فسأشغل لكم مقطع فيديو قصير يوضّح لكم واجباتكم ومسؤوليّاتكم تجاه هذه المحكمة».

جرَّ من زاوية الغرفة عربةً معدنية سوداء، فوقها جهاز تلفزيون قديم. عانى حتّى تمكّن من تشغيله وهو يسحق جهاز التحكّم بإبهامه. وأخيراً، امتلأت الشاشة بصورة الممثّل سام واترسون.

- «هذا... غير متوقَّع»، قال ريك.

- «هل هذا... هو الرجل من مسلسل **قانون ونظام**؟»، قالت الفتاة.

- «مرحباً»، قال سام واترسون من جهاز التلفزيون. «وأهلاً بكم إلى خدمتكم في هيئة المحلّفين».

شاهد كلاهما الممثّل لعشر دقائق وهو يشرح لهما مقطع فيديو توضيحي عن مسؤوليّاتهما الرسمية. أعلمهم سام واترسون أنّه ليس كلّ بلدٍ، ولا حتّى كلّ ديمقراطية، يضمن للمتّهم الجنائي هيئة محلّفين من أقرانه. ففي فرنسا واليابان على سبيل المثال، تولّى القضاة أمر التوصّل إلى الحقائق. وفي ألمانيا، لعب هذا الدور فريقٌ من ثلاثة أشخاص، قاضٍ وفردين من العامّة يتمُّ تعيينهما بقرارٍ سياسي. إنَّ استخدام هيئات المحلّفين هو ما يجعل نظامنا فريداً من نوعه، وثميناً للغاية بالنسبة للتجربة الأمريكية. إنَّ العمل في هيئة محلّفين هو أعمق فِعل مواطنة يمكن للمرء القيام به.

لم يدع ريك الفتاة تلاحظ أنّه وجد الأمر برمّته ملهِماً بحقّ.

بعد الفيديو، بدأت العملية المطوّلة من استدعائهم واحداً تلو الآخر ليتمّ تخصيصهم في قاعة محكمة. «المحلّف 110! اقترِبْ من المكتب رجاءً». كان هذا المحلّف رجلاً كبيراً في السن، من أصولٍ صينية، ولم ينبس ببنتِ شفة بينما كان يستلم تعيينه في إحدى القاعات.

- «ما السبب وراء قيامه بذلك في رأيك؟»، قالت الفتاة وهي

تومئ برأسها نحو المحلّف 110 المُعمَّد توّاً فيما هو يتّجه نحو الباب.

- «قيامه بماذا؟»، قال ريك.

- «واجب هيئة المحلّفين. من السهل التملّص منه. كلٌّ مَن لا يختلق عذراً لا بدَّ أن يكون لديه سببٌ وجيه لرغبته في القيام بذلك».

- «لا أعرف، ربَّما هو إحساسٌ بالمسؤولية تجاه واجب الخدمة».

نظرتْ الفتاة إلى الرجل الصيني المسنّ نظرةً فاحصة. «أو... ربّما يكون سارق بنوكٍ محترف. لم يحدث أن قُبض عليه قطّ. هو يحبُّ أن يختبر حدود الأشياء، أن يغيظ رجال الشرطة، وأن ينفّذ عمليات سطوٍ أكثر خطورة من ذي قبل. لذلك حين تلقّى الاستدعاء للخدمة في هيئة محلّفين، لم يستطع مقاومة إغراء القيام برحلة إلى المحكمة التي لم تتمكن من أن تودي به إلى السجن».

- «قد يتمُّ تعيينه في محاكمة أحد شركائه السابقين»، أضاف ريك، «قد يكون كلُّ هذا جزءاً من خطّته».

- «لن تكون تلك خطّةً جيّدة جدّاً».

- «كيف لكِ أن تعرفي؟».

- «الاحتمال الإحصائي لجعل نفسك تُعيَّن في المحاكمة التي تريدها بالضبط...».

- «آه»، قاطعها ريك، «الآن أعرف لمَ أنتِ هنا».

- «لمَ؟».

- «أنتِ تخطّطين لعملية سطو».

ألقتْ برأسها إلى الخلف وأطلقت ضحكةً من أعماق أحشائها. استدار بعض الموجودين كي ينظروا إليها.

أحبَّ ريك ضحكتها كثيراً. كان مضطّراً لتذكير نفسه طوال الوقت أنّه من المخالف للقواعد أن يسألها عن اسمها.

بعد بضع دقائق، استدعى الموظّفُ المحلّفَ 111 وأرسل أصولاً رجلاً أبيض يبدو عليه الانزعاج إلى قاعة المحكمة المخصّصة له. اتّفق ريك والفتاة على أنّه لا بدَّ أن يكون قد جاء إلى هنا للاستمتاع بيوم إجازةٍ من عملٍ يحتقره، آملاً في أن يتمكّن من الجلوس وقراءة مجلّته الرياضية المفضّلة بسلام.

ظلّا يمارسان هذه اللعبة لما تبقّى من ذلك الصباح، يلفّقان الدوافع والخلفيات التاريخية لكلِّ محلّف حين يُنادى عليه. كانت الفتاة مضحكة. لكن الأكثر إثارةً للدهشة أنَّ ريك شعر بنفسه مضحكاً أيضاً، وهو أمرٌ لا يحدث كلّ يوم. كان يحاول إيجاد طريقة ليسأها ما إذا كانت ترغب في تناول الغداء معه حين استدعى الموظّفُ المحلّفَ 158.

- «هذا أنا»، قال معترِفاً.
- «حظّاً سعيداً في تحقيق العدالة».
- «المحلّف 158!»، صاح الموظّف.
- «حظّاً سعيداً في عملية السطو»، قال ريك وهو يمشي مبتعداً.

لكمْ تمنّى لو تمكَّن من الحصول على اسمها.

بعد عشرين دقيقة، أدرك ريك أنّه في ورطةٍ لعينة. إذ سُلِّم له ولثمانية محلّفين محتملين آخرين قلم أسود واستبيان من اثنتي عشرة صفحة. كانت هناك مئات الأسئلة في الاستبيان، لكنَّ السؤال الأول أعطى لريك لمحةً عن الذي على المحكّ.

«هل سبق لكَ أن قابلتَ روبرت نوك شخصياً، أو كان لكَ أيُّ نوعٍ من التعاملات معه؟».

اللعنة. هل كان على وشك أن يُعيَّن في قضيّة جيسيكا سيلفر؟

السؤال رقم 2: «هل سبقَ لك أن قابلت جيسيكا سيلفر شخصياً، أو كان لكَ أيُّ نوعٍ من التعاملات معها؟».

كان ريك يعرف بصورةٍ ضبابية كيف تبدو جيسيكا سيلفر. لم يملك هو وجيل جهاز تلفزيون، لكنّه شاهد وجهها عشرات المرّات على الشاشات في مطعم Mohawk Bend، أو في أيّ مكانٍ آخر ذهب إليه كي يقرأ حين رغب في الخروج من الشقة. بدت مثل كثيرٍ من الفتيات البيض الجميلات، واللواتي كانت أخبار اختفائهنَّ تملأ النشرات الإخبارية على مدار الساعة: شعرٌ أشقر، عينان زرقاوان، ابتسامةٌ دائمة، نموذج حيٌّ عن البراءة المتكلّفة. بدا كأنّها يمكن أن تكون ابنة أيٍّ من الآباء الذين يقطنون في الضواحي، والذين كانوا الجمهور المستهدَف لتلك النشرات. كانوا هم الضحايا الحقيقيين لتلك البرامج التي وُجدت لترويع الناس المحترمين هانئي البال عبر زرع الاعتقاد بأنَّ حياتهم البسيطة والمنظّمة جيّداً كانت تحت تهديدٍ دائم. لا يهمُّ إن كان احتمال تعرّض طفلٍ أبيض من عائلةٍ ثرية وحيٍّ راقٍ للقتل فجأة ضئيلاً للغاية، فلم تُشر تلك البرامج الإخبارية مطلقاً إلى حقيقة أنَّ طفلةً مثل جيسيكا سيلفر لديها فرصةً أكبر أن تُضرب بصاعقة برق. وبدلاً من التركيز على شرح كم أنَّ هذه الأحداث نادرة الحدوث، كانت الرسالة دائماً أنَّ **هذا يمكن أن يحدث لك.** كانوا يبثّونها كلَّ ساعة على مدار الساعة. **هذا يمكن أن يحدث لأطفالك.**

هل قابل ريك يوماً بوبي نوك أو جيسيكا سيلفر؟ لا، لكنّه

يعرف أنَّ جيسيكا سيلفر كانت بيضاء وغنيّة، وأنَّ بوبي نوك كان أسودَ ولا مال لديه، وأنَّ الرجل كان في طريقه إلى أن يؤكَل حيّاً.

هنا كان الشخص العاقل ليدوّن بعض الأكاذيب على الاستمارة ويقفل راجعاً إلى بيته. كانت تلبية الدعوة للخدمة في هيئة المحلّفين أمراً، لكنَّ الخدمة في محاكمة بوبي نوك أمرٌ آخر تماماً. إذا وقع الاختيار على ريك، فسيعلق هنا لأسابيع. نصف فصل الصيف ربّما. هل كان مستعدّاً لذلك حقّاً؟ كانت هناك الكثير من الأكاذيب السهلة التي يمكن أن يدّعيها: أنّه يعرف شخصاً كان قد مات قتلاً، أو أنّه يكره رجال الشرطة لدرجة أنّه لا يستطيع تصديق أيَّ كلمةٍ يقولونها. أو يمكنه أن يقول شيئاً ينمُّ عن العته حتّى يظنّوا أنّه شخصٌ مجنون.

أطرق برأسه ونظر في أوراق الأسئلة. ثمَّ أدرك متحسّراً أنّه عاجزٌ عن منع نفسه من الإجابة بصدق.

تبّاً!

بعد تسعين دقيقة، أُدخل ريك إلى قاعة المحكمة. طلب منه القاضي أن يجلس في مقصورة المحلّفين وحيداً، بينما يطّلع كلٌّ من المدّعي العام ومحامي الدفاع على إجاباته في الاستبيان. تفاجأ ريك لرؤية شابٍّ أسود يجلس إلى طاولة الدفاع. هل كان هذا بوبي نوك؟

ألقى ريك لأول مرّة نظرةً فاحصة عليه. بدا عند رؤيته بشكل شخصي كما لو أنّه فتىً مراهق. كان بالتأكيد أصغر من ريك، ولم يكن الأمر فقط أنَّ البذلة المتدلّية من كتفيه كانت كبيرةً جدّاً عليه، بل إنَّ صاحبنا كان هزيلاً جدّاً أيضاً. كان مُطرِق الرأس، وعيناه شاخصتين في يديه المشبوكتين. إذاً، كان يُفتَرض أن يكون هذا الولد قاتلاً؟!

كان القاضي أبيض وأصلع، وصوته أقرب إلى الهمس، فكان على ريك أن يبذل جهداً كبيراً لسماعه وهو يشرح له أنّه على وشك الخضوع لشيءٍ يسمَّى Voir dire.

- «إنّها الفرنسية القديمة»، قال القاضي، «وتعني 'قول ما هو حقيقيّ'».

سيتناوب المدّعي العام ومحامي الدفاع على استجواب ريك حول الأجوبة التي دوّنها في استبيانه.

كان المدّعي العام رجلاً مرحاً وضخم البنية، واسمه تيد مورنينغستار. كانت لديه مسحة غرور تعكس خبرته التي جهد كثيراً في اكتسابها. عندما سأل ريك إن كان لديه أيّ سببٍ يجعله متحيّزاً في هذه القضيّة، أجاب ريك بالنفي. وعندما سأل ريك إنْ كان قد شكّل حتّى هذه اللحظة أيَّ آراءٍ حول ذنب المدَّعى عليه وتهمته، أجاب ريك بصدق أنّه لم يفعل.

لكنّ ريك لم يكن أعمى. كان هناك أربعة أشخاصٍ من ذوي البشرة السوداء في قاعة المحكمة. المدَّعى عليه، بوبي نوك؛ ومساعدة المدّعي العام، وهي امرأةٌ لم تقل كلمةً واحدة أثناء اطّلاعها على الاستبيان على طاولة جهة الادّعاء؛ وضابط شرطة بالزيّ الرسمي للحفاظ على الأمن؛ وريك.

ماذا يعرف ريك عن المتّهم؟ فقط أنّه والمتّهم كانا رجلين أسودين في لوس أنجلوس. إذا اعتقد المحامون أنَّ هذا يعني أنَّ ريك لا يستطيع الحكم بعدل، فسيكون ذلك خطؤهم. حدّق ريك في بوبي. كانت ملامح الفتى غير مقروءة. كان الأمر أشبه بالنظر إلى تلفزيون قديم مضبوط على صورةٍ جامدة.

واصل مورنينغستار الرقص حول السؤال الذي كان ريك يعرف أنّه قادمٌ لا محالة. السؤال الذي خرج من رحم كلّ المحاكمات التي جرتْ في هذه القاعة، وكثيرٍ من القاعات الأخرى المشابهة لها تماماً.

هل في وسعك يا ريك ليونارد، كرجل أسود، أن تنحّي جانباً وأن تلغي من اعتباراتك كون بوبي نوك والذي يُحاكم الآن بتهمة قتل فتاةٍ بيضاء، هو رجلٌ أسود أيضاً؟

هل في وسعكَ يا ريك ليونارد أن تنبذ كلَّ هذا الهراء؟

تمنّى ريك أكثر من أيِّ شيء أن يقولها المدّعي العام ببساطة. لكنّه كان يعرف أنَّ ذلك لن يحدث.

محامية الدفاع كانت تدعى باميلا غيبسون، وهي أصغر سنّاً من المدّعي العام، نحيلة وعظامها بارزة. ذرعت أرجاء القاعة مثل رياضيٍّ يقدّم عرضاً تدرّب عليه جيّداً. وإذا كانت نبرة المدّعي العام أقرب لشيءٍ من قبيل: **كلّنا نعرف ما الذي يجري هنا، أليس كذلك؟** فإنّ نبرتها كانت أقرب إلى: **مَن هذا القادر على معرفة ما هو صحيح بالمطلق؟**

بعد أن انتهى مورنينغستار من استجوابه، كانت مهمّة الدفاع هي أن يجد طريقة لئلّا يسأل ريك بوضوح كيف سيؤثّر أمر «كونه أسودَ» على اتّخاذ قراره.

هل ستمنح يا ريك ليونارد، لبوبي نوك ميّزة عدم التيقّن لأنّك تتشارك معه في- حسنٌ، أنتَ تعرف؟

خلال خمسٍ وأربعين دقيقة من الاستجواب، تواصل ريك بصرياً مع بوبي نوك لمرّةٍ واحدة. طلبتْ غيبسون من ريك أن يضع قائمة بأشخاص يعرفهم كانوا قد وقعوا ضحيةً لجرائم عنيفة - كانت

قائمةً قصيرة - ولمّا شرح كيف أنَّ والدته كانت قد تعرّضت ذات مرّة للسلب حين كان في التاسعة من عمره، نظر بوبي عندها نحوه مباشرةً.

- «لم تكن جريمةً عنيفة حقّاً»، أوضح ريك. «انتزع الرجل حقيبتها، وركض فحسب». أخذ ريك بعدها يحدّق في عينيِّ بوبي، العينان المذعورتان لهذا الفتى المسكين والذي يعتقد الجميع أنَّه قتل فتاةً مراهقة. هل كانت نظرة بوبي في تلك اللحظة نداءً للمساعدة؟ هل كانت نوعاً من الإشارة؟ **هل يمكنكَ مساعدتي؟**

لم يكن لدى ريك أدنى فكرة، كما أدرك أنّه لا يهتمّ. إنَّ الأشخاص الوحيدين الذين ظنّوا أنَّ لديه شيئاً مشتركاً مع بوبي نوك هم أشخاص لا يعرفون أيّاً منهما. كان ريك يعني كلَّ كلمةٍ قالها للمحامين: سيكون منصفاً. حيادياً. سيلحق بالدليل أينما كان يقود.

- «المحلّف 158؟»، جاءه صوت القاضي ليقطع حبل أفكاره. «لقد قُبلتَ في هيئة المحلّفين».

أمره القاضي بألّا يستخدم اسمه الحقيقيّ في قاعة المحكمة أو يعطي أيّة معلومات شخصية للمحلّفين الآخرين. سيكون مطلوباً منه الحضور يوميّاً بحلول الساعة الثامنة صباحاً، وسيُسمح له بالعودة إلى منزله عند الخامسة من كلِّ مساء. لكنّه كان ممنوعاً بشكلٍ قاطع من قراءة أيِّ تقارير إخبارية حول القضيّة. كما لم يكن مسموحاً له النقاش في القضية مع أيِّ شخصٍ خارج المحكمة - ليس مع عائلته، ليس مع أصدقائه، وليس مع أيِّ صحافيٍّ متطفّل. وسوف تقوم المحكمة بحجب هويّته عن العامّة - كما أنَّ لديهم إجراءات لتأمين وصوله ومغادرته بأمانٍ كلّ يوم - وبذلك لا يكون الترهيب والمضايقات مصدر قلق.

هل فهم ريك كلَّ ما أخبره القاضي به؟
- «نعم، سيّدي»، قال ريك. وهكذا تمَّ الأمر.

اصطحب حاجب المحكمة ريك إلى غرفة المحلّفين. كان هناك شخص واحدٌ فقط في الداخل. امرأةٌ كبيرة في السن، في الثمانين على أقلِّ تقدير، وكانت تجلس هادئة بمفردها. مشى ريك نحوها وقدّم نفسه.

- «المحلَّف 158»، قال لها.

- «أنا المحلَّفة 106»، قالت المرأة بلكنةٍ إسبانية كثيفة.

كانت ترتدي سروالاً غامقاً بأرجل فضفاضة، وقميصاً بأكمام طويلة. وكانت حقيبةٌ قماشية مطرّزة سوداء تستريح عند قدميها. نُقشت على الحقيبة بأحرف بيضاء كبيرة عبارة: **بيت أوراق الحظ**.

- «هل أنتِ عرّافة؟»، سأل ريك.

نظرتْ المحلّفة 106 إلى ريك كما لو أنّه مجنون. «لا».

أشار إلى حقيبتها. «**بيت أوراق الحظ**. إنّه في جادّة سنست، أليس كذلك؟ لقد مررتُ بالقرب منه. ظننتُ أنّه متجر عرّاف؟».

بدتْ مستاءة. «لا يفترض بنا معرفة أيّ شيء عن أحدنا الآخر».

- «حسنٌ، أنا لم أكن أسأل عن اسمك أو أيّ شيءٍ من هذا القبيل، كنتُ فقط...».

أسكتَ نفسه. هو لم يكن يقصد أن يضايقها.

جلس على بعد بضعة كراسٍ.

- «أنا لا أؤمن بالحظ»، قالت وهي تنغمس في كتابها الخاص بألعاب السودوكو.

كان اليوم قد انتهى تقريباً عندما فُتح الباب وأدخل الحاجب المحلَّفة الثالثة إلى منزلها الجديد. ضحك ريك. وكذلك فعلتْ هي.

- «من الناحية الإحصائية...»، قال ريك.

- «ما رأيك؟»، قالت الفتاة. «هل كلُّ هذا جزءٌ من خطّتي الإجرامية الجهنّمية؟».

نظرتْ المحلّفة 106 بريبةٍ نحو ريك والفتاة. «هل تعرفان أحدكما الآخر؟».

- «نحن صديقان قديمان»، قال ريك.

بدت المحلّفة 106 مذهولة.

- «'قديمان' كما في 'منذ صباح اليوم'».

استدار ريك نحوها، ومدَّ يده. «أنا ريـ...». أسكت نفسه. «آسف».

- «هل علينا حقّاً أن نلتزم بهذا الشيء؟ لا أسماء حقيقية؟».

كان ريك ملتزماً بتكريس نفسه لهذا الأمر، وإن كان ذلك يعني التقيّد ببعض القواعد الإضافية المزعجة، إذاً فليكن. كانت العدالة تستحق هذا القدر من الالتزام على أقلِّ تقدير.

- «أنا 158»، قال ريك.

- «سعيدةٌ بلقائك». أخذت يده. شعر بنعومة أصابعها على أصابعه. «أنا المحلّفة 272».

3

H-O-P-E (أمل)

الآن

- «أنا مايا سيل»، قالت لمساعدة المنتِج التي قابلتْها في بهو فندق أومني، «المحلَّفة 272».

- «بالطبع أنتِ هي!»، قالت مساعدة المنتِج دون أن تتحقّق من القائمة في اللوح الورقي الذي تحمله. «الجميع متحمّسون لأنّكِ هنا! أنا شانون!».

جالت مايا بنظرها في الردهة. كان ذلك في وقتٍ متأخر من صباح يوم أربعاء، بعد شهر من ظهور ريك في المحكمة. كانت الأعمال الفنيّة على الجدران قد تغيّرت في السنوات العشر الماضية. وكذلك الأثاث والزيُّ الرسمي للموظّفين، ومع ذلك فقد كان الجانب الجمالي للفندق لا يزال من النوع الذي لا يأكل الدهر عليه، ولا هويةً مكانية واضحة له، جمالٌ مألوف يمكن أن تراه في أيّة مدينة، في أيّ مكانٍ حول العالم. كان مجرّد طيفٍ مختلف من الاعتدال.

لم يكن تجنّب هذا المكان طوال العقد الماضي بالأمر الصعب.

أشارت شانون إلى المصعد. «لمَ لا أصطحبكِ إلى غرفتكِ كي

تستقرّي فيها؟ سوف يتحدَّث المضيفان إليك بشأن المقابلات الفردية التي ستجري اليوم وصباح الغد».

- «مقابلات فردية؟».

- «مقابلات واحدٌ لواحد. أنتِ والمضيفان فقط».

- «هذا يُعتبر اثنان لواحد».

بدت شانون وكأنّها تحاول معرفة ما إذا كانت قد ارتكبتْ خطأً ما. «يبدو أن...». تحقّقت من لوحها. «مقابلتكِ الفردية ستكون في الصباح. ولكنَّ كلّ مَن ليس مشغولاً بالمقابلة مدعوٌّ في أيِّ وقت إلى المطعم للّقاء بالبقية. سيكون هذا اللقاء غير رسميّ. لقد حجزنا الغرفة الخلفية من المطعم. سوف نجري إعادة التصويت بشكلٍ رسميّ غداً».

- «هل وصل الآخرون؟».

أومأت شانون برأسها.

- «ماذا عن ريك ليونارد؟».

قالت ذلك بلامبالاة مفتَعلة. استغرق منها الأمر عشرين ثانية لتكشف أنّها كانت قلقة، ولماذا كانت كذلك. لكن لمَ عساها تهتمُّ بما ستفكّر به مساعدة المنتِج حيال مستوى قلقها؟

لم يبدُ أنَّ شانون وجدت سؤالها جديراً بالملاحظة. «لا أعتقد أنّه قد وصل بعد».

كانت مايا قد أجرت بحثاً شاملاً عن ريك على غوغل منذ أن ظهر في المحكمة، لكنّها لم تجد أيّة معلوماتٍ حديثة عنه. لا شيء يتعلّق بمكان عمله أو وظيفته أو محلِّ إقامته. ولم يكن له حضور على أيٍّ من مواقع التواصل الاجتماعي التي استطاعت أن تجدها.

كانت هناك صورٌ قديمة فقط. النقد القديم اللاذع الذي وُجِّه إليها. شعرت بالصدمة مجدّداً بسبب ما قاله عنها وعن المحلّفين الآخرين لدى مشاهدتها مقاطع على اليوتيوب لمقابلاتٍ قديمة حول الكتاب الذي أصدره.

- «متى ستتاح لي الفرصة لرؤية دليله الجديد؟ إنْ كنتُ سأجيب عليه، فأنا أحتاج إلى الوقت لفحصه والتحقّق منه».

- «كلُّ ما أعرفه هو أنّه يريد أن يكون آخر مَن يجري مقابلة. وبعدها ستستمعون جميعاً إلى ما سيقوله قبل إعادة التصويت».

نظرت مايا إلى ساعتها. سيكون يوماً طويلاً.

سحبت شانون بطاقة مفتاحٍ إلكتروني من ظرف ورقي وسلَّمته لمايا. «نحن سعداء حقّاً لوجودكِ هنا».

كانت الغرفة 1208 على حالها تماماً. اللوحات، والمكتب، والكراسي، وحتّى طاولة القهوة، كلُّ الأشياء على حالها، تماماً كما عاشت معها كلّ يومٍ وليلةٍ طوال خمسة أشهر. تخيّلتْ أنَّ هذا ما سيكون عليه شعور الحيوان الهارب من حديقة حيوان عند عودته إلى الأسر.

مشتْ عبر السجّادة ذات النقوش المألوفة. لمستْ خشب الكراسي المصقول. تمعّنتْ في اللوحات على الجدران، كانت صوراً لما يشبه المروج الإنجليزية. اعتادت أن تتخيّل نفسها تجري في تلك المروج. أن تكون في الخلاء، أن تشعر بالريح على خدّيها. أن تكون في أيِّ مكان، أيِّ مكان على الإطلاق خلا أين كانت عندئذٍ... وها هي هنا من جديد.

عصرتِ المفتاح في يدها بحركةٍ غريزية. على عكس المرّة السابقة، فإنَّ في وسعها المغادرة متى تشاء.

- «رائعٌ، أليس كذلك؟»، قالت شانون. «الدِّقة - الدِّقةُ التاريخية - هذه الأمور مهمّةٌ حقّاً بالنسبة لنا».

مرّرتْ مايا أصابعها على طاولة المكتب. كان للخشب لمعانٌ زيتي واضح، لكنَّ شيئاً ما لم يكن صائباً. سطح الخشب كان أملسَ للغاية. حاولت تحسُّس الثقب على الحافّة الأمامية للمكتب. كانت قد صنعتْه بواسطة قلمٍ خلال ليلة طويلة ومليئة بالإحباط. لكنَّ الثقب لم يكن هناك.

- «لقد عثرنا على مورّدين لمستلزمات الفنادق لديهم نماذج أثاثٍ قديمة الطراز. نجحنا في إحضار كلِّ شيء الأسبوع الماضي»، قالت شانون.

- «كلُّ هذه نُسخ؟»، سألت مايا وأطراف أصابعها تتلمّس الإطار الجلدي لحافظة الورق على سطح المكتب.

- «نفس الصنع، نفس الطراز، نفس العام. حصلنا عليها من فندقٍ في أتلانتا».

كانت مايا تقف داخل محاكاةٍ لحياتها القديمة.

أُثِّثَتْ غرفة النوم أيضاً على نفس الشاكلة التي كانت عليها قبل عشر سنوات. كانت هناك سلّة فواكه وعلبة شوكولا على إحدى الطاولات الجانبية، وبطاقة كُتِب عليها: «شكراً لانضمامك إلينا». التوقيع «مدينة القتل».

عندئذٍ رأتْه، قرب السلّة مباشرةً.

كان على مايا أن تتراجع.

«H-O-P-E»، قرأتْ على الزرّ المربّع الصغير، الحروف الحمراء والبيضاء والزرقاء ملطّخة وبالية.

- «ما هذا بحقِّ الجحيم؟»، قالت مايا.

هرعت شانون إلى غرفة النوم، ولمّا رأتْ فيمَ كانت مايا تحدّق، استرخت وقالت: «كان هذا لكِ، أليس كذلك؟ اعتقدنا أنّه سيكون تذكيراً ممتعاً إضافياً».

- «كنتُ أحمل واحداً من هذه الأزرار على حقيبة ظهري»، قالت مايا.

- «نعم! أتذكّر تماماً أنّي رأيتُه عندما غادرتِ قاعة المحكمة بعد النطق بالحكم. تلك الصورة لكم أنتم الاثني عشر جميعاً تغادرون القاعة. . . أعني أنَّ ذلك الهراء كان أيقونيّاً». سكتتْ فجأة. «أنا آسفة».

لم تستطع مايا أن ترفع عينيها عن الزرّ. «لا يزال لديّ. ما زلتُ أحتفظُ بزرّي».

- «أقصد أنّي آسفة لقولي 'هراء'».

- «هل حصلتِ على هذا عبر الإنترنت أو شيء من هذا القبيل؟».

- «موقع إيباي. هذه الأزرار موادٌّ لهواة الجمع الآن. ذاك الزرُّ بخمسين دولاراً».

خطر ببال مايا أنَّ ما كان ذات يومٍ حياتها بات الآن عبارةً عن مقتنيات. ذكرياتها تحوّلتْ إلى تذكارات. سلعٌ تُعبَّأ، وتُتَدَاول، وتباع بأسعار مرتفعة.

شعرتْ بدوارٍ خفيف.

كانت متواطئة، ألم تكن كذلك عبر وجودها هنا؟ كانت تبيع ماضيها، أو على أقلِّ تقدير الجزء الوحيد من ماضيها الذي قد يهمُّ أيَّ شخصٍ كان، وهو ذاك الجزء المكرَّس لمأساة شخصٍ آخر. كانت قد راقبت مذعورةً عبر السنين كيف صنع الآخرون ثروات ممَّا فعلتْه. الشبكات الإخبارية، كُتّاب السيرة الذاتية، الصحافيّون واسعو «الاطّلاع». كم من الناس أصبحوا أثرياء من مقتل جيسيكا سيلفر؟ كانت هناك على سبيل المثال مراسلةٌ لـ **نيويورك تايمز** والتي قبضت دفعةً مقدَّمة من مليونيْ دولار عن كتابها الذي وضعتْ فيه وفاة جيسيكا سيلفر في سياق جائحة عنفٍ جنسيّ ضدَّ النساء على مستوى البلاد بأكملها. مَن يستطيع التشكيك في نوايا تلك المراسلة؟ ومَن الذي لن يحسدها على منزلها الجديد الفاره ذي الحجر البنّي في كوبل هيل؟ أو ماذا عن الموثّق الشهير الذي حاولت سلسلته حول القضيّة، والمكوّنة من ستِّ حلقات بُثَّت على HBO، حاولت جاهدة تسليط الضوء على تاريخ شرطة لوس أنجلوس الطويل مع الممارسات العنصرية - جائزتا إيمي اللتان بحوزته وشركة الإنتاج خاصّته الآخذة بالتوسّع، هل هي نابعة من مبادئه وقناعاته الصادقة؟ لم يكن هناك في هذا العالم مسألةٌ نقيّةٌ وصِرفة لدرجة أنَّ أحداً لم يتمكّن من اكتشاف طريقة لجعلها مربحة.

لقد اعتبرتْهم مايا جميعاً لصوص مقابر. لكن، كيف لها الآن وهي تقف داخل التلفزيون لتعيد خلق حياتها السابقة أن تدَّعي أنّها أفضل منهم؟ لم تعفها من الذنب حقيقة أنّها تبرّعت بكامل أجرها مقابل التواجد في العرض، إلى جمعية خيرية ترعى المشرَّدين. إذا كان الزرُّ المربّع ذو الألوان الباهتة في يد مايا يدلُّ على شيء، فهو أنَّ نواياها الطيّبة في شبابها كانت أسوأ من أن تُصنَّف كعديمة

الجدوى. كان الزرُّ تذكيراً بالمخاطر الناجمة عن الاعتقاد بأنّكَ أفضل ممّا أنتَ عليه حقّاً. . .

أدركتْ مايا أنَّ أكثر ما كانت تفتقده في الشخص الذي كانت عليه هو أملها في عالم آتٍ اتّضح أنّه لم يكن ممكناً يوماً. كانت تحنُّ إلى مستقبلٍ من الخيال ليس إلّا.

نظرت مايا إلى شانون، حاولت أن تحزر عمرها. ثلاثة وعشرون عاماً، ربّما. «هل تابعتِ المحاكمة؟»، سألتْ مايا.

شعشع وجه الفتاة. «يا إلهي، هل تابعتُها؟ لقد كنتُ في المرحلة الإعدادية لكن بلى، كنتُ مهووسة بالأمر. وما زلتُ كذلك. لقد توسّلتُ في طلبِ هذه الوظيفة. وأنْ يتمَّ تعييني للعمل معكِ. آمل ألّا تمانعي في قولي. . . أعني، إنْ كان هذا غير مهنيّ أو أيّاً يكن. . .».

- «ما الأمر؟».

أخذت شانون نفساً عميقاً. «أنتِ بطلتي».

لم يكن لدى مايا أدنى فكرة عمّا يمكن قوله ردّاً على شيءٍ بهذه السخافة.

- «لمَ قد أكون بطلتكِ؟».

- «لأنّكِ اتّخذتِ موقفاً. إنْ كان كلُّ ما قاله ريك ليونارد صحيحاً. . . حسنٌ، أنتِ آمنتِ بشيء، ودافعتِ عنه. ربّما كنتِ على خطأ. لكنّكِ آمنتِ بأنَّ بوبي نوك كان بريئاً. ولأنّكِ آمنتِ بذلك، فقد حملتِ الجميع على رؤية الأمر كما ترَينه - قاتلتِ حتّى لا تتمَّ إدانةُ رجلٍ بريء، وفزتِ». بدتْ شانون محرَجة فجأة. «سواءٌ كنتِ على صوابٍ أم على خطأ، لقد فزتِ».

- «لقد فزت حقّاً»، قالت مايا، «. . . انظري ما الذي فزتُ به».

أشارت حولهما إلى إعادة التشكيل لجناحٍ فندقيّ متوسط التكلفة. هذا لم يكن تكريساً لقدسية القضية، بل كان تخبطاً صرفاً.

عبستْ شانون. من الواضح أنّ الـ«مايا» التي التقتْها بعد طول انتظار لم ترقَ إلى مستوى توقّعاتها.

جاء عندها دور مايا كي تشعر بالحرج. مرّرت إبهامها فوق الحافة الملساء لزرِّ H-O-P-E. «نصيحة؟».

شبكتْ شانون ذراعيها أمام صدرها. «لا تلتقِ بأبطالك أبداً؟».

ابتسمتْ مايا. قد تكون هذه الفتاة أقوى ممّا كانت تتصوّر. «لن تكون هذه مشكلة إنْ تدبّرتِ ألّا يكون لكِ أيُّ أبطالٍ في الأساس»، قالت لها.

حين ناقشتْ مايا لأوّل مرّة الأدلّة في قضيّة الشعب ضدّ بوبي نوك، لم تكن قد حصلتْ على أيِّ تدريبٍ قانونيّ. أما الآن، فهي لديها شهادة من كليّة الحقوق وخبرة أربع سنوات كمحامية دفاعٍ جنائي ممارِسة.

بعد أن رافقت شانون إلى الخارج، أدّتْ مايا طقوسها المعتادة قبل المحاكمات. كانت قد طبعت كلّ نقطةٍ رئيسية حول كلِّ دليل على ورقة منفصلة، والآن فرشتِ الأوراق كلّها فوق طاولة القهوة.

حازت على شهر كامل لتجميع كلِّ الأفكار والملاحظات. ليس أنّها احتاجتْ إلى الكثير من الوقت، حتّى أنّها دُهشِت من قلّة ما كانت قد نسيتْه. كانت الآن، وبالنظر إلى الأدّلة المادّية الملموسة، تشعر بثقةٍ أكبر من أيِّ وقتٍ مضى أنَّ تبرئة بوبي لم تكن منصِفةً فحسب، بل كانت ضروريةً أيضاً.

فقط بعد أن تجاوزت الساعة الثالثة بعد الظهر غادرت مايا غرفتها، ودفعتِ الأبواب المزدوجة نحو غرفة الطعام الخاصة المتّصلة بمطعم الفندق، لتجد نفسها وجهاً لوجه مع تلك الملامح العتيقة من حياتها السابقة.

كان هناك كال بارو يقف مع بيتر ويلكي عند المشرب. جلست كاثي وينغ، وياسمين صرّاف، وفران غولدنبرغ إلى طاولةٍ في الزاوية البعيدة يتناولون المقرمشات، فيما جلست تريشا هارولد ولِيلا روزاليس تحتسيان البيرة على طاولة منفصلة.

لم يكن ريك هناك بعد.

كان انطباع مايا الأوّل هو الارتياح.

كان هناك أيضاً طفلٌ صغير، في الخامسة ربّما، يدفع شاحنته الصغيرة على الأرض مقترباً من قدمَيْ مايا.

- «آرون! حذارِ!». لحقتْ لِيلا روزاليس بالصبي المندفِع مع شاحنته. «آسفة»، قالتْ لمايا حين مرّتْ بقربها. «هذا آرون». همستْ شيئاً في أذن الصبي وأشارت نحو مايا، ثم أمسكتْ بيده وقادتْه إليها.

- «آرون، قل مرحباً لصديقة ماما»، قالت لِيلا.

مدَّ الصبيُّ يده بطريقةٍ رسمية. «اسمي آرون».

- «تشرَّفتُ بلقائكَ يا آرون. اسمي مايا». شدَّتْ مايا على يده وهي تصافحها. «أتعرف ما يقولونه عن الرجل ذي المصافحة القويّة؟ إنّه رجلٌ صادق».

ضحكتْ لِيلا. «هو يحبُّ الشاحنات، في حال لم تتمكّني من إدراك ذلك». شاهدتاه وهو يجري بلعبته عبر الغرفة مجدّداً، ثم انحنت لِيلا ومنحتْ مايا عناقاً دافئاً. «مرحباً، بالمناسبة».

كانت لِيلا روزاليس، التي كانت تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً

وقت المحاكمة، أصغر عضوٍ في هيئة المحلّفين. كانت في ذلك الوقت ترتاد مدرسةً لفنون التجميل، وقد تعجَّبتْ مايا ذات مرّة من كمِّ الجهد المبذول كلّ صباح لتظهر وجهها بكامل تبرّجه. بدت لِيلا الآن مرهقة، وعيناها الداكنتان يحيط بهما التعب. خطوط وجهها الجميل لم تبقَ على حالها، كما لو أنّه لم يُعتنَ بتلك الخطوط جيّداً، أو ربّما بُولِغ في الاعتناء بها حتّى ظهرت كما هي عليه الآن. كان كأس البيرة في يدها فارغاً.

- «يبدو ناضجاً جدّاً، هل والده هنا؟»، قالت مايا.

لم يخطرر لمايا التحقّق من إصبع لِيلا بحثاً عن خاتم زواج إلّا بعد أن طرحت السؤال. لم يكن هناك خاتم.

- «مَن يعرف أين هو والده»، قالت لِيلا. «لم تسر الأمور على نحوٍ جيّد».

شعرت مايا بالحرج حين أخذت لِيلا تشرح أنَّ جليسة الأطفال خاصّتها تركتها، وكيف أنّه كان يُفترض بجدِّ آرون أن يُجالسه لكنّه لم يستطع ذلك، فكان أنْ قرَّرتْ لِيلا أنّه لا بأس في أن تحضره إلى الفندق لهذه الليلة وأن تدَعهُ يشاهد التلفاز. لا بأس في هذا، أليس كذلك؟

ربّما تكون لِيلا قد كبرت في السن، لكنّ حاجتها إلى أنْ تُشجِّع وتُمنح الثقة كانت لا تزال موجودة. لطالما كانت هي الألطف بينهم جميعاً. الأرقُّ والأكثر تعاطفاً. فعندما أصبحتْ مداولاتهم صاخبةً، وغاضبة، وعنيفة بشكلٍ مؤلم، كانت لِيلا دائماً ما تمدُّ يدها إلى الشخص الذي يتعرّض لهجومٍ شرس من الآخرين. لطالما كانت غريزتها توجّهها إلى تهدئة وتعزيةِ من هم في أمسِّ الحاجة إلى ذلك.

سألتْ مايا عن حياتها، فأخبرتْها أنَّها لم تكن متزوّجةً أيضاً.

- «مرحباً!». ظهر جاي كيم بجانب مايا وعانق كلتا المرأتين سويّاً.

- «ماذا عن هذا الطفل؟»، قال لمايا. «لقد أبلت لِيلا حسناً، أليس كذلك؟».

كان على مايا أن توافقه الرأي، إذ كان آرون يبدو واثقاً بنفسه على نحوٍ مثيرٍ للإعجاب، خاصة في عمرٍ صغير كعمره.

- «أجل، أجل، أجل»، قالت لِيلا. «كيف حالك؟».

أخبرهم جاي أنَّ تقاعده كان على أحسن ما يرام. تذكّرتْ مايا أنّه كان يعمل في مجال البناء - وأنّه فقد وظيفته بعد صدور الحكم. لم يقل أحدٌ أنّه كان قد طُرد لأنّه كان في هيئة المحلّفين، لكن كلَّ واحدٍ منهم كان قد اكتشف بطريقته الخاصة كم كان من المستحيل أن يعودوا إلى حياتهم الطبيعية. كان جاي الآن قريباً من أن يكون في الستّين من عمره.

مرَّ ببال مايا مضيف ذلك البرنامج الحواري الليلي الذي أشار إليهم بـ «أغبى اثني عشر شخصاً في أميركا». كان هناك أيضاً رسمٌ كاريكاتوري عُرِض في برنامج Saturday Night Live يصوّرهم كمعاتيه فاغري الأفواه، ولعابهم يسيل على ملابسهم.

كيف كان يجب أن يكون الحال عندما حاول جاي أن يعود إلى عمله؟ مَن قد يرغب في تركيب لوح جبس مع شخصٍ يعتقد أنَّ بوبي نوك بريء؟ أيّة شركةٍ ستقبل هذا القدر من الإلهاء بسبب عاملٍ يكسب 17,25 دولاراً في الساعة؟

لكن وبعد التحدّث إلى جاي الآن، بدا وكأنّه قد تصالح مع الأمر برمّته.

- «لا»، قالت له حين سألها إن كان لديها حبيب.

رأت مايا أنَّ تريشا هارولد وفران غولدنبرغ تنظران إليها من الزاوية البعيدة للغرفة حيث تجلسان. كانت كراهية تريشا لمايا قبل عشر سنوات شديدة جدّاً، وإدانتها النهائية لها صريحةً ولا لبس فيها.

مشتْ مايا إليها. «تريشا! هل يمكنكِ تصديق ذلك؟ لقد مرّتْ عشر سنوات...».

لم تتردّد تريشا في عناق مايا. «هل تصدّقينني إن قلتُ إنّه من الجيّد رؤيتكِ؟».

ثمّنتْ مايا بادرة السلام هذه، سواءٌ كانت صادقةً أم لا. «من الجيّد رؤيتكِ أيضاً».

كانت تريشا أمريكية من أصولٍ أفريقية، طويلة القامة لكنّها تشعر بالحرج حيال ذلك إلى حدٍّ ما، كما لو كانت لا تزال تحاول الاعتياد على كونها طويلة رغم أنّها في منتصف العمر. أوضحتْ لمايا أنّها حصلت على تقاعدٍ مبكّر من عملها كفنّية نُظم معلومات في دار البلدية. لطالما بدت تريشا - نظراً لعملها مع الحكومة لفترةٍ طويلة - أكثر ارتياحاً وسط البيروقراطية التي كانت أساس حياة العزلة التي فُرضت عليهم. أخذتْ مرتّبها التقاعدي وانتقلتْ إلى هيوستن لتكون أقرب إلى أطفالها ولم تعد إلى لوس أنجلوس منذ ذلك الحين. في الحقيقة، لم تفتقدها كثيراً.

بدت فران غولدنبرغ أصغر - إن كان ذلك ممكناً - ممّا هي في ذاكرة مايا. لطالما مثّلتِ الحضور الأمومي في غرفة المداولات. كانت في كلِّ أسبوع تطلب علبةً من البسكويت للمجموعة وتراقب لتتأكّد من أنَّ الجميع قد أكل واحدةً على الأقلّ. قامت فران بجمع الأقلام السوداء منهم بعد كلِّ صوتٍ موجع كُتب بها. كانت مايا ممتنَّةً لأنَّ شخصاً ما على الأقلّ كان يحاول أن يبقي الأمور منظَّمة.

قالت فران إنّها لا تزال تعيش في لوس أنجلوس. في المكان نفسه. ومع ذلك فهي لم ترَ أيّاً من هؤلاء القوم منذ دهر! ما مشكلة معظمهم، لم يتمكّنوا أن يجتمعوا معاً لمرّة في السنة أو شيءٍ من هذا القبيل؟ يا لها من سخافة، أن يتصرّفوا هكذا مثل الغرباء! إنَّ نصفهم على الأقل ما زالوا يعيشون بالقرب من بعضهم البعض حتّى أنّه من المدهش كيف لم يصطدموا ببعضهم في متاجر البقالة.

نظرت مايا حولها: ما من أثرٍ لريك بعد.

- «لم أره بعد»، قالت تريشا بوضوح كما لو أنّها تقرأ أفكار مايا.

- «مَن؟».

رفعتْ تريشا حاجبها. كانت بالتأكيد تستحقُّ أكثر من هذا الهراء الخَجِل من مايا، أليس كذلك؟

- «أخبروني أنَّ الجميع قادمون، ما عدا واين»، قالت مايا.

- «لقد مرَّ بأوقاتٍ عصيبة بعد المحاكمة»، قالت فران.

- «جميعنا مررْنا بأوقات عصيبة بعد المحاكمة»، قالت تريشا.

- «نعم، بالطبع»، قالت فران، «لكنّكِ تعرفين واين... إنّه رجلٌ حسَّاس، وبعد كلِّ ما مرَّ به...».

لم تكن مايا أبداً لتصف واين بأنّه «حسّاس»، بل كانت ستذهب لقول «مضطرب نفسياً».

لم تبدُ تريشا متعاطفةً هي الأخرى. «حسنٌ».

- «إنّه شخصٌ صالح»، احتجَّتْ فران.

لطالما بدتْ فران أقرب إلى واين من بقيّتهم. لم تفهم مايا سبب ذلك قطّ. قد يكون الأمر لمجرّد أنَّ غرفتيهما كانتا متجاورتين فحسب. أو ربّما لأنَّ شبكة التحالفات والتنافسات التي تطوّرت بين

الاثني عشر منهم كانت أكثر تعقيداً من أن تتمكّن من فهمها.

وجدت مايا نفسها بعد بضع دقائق على الجانب الآخر من المشرب مع كال بارو. لا بدَّ أنّه كان يقارب الثمانين، وقد كان هزيلاً جدّاً. وُلد كال وترعرع في لوس أنجلوس، وكان يمثّل حياة الجانب الشرقي من المدينة بينهم، الجانب المفعم بقصص تنبض بالحياة من سنوات منطقة سيلفر ليك(*) الأكثر فجوراً. تذكَّرتْ مايا أنَّ بعض هذه القصص كانت نابضةً بالحياة أكثر ممّا يجب بالنسبة إلى كارولينا. والآن كارولينا ميّتة.

لم يذهب كال إلى الجنازة، هكذا أخبر مايا. يبدو أنَّ أحداً منهم لم يذهب.

مَن كان ذلك القادم نحوها؟ استغرق منها الأمر ثانيةً لتتعرّف على بيتر ويلكي وهو يقدّم لها كأس نبيذٍ لم تطلبه. كان شَعر بيتر قد بدأ يشيب عند الصدغين، وقد قُصَّ من الجهتين بنفس طول لحيته الخفيفة على مستوى الخدَّين. تصرَّف الرجل الأكثر بياضاً بين كلّ الرجال البيض كما لو أنَّ حساب المشروبات كان عليه، رغم أنَّ الجميع كانوا يعرفون أنّها على حساب منتجي البرنامج.

كان آنذاك يشتغل في شيءٍ مرتبط بمجال التمويل، لم تفهم مايا ماهيّته أبداً. الآن، هو في مجال الحشيش. طمأنَهم أنَّ ذلك ليس بمعنى أنّه يدخّن الكثير منه، بل بالمعنى المهنيّ للكلمة. كان ينفث بين الحين والآخر الدخان من قلم ورديّ اللون - سيجارة إلكترونية - من صُنع شركته الخاصّة. أعطاهم بطاقة عمل كُتِب عليها: «بيتر ويلكي، الرئيس والمدير التنفيذي لشركة WEEDZ».

(*) Silver Lake: حيٌّ شرق مدينة لوس أنجلوس، اشتُهر في القرن الماضي بكونه تجمّعاً للهيبّيين والمثليّين - المترجم.

- «لديَّ عملاء لا يزالون في السجن بتهمة توزيع الحشيش»، قالت مايا.

أومأ برأسه متعاطفاً. «إنّها لمهزلة أنَّ تشريع استخدامه أخذ وقتاً طويلاً. الفرص المتاحة الآن هائلة».

بعد كأسٍ من النبيذ، أدركتْ مايا أنّها كانت هنا منذ ساعتين، وما مِن أثرٍ لريك بعد.

تركتْ لنفسها أن تأمل أنّه لربّما لن يظهر في هذا الجانب من لمّ الشمل. لقد كان قادماً من أجل العدالة، ليس من أجل ساعة اللقاء هذه.

قضت مايا بعض الوقت مع كاثي وينغ وياسمين صرّاف، واستمعت إليهما تتبادلان الملاحظات حول أطفالهما. تركتْ كاثي زوجها بعد المحاكمة بفترةٍ وجيزة، «لذا فقد نتجَ شيءٌ جيّد على الأقلّ من كلِّ تلك الفوضى»، قالت كاثي.

تعاطفت ياسمين. «كان هذا هو الجزء الأصعب، ما بعد المحاكمة... أحاول أن أشرح لديفيد - زوجي - كيف كان الأمر، لكن ماذا يمكن أن يقول المرء؟».

كانت مايا تعرف جيّداً ذلك الشعور. في مرحلةٍ ما، نسيتِ الكاميرات في زاوية الغرفة. في مرحلةٍ ما، أحضرتْ مشروباً أرادته بالفعل. في مرحلةٍ ما، أحضرتْ مشروباً آخر. توقّفت عن النظر إلى الأبواب بحثاً عن ريك.

فكّرت مايا أنَّ للزمن أغرب تقنية في تلطيف الخصومات العتيقة. فبدلاً من أن تخلّد الاعتذارات، تثير السنوات حنيناً زائفاً إلى الماضي. حنينٌ جعلهم توّاقين إلى ما كان على الأرجح أكثر أوقات حياتهم بؤساً.

كان الأثر المسكِر للشراب لطيفاً. لم تكن مايا منيعةً تماماً تجاه الكحول. وأيّاً كان ما قد تقوله عن هؤلاء القوم، فهم على الأقل عرفوها قبل أن تصبح شخصاً ناجحاً.

ثمَّ دخل ريك عبر الباب.

كان يلبس بذلةً زرقاء هذه المرّة، ودخل الغرفة بنفس الثقة الهادئة التي لاحظتها في المحكمة.

ربّما كانت عاطفيةً بعض الشيء. أو قد تكون شربت من النبيذ أكثر ممّا اعتقدت أنّها شربته، لكنّها وجدتْ نفسها بطريقةٍ ما سعيدةً لرؤيته.

شاهدتْه وهو يلقي التحيّة على الآخرين، واحداً تلو الآخر. صافح يد بيتر، وربّتَ على ظهر فران، وجثا على ركبتيه ليقدّم نفسه إلى آرون الصغير، فيما كانت ليلا تحوّم فوقهما.

وأخيراً، انتبه إلى مايا تنظر نحوه.

رسمتْ على وجهها ملامح صدمةٍ مبالغ فيها، ورفعتْ راحتيها في الهواء وكأنَّها تقول «ما هذا بحقِّ الجحيم؟» - كما لو أنّها شعرت بإهانةٍ شديدة لأنّه لم يُسلِّم عليها بعد. قطّب جبينه في أسفٍ مبالغٍ فيه أيضاً - كما لو يريد القول أنّه كان يوفّر التحيّة الأكثر أهمّية حتّى النهاية.

- «مرحباً، أنا سعيدٌ حقّاً بقدومك»، قال لها.

- «يجدر بي أن آمل ذلك».

- «هل أنتِ سعيدةٌ لأنّكِ هنا؟».

- «سأخبركَ بذلك بعد قليل».

كان بإمكان مايا أن تشعر بعيون الآخرين مسلَّطةً عليهما. لا بدَّ

أنَّهم كانوا جميعاً يتحسّبون لحمّام دم. لكنّهم رأوا ابتسامات بدلاً من ذلك.

- «أنا آسف بشأن المحكمة، أن أظهر فجأةً بتلك الطريقة».

- «لا بأس». انتبهتْ أنّها كانت تعني ذلك. «آسفةٌ أنّي هربتُ وحسب».

- «كان من المهمّ حقّاً بالنسبة لي أن تكوني هنا. لم أتعامل مع الأمر بصورةٍ حسنة. لم أكن أقصد البدء في جدال، لكنَّ هذا ما فعلتُه. وقد أتيتِ على أيِّ حال. لذا. . . شكراً لكِ».

لم يكن ليقدِّم اعتذاراً بهذه الكياسة قبل عقدٍ من الزمن. كان أثر ذلك مربكاً.

هي تغيّرتْ بالتأكيد خلال العقد الماضي، لكن هو قد يكون تغيّر أكثر منها حتّى. كان آخر ما تريده الآن هو شجارٌ آخر. لم ترغب في الحديث عن بوبي نوك. لم ترغب في معرفة ما هو ذاك «الدليل الجديد» الغامض لدى ريك. كلُّ ما أرادتْه هو أن تستمتع لكونها في حضرة واحدٍ من الأشخاص القلائل على وجه الأرض الذين تشاركوا معها أكثر تجارب حياتها حدّة.

- «إذاً، ماذا تفعل؟»، قالت له.

هزَّ رأسه. «هل خطر ببالكِ قبل عشر سنوات، أنّكِ في يومٍ من الأيام سوف تسألينني 'ماذا تفعل' مثل شخصٍ غريب؟».

- «لو أنّكَ سألتَني قبل عشر سنوات ما إذا سيكون أيٌّ من هذا هو حياتنا اليوم، لكنتُ قلتُ أنَّكَ مجنونٌ بالتأكيد».

- «لا أصدِّق أنّكِ محامية».

أخذتْ رشفة نبيذ. «مذنبةٌ بالتهمة الموجَّهة إليّ».

جفل ريك من النكتة السيّئة. وجدت مايا نفسها تأمل ألّا

يستخدم هذا الذكر لمصطلحاتٍ قانونية كذريعةٍ لإثارة القضيّة. **لا تفسد هذه اللحظة الجميلة أرجوك.**

- «إنْ كان هناك من شيءٍ تعرفينه حقَّ المعرفة، فهو ما يدور داخل قاعة المحكمة»، قال على نحوٍ موارِب.

اختارتْ أن تردَّ بصدق. «لقد تعلّمتُ الكثير من محاكمتنا. تعلّمتُ شيئاً من القانون. لكنْ في الغالب، تعلّمتُ كيف تعمل قاعة المحكمة حقّاً، وكيف لاثني عشر غريباً أن يعملوا معاً لتقرير مصير شخصٍ لم يقابلوه من قبل». أخذتْ نفساً. استطاعتْ عبر التحدّث بصدقٍ عن نفسها أن تتجنَّب حديثاً أكثر إثارةً للجدل. «بِتُّ خبيرةً في شيءٍ ما لأوّلِ مرّةٍ في حياتي. وتولَّدتْ لديَّ الرغبة في تطبيق خبرتي بشكلٍ عمليّ. كانت كليّة الحقوق خياراً سهلاً».

- «مايا سيل، لجهة الدفاع»، قال بهدوء. «لقد قطعتِ شوطاً بعيداً من التخطيط لعملية سطو».

- «صحيح! تلك الظهيرة من اليوم الأول... كنتُ أحاول أن أتذكّر».

- «إنْ كنتِ تظنّين أنّي نسيت...».

ثمّ، وفي لمح البصر، أخذ كلاهما ينظران إلى أيِّ شيء إلّا إلى أحدهما الآخر.

- «شهادة الدكتوراه»، قالت وهي تحدّق في حذائها. «هل أنهيتها؟».

لم يكن بحثها في غوغل قد أسفر عن أيّة إشارة حول ما إذا كان قد حصل على الدكتوراه أم لا.

أشار بيده في أرجاء الغرفة. «هل تعتقدين أنّه كان مسموحاً لأيٍّ منّا العودة إلى الحياة الحقيقية؟».

لم تكن مايا تنظر لنفسها كإنسانةٍ وحيدة أو مُساءٍ فهمها. لكنَّ التواجد معه هنا جعلها تشعر كأنّها قضت سنينَ عديدة في كونها وحيدة ومساء فهمها. «هل أردتَ العودة إلى الحياة الحقيقية؟».

فكّرَ للحظة. «على الأرجح لا».

عرفتْ مايا ماذا كان يقصد. لم يكن هناك جدوى من التظاهر بأنَّ أيّاً منهم غادر المحكمة دون أن يصيبه تغيير على أحد المستويات.

تذكّرتْ فجأة وجود الكاميرات حولهم.

ذكّرتْ نفسها أيضاً أنّها لم تكن داخل مطعم فندقهم القديم، بل كانت داخل نسخةٍ تلفازية معادٌ خلقها عنه. فكّرت في الكأسين أو الثلاثة كؤوس التي كانت قد شربتْها، وأملتْ أنّها لم تتفوّه بأيّة حماقات.

- «هذا غريبٌ جدّاً، أليس كذلك؟»، قال ريك وهو يومئ برأسه نحو أقرب كاميرا.

- «هل ترغبين في إكمال حديثنا في مكان آخر.. مكان ليس فيه كاميرا؟».

- «نعم، رجاءً».

كانت فكرتها الأولى هي الذهاب إلى منطقة المطعم الرئيسي، لكنّها أدركتْ أنّهما سيظلّان على مرمى بصر الجميع هناك، بمن في ذلك موظّفي مدينة القتل المنتشرين في المكان. ومن شأن بهو الفندق أن يطرح نفس الصعوبات.

- «غرفتي؟»، قالت على نحوٍ غريزي. استغرق الأمر منها لحظةً قبل أن تدرك كيف سيكون وقع هذا بالنسبة له. «ليس هكذا».

- «ليس هكذا؟».

نظرتْ إلى الفضول المرسوم بإتقان على ملامح وجهه وأدركت أنَّه كان يمازحها.

- «أوه، بالله عليك»، قالت له.

ابتسم ريك. «أعرف، أعرف، اهدئي. أنا أتذكَّر كيف هو الحال عندما تغازلين أحداً ما، و«غرفتي» بالطريقة التي قلتِها لا تشبه ذلك أبداً».

- «أنتَ تتذكَّرُ فضائلي على الأقلّ».

- «كنتُ أفكِّرُ أكثر في رقَّتك».

- «هل سنذهب؟».

وضع كأسه، ثمَّ بدا أنّه يستعرض المحلّفين المتبقّين في الغرفة. «أعلم أنّنا لا نقوم بأيّ شيءٍ ذي طابعٍ فضائحي، لكن إن غادرنا المكان معاً...».

نظرت مايا إلى تريشا بطرف عينها. كانت تتحدَّثُ مع ياسمين وبيتر. لم يبدُ أنَّ أيّاً منهم كان يعير اهتماماً لها أو لريك.

اختارت مايا أن تتحدث بلهجة بريطانية متكلّفة. «حتّى نتجنّب أصغر شبهة للفضيحة، يا سيّدي الطيّب، لمَ لا أصعد إلى الطابق العلوي الآن، ثمَّ تلحقُ بي بعد خمس دقائق؟».

- «سيّدتي»، أجاب، وهو يرفع قبّعته الزائفة.

وضعتْ كأسها بجانب كأسه. أصدر الكأسان رنّةً خفيفة حين تلامسا.

دنتْ من البقيّة واحداً تلو الآخر مودّعة إيّاهم، وشعرت بالسخافة للجهد المضني الذي تبذله للتأكد من أنَّ الجميع قد رآها تغادر بمفردها.

كانت المفاجأة السارّة داخل غرفتها أنَّ برّاد المشروبات الصغير فيها كان مملوءاً بالكامل. لم يكن هذا هو الحال بالتأكيد خلال فترة العزل. تذكّرت تلك الليلة الأولى، حين كانت تأمل أن تعثر فيه على بضع زجاجاتٍ من شيءٍ ما - أيِّ شيء. كانوا قد سحبوا منه حتى ألواح الحلوى.

سكبتْ لنفسها كأس فودكا مع الصودا، وكأساً أخرى لضيفها، ثمَّ سمعتْ طرقاً على الباب.

فتحت الباب لترى ريك واقفاً هناك مضاءً بأضواء الردهة.

- «أنت لم تنسَ رقم غرفتي»، قالت وهي تقوده إلى الداخل.

- «بعض الأشياء لا ينساها الرجل». أخذ الكأس من يدها.

- «حذار».

- «ممَّ؟».

- «لا مغازلة».

هزَّ رأسه. «حين سأغازلك، ستعرفين ذلك على الفور».

جلست على الأريكة، وجلس بجانبها. شعرت بالوسائد تغرق تحت ثقل جسده.

نظرت إلى السرير في الغرفة المجاورة بشكلٍ غريزيّ. تمنَّت لو أنّها فكّرت في إغلاق باب الغرفة باكراً. ثمَّ شعرت بالغباء من هذه الملاحظة، من أنّها تركت أفكارها تنجرف في هذا الاتّجاه حتّى.

لماذا كانت دراماتيكية لهذه الدرجة؟ لا شيء كان يحدث في الواقع.

أخذ رشفةً. «فودكا مع الصودا؟».

أومأت برأسها.

- «خطرت لي فكرةٌ مضحكة، نحنُ لم نحتسِ مشروباً من قبل» قال ريك.

- «واو، يبدو ذلك... عجيباً».

- «أليس كذلك؟ الآن لا أستطيع منع نفسي عن التفكير في جميع الأشياء العادية والمملَّة التي لم نقم بها معاً».

- «لم نتمشَّ معاً».

- «لم نتعشَّ معاً».

- «لم أرك تقود سيّارةً أبداً».

- «لم أشاهدكِ تشترين أيّ شيء».

- «لم نكن في متجرٍ معاً من قبل!».

- «لم نستخدم المال أبداً في ذلك الوقت، كنّا ممنوعين من عملية المقايضة الجوهرية في النظام الرأسمالي. 'هاكَ بعض النقود مقابل هذا الشيء'»، قال ريك.

ابتسمتْ مايا. فقد أخذ ريك كعادته الفكرة إلى أبعد ما يمكن من الناحية النظرية والفلسفية.

- «ما معنى ذلك برأيك؟ أقصد الطريقة التي عرفنا بها بعضنا البعض جميعاً؟ كم كانت شديدة الخصوصية. وكم... كانت محميّة من تأثير العالم الحقيقي».

- «ليست لديَّ أيّة فكرة على الإطلاق».

ضحكت مايا. وضعتْ يدها على الأريكة وتركتْ لريك أن يضع يده فوق يدها. بدا ذلك طبيعياً تماماً - التصرّف بحدِّ ذاته والشعور بدفء بشرته.

ما الذي كانت تفعله؟

انحنى إلى الأمام. شعرتْ بتلامس ركبتيهما.

وضع كأسه على طاولة القهوة. تكاثفت قطرات صغيرة تحت الكأس وانسابت على ورقة بيضاء فوق الطاولة.

- «هل هذا...؟»، سأل ريك، وذهبت عيناه إلى الورقة التي حضّرتْها بشأن الأدلّة ضدَّ بوبي نوك.

- «هل هذا تحليل الحمض النووي؟».

شدَّتْ على يده. كان التفكير في تحليل الحمض النووي آخر شيءٍ تريد التفكير به الآن.

لكنَّ ريك لم يشدَّ على يدها بالمقابل.

أزاح كأسه جانباً والتقط رزمة الأوراق. كانت مليئةً بالجداول، والنسب المئوية، والاستنتاجات الموجزة المكتوبة بخطٍّ عريض.

- «أحضرتِ هذه معك من أجل البرنامج»، قال ريك.

- «نعم».

- «كي تجادليني. لا تزالين مقتنعةً بأنَّ بوبي نوك بريء؟».

سحبت يدها.

- «هو غير مذنبٍ استناداً إلى معقولية الشك لعدم توافر دليل دامغ. هذا ما كنتُ أؤمن به دائماً. لقد تدبَّر بعضنا ألّا يغيّر رأيه ستَّ مرّاتٍ بشأن هذا الأمر».

- «ينبغي بالبشر أن يغيّروا آراءهم لدى تزويدهم بمعطيات جديدة. هذا شيءٌ جيد، ليس شيئاً سيّئاً البتّة»، قال ريك.

- «هل النبرة المتعالية شيءٌ جيّدٌ أم سيّئ؟».

- «بالله عليكِ. تريدين أن تقولي لي إنَّ أيّاً من الحقائق التي ظهرت بعد المحاكمة - كلُّ الأشياء التي لم نكن قد سمعنا بها عن

بوبي - لم يغيّر أيٌّ منها رأيك؟ وإن لم يكن كذلك - فهل هذا يخبرنا شيئاً عن القضيّة؟ أم أنّه يخبرنا شيئاً عنكِ؟».

تمنّتْ لو أنّها لم تشرب تلك الكأس الأخيرة. وقفتْ وشبكت ذراعيها أمام صدرها. «أنتَ مهووس».

- «ألا يجب أن أكون كذلك؟ بوبي نوك قتل جيسيكا سيلفر. وقد أُطلِق سراحه بسببنا».

- «تقصد بسببي».

وقف ريك هو الآخر. «تعتقدين أنّي ألومكِ بسبب الحُكم».

- «أعتقد أنّكَ كتبتَ كتاباً كاملاً تلومني فيه بسبب الحكم».

- «أنا ألوم نفسي».

- «لخسارة جدالٍ؟».

أخذتْ تغلّف صوتَه نعومةٌ مفاجئة حتّى كاد يصبح رقيقاً. «أنا الذي سمحتُ لكِ بخداعي عبر دفعي للتصويت بغير مذنب. أنا الذي سمحتُ لكِ باستغلالي. في لحظة ضعف... كنتُ أنا مَن استسلم».

- «ماذا، لاطفتكَ وخدعتكَ بحيلي الأنثوية حتّى انتزعتُ منكَ التصويت الذي أرغب به؟ رجاءً، إنَّ في هذا إهانةً لكلينا. لقد خضنا جدالاً، وقد ربحتُه».

- «نعم، فعلتِ. وباستسلامي لكِ خنتُ كلّ ما كنتُ مؤمناً به. هذا عار يجب أن أتعايش معه لبقية حياتي. لولا إخفاقي لكان بوبي نوك في السجن. لذا، نعم أنا مهووس. مهووسٌ حيال مسؤوليتي في وضعه هناك».

- «كيف ذلك؟ لقد كانت هناك محاكمة، وتمّت تبرئته. هذا كلّ شيء».

- «ربّما».

- «مبدأ الخطر المزدوج(*)». لا يمكن للولاية أن تعيد محاكمته في نفس التهمة».

- «صحيح، أنتِ محامية دفاع جنائي الآن، لكن أنا الوحيد المهووس؟».

لم تعرف كيف تشرح له أنّها لم تصبح محامية كي تنتقم لجيسيكا سيلفر أو كي تبرّئ بوبي نوك. لقد فعلت ذلك لنفسها. وهي صدقاً لم تعد مهتمّةً بالقضية. كانت واثقةً من ذلك لدرجة أنّها كانت تستشيط غضباً.

- «هذا الدليل الجديد المذهل الذي يُفترض أنّه بحوزتك، ما هو بالضبط؟»، قالت له.

- «لا يمكنني الحديث عن ذلك الآن».

ضحكتْ هازئة. «لم يكن بإمكانكَ الحديث عن ذلك من قبل، وليس بإمكانك الحديث عن ذلك الآن...».

- «الأمر معقّد، يجب أن أنتظر...». لمَ كان مبهماً بهذا الشكل اللعين؟ «أعدكِ أنّي سأخبركِ بكلّ شيء غداً في البرنامج».

- «إذاً دعني أفهم هذا بشكلٍ صحيح...». أخذت تذرع الأرضية المغطّاة بالسجّاد كما لو كانت في قاعة محكمة. «لقد قضيتَ سنوات تبحث في هذه القضية بهوس، وبينما أنت ترفض مشاركة اكتشافاتك المزلزِلة معي، سوف تشاركها أمام مجموعة من الكاميرات؟».

- «ممَّ أنتِ خائفة؟».

(*) Double jeopardy: مبدأ قانوني في الولايات المتّحدة يمنع إعادة محاكمة الشخص بتهمة كان قد بُرّئ منها سابقاً - المترجم.

- «أنا لستُ خائفة».

- «لا تبدين كذلك بالنسبة لي. تبدين في العمق مرعوبةً من كوني على حقّ، من كوني لطالما كنتُ على حق. ولهذا السبب أتيتِ. ليس لتحتسي كأساً مع رفاقنا القدامى، وليس لتغازليني. أتيتِ لأنك مذعورة من احتمال أنَّكِ قد تُجبَرين على الاعتراف بأنّه ربّما، ربّما فقط، كنتِ مخطئة».

لم تصدّق سفاهته. «صحيح؟ خاطئ؟ هل تعتقد حقّاً أننا سنعرف ما الذي حدث حقّاً لجيسيكا؟ لن نعرف. لا وجود لهذا النوع من الإجابة الشاملة والنهائية. لن نعرف أبداً على وجه اليقين».

هزَّ رأسه. «أقول لك أنّي **أعرف**».

- «حسنٌ، لنفترض أنّكَ **تعرف** بالفعل: بوبي نوك قتل جيسيكا سيلفر. ونحن قمنا بإطلاق سراحه. لأوّل مرّةٍ في التاريخ، لم يُدن رجلٌ أسود في لوس أنجلوس بجريمة كان قد ارتكبها بالفعل. إنَّ العكس هو ما يحدث كلَّ يوم. ومع ذلك، **فهذا** هو الظلم الذي تريد أن تقضي حياتكَ في الاحتجاج ضدّه؟ حقّاً؟ هذا هو؟».

وقف أمامها بلا حراك. «اللعنة عليكِ. هل يُفترَض بي لأنّي أسود أن أكون موافقاً على إطلاق سراح قاتل طفلة - لأنَّ ذلك القاتل اللعين أسودُ أيضاً؟ كلّا وألفُ كلّا. هناك **قواعد** في هذا العالم، ولا أتحدّثُ عن القانون هنا - تبّاً للقانون. أقصد القواعد التي تجعل من الإنسان إنساناً. بوبي نوك كسر تلك القواعد. لقد فعل فِعلةً شنعاء ولا تغتفَر. لكنّكِ تريدين له أن يمضي حرّاً لأنَّ رجالاً سوداً آخرين أدينوا ظلماً؟ تريدين التحدّث عن الظلم؟ تريدين التظاهر بأنَّكِ مستنيرةٌ جدّاً ومتحرّرةٌ عنصرياً لأنَّكِ دعوتِني إلى غرفتكِ وفكَّرتِ في مغازلتي، لكن بعد ذلك، في اللحظة التالية مباشرة،

تقولين إنّه ينبغي بي أن أسمح بتحرير قاتل فقط لأنّي أسود؟ اللعنة عليكِ».

لم يكن لدى مايا أيّةُ فكرة عمّا يجب أن تقوله. شعرت برعشةٍ في أصابعها وبدموعٍ تتجمّع في مقلتيها.

رأى ريك ما تسبّبتْ به كلماته. تنهّدَ. «لم أقصد أن...».

- «ارحل»، قالت له.

- «اهدئي».

- «قلتُ ارحل بحقّ الجحيم».

تلاشى الإحساس اللحظي بالذنب الذي بدا أنّه قد شعر به. «لا تفعلي هذا مجدّداً».

- «أفعلُ ماذا مجدّداً؟».

- «تتراجعي وتهربي في اللحظة التي يصبح فيها الحديث شاقّاً».

ما كانت مايا لتصف ما حدث بينهما قبل عشر سنوات بهذه الطريقة، لكنّها لم تكن مهتمّة بإعادة فتح الملفّ بشأن ما حدث آخر مرّة كانا فيها في هذه الغرفة. كلُّ ما أرادته كان قضاء بعض الوقت مع ريك الذي التقتْ به لأوّل مرّة. ريك الذي جعلها تضحك في أوّل يومٍ من المحاكمة. ليس هذا الشخص الذي يكرهها - يكرهها حقّاً ربما - بطريقةٍ لم تكن قادرةً ببساطة على تحمّلها.

- «ارحل»، قالت له.

بدا أنّه يتميّز غيظاً، كما لو أنّه يحمل بئراً من الغضب تحت السطح مباشرةً، وقد أصبح الآن جاهزاً للانفجار أخيراً.

- «لا»، قال لها. «لن أسمح لكِ بفعل هذا مجدّداً. لن أسمح لكِ بإسكاتي وإلغائي لأنّكِ أجبن من أن تخوضي حديثاً معي حول ما

أنا عليه، وما أنتِ عليه، وما بوبي نوك وجيسيكا سيلفر عليه، وذاك الحديث ليس لطيفاً بالتأكيد».

ذهبت إلى الباب وفتحتْه. «إذا لم ترحل، سأرحلُ أنا».

- «توقّفي»، قال ريك.

حدّقت في عينيه مباشرة. حاولت التفكير في إهانة بليغة أخيرة، لكنَّ اللغة لم تسعفها بشيء.

خطتْ نحو الرواق المضاء وصفعت الباب بقوّة وراءها.

كانت ردهة الفندق مزدحمة، لذلك أبقت رأسها مطأطاً. لم ترد أن يرى أحدٌ الدموع التي عجزت عن حبسها.

مشت مسرعةً على الرصيف، غير متأكّدةٍ من وجهتها. احتاجت أن تبتعد قدر الإمكان عن تلك الغرفة الرهيبة فحسب.

ما الذي كانت تفكّر فيه حين دعتْه إلى غرفتها بتلك الطريقة؟ كانت غاضبةً من نفسها تماماً كما كانت غاضبةً من ريك. ربّما هو الآن يذرع غرفتها جيئة وذهاباً، منتظِراً عودتها كي يتمكّن من إخبارها مجدّداً كيف دمَّرتْ حياته.

يا لها من مأثرة استشهاد تكتيكية! هي لم تعتقد أنّه كان يقصد أسوأ اتّهاماته لها حتّى. كان يحاول أن يغرز السكين بشكلٍ أعمق فحسب.

أُجبِرت على التوقف عند إشارة مرور. مسحت دموعها وشعرت ببرودة هواء الليل المهدّئة.

إنّه وسط البلد بعد حلول الظلام. حين وصلت إلى لوس أنجلوس لأوّل مرّة، لم يكن أيُّ شخص تعرفه يغامر بالقدوم إلى هنا

في وقتٍ متأخرٍ كهذا. كان هذا الحيُّ عبارةً عن مجموعة مقفرة من أبراج المكاتب نصف الفارغة يحدّها نصل شفرة سكيد رو(*) الحاد. كان المحاسبون والمحامون الذين يعملون في ناطحات السحاب الزجاجية هذه يهربون بمجرّد حلول العتمة، منجذبين مثل العثّ نحو أضواء الوادي البعيدة.

الآن، وعلى بعد بضعة أحياء فقط من فندق أومني، صادفت مايا حشداً قد تجمَّع خارج متحف سيلفر. كانت هذه المنطقة امتداداً من الكتل الخرسانية المهجورة، أرضٌ خالية من البشر بين المنحدرات المؤدّية إلى اثنين من الطرقات السريعة. الآن، وبفضل تبرّعٍ بقيمة 400 مليون دولار من لو سيلفر، باتت موطناً لأرقى متاحف الفنّ الحديث على الساحل الغربي. كان دخول الجمهور إلى المتحف مجّانياً، لكن عليكَ التسجيل قبل أشهر للحصول على تذاكر. جاءت كلُّ قطعةٍ فنّية داخل المتحف ذي الثلاثة طوابق من مجموعة لو سيلفر الخاصّة. أعطته البلدية الأرض مقابل دولارٍ واحد، وقام هو ببناء صرحٍ لتكريم كرمه المدني.

بدا أن حفلاً موسيقياً كان يقام في المرج خارج المتحف. كانت هناك فرقةٌ تعزف، والحشد يتمايل بانسجام مع الموسيقا. تابعتْ مايا طريقها نزولاً عبر المناطق المظلمة أسفل المنحدرات المجاورة. كان إنشاء الطريق السريع قد أدى إلى خلق الكثير من هذه «اللا أماكن»، كما لو كان هناك الكثير من الأراضي للالتفاف حولها بحيث لم تكن هناك حاجة لاستغلالها بفعالية. كان المنظر من هنا موشّىً بمساحات

(*) Skid Row: منطقة ضواحي في لوس أنجلوس، تعدُّ أكبر تجمُّعٍ للمشرّدين في الولايات المتحدة - المترجم.

العشب غير المشذَّب والكتل الإسمنتية التي لا يملكها أحد، وغير المدرَجة في دليل العناوين، ولا وظيفة لها سوى أن تكون بين شيءٍ وآخر. المشي في الظلام أسفل المنحدرات جعَل مايا تفكّر أنّ لوس أنجلوس تبدو في بعض الأحيان وكأنّها تمرُّ في مرحلةٍ انتقالية، وكأنّها تمتدُّ على جانبي حدود شيءٍ ما.

كانت جيسيكا سيلفر قد اختفت على بعد بضعة مجمّعات سكنية من هنا. كان هناك دليلٌ ذو طبيعةٍ تقنية معقّدة حول المكان الذي ذهب هاتفها إليه، شيءٌ من الرياضيات الصعبة المتعلّقة بتثليث الأبراج الخليوية. لكنَّ لبَّ الموضوع أنّها كانت بشكلٍ مؤكّد تقريباً في مكانٍ قريب من هنا، في البراري الوعرة لهذه المنطقة، قبل أن يُطفَأ هاتفها. ولم يرها أحدٌ مجدّداً.

منذ ذلك الحين، شُيِّدتْ نصف دزينة من ناطحات السحاب الجديدة. إنّها تضيء عتمة الليل الآن؛ ومن مبنى الخطوط الجوِّية الكورية يبرز في السماء السوداء قوسٌ أزرق على شكل زعنفة سمكة القرش. كان لو سيلفر قبل اثني عشر عاماً في طريقه ليصبح منقذ لوس أنجلوس حيث كان يعيد شخصياً بناء وسط المدينة التاريخي المهجور منذ زمنٍ بعيد، حين ابتلعت المدينة طفلته الوحيدة. أيّاً كان الذي حدث منذ ذلك الحين - أيّاً كان ما حدث لمايا، لريك، للمحلّفين الآخرين، لعائلة سيلفر، لهذا البلد الذي جعل اللعنة تحلُّ عليه عبر قرارٍ سيّئ بعد آخر - فقد كانت لوس أنجلوس مزدهرة الآن.

كان العالَم قد بدأ يشي بكونه لعبةً صفرية المحصّلة. كانت تعرف أنَّ حركة المدِّ لم ترفع أبداً كلَّ القوارب، لكن الآن، وعند الحدِّ الذي ارتفع فيه أحدها، بدا أنَّ آخر يتدحرج مندفعاً ويتحطّم

على الشاطئ. إنّه قانون السببية عديم الرحمة في الفيزياء: الأثر الذي سبّبه ارتفاع أحد القوارب على صفحة الماء أصبح الموجة التي حطّمت قارباً آخر.

كان لو سيلفر يبلي حسناً، لكنّه كان قد فقد طفلاً.

وماذا عن مايا؟

كانت حياة مايا وفقاً لأيِّ معيارٍ موضوعي أفضل الآن. كانت لديها وظيفة براتب جيّد. والأفضل من ذلك، كانت لديها مهنة حقيقية كانت موهوبة فيها حقاً. تملّكتْ منزلها الخاص، واحتفظتْ بحساب تقاعد ممتاز. إذا كان الفائزون والخاسرون في الحياة الأمريكية آخذون في التمايز والتباعد أكثر فأكثر، ألم تكن مايا بين الفائزين؟

لكنّها لم تشعر قطُّ أنّها واحدةٌ منهم. كانت ذات يومٍ تحلم بالمساعدة في الوصول إلى عالمٍ أكثر عدلاً. أما الآن، فكلٌّ ما لديها هو سيّارة لكزس في كراجٍ نصف فارغ مخصّصٍ لسيّارتين.

ربّما تكون هذه هي أكثر مفارقات هذا العَقد قسوة: حتى الفائزون لم يشعروا بالرضا حيال النتيجة.

مشت مايا عائدةً إلى الفندق. كانت الردهة مكتّظة، ولحسن الحظ لم ترَ أحداً تعرفه. أمِلتْ أنّها كانت في الخارج لوقتٍ طويل بما يكفي كي يكون ريك قد سئم الانتظار وغادر غرفتها. إن كان لا يزال في انتظارها، فهي لا تعرف ماذا ستفعل.

فتحتِ الباب، فوجدت جناحها هادئاً ومعتماً.

الشكر لله.

عبرتِ الممرَّ القصير نحو غرفة المعيشة وعثرت مستعينةً بذاكرتها على مفتاح الضوء.

رأت في الضوء جثّةً على الأرض. منعتْ نفسها بطريقةٍ ما من الصراخ.

إنّها جثّة ريك. تباعدت ذراعاه ملتويتين في زوايا غير طبيعية. قميصه الأبيض كان ملطّخاً بالدماء. تجمّعتْ حول رأسه هالةٌ حمراء داكنة، وفي راحة يده كان هناك زرٌّ كُتبتْ عليه الأحرف: H-O-P-E.



4

واين

1 يونيو، 2009

كان على واين راسل أن يكون أوّل شخصٍ في غرفة المحلّفين في اليوم الأوّل من المحاكمة. وصل إلى هناك قبل الجميع حتّى يتمكّن من حجز المقعد المجاور للنوافذ.

يجب عليه أن يكون بجانب النوافذ. لا أعذار في ذلك. كانت هذه أهمُّ حيلة تعلّمها من أفني، معالجته النفسية. ما كان ليترك للجدران أن تنغلق من حوله وتضيق لدرجةٍ يعجز معها عن التنفّس. علّمتْهُ أفني أن يتغلّب على هذا النوع من المشاعر.

في بعض الأحيان كان يداهمه شعورٌ بأنّه محاصر، عالقٌ، كما لو أنّه دُفن حيّاً. ويمكن للأشياء أن تسوء بسرعة كبيرة فور حدوث ذلك، وهو ما تسبَّبَ في إرساله إلى أفني في المقام الأول. كان مجرّد سوء تفاهم سخيف في مطعم دينيز حيث كان عليه أن يتبوّل، لكنّه بدأ يفقد صوابه وهو ينتظر شخصاً ما ريثما ينتهي داخل ذاك الحمّام الضيّق العابق برائحة الأمونيا. هرع إلى الخارج مسرعاً، وهو يحاول العثور على مكان آخر ليقضي حاجته، فاستدعت النادلة رجال

الشرطة. قالت إنّه جرى خارجاً دون أن يدفع، وأخبرتْهم أنّها رأته يضرب عمود الإنارة في الخارج بعنف مثل شخصٍ مجنون تماماً. تعامل رجال الشرطة مع الأمر ببرود، لكنّهم جعلوه بعد ذلك يذهب لرؤية أفني في مكتبها الصغير في مجمع ويلشاير الطبّي.

لم يكن بالتأكيد يرغب في رؤية أفني. مجرّد إغلاق باب غرفتها الصغيرة مع المكتب والأريكة جعله ينتفض مذعوراً. ماذا يمكن لهذه السيّدة الهندية الضئيلة أن تعلّمه؟ هي لم تمرَّ بما مرَّ به قطّ. هي لم تكن تعمل على بناء حوض سباحة لرجلٍ ثريّ في لوس فيليز ثم سقطت عن الهيكل الخارجي أسفل التلّ، ولم تنغرز من شدة السقطة قضبان حديد التسليح في ساقيها. استغرق الأمر من المسعفين ثماني ساعات لمعرفة كيفية إخراجه. كانت حالة ساقيه مزرية لدرجة أنّه لم يتمكّن من المشي لستّة أشهر، لكنّه كان يتكيّف بشكلٍ جيّد منذ ذلك الحين، باستثناء ذلك الذي حدث في دينيز، وحادثتين أخريين على نفس الشاكلة تقريباً. ومن ثمّ تأتي أفني لتقول «اضطراب ما بعد الصدمة» كما لو أنّه كان في الفلّوجة اللعينة أو شيء من هذا القبيل؟

لقد كان مخطئاً تماماً بشأنها.

بالطريقة التي شرحت بها أفني الأمر، فهو لم يكن «علاجاً» من قبيل «لقد كانت أمّي سكّيرةً حقيرة، لذا فأنا الآن لستُ سوى كومة هراء حزين». كان منهج أفني يتمحور حول الأدوات والطرائق، حول الحيل لتحقيق أقصى استفادةٍ ممكنة من كلّ يوم.

شيءٌ مثل: عندما تعرف أنّك ستكون في مكانٍ ضيّق ومحصور، فاجلس قرب النوافذ.

كان زجاج النوافذ في غرفة المحلّفين مغشىً لأغراض أمنية، لكنّ واين كان لا يزال قادراً على الشعور بدفء ضوء الشمس فوق

ذراعيه. قالت أفني إنَّ ضوء الشمس جيّد، هذا النوع من الأحاسيس التي تنقلك إلى داخل جسدك، داخل الإحساس المادي الفعلي لكونك أنت. كان بإمكانه سماع أصوات المدينة في الخارج. الشاحنات التي تعبر قرب الأرصفة. الجلبة الآخذة بالازدياد للمراسلين وأطقم التصوير والمتفرجين المحتشدين في الشارع. كانت محاكمة القرن على وشك أن تبدأ، وبطريقة ما، كان ها هنا، في قلب الحدث.

أغمض واين عينيه للحظة، وأخذ نفساً عميقاً. كان يتدبّر أمره في غرفة المحلّفين بشكلٍ جيد. كانت قاعة المحكمة أكبر ممّا توقَّع، مع سقفٍ عال لا بدَّ أنَّ بناءه كان صداعاً حقيقياً لمن عملوا على ذلك.

كلُّ ما كان عليه فعله هو أن يتذكّر حيَلهُ، وأن يكون ذكيّاً، ومن ثمَّ سيكون كلّ شيءٍ على أحسن حال.

- «طق، طق». تلك كانت أوّل كلمات المدّعي العام مورنينغستار في بيانه الافتتاحي. جال بنظره في مقصورة المحلّفين.

لم يصدر واين أيّ صوت. ولم يفعل أيٌّ من الآخرين. كانوا خمسة عشر محلّفاً في المجمل، بينهم ثلاثة بدلاء سوف يتمُّ اختيارهم عشوائياً، وصرفهم بمجرّد نهاية المحاكمة وقبل بدء المداولات. جلسوا في صفّين على كراسي مكتب من البلاستيك، تمنّى واين لو أنّها كانت مريحةً أكثر.

- «مَن هناك؟»، تابع مورنينغستار وعيناه تتقصّيان ردَّ فعل المحلّفين.

- «بوبي نوك»، قال مكملاً الحوار.

سادتْ لحظةٌ أخرى من الصمت الغريب حقّاً.

- «مَن هو بوبي نوك؟».

نظر مورنينغستار في عينيّ واين مباشرةً ووجّه له الجملة الاستهلالية.

- «أهلاً بكم في هيئة المحلّفين».

كان الصمتُ مخيِّماً على المكان. الأصوات الوحيدة التي أمكن سماعها هي الصرير الناجم عن تململ الحاضرين داخل مقاعدهم.

حاول مورنينغستار أن يستمرَّ في الابتسام. «لا أحد سيضحك؟». استدار نحو القاضي وهزَّ كتفيه كما لو أنّه يقول: **جمهورٌ صعب الإرضاء**، وبدا كأنَّ القاضي لم يجد ذلك مضحكاً أيضاً.

كان على جزءٍ من واين أن يشعر بالإعجاب حيال جرأة هذا المدَّعي العام. حتّى لو بدا رجلاً لم يسبق له أن ألقى نكتةً من قبل، وكأنَّ النكات كانت شيئاً قرأ عنه في الكتب، وهذه كانت المرّة الأولى التي جرَّب فيها استخدام واحدةٍ في الحياة الواقعية.

- «حسنٌ»، قال وهو يستدير عائداً إلى مقصورة المحلَّفين. «كان ذلك لإضفاء بعض الخفة على المزاج العام. لقد أردتُ أن أبدأ بمزحة لأنَّ هذه القضيّة سوف تكون قاسيةً عليكم. سيكون هناك الكثير من الشهادات التي سيتعيّن عليكم أخذها بعين الاعتبار. إنّه واجبٌ ثقيل هذا الذي يمثل أمامكم. يُطلَق على المحلّف في نظامنا القضائي تسمية «حَكَمُ الحقيقة الأوحد»، هل تعرفون ما معنى هذا؟».

صمتَ للحظة، ثمَّ استأنف الكلام. «هذا يعني أنّكم سوف تستمعون إلى قصَّتَين. سوف أخبركم قصّة، ومحامية بوبي نوك هناك

سوف تخبركم قصّة. سأضيء على مجموعةٍ من الحقائق وأقول 'انظروا إلى هذه'. ستضيء هي على مجموعةٍ أخرى من الحقائق وتقول 'لا، لا، عليكم أن تنظروا إلى هذه'. لكن ما أقوله، وما تقوله، كلّها مجرّد تأويلات. مجرّد قصص. وكونكم «حَكَم الحقيقة الأوحد» يعني أنّكم الوحيدون القادرون أن تقولوا ما هي الحقائق الراسخة. أيّها مهمّ، وأيّها لا تعدو كونها مجرّد لغوٍ فارغ. لذا، فإنَّ هذه القضيّة برمّتها ستؤول إلى سؤالٍ واحد، سؤال واحدٍ فقط: مَن تصدّقون؟».

التفتَ الجميع عندئذٍ نحو بوبي نوك. كانت النتيجة واضحة مثل ضوء النهار: لم يكن ذلك الشاب هناك رجلاً يمكن الوثوق به.

ألقى واين نظرةً فاحصة على بوبي نوك. شاب، أسود، ضئيلٌ بعض الشيء، عيناه ثابتتان إلى الأمام كما لو أنّه يحدّق في شيء على بعد ألف ياردة.

هل كان من النوع الذي يمكن لواين أن يثق به؟

كيف كان من المفترض بواين أن يعرف بحقِّ الجحيم؟

قام مورنينغستار بعدئذٍ بإفراغ ذخيرته من الحقائق واحدةً تلو الأخرى، مثل بندقية صيد تقذف طلقاتها في ميدان الرمي. بووم، كوك، بووم. كان واين يكاد يسمع صوت إصابة الحَمَام بعد كلِّ تذخير وإطلاقٍ للنار.

حقيقة رقم 1: كان بوبي نوك البالغ من العمر 24 عاماً مدرّساً للغة الإنجليزية بدوامٍ جزئي في مدرسة جيسيكا سيلفر خلال العام الدراسي 2008-2009.

حقيقة رقم 2: قضى بوبي نوك وجيسيكا سيلفر معاً وفي أكثر

من مناسبة وقتاً بدون إشراف، وخارج أوقات المدرسة.

حقيقة رقم 3: تضمَّنتْ محادثات جيسيكا سيلفر، والتي تمَّ استردادها بعد اختفاء جيسيكا من قِبل قسم الإنترنت التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي، تضمّنتْ رسائلَ وصوراً ذات طبيعة حميمة بينها وبين بوبي نوك.

حقيقة رقم 4: لو عرف أيُّ أحدٍ بما كان يجري بين بوبي وجيسيكا، فسوف يُطرَد بوبي، ولن يكون قادراً على العمل في مجال التعليم بعد ذلك.

حقيقة رقم 5: في البداية، أخبر بوبي الشرطة أنّه كان في مكتبة لوس أنجلوس العامّة بعد ظهر اليوم الذي توفّيت فيه جيسيكا. لكنَّ الكاميرات الأمنية في المكتبة أثبتتْ أنَّ هذه كانت كذبة.

حقيقة رقم 6: بعد أن كُشفَت هذه الكذبة، لم يستطع بوبي أن يزوّد الشرطة بحجّة غياب يمكن التحقّق منها.

حقيقة رقم 7: كانت قد أجريَتْ في بعد ظهر ذلك اليوم مكالمة من هاتف جيسيكا المحمول إلى الهاتف الأرضي في منزل عائلتها. لم يردَّ أحدٌ على الاتّصال، ولم يترك المتّصل أيّة رسالة. بتعقّب إشارة الأبراج الخليوية، تبيّنَ أنّه عند إجراء هذه المكالمة، كان الهاتف في منطقة وسط البلد. مدرسة جيسيكا كانت في سانتا مونيكا، ومنزلها في برينتوود - لكنَّ شقّة بوبي كانت في وسط البلد، تماماً في المكان الذي أُجريَت منه المكالمة.

حقيقة رقم 8: اكتُشفتْ في مقعد الراكب الأمامي داخل سيّارة بوبي شعيرات تطابق الحمض النووي لجيسيكا.

حقيقة رقم 9: اكتُشفتْ أيضاً بقعة دمٍ تطابق الحمض النووي لجيسيكا في مقعد الراكب الأمامي لسيّارة بوبي.

حقيقة رقم 10: اكتُشفت بقعة دمٍ تطابق الحمض النووي لجيسيكا في صندوق سيّارة بوبي.

عندما تمَّ تثبيت الحقائق بهذا الشكل، واحدةً تلو الأخرى، ومن طرفٍ لآخر، بدتِ القصّة مشدودةً بإحكام مثل جلد طبلة.

أحاطت غيبسون، محامية الدفاع الشابّة، نفسها بهالةٍ من البرودة الصارمة. لم تُعطِ الانطباع أنّها كانت هنا لتعبث وتلقي الدعابات. أمكن لواين أن يلخّص كامل حديثها بكلمةٍ واحدة «شكوك».

أوضحت بينما كانت تذرع أرضية القاعة أنَّ هناك شكوكاً تحوم حول كلِّ نقطةٍ في قضيّة الادّعاء. كلُّ «حقيقةٍ حديدية» هي في الواقع أكثر إبهاماً ممّا كانت تبدو عليه لدى سماعها أوّل مرة. وبمجرّد أن تنتبه إلى هذا الإبهام - وكيف أنَّ هذه «الحقائق» لا تعني بالضرورة ما قال المدَّعي العام أنّها تعنيه - بمجرّد أن يحدث ذلك، فلن تتمكّن من النظر إلى القضيّة بالطريقة نفسها مجدّداً.

بالنسبة لغيبسون، الشكوك مثل العفن في جدران الجصّ القديمة. بمجرّد أن يدخل العفن إليها، فلن يخرج البتّة.

لم يكن واين غبيّاً أو ما شابه. كان يعرف ما الذي تفعله. حين ستنهي هذه السيّدة مرافعتها، لن يشعر أيٌّ من هؤلاء المحلّفين أنه متأكّد من اسم أمّه بنسبة مئة في المئة.

لكن، وبينما كانت تختتم بيانها الافتتاحي، فإنَّ نقطةً واحدة استقرَّتْ عالقةً في رأس واين. قالت غيبسون إنّها تنوي تكرار هذه النقطة الأخيرة مراراً على مدار المحاكمة.

- «ستقولون إنّني ثرثارة ومكرِّرة»، قالت للمحلّفين. «لكنّي

سأواظب على قولها مرّةً بعد مرّة لأنّها شديدة الأهمية: لم يُعثَر على جثّة جيسيكا سيلفر أبداً».

لم تكن هناك شكوكٌ حول ما إذا كان بوبي قد قتلها فحسب، بل كانت هناك أيضاً شكوكٌ معقولة حول ما إذا كانت ميّتة أم لا.

لم يسمح لهم القاضي أن يحتفظوا بقلمٍ وورقة من أجل تدوين الملاحظات. رفعت المحلّفة 272، الفتاة البيضاء المرحة ذات الشعر الداكن، يدها كي تسأل عن الأمر في اليوم الثاني للمحاكمة. كيف يُفترض بهم أن يتذكّروا كلّ هذه الأشياء - تفاصيل عن جزيئات الحمض النووي وجداول زمنية متخمةً بالتفاصيل الدقيقة - كيف لهم أن يتذكّروا كلّ هذا دون تدوين الملاحظات؟ لكن القاضي قال إنّ القلم والورقة قد يشكّلان مصدر إلهاء، وإنّ عليهم بذل قصارى جهدهم كي يتذكّروا كلّ شيء، وإذا ما حان وقت المداولات وكانت لديهم بعض الأسئلة، يمكنهم عندئذٍ أن يطلبوا من حاجب المحكمة قراءة أجزاءٍ من المحضر.

كان واين يعتقد أنّ هذا جنونيٌّ فحسب. لكن بعد أسبوعٍ أو نحو ذلك، بدأ الأمر يبدو منطقياً إلى حدٍّ ما. إذ لو قام كلٌّ منهم بتدوين ملاحظاته، فما هو احتمال أن يدوّن كلٌّ منهم ملاحظاتٍ مختلفة؟ قد تكتب المحلفة 106، السيّدة المكسيكية الفضولية العجوز، أنّ خبير الحمض النووي قال أمراً. ثمّ تأتي المحلّفة 429، الفتاة اللاتينية التي خبزت الكعك المكوّب للجميع في أحد الأيام، قد تأتي وتقول إنّ خبير الحمض النووي قال شيئاً آخر تماماً. سيصبحون عندئذٍ في وضعٍ أسوأ حتّى. لن يكونوا عاجزين عن الاتفّاق على الحُكم فحسب، بل عاجزين عن الاتفّاق على ما قيل لهم في المقام الأول.

سارت الأمور في الأسابيع الأولى على نحوٍ جيّد في المجمل. كان ينتهي بهم الأمر كلّ يومٍ إلى أن يُطردوا من قاعة المحكمة لبضع ساعات حيث كان المحاميان يتجادلان في ما أسماه القاضي «مسائل إجرائية في القانون» - لكنَّ واين كان يترك حقيبةً أو معطفاً على الكرسي المجاور للنافذة حين يدخلون إلى القاعة، كي لا يجلس أحدٌ آخر هناك لدى عودتهم.

أثنى حاجب المحكمة على واين لكونه يستيقظ مبكّراً. قال ستيف - كان الحاجب قد طلب منهم مناداته باسمه الأوّل - إنّه هو أيضاً يحبُّ النهوض باكراً. كان الحاجب ستيف أبيضَ، وفي الأربعينات من عمره على الأرجح. كان له شاربٌ على الطراز القديم، ويضع خصلات رمادية في شعره. بدا شخصاً نزيهاً وصادقاً.

ومن ثمَّ، وبعد ثلاثة أسابيع، استدعاهم القاضي إلى قاعة المحكمة ذات صباح، وكانت تعلو وجهه نظرةٌ جعلت واين يخمِّن أنَّ شيئاً ما ليس على ما يرام.

- «سيّداتي وسادتي أعضاء هيئة المحلّفين، أخشى أنَّ لديَّ بعض الأخبار السيّئة. عليَّ أن أعتذر لكم. إنّنا نملك أنظمةً شاملة ومختبَرة للتأكّد من عدم حدوث أشياء كهذه، ويمكنني أن أؤكّد لكم أنَّ ولاية كاليفورنيا لن ترتاح حتّى تحدّد كيف حدث هذا. لقد سُرِّبتْ أسماؤكم إلى الصحافة».

كان بإمكان واين سماع صوت الهواء وهو يُمتَصُّ من الغرفة.

- «لقد أرسلتُ بالفعل ضبّاط شرطة إلى منازلكم للاطمئنان على أحبّائكم. لكن دعوني أكون واضحاً جدّاً حيال هذا: لا نعتقد أنَّ أحداً هنا عرضةٌ لأيِّ خطر».

فكّر واين أنّه طالما تمَّ إرسال ضبّاط شرطة إلى منازلهم، فلا بدَّ أنَّ أحداً ما كان عرضة للخطر.

- «أواجه خياراً لا يتّخذه أيُّ قاضٍ بسهولة، لكن ينبغي بي أن أعطي الأولوية القصوى لسلامتكم ولقدسية عملية التقاضي هذه وإجراءاتها. سوف يتمُّ عزلكم لبقيّة المحاكمة».

استغرق الأمر ثانيةً من واين لفهم ما يعنيه ذلك بالنسبة له. بدا الآخرون مصدومين أكثر من أن يتمكنوا من إبداء ردّ فعل. لكن ومع مضيِّ القاضي قدماً، استطاع واين أن يتحسّس حالةً من الذعر الجماعي، كما لو أنّهم جرذانٌ عالقة على سفينة آخذةٍ في الغرق. أخذ واين على نحوٍ غريزي يبحث عن أقرب نافذة، لكن لم يكن هناك واحدةٌ في قاعة المحكمة بطبيعة الحال.

قال القاضي: «أعتقد أنّه سيكون من غير الآمن إرسالكم إلى منازلكم كلّ ليلة، بما في ذلك هذه الليلة. سيُسمَح للأقارب هذا المساء أن يحضروا لكم الملابس، وأدوات النظافة، وأيَّ متعلّقاتٍ شخصية تحتاجونها. وسنعمل بعدئذٍ على وضع جدولٍ للزيارات».

زيارات. كما لو كانوا في السجن.

- «أعرف أنّها ليست أخباراً جيّدة لأيٍّ منكم»، قال القاضي بنبرةٍ تكاد تكون متعاطفة. «أعلم أنَّ لديكم حياةً، وعائلات. سيتمُّ تأمين أماكن الإقامة لكم».

كان واين يعيش لوحده، ولم يكن قد عاد بعدُ للعمل منذ الإصابة، حيث إنَّ هيئة الضمان العمّالي لا تزال تدفع له. كان يقضي وقته بمفرده، وكان مرتاحاً لهذا الوضع.

- «أعدكم أنّه بموجب القانون، لا يمكن لأيِّ أحدٍ أن يخسر عمله لأنّه كان ملتزماً بواجب الخدمة في هيئة محلّفين. كما أنّكم

وقّعتم جميعاً بالفعل على إقرارات تفيد بأنّكم لستم مُعيلين مباشرين لأحد».

بدت المحلّفة 272 الجالسة بالقرب من واين شاحبة. بدت وكأنَّ أمواجاً عاتية تتلاطم بداخلها. أراد واين أن يمدَّ يده ليلمس يدها، ويخبرها أنَّ كلَّ شيءٍ سيكون على ما يرام، لكنّه لم يكن يعرفها حقّاً.

نظر إلى الخلف نحو المحلّفة 429، الفتاة اللاتينية. كانت الدموع قد ملأت خدّيها بالفعل.

- «هراء».

لم يكن واين يعتقد أنّه قالها بصوتٍ عالٍ بما يكفي ليسمعها أيُّ شخص آخر، لكن بدا وكأن صدى الكلمة تردّد في القاعة مثل طلقة بندقية في وادٍ سحيق.

ضرب القاضي بمطرقته. «حسنٌ الآن. حسنٌ. إنَّ لديَّ السلطة لأوجّه لكَ تهمة ازدراء المحكمة. وهذا لا يعني مجرّد غرامات، بل يعني عقوبة السجن. رجاءً، لا تجعلني أستخدم هذه السلطة».

خيّم على الغرفة صمتٌ ثقيل.

لكنَّ غضبهم تعاظم حين قيل لهم إنَّ الحاجب سوف يُصادر هواتفهم وأجهزة الكمبيوتر المحمولة. سيُسمَح لهم ببعض المكالمات في تلك الليلة للقيام بالترتيبات اللازمة، ثم سيُسمح لهم بمكالمة واحدة على الأقل كلَّ يوم. جميع المكالمات ستخضع لمراقبة حاجب المحكمة.

وما الذي يمكن أن يفعلوه حيال ذلك؟ لا شيء على الإطلاق.

كان واين يعرف جيّداً أنَّ هذه ليست أوّل مرّةٍ يخوض فيها الحاجب ستيف حالةً مماثلة. تخيّلهُ واين وهو يستمع إلى مكالمات

الجميع. جميع المحلّفين في جميع المحاكمات التي عمل بها... وتخيّل الهراء الذي كان مضطّراً لسماعه.

اقتيدوا بصمتٍ عائدين إلى غرفة المحلّفين كي ينتظروا مجدّداً. وسرعان ما جاءت سيّارة نقلتهم إلى فندق أومني.

منزلهم الجديد. كان وحده الله يعلم إلى متى.

لم يكن لدى واين أيُّ شخصٍ يحتاج أن يتّصل به. فكّر في إبلاغ أفني، لكنّها كانت تعرف أنّه ملتزمٌ بواجب هيئة محلّفين، وأنّه لن يحدِّد مواعيد جديدة لفترة من الوقت.

كان الآخرون مذعورين، المحلّفة 429 على وجه الخصوص. كانت السيّدة اليهودية المسنّة تحاول مواساتها، لكنّها لم تكن تبلي حسناً في ذلك.

الجميع كانوا مذعورين. وهذا لا ينفع في شيء.

- «حسنٌ، فلتحلَّ اللعنة على هذا الهراء»، قال واين.

- «نعم»، قال المثليُّ الذي يرتدي سترة جلدية. «هذا سيّء».

«يمكننا جميعاً أن نخرج من هنا»، قال واين. «جميعاً، وفي الحال. تبّاً لذلك، ماذا سيفعلون؟».

بدا أنَّ اقتراح التمرّد المفتوح صدم الآخرين.

- «سنذهب إلى السجن»، قال الرجل الأسود ذو النظّارات، المحلّف 158.

- «يستبدلون نوعاً من الأقفاص بنوعٍ آخر»، قال واين.

لم يعتقد أنّهم قد يفعلون ذلك حقّاً بهم. لكنّهم ليسوا حيوانات، وسوف لن يُعاملوا كما لو أنّهم كذلك.

- «ماذا يمكن أن نفعل أيضاً؟».

لم يكن واين متأكّداً مَن الذي سأل، لكنّه شعر أنَّ الجميع التفتوا إليه. لم يحبَّ هذا الشعور. يمكن له أن يكون متمرّداً أحياناً، لكنَّ هذا لا يعني أنّه كان الرجل الذي يُفترض به أن يقود التمرّد.

كلُّ تلك العيون المسلّطة عليه جعلتْه أكثر توتّراً.

- «حسنٌ، في البداية وقبل كلِّ شيء، مسألة الأرقام هذه كلّها مربكة ومقرفة. إذا كانت أسماؤنا قد خرجت إلى العلن على أيِّ حال، فلا أرى سبباً يمنعنا من استخدامها هنا. أنا واين راسل».

أخذوا ينظرون جميعاً إلى بعضهم البعض، كما لو كانوا ينتظرون ليروا إن كان أحدٌ ما على وشك معاقبتهم في الحال وحيث هم.

- «كان القاضي واضحاً جدّاً بهذا الشأن، سنقع في ورطة»، قال المحلّف 158.

كان المحلّف 158 يرتدي سترةً أنيقة مع ربطة عنق. كان عبارة عن دودة كتب، لطالما دفن رأسه في كتابٍ ما أثناء فترات الاستراحة. وكان قد أصبح على علاقةٍ ودّية مع الفتاة المفعمة بالحيوية، المحلّفة 272. كانا يتناولان الغداء سويّاً، لوحدهما، بشكلٍ يوميٍّ تقريباً. لكنّ الفتاة كانت بعيدةً عن متناوله، كانت تبدو أعلى من مستواه.

- «القاضي ليس هنا الآن»، قال واين. «لكن نحن هنا. إذاً، حين يتمحور الأمر حول الاهتمام بأمر الأشخاص الموجودين في هذه الغرفة، فمَن الذي سترغب في الاستماع إليه؟ هو؟ أم نحن؟».

وقبل أن يتمكّن المحلّف 158 من الردّ، تقدّم ذو السترة الجلدية للأمام، وقال: «أنا كال بارو»، ومدَّ يده، فصافحه واين.

- «إنّه لمن دواعي سروري مقابلتك يا واين».

أخذوا يتقدَّمون عبر الغرفة، واحداً تلو الآخر وهم يقدّمون أسماءهم الحقيقية. حاول واين أن يتذكَّر جميع الأسماء: كال بارو، كارولينا كانسيو، مايا سيل، تريشا هارولد، لِيلا روزاليس، كيلان براغ، جاي كيم، فران غولدنبرغ، كاثي وينغ، ياسمين صرّاف، أرنولد دين، إنريكي نافارو.

وريك ليونارد. كان الشاب الأنيق هو الأخير بينهم. لكن حتّى هو شارك في هذا مع البقية، في أوّلُ فعل تحدٍّ تضامني.

سُمِع طرقٌ على الباب في اللحظة التي انتهوا فيها من ذِكر أسمائهم. كان ذاك الحاجب ستيف.

- «يا رفاق، هل أنتم مستعدّون للذهاب؟».

حلَّ بهم الصمت جميعاً. أطرقوا رؤوسهم، نظروا للأسفل، نظروا بعيداً، نظروا إلى أيّ مكان عدا إلى الشخصية التي تمثّل السلطة في الغرفة. كانوا كأطفالٍ ضُبِطوا وهم يفعلون شيئاً يعلمون أنّه لا يجدر بهم فعله؛ بدا كلٌّ واحد منهم وكأنّه طرف مذنب.

5

محاميةُ نفسها

الآن

جلستْ مايا على طرف سرير الفندق، تحاول أن تشغل أقلَّ قدرٍ ممكن من المساحة. كان فريقٌ من رجال الشرطة يلتقطون الصور في جميع أنحاء الغرفة. لم يكونوا حتّى الآن سوى رجالٍ مهذّبين، هادئين ورصينين. كانت ممتنَّةً لأنَّ أحدهم كان قد وضع ملاءةً بلاستيكية على جثة ريك.

- «هل تأذّيتِ؟»، سألَ أحد الشرطيين بالزيِّ الرسمي. كان طويلاً، ضخم البنية، ووجه طفولي كبير الخدّين. بدا أصغر من أن يكون شرطياً. أشار إلى يديها المضمومتين في حجرها. عندها انتبهت أنَّ الدماء كانت تغطّيهما.

شعرتْ بالغثيان. «لا. إنَّه دمه. لقد لمستُه».

- «مَن لمستِ، سيّدتي؟».

- «ال... ريك. لقد عثرتُ عليه. هذه غرفتي».

- «لقد أخبرتِني بذلك بالفعل».

- «صحيح. حسنٌ. أنا آسفة». حاولت أن تتماسك. «لقد

لمستُه. وضعتُ يديَّ على رقبته. تحسّستُ وجود نبض. أردتُ أن أعرف إن كان في وسعي مساعدته...».

- «هل ساعدتِه؟».

- «لا لقد كان... أعني أنّه لم يكن... لم يكن هناك ما يمكنني القيام به».

- «هل كان لا يزال حيّاً حين لمستِه؟».

- «لا».

- «كيف أمكنكِ أن تعرفي؟».

- «لأنّه لم يكن هناك نبض». حدّقتْ في أصابعها الملطّخة بالدم. ثمَّ نهضتْ، واستدارت باتّجاه الحمام.

سدَّ شرطيٌّ أكبر سنّاً ذو شعرٍ أبيض قصير طريقها.

- «اعذريني، هلّا تتكرّمين بالانتظار هنا لدقيقة»، قال لها.

- «أنا فقط... الدم، أحتاج لغسل يديّ».

شعرتْ بجسدها كلّه متسربلاً في القذارة.

- «سوف نحتاج إلى فحص ذلك»، قال الشرطي ذو الوجه الطفولي.

- «إنّه دم ريك»، قالت مايا. «لمَ قد تحتاج إلى فحص...؟».

عندها فقط ميّزتْ مايا تلك النظرة الودّية المخادعة على وجه الشرطي الشاب. كان هذا مسرح جريمة. وكانت هي مشتبَهاً به. كانت الخلاصة جليّة. أجبرت مايا نفسها على تخيّل جدارٍ وضعتْ خلفه صورة رأس ريك المدمّى وجثته الهامدة. لم يعد المشهد حولها عرض رعبٍ سريالي بالكاد يمكنها فهمه، بل أصبح عبارةً عن عملٍ الآن.

سوف يقوم رجال الشرطة بعملهم. وسوف تقوم هي بعملها.

وصلتِ الآنسة سيل لتمثيل المدَّعى عليها. كانت الآنسة سيل تعرف أنَّ موكّلتها كانت قد قالت الكثير بالفعل. ما كان على مايا فعله الآن قبل كلِّ شيءٍ آخر هو أن تغلق فمها.

استعملتْ إصبعاً نظيفاً لتدسَّ شعرها الداكن خلف أذنها.

- «هل أنا رهن الاعتقال؟»، سألتْ مايا.

- «سيكون المحقّقون هنا خلال دقيقة»، قال الشرطي ذو الشعر الأبيض القصير.

- «إيلين!»، نادى الشرطي ذو الوجه الطفولي على الأخصّائية التي كانت منكبّةً فوق الجثة. «هل نستطيع أخذ مسحةٍ هنا؟».

اقتربتْ إيلين بحذر. «لمَ لا نقوم بتنظيفك سيّدتي؟».

- «إذا لم أكن رهن الاعتقال، فأنا أودُّ المغادرة»، قالت مايا.

- «دعينا ننزع عنك هذا الدم وحسب».

- «إنْ كنتم تعتقلونني، وهو ما لديكم الحق في فعله، فأنا أودُّ التكلّم إلى محاميّ. إنْ لم أكن رهن الاعتقال، فأنا لستُ موافقةً على هذا الفحص. ليلة سعيدة».

سارتْ نحو الباب. أخذ الشرطي ذو الوجه الطفولي خطوة إلى الأمام ووقف أمامها. سحب بضجرٍ الأصفاد من حزامه. «لن تضطريني إلى استخدام هذه، أليس كذلك؟».

نظرت مايا إلى الأصفاد، كانت من الطراز المعدني القديم. بدا وكأنّها كانت تقبع جاثمةً فوق حزام الشرطي منذ دهر.

رائع.

مدّتْ ذراعيها وكشفت عن معصميها الملطّخَين بالدماء.

بالله عليك! أنتَ تعرفُ أنّكَ ترغب في وضع هذه الأصفاد لي...، فكّرتْ مايا.

وضع الشرطيُّ الأصفاد على معصميها متنهِّداً. «سيّدتي، نحن نعتقلكِ ربطاً بتحقيقنا هذا. سننقلكِ إلى المخفر الآن. لا تصعِّبي الأمر رجاءً».

أبقى الأصفاد رخوة. لم يعتقد أنّها تشكّل أيَّ تهديدٍ حقّاً، كان ينفّذ إجراءً شكلياً مزعجاً فحسب.

أشار لإيلين أن تبتعد، مخبِراً إيّاها أنّ في وسعهم أخذ عيّنات الدم في المخفر. استغلّتْ مايا الفرصة لتقوم خلسةً بفرك الدم الذي على يديها بالأصفاد المعدنية. كانت تفسد أيّ عيّنة دم سيأخذونها. مَن يعرف لمَن أيضاً كانت هناك عيّنات حمضٍ نووي على هذه الأصفاد؟ أيُّ بياناتٍ جنائية قد يتمُّ جمعها عن يديها ستكون عديمة الفائدة الآن في المحكمة.

كانت قد تعلّمتْ من خلال تجربتها أن تبدأ في إرساء أسس دفاعها في أبكر مرحلةٍ ممكنة. حين يوجَّه الاتّهام، سيعني هذا أنَّ أوراق اللعب قد وُزِّعتْ وانقضى الأمر. هي لم تُتَّهم بعد، لكن كانت هذه هي النافذة الزمنية التي يمكن فيها تكديس أوراق اللعب.

نظرتْ إلى الشرطي. «ليس لديَّ أيّة نيّةٍ للمقاومة حضرة الضابط. أودُّ الاتّصال بمحاميَّ لدى وصولنا إلى المخفر من فضلك». أومأت نحو الرواق. «مِن بعدك».

جلست مايا لوحدها، يقِظةً، ومتنبّهةً، وواعيةً لكلِّ ثانية تمرّ وهي في غرفة الاستجواب داخل مخفر الشرطة. حين جاء فنيٌّ آخر لمسح الدم عن يديها والاحتفاظ به، عرفت عندئذٍ أنّها كانت تفوز.

تخيّلتْ ما يُفترَض أنّه يحدث في الفندق. لا بدَّ أن جميع

المحلّفين كانوا قد انتُزعوا من أَسرَّتِهم، وسُئلوا عمّا رأوه. تخيّلت وجوههم المترنّحة وهم يفتحون أبواب غرفهم. هل تورّط أحدهم في مقتل ريك؟

عدا المحلّفين، الوحيدون في ذلك الفندق الذين يعرفون ريك هم موظّفو برنامج مدينة القتل. وبغضّ النظر عمّا قد يقوله المرء عن منتجي التلفزيون، فمن غير الممكن تصوّر أنّهم قد يرغبون في قتل النجم الرئيسي لمقابلاتهم. لكن، ومهما كان حجم الخلافات أو الضغائن التي نشأت بين المحلّفين قبل عشر سنوات، فهل كان أحدهم يريد حقّاً أن يقتل ريك؟

المثير للجنون هو أنَّ الشخص الذي كان لديه أهم سببٍ للرغبة في رؤية ريك ميتاً كان هي بالذات.

بعد الساعة الواحدة صباحاً، وصل محقّقان بثيابٍ مدنية. رجلٌ من أصولٍ إسبانية، وامرأةٌ سوداء أكبر سنّاً بقليل. استطاعتْ مايا من خلال التعابير على وجهيهما أن تحزر الدور الذي كانا على وشك البدء بتمثيله. جزءٌ منها أراد أن يسمح لهما بالمضيّ قدماً في ذلك، فقط لمعرفة ما إذا كانا جيّدين فعلاً.

- «أودُّ التحدّث إلى محاميّ رجاءً»، قالت قبل أن ينطقا بكلمة. تبادلا نظرةً عندئذٍ.

تجاهلت المرأة طلبها. «أنا المحقّقة روندا ديزي». كانت ترتدي بنطال جينز أسود أنيق، وما بدا وكأنّه سترةٌ رجالية. كانت هناك عذوبةٌ في صوتها، كما لو أنّها تستعدُّ للدخول في ثرثرةٍ حول أصدقائهما المشترَكين.

- «مارتينيز»، قال الرجل بفظاظة. سيلعبُ دور الشرطيّ اللئيم.

التزمتْ مايا الصمت.

- «لستِ تتذكَّرين لقاءكِ بي؟»، قالت المحقّقة ديزي.

هزَّتْ مايا رأسها.

- «بيلين فاسكيز»، قالت ديزي. «المرأةُ التي قطعتْ رأسَ زوجها. أنا مَن قمتُ باستجوابها. كنتِ محاميتها».

أومأتْ مايا برأسها. «أودُّ التحدّث إلى محاميَّ رجاءً».

- «لقد وجدنا السيدة فاسكيز والرأس بحوزتها»، تابعت المحققة ديزي. «الأمر كما تعلمين ليس مثل فيلم تشويق لا تُكشف الحقيقة فيه حتى النهاية».

أثار هذا إعجاب مايا، فعلى الرغم من أنَّ هذه الاستراتيجية كانت نظريةً ومستقاةً من الكتب، إلّا أنَّ ديزي كانت تنفّذها بشكلٍ جيّد. كانت تحاول أن تحمل مايا على التحدّث عن شيءٍ غير ذي صلة. كانت تحاول أن تجعل شفتيّ مايا تتحرَّكان، على أمل أن تكون غبيَّةً بما يكفي لتتفاعل مع هذا الموضوع ذي الطبيعة المحايدة.

كانت مايا تعلم أنّه حين يتعلّق الأمر بالشرطة فليس هناك من موضوع محايد.

- «أودُّ التحدّث إلى محاميَّ رجاءً. لقد أعطيتُ رقمه إلى الضابط الذي قام باعتقالي».

- «مهلاً، مهلاً»، قالت ديزي. «أنتِ لستِ رهن الاعتقال. هذه محادثةٌ وديّة بين شخصين يعرفان قواعد اللعبة».

- «وديّة في الوقت الراهن»، قال المحقّق مارتينيز. كان أداؤه مبالَغاً فيه. شعرت مايا بالأسف على ديزي، فقد كانت أفضل من شريكها.

- «انظري، نحتاج فقط أن نعرف ما الذي حدث. أنتِ تعرفين

كيف تجري هذه الأمور: إذا لم تعطِنا مشتبَهاً به آخر، فكلُّ ما لدينا هو أنتِ»، قالت المحقّقة ديزي.

- «هل تريدين أن نسعى للنيل منكِ؟»، قال مارتينيز. كان يلبس بذلة غامقة اللون مع ربطة عنقٍ صفراء قبيحة. بدتْ وكأنّها ربطة عنقٍ من نوعٍ يمكن لأحد أطفاله أن يكون قد اختارها له.

لا بدَّ أنَّ ديزي كانت قد أغضبت رئيسها السابق كي تكون عالقةً مع هذا الأبله.

- «لقد أخبرتِ الضابط أنّكِ غادرتِ، تمشّيتِ، عدتِ، وكان هو ميتاً؟»، قالت ديزي. «لذا، ساعدينا في معرفة مَن قد يدخل إلى هناك ويقتله، فلا نضطّر بالتّالي للتعمّق في التحقيق معك».

ستكون ديزي قاسية بالتأكيد. هي لم تكن تخادع بهذا الشأن: بمجرّد خروج مايا من هنا، سوف يسعون للنيل منها بكل ما لديهم.

- «أودُّ التحدّث إلى محاميّ». سكتتْ مايا للحظةٍ قبل أن تلفظ الكلمة الأخيرة بما يشبه التحدّي. «رجاءً».

أبدى المحقّقان قدرة تحمّل أكثر ممّا كانت مايا تتخيّل. أمضيا نصف ساعةٍ أخرى في طرحِ أسئلةٍ حول ريك، ولمِّ الشمل، وتلك الأمسية، على الرغم من أنَّ جوابها لم يتغيّر مطلقاً. كانا ينتقلان من الودّية إلى التهديد ويعاودان الكرّة من جديد، لكنّها ما فتئت تكرّر نفس الجملة ببرودٍ، مرّةً بعد مرّة. كان هناك جانبٌ تأمّلي في تلك الروتين. شعرت مايا كما لو أنّها تلعب التنس، وكلُّ ما كان عليها فعله هو أن تخرج من رأسها وتترك لجسدها أن يتولّى زمام الأمور. كانت عضلاتها تعرف ما يجب القيام به. «أودُّ التحدّث إلى محاميّ»، تأخذُ نفساً، ثمَّ «رجاءً».

في النهاية، استسلما وسلّما لها هاتفاً لاسلكياً.

- «تارين»، قالت لمساعدتها المترنّحة والمرتبكة بعد أن اتّصلتْ بهاتف الفتاة المسكينة المحمول، «لقد اعتُقلتْ. أنا في مخفر القطاع المركزي. أريد منكِ أن تتّصلي بكريغ، وتعاودي الاتّصال بقدر ما يتطلّبه الأمر. أيقظيه، وأحضريه إلى هنا. شكراً لكِ». تحدّثت بنبرةِ مَن تسأل مساعِدتَها أن تطلب لها زهوراً.

اكتشفتْ مايا أنّه كان وضح النهار حين فُتح الباب من جديد، وقادت المحقّقة ديزي كريغ روجرز إلى الداخل.

كان يرتدي بذلةً زرقاء فاتحة، مصمّمةً له على نحوٍ مثالي بالطبع. حتّى أنّه بدا مسترخياً بالكامل.

دون أن ينبس ببنتِ شفة، بدأ كريغ يتفحّصُ مايا بالطريقة التي كان يراجع فيها مسوّداتها حين كانت مساعِدته. كان هادئاً، ودقيقاً، ومتطلّباً.

كانت تعلم أنّه ينقّب في هيئتها عن كدمة لا تفسير لها، أو تمزُّق في كنزتها، عن أيِّ شيءٍ يمكن أن يكون مفيداً لاحقاً. لم يكن هناك الكثير ليعمل عليه، فكانت مايا حسنة المظهر على نحوٍ مخيّبٍ للآمال.

التفتَ نحو المحقّقة ديزي. «بعض الخصوصية، إن كنتِ لا تمانعين».

حين غادرتْ ديزي، جلس كريغ قبالة مايا ووضع يده على ذراعها.

- «كان ذلك ذكيّاً، عدم السماح لهم بأخذ عيّنة الدم إلى أن

تصلي إلى هنا. احتمالية التلوّث... ستكون العيّنة بلا قيمة»، قال كريغ.

كان أيُّ إطراءٍ من كريغ يجعلها تشعر بالفخر، حتّى في ظروفٍ مثل هذه.

- «هل سيعتقلونني؟».

- «ليس هذا الصباح، إنّهم بحاجةٍ إلى المزيد، وما هم بحاجةٍ إليه فعلاً هو أن تقومي بشيءٍ غبيّ. لذا فإنَّ نصيحتي المهنيّة والقانونية هي: واظبي على عدم القيام بأيِّ شيء غبيّ». شدَّ على ساعدها بحرارة. «والآن. هلّا نخرج من هنا بحقِّ الجحيم؟».

عند الظهر، استفاقت مايا في سريرها على صوت جرس الباب. كانت أوّل فكرةٍ لطيفة خطرتْ ببالها هي التساؤل عمَّا كانت تفعله في المنزل، نائمةً في ظهيرة يوم خميس. لكنّها استعادت ذكرى الليلة السابقة بينما كانت ترتدي سروالها وتهرع نحو الباب.

كان كريغ بعد أن غادرا مخفر الشرطة قد طلب من سائقه أن يأخذها إلى منزلها في سيلفر ليك، ثمَّ طلب منها أن تنام لبضع ساعات. لم يكن ليجري مقابلةً مع موكّلٍ كان مستيقظاً لأربعٍ وعشرين ساعة متواصلة، بغض النظر عن هويّته.

فتحتْ الباب لتجد كريغ يحمل كوبين كرتونيّين من القهوة. أعطاها كوباً فيما هي تصطحبه إلى الداخل.

جال بنظره عبر مطبخها، الأرضية والسقف، والنوافذ المطلّة على مسطّح سيلفر ليك المائي. كان هناك مهرولون على الطريق الترابي، وكانت ملابسهم الرياضية تلمع مثل أضواء النيون. «هذه هي سيلفر ليك؟»، سأل كريغ.

- «نعم».

بدا راضياً. «إنّها أجمل بكثير هذه الأيّام».

دفن رأسه في هاتفه الآيفون بينما ذهبت هي لتستحمَّ وترتدي ملابسها. منحها الماء الساخن شعوراً طيّباً طالما أنّها لم تغمض عينيها. ففي اللحظة التي فعلت بها ذلك، كلُّ ما رأتْه كان منظر الجثّة. الزاوية المشوَّهة للذراعين، الهالة القرمزية حول الرأس. أدارت ذراع الصنبور نحو الجهة الباردة. إذا سمحت لنفسها أن تدخل في تحليل ما حدث فسوف تنهار بالكامل.

حين عادت تشعر بشيءٍ يشبه مايا التي تعرفها، رجعتْ إلى غرفة المعيشة لتجد كريغ جالساً على الأريكة بهدوء، يعمل على جهازَيْ آيفون في وقتٍ واحد. يبدو أنّهما تضاعفا بينما كانت تستحمّ.

أطفأ كريغ كلتا الشاشتين، ووضع الهاتفين بجانبه على الأريكة، وأعطاها انتباهه الكامل.

نظرتْ مايا في عينيه مباشرةً. «أنا لم أقتل ـــــ».

- «عليَّ أن أوقفكِ عند هذا الحدّ». فتح حقيبته التي وضعها على طاولة القهوة وناولها قلماً وورقة. «أحتاج منكِ أن تقومي بتوظيفي كمحامٍ لك بدايةً».

مسحتْ عقد التوكيل بعينيها على نحوٍ غريزيّ. كان مطابقاً لذلك الذي قدّمتْهُ لموكّليها. وضعتْ توقيعها في الأسفل.

- «لقد خرجتُ لأتمشّى»، قالت مايا. «يمكننا العثور على كاميرا التقطتني في الشارع، أو شخصاً في الردهة رآني حين عدت، يمكننا ـــــ».

رفع يده كمَن يوجّه حركة المرور. «أعرف ما قلتِه للضباط في

الفندق. سوف نحصل على لقطات من جميع الفعاليات التجارية المجاورة. لكنّكِ كنتِ بالطبع لا تزالين في حالة صدمة حين أخبرتِ الضبّاط بتلك القصة. أمّا الآن، وبعد قسطٍ من الراحة... حسنٌ، أنتِ تعرفين كيف تسير هذه الأمور. فلنكن منتبهين حيال ما ستخبرينني به».

لم يكن عليه أن يشرح أكثر. أيُّ شيءٍ قد تخبره لكريغ الآن سوف يحدُّ من مساحة دفاعه المرتقب في حال تمَّ اتّهامها بمقتل ريك. سيكون من غير الأخلاقي بحسب نقابة المحامين في كاليفورنيا أن يترافع مدافعاً عمّا يعرف حقيقةً أنّه كذبة. كان بحاجة إلى المرونة لخلق قصَّة تتعامل على نحوٍ مناسب مع أيِّ دليلٍ قد يقدّمه الادّعاء.

- «الطريقة التي أشرح بها الأمر لموكّليّ هي: إذا أخبروني أنّهم كانوا في ديزني لاند، فليس في وسعي أن أذهب إلى المحكمة وأجادل أنّهم كانوا على سطح القمر».

إنَّ حقيقةَ كونكَ بريئاً غالباً ما تجعل من الأصعب تأسيس دفاعٍ محكم. لطالما أراد الأبرياء أن يخرجوا إلى الشرفات ويصرخوا بملء حناجرهم وهم يروون ما حدث بالفعل - لكن أحياناً، ومن وجهة نظرٍ قانونية، فإنَّ قول الحقيقة ليس هو أفضل دفاعٍ بالضرورة.

تذكَّرتْ كيف كان تقديم قصّة في وقتٍ مبكّرٍ جدّاً هو خطأ بوبي نوك الأول. حين حقَّقتْ معه شرطة لوس أنجلوس للمرة الأولى، لم يكن لديه محامٍ. أخبر رجال الشرطة وقتها أنّه كان في المكتبة العامّة وقت اختفاء جيسيكا - لكنَّ أشرطة المراقبة أثبتتْ لاحقاً أنَّ هذا لم يكن صحيحاً. لقد خلق قصَّتهُ قبل أن يعرف ما هي الأدّلة التي جمعتْها الشرطة، وكانت نسخته من رواية الأحداث غير متلائمة مع الحقائق المثبَتة.

لم يكن كريغ ليسمح لمايا بارتكاب الخطأ نفسه.

- «دعينا ننتظر إلى أن نلقي نظرة على كلِّ ما لدى الشرطة، وبعدها سأقول لكِ ما هي قصَّتكِ»، قال كريغ.

- «ماذا لديهم حتى الآن؟».

انحنى للأمام. «لقد قُتِل زميلكِ المحلَّف السابق السيّد ليونارد داخل غرفتكِ في الفندق. لم تُحرَّك جثَّته من مكانها. اتّصلتِ برقم الطوارئ 911 في تمام الساعة 10:56 ليلاً. يملك منتجو المسلسل الوثائقي لقطات مصوَّرة للسيد ليونارد وهو يغادر المطعم في الطابق السفلي في تمام الساعة 8:38. وكنتِ قد غادرتِ قبله ببضع دقائق، في الساعة 8:32 على وجه التحديد. لقد أخبرتِ بالفعل رجال الشرطة الذين قابلتِهم أنّكما كنتما معاً، في غرفتك؟».

أُحرِجَت مايا من تهمتين لها بالغباء: دعوة ريك إلى غرفتها، وإخبار رجال الشرطة بذلك. «نعم»، قالت له.

تنهَّد كريغ. «حسنٌ، فلنعدْ إلى ذلك لاحقاً. إذاً: قُتِل ريك بضربةٍ شديدة على الجمجمة. جرحٌ في مؤخرة رأسه. ضربةٌ واحدة، حادّة وعميقة، كانت كفيلةً باختراق المادة الدماغية. كان هناك أيضاً دماءٌ على حافة المكتب. تبدو زاوية المكتب متناسبةً مع عمق الجرح».

- «لقد تعثّر»، قالت مايا وهي ترغم نفسها على تخيّل وتحليل المشهد من الناحية السريرية. «سقطَ وضربَ رأسه بطرف المكتب».

رفع كريغ حاجبه. «أو أنَّه دُفِع، وهذا هو الاحتمال الأرجح».

حاولت مايا أن تعمل على هذه النظرية. «كان هناك شجار؟ قتالٌ عنيف؟ سقط إلى الخلف...».

- «لا بدَّ أنّه مات بسرعة».

إذا كان كريغ يحاول طمأنتها، فإنَّ هذا التعليق الأخير لم يكن ذا فائدة. هي لم ترد طمأنينة على المستوى الشخصي، بل أرادت الموضوعية على المستوى المهنيّ.

- «إذاً، تعتقد أنّه قد يكون قتلاً عن طريق الخطأ؟».

هزَّ رأسه مجدّداً. «لم تكن هناك أيّة علامة تدلُّ على الدخول عنوة».

تبّاً! «إذاً، أيّاً يكن الذي دخل إلى هناك ـــــ»، ثم استدركت في مواجهة نظرته ثقيلة الوطأة، «إذاً، إنْ كان شخصٌ آخر سيدخل إلى غرفتي ويقتله... فإنَّ ريك كان ليسمح له بالدخول».

- «بالفعل». صمت كريغ للحظة.

كانت الأمور تتّجه للأسوأ.

ثمَّ أكملَ. «هناك أخبارٌ جيّدة، وهناك أخبارٌ سيّئة».

- «أريد الأخبار السيّئة من فضلك».

- «هذا ما تريدينه، أليس كذلك؟»، قال وهو يهزُّ رأسه. «سوف أعطيكِ الأخبار الجيّدة أوّلاً، لأنَّ في وسعنا الاستفادة من بعضها. كان بوبي نوك قد أُدين في العام 2010 بتهمة نشر موادٍ إباحية عن الأطفال. وبعد ثمانية عشر شهراً، أُطلِق سراحه في تشينو».

لم يكن ذلك بخبر. «إنَّ تهمة المواد الإباحية تلك كانت محض هراء».

- «كيف ذلك؟».

- «لقد فشل المدّعي العام في إلصاق تهمة القتل به، لذا جادل بأنَّ في مقدوره مقاضاة بوبي نوك على نحوٍ منفصل بسبب الصور الإباحية التي أرسلتها جيسكا سيلفر إليه. كانت قاصراً...».

- «ماذا عن موضوع النشر؟».

- «كان لديه هاتفٌ محمول، وجهاز كمبيوتر محمول. لقد أرسل الصور من جهازٍ إلى آخر».

- «تحتاجين إلى شخصٍ ثانٍ حتى يُعَدَّ نشراً».

- «كان الهاتف المحمول مسجَّلاً باسم والدته من الناحية التقنية».

رفع كريغ نظره نحو السقف، كما لو كان مذهولاً بحقّ من سفاهة جهة الادّعاء. «لم تكوني تمزحين بشأن الهراء».

- «كان المدّعي العام مصرّاً على وضع بوبي نوك في السجن لسببٍ ما. أجاز القاضي محاكمةً دون محلّفين، مستنداً إلى الدعاية والرأي العام اللذَين نجما عن قضيّة القتل - ودارت تروس العدالة بأكبر قدرٍ ممكن من الفعالية».

كان هذا هو نوع الأشياء الذي يعطي لكريغ قوة الدفع للاستمرار. قرفه الذي كان دائماً قريباً من السطح وجاهزاً للطفو في أيّة لحظة، القرف الذي نشأ وتراكم عبر سنوات من مشاهدة نظام العدالة وهو يُفلِت باستعراض قوّته على نحوٍ غاشمٍ ومستهتر.

- «ما هي الأخبار الجيّدة في هذا؟».

أومأ برأسه. «لقد اختفى بوبي نوك».

- «ما الذي تقصده بـ «اختفى»؟».

- «أعني أنّه قبل بضعة أشهر - اسمحي لي أن أكون أكثر دقّة...». التقطَ أحد هاتفَيه وبحث عن المعلومات المتعلّقة بذلك. «قبل خمسة أشهر، خرق بوبي نوك إفراجه المشروط. وحيث إنّه معتدٍ جنسيّ مسجل، فقد كان مطالباً بتسجيل حضورٍ أسبوعي عند الضابط المسؤول عن إطلاق سراحه. وذات يومٍ قبل خمسة أشهر، هو لم يحضر. ذهبت الشرطة إلى منزله، لا شيء. اختفى».

- «كيف لشخصٍ مثل بوبي نوك أن يختفي وحسب؟».

- «مثَّلتُ ذات مرّةٍ رجلاً - مدرّب كرةِ قدمٍ للفتيات في مدرسة إعدادية - قضى عقوبةً لثلاث سنوات بسبب... حسنٌ، يمكنكِ أن تحزري السبب... لكنَّه لم يعد قادراً على تحمّل كلّ تلك الحالة من القرعِ على الأبواب في كلِّ مرّةٍ يتحرَّك فيها، وإخبار نفس القصّة دائماً حول أنّه مغتصِب أطفال(*). غادر الولاية، وحصل على اسمٍ جديد - ليست هناك آلياتٌ كثيرة لتعقّب هؤلاء الأشخاص، فسجلّات المعتدين الجنسيين خاصةٌ بكلِّ ولايةٍ على حدة».

- «بوبي نوك شخصٌ مشهور».

هزَّ كريغ كتفيه. «أين يعيش روبرت بليك؟».

عبستْ مايا. «الممثّل الذي قتل زوجته؟ لا أعرف».

- «بالضبط. ماذا عن جورج زيمرمان؟ أماندا نوكس؟»(**)

- «هي لم تفعلها».

- «ما أحاول قوله هو أنّكِ إذا رأيتِ أحداً منهم في الشارع بتسريحة شعرٍ جديدة، فهل كنتِ لتميّزيه؟ حين تنتهي المحاكمة... يستمرُّ الناس في الحديث عنها، ويظلّون قادرين على تمييز الأسماء، لكن الأشخاص الوحيدين الذين يتابعون البحث في الأمر حقّاً هم أفراد العائلة، وأصحاب نظريات المؤامرة، والمدوِّنون».

(*) يفرض القانون الأمريكي قيوداً وإجراءات صارمة على المدانين بالاعتداء الجنسي، ومنها إلزام المدان عند تغيير مكان إقامته بالتعريف عن نفسه لأفراد المجتمع الجديد بصفته معتدياً جنسياً - المترجم.

(**) جورج زيمرمان وأماندا نوكس: شخصيتان اتُّهمتا بجريمتي قتل وحظيت محاكمتهما بتغطية إعلامية كبيرة، واهتمام هائل من الرأي العام الأمريكي - المترجم.

- «والمحلّفون، على ما يبدو»، أضافت مايا.

- «وصنّاع البرامج الإذاعية من وقتٍ لآخر. مثل أصدقائكِ في مدينة القتل على سبيل المثال. كانوا يحاولون العثور على بوبي نوك من أجل العرض، لكن من دون جدوى. كما قلتُ لكِ: أخبارٌ جيّدة».

- « هل تحدّثتَ إليهم بالفعل؟».

- «مَن؟».

- «المتتجين».

- «مايك ومايك فعلا». كان لدى كريغ في الوقت الحالي مساعدان يحملان اسم مايك، متخرّجان حديثاً من كلية الحقوق من جامعتي UCLA وUSC على التوالي، كان كلاهما بديناً، وأشقرَ، ومن النوع الذي يعمل بجدٍّ وقت العمل، ويمرح جيّداً خارج أوقات العمل. واحدٌ منهما كان يرتدي نظّارات، والآخر يضع عدساتٍ لاصقة، لكن عدا ذلك، فقد كان من الصعب التمييز بينهما في البداية. وبدلاً من أن يكلّفهما كريغ بمهام منفصلة، بدا أنّه يحظى بمتعةٍ غريبة في جمعهما معاً، كأنهما توأم سيامي.

كانت مايا متأكّدةً أنَّ مايك ومايك يكرهان أحدهما الآخر.

إذا كان مايك ومايك مشتركين في التحريات بالفعل، فهذا يعني أنّ كذلك كان نصف دزّينةٍ آخرون في الشركة. سوف يقوم محقّقوهم بمقابلة كلِّ شخصٍ كانت الشرطة قد أخذتْ إفادته. وسوف ينقّب المساعدون القانونيّون في المحاضر. وإن كانت مايا قد قضت سنوات وهي تحاول فصل حياتها المهنية عن عالَم محاكمة بوبي نوك، حسنٌ، فقد فشلت في ذلك فشلاً ذريعاً. إذ بحلول هذا الوقت، سيكون قد أصبح لكلٍّ من زملائها المحلّفين ملفّه الخاص

على مكتب كريغ. وسرعان ما سيكون زملاؤها في الشركة قد عرفوا أشياء عن هؤلاء الأشخاص لم تعرفها مايا عنهم أبداً. كما أنّهم سيعرفون عنها الكثير أيضاً.

بدا أنَّ كريغ قد قرأ أفكارها. «هل ظننتِ أنّني لن أطلب من الجميع أن يتركوا كلّ شيءٍ ويصبّوا كامل تركيزهم على هذا الأمر؟».

كانت مايا تعرف أنّه ينبغي بها أن تقول شكراً، لكنّها شعرت بالخزي من فكرة أنَّ هناك الكثير من الأشخاص الذين تعمل معهم ينقّبون الآن في حياتها الشخصية.

بدا أنَّ كريغ يفكّر في أشياء أكثر أهمّية من مشاعرها. «بالنظر إلى المسألة بعينيّ مراقبٍ خارجي حياديّ، يوجد شخصان لربّما أرادا قتل ريك ليونارد: المحلَّف الذي قضى ريك شهوراً يهاجمه في الصحافة...».

- «سيكون هذا أنا».

- «... والمدان بنشر صورٍ إباحية للأطفال والمتّهم بقتل جيسيكا سيلفر الذي كان مذعوراً من فكرة أنَّ ريك قد وجد دليلاً جديداً يمكن أن يثبت إدانته أخيراً».

تجهّمتْ مايا. كانت هذه النظرية واهية.

- «إنّها لا تعجبكِ؟ كانت هذه أخباري الجيّدة»، قال كريغ.

- «أولاً، بوبي نوك ليس بقاتل»، قالت مايا.

- «مع احترامي لك، لكنّكِ الشخص الوحيد في أميركا الذي يعتقد ذلك».

- «ثانياً، تريد أن تجادل بأنَّ بوبي نوك خرج من مخبئه كي يتسلّلَ إلى فندقنا - أحد الأماكن القليلة في العالم حيث يمكن أن

يتعرّف عليه عشرات الأشخاص - كي يقتل ريك قبل أن يتمكّن من نشر الدليل الذي يملكه؟».

بدا كريغ وكأنّه لم يكن هناك أيُّ شيءٍ غير قابل للتصديق في كلٍّ هذا. «لستُ في حاجةٍ أن أثبتَ أنَّ ذلك ما حدث. أريدهم فقط أن يفشلوا في إثبات أنّه لم يحدث».

مرَّرتْ مايا يديها في شعرها. إذا كان هذا أفضل ما لديهم، فلن تسير الأمور على ما يرام.

لربّما كانت نظرية «تعثَّر وسقط» هي حقّاً الأفضل.

- «قلتَ أنَّ هناك أخباراً سيّئة أيضاً».

شبكَ كريغ يديه على حِجره. «صرَّح أحد زملائكِ المحلّفين للشرطة بما مفاده أنَّكِ كنتِ قد انخرطتِ في علاقةٍ حميمة مع المتوفّى قبل عشر سنوات».

بذلت مايا كلَّ ما في وسعها كي لا تظهر ردّ فعل. «مَن قال ذلك؟».

- «مايك ومايك يتقصَّيان عن ذلك».

كانت فكرةً مرعبة أن يتقصّى مايك ومايك عن تفاصيل حياتها الحميمة. تخيّلت النظرات الصامتة التي سيتبادلانها بينما يحفظان الشائعات في ملفّ القضية. تخيّلت المساعدين القانونيين يصحّحون الأخطاء الطباعية في التقرير، والموظّفين يصورون نسخاً من كلٍّ صفحةٍ بائسة. كان الأمر مروِّعاً.

لكنَّ هذا كان أقلَّ مشاكلها.

تابع كريغ، «القصّة التي جمع فريقنا خيوطها تقول بأنّكِ كنتِ على علاقةٍ عاطفية بريك ليونارد أثناء محاكمة بوبي نوك، وأنَّ هذا كان سرّاً قمتما بإخفائه عن الجميع - العائلة، الأصدقاء، وبقية

المحلّفين. وعن المحكمة بطبيعة الحال، التي كانت ستطردكما من تلك المحاكمة في غمضة عين».

كان يتحدّثُ بنبرةٍ عادية، لكن نظرته كانت مترقّبة. من الواضح أنّه كان يريد الحصول على أكبر قدرٍ من التفاصيل. لكن كيف لها أن تجعله يفهم ما الذي كان الحال عليه؟

- «الأمر معقّد»، قالت بعجز.

اعتبر كريغ هذا تأكيداً على أنَّ القصّة كانت صحيحة، وقَبِل بذلك دون إطلاق الأحكام. «هذه أخبارٌ سيّئة، لأنَّ نظرية الادّعاء الآن لن تكون أنَّ زميلة ريك السابقة في هيئة المحلّفين قد قتلتْه في نوبة ثأر. الآن ستكون أنَّ حبيبته السابقة قتلتْه في نوبة هياجٍ عاطفي...». صمتَ للحظة، ثمَّ أكمل. «وهو ما سينفع أكثر... مع هيئة محلّفين». كان التهكّم أمراً لا مفرَّ منه.

شعرت مايا بالغباء من تكرار نفسها، لكنّها لم تعرف ماذا تقول غير ذلك. «كما أقول لك ــــ»، اختارت كلماتها بعناية، «لا بدَّ أنَّ شخصاً آخر دخل غرفتي بعد أن غادرتُها».

- «ما زلتُ غير مقتنعٍ بأنَّ هذه روايتنا الأفضل من الأحداث».

- «ماذا؟».

- «قد يعمل الجزء المتعلّق بالحبيبين السابقَين لصالحنا».

- «كيف؟».

- «إذا أقررنا بالدفاع عن النفس».

حدَّقتْ به مايا. «هل تريد منّي أن أقرّ بأنّني قتلتُ ريك ليونارد دفاعاً عن النفس؟».

- «لستُ متأكّداً بعد. لكن، انظري إلى نفسك - امرأةٌ بحجمك - هناك حبيبٌ سابق داخل غرفتكِ في الفندق. لربّما كنتِ

قد كسرتِ قلبه طوال تلك السنوات، وهو لم يتخطَّ الأمر أبداً. إنّه يصرخ، وينعتكِ بأقذع النعوت، ويلكم بقبضتيه جدران الغرفة - قد يكون لهذا الحبيب السابق تاريخٌ من العنف المنزلي - لذا أنتِ في حالة خوفٍ على حياتك، لم يستجب أحدٌ لصوتِ صراخك، تقومين بدفع هذا الحبيب السابق العنيف إلى طاولة المكتب...». بدا كريغ كما لو أنّه يتخيّل نفسه وهو يصف هذا المشهد في قاعة المحكمة، كما لو أنّه ينصتُ إلى وقع الكلمات على المحلّفين.

زمَّ شفتيه. «هذا ليس سيّئاً».

فركتْ مايا كفّيها ببعضهما. إنَّ ادّعاء مسؤوليّتها عن قتل أحدٍ لم تقتله من أجل تجنّب العقوبة عن جريمة القتل تلك بالذات سيكون بمثابة بلوغ مستوىً جديد ومذهل من الجنون. لكنَّ ريك لم يكن الرجل الذي وصفه كريغ.

- «ليس لدى ريك ليونارد تاريخٌ من العنف المنزلي»، قالت له.

رجع كريغ إلى الخلف غائصاً في الأريكة. «حسنٌ، لنتحدّث عن التاريخ إذاً».



مايا

1 فبراير، 2009

انتقلتْ مايا سيل من بروكلين إلى لوس أنجلوس في الأول من فبراير عام 2009، وذلك بعد أسبوعين فقط من تجمّدها برداً وسط الحشد الحماسيّ خلال حفل تنصيب الرئيس أوباما في العاصمة واشنطن. سافرتْ عبر البلاد مع صديقها هانتر، والذي كان لوظيفته الجديدة في شركة مالية في سنتوري سيتي دورٌ كبير في هذه الخطوة. سافرا أولاً إلى سان فرانسيكو، واشتريا من شقيق هانتر الذي كان يعيش هناك سيّارة هوندا قديمة، ثمَّ قاما بتحميل ممتلكاتهما الشخصية في صندوقها. وانطلقا على خط الساحل، وهما يلقيان النكات حول القدر المحتوم(*).

جرَّحَ الطريق السريع رقم 1 بمنعطفاته الحادّة الامتداد اللامتناهي لحواف المحيط. وفي منتصف الطريق تقريباً نزولاً عبر

(*) Manifest destiny: مصطلح انتشر في منتصف القرن التاسع عشر، يشير أنَّ قدَر الولايات المتّحدة الإلهي هو التوسّع والسيطرة على كامل أمريكا الشمالية، ونشر ديمقراطيتها ونهجها الرأسمالي - المترجم.

خطِّ الساحل، واجها أزمةً مرورية خانقة. كان صفٌّ من السيّارات والشاحنات المتوقّفة والمتراصفة يمتدُّ على مسافة ميلٍ تقريباً. انضمَّتْ مايا إلى الحشد الذي غادر سيّاراته وأخذ يذرع الطريق. لم يبدُ أنَّ أحداً كان يعرف ما الذي حدث، لكن لم يبدُ أيضاً أنَّ أحداً كان متفاجئاً بشكلٍ خاص من هذا الاختناق.

ثمَّ رأت المروحية. كانت قد أقلعت للتوّ من منعطف على الطريق إلى الأمام، وقد تدلّتْ منها أحزمةٌ بيضاء تؤدّي إلى نقّالة طبية. كان جسد الرجل ممدَّداً فوق النقّالة وملفوفاً بما يشبه الضمادة البرتقالية اللون.

قال أحد السائقين إنّه سمع أنَّ الرجل على النقّالة هو متسلق صخور كان قد سقط عن الجروف إلى الأمام من هناك، والآن يتمُّ إسعافه. لم تكن هناك احتماليةٌ كبيرة لنجاته.

لم تكن مايا قد وصلت إلى لوس أنجلوس حتّى، وها هي رأتْ بالفعل شخصاً يحتضر.

شعرت مايا في تلك الأشهر الأولى، كحال البلاد من حولها، بالانتعاش الناجم عن الوعد بالتغيير في المرحلة الجديدة. استأجرت مع هانتر منزلاً على الطراز الكاليفورنيّ في لوس فيليز، من طابقٍ واحد وشرفةٍ واسعة، وفناء ينحدر نزولاً على جانب التل. كلُّ زملاء هانتر في العمل وصفوا المنزل بـ «الدافئ»، لكن بالنسبة لمايا فإنَّ «هائل» كانت هي الكلمة المناسبة. لقد كانت في نيويورك لوقتٍ طويل جدّاً، ما جعلها تنسى أنّه في أماكن أخرى يتسنّى لأشخاصٍ في مثل عمرها العيش في رفاهيةٍ مماثلة. كانت تعصر في كلِّ صباح ثمرة غريب فروت طازجة من الشجرة في فناء المنزل، ثمَّ ينطلق هانتر إلى عمله، بينما

تجلس مايا لتحدّق في الشاشة البيضاء الفارغة، والتي كانت تأمل أنّها ستملؤها بواسطة قوّة الإرادة فحسب بسطور الرواية التي كانت قد أخبرت أصدقاءها في نيويورك أنّها تعمل على كتابتها.

لم تكن الكتابة سوى أحدث مساعيها غير المكتملة. رأت بعد التخرّج من الجامعة، وحيث أنّها تحبُّ الطبخ، رأتْ أنّه يجدر بها العمل في مطبخ فندق. لكنّها اكتشفت أنّها لا تحبّ هذا النوع من الطهي الذي تكون فيه مسؤولةً عن جزءٍ من العملية فقط، وأنّها لا تحبُّ أن تُنتَقد عند السادسة والنصف صباحاً بسبب وضع الكثير من الزبدة على البيض المخفوق لأحدٍ ما. سافرت بعد ذلك مع صديقةٍ لها إلى الأرجنتين للاستكشاف، والمشي لمسافات طويلة، وشرب الكثير من الكحول. عثرت على وظائف متنوّعة في الترجمة كي تدفع من أجل كلّ هذا، لكنّها لم تفعل الكثير بشأن قروضها الطلابيّة المتراكمة. لذا، وبعد تنقّلٍ وسفرٍ استغرق منها ما يكفي من الوقت، ذهبت مايا إلى نيويورك حيث يُفتَرض بالأرواح الهائمة أن تكتشف دعوتها، وتعرف طريقها في الحياة.

لم يحدث ذلك مع مايا. علقتْ بدلاً من ذلك في سلسلةٍ من الوظائف منخفضة الأجر في مواقع الويب التافهة، وشركات الإنتاج غير المنتِجة، وشركات وول ستريت الخانقة. وأثناء عملها في إحدى هذه الشركات، وفيما هي تنازع لإنجاز الأعمال الورقية المقيتة في قسم الموارد البشرية، قابلت هانتر الذي كان يعمل في قسم إدارة الثروات. ما كانت لتتخيّل نفسها مع مصرفيٍّ قطّ، لكن كان لهانتر شخصية مميّزة. كان واثقاً جدّاً من هويّته، وما الذي يريده، وكيف سيحصل عليه. حين عُرض عليه الانتقال إلى لوس أنجلوس، كانت مايا جاهزةً لتغيير آخر.

من جانبه، بدا هانتر سعيداً بالوصول إلى كاليفورنيا بصحبة صديقته. إن كانا قد فكّرا في خطوبةٍ قادمة، فالسبب على الأرجح أنَّ ذلك كان ما يفعله الأشخاص في حالتهم. كانت حياة هانتر المهنية تسير على الطريق الصحيح، فكان هذا هو الوقت المناسب له كي يغلق دائرة حياته الشخصية بشكلٍ كامل، ويعيش في ذلك المنزل الجديد، مع سياج وتدي أبيض حقيقي - وهو مصطلحٌ كانت قد سمعتْ به من قبل ولم تعرف إلامَ يشير بالضبط إلى أن صار لديها سياجٌ حول منزلها، هذا المنزل الذي منح كليهما الفرصة لينخرطا في حياة بدت طبيعيةً بشكلٍ رائع.

كانت تمشي إلى المقاهي القريبة وبحوزتها كمبيوتر محمول يبرز جزءٌ منه خارج حقيبتها القماشية، ويبتسم لها الغرباء في الشارع. كان الناس يفعلون ذلك حقّاً في لوس أنجلوس. لقد كوَّنتْ صداقات جديدة في استديو الرقص، حتّى أنّها كانت تكتب، أو على الأقل تملأ الصفحات بانطباعاتها حول كيف هو الحال حين تكون شابّاً ومتحمّساً لأفكارك المثقّفة، والتي تحسَب أنَّ الناس سيكونون متلهّفين لقراءتها.

عندما وصل استدعاء هيئة المحلّفين بالبريد، لم تكن مايا متأكدة كيف تمكّنوا من العثور عليها بهذه السرعة في عنوانها الجديد. كانت قد رفضتْ تماماً تغيير سجلّها الخاص بالناخبين من مسقط رأسها في نيومكسيكو حيث ترعرعت، حتّى لا يضيع صوتها سواءٌ في نيويورك أو كاليفورنيا. عدا عن ذلك، فهي لم تفكّر كثيراً في الاستدعاء. قد تكون مهمّة هيئة المحلّفين مثيرةً للاهتمام - واحدةٌ من تجارب عديدة، جديدة وتثقيفية يجدر بها أن تبقي نفسها منفتحةً عليها، حتّى أنَّ تجربةً كهذه قد توفّر مؤونة لكتاباتها. مَن

يدري ما نوع غرباء الأطوار الذين قد تلتقيهم في مجموعة المحلّفين؟

اتَّصلتْ بالرقم كما كان مطلوباً في الاستدعاء، وتمَّ إبلاغها عبر رسالةٍ صوتية بالحضور عند الساعة 8:45 صباح يوم 29 مايو في مركز كلارا شورتريدج فولتز للعدالة الجنائية. أحضرتْ معها كمبيوترها المحمول لما اعتقدتْ أنّه سيكون بمثابة مغامرةٍ صغيرة، معتقدة أنّه سيكون لديهم شبكة واي-فاي.

في ذلك اليوم الأوّل، جلستْ مايا بجوار ريك ليونارد.

عزلتْها الخدمة في هيئة المحلّفين عن هانتر على الفور. كانت العودة إلى المنزل كل ليلة والتزام الصمت حيال القضية أمراً شائكاً بحقّ. ماذا كان بإمكانها أن تقول له؟ المحاكمة نفسها كانت بالكاد قد بدأتْ، وبشكل متناقض، كان في وسعه الوصول إلى معلومات أكثر منها. كان بإمكانه البحث في غوغل عن كلِّ شيءٍ يخصُّ بوبي نوك وجيسيكا سيلفر، في حين خضعت مايا لتعليمات صارمة تطلب منها البقاء في ظلام معلوماتي. وللمفارقة، فقد كان هانتر هو الذي يقوم بحجب المعلومات عنها إلى حدٍّ كبير.

مُسِخَتْ أحاديث مائدة العشاء إلى ثرثرة فارغة عن معارفهما. في نيويورك، بدا الأمر كما لو أنّه كان لديهما الكثير من القواسم المشتركة، لكنّها وجدت الآن صعوبة في تذكّر ماهيّة تلك القواسم المشتركة. بدأ هانتر يوحي بأنّه غريبٌ عنها أكثر من المحلّفين الآخرين، فأولئك على الأقلّ ضحكوا على قصصها عن أمريكا الجنوبية.

ثمَّ جاء العزل. لم تكن قد سمعتْ من قبل عن هيئة محلّفين تمَّ عزلها في منتصف المحاكمة.

من الصعب وصف تلك الكثافة المعزولة عن العالم خلال الأسابيع اللاحقة للمحاكمة. لقد أمضوا وقتاً في غرفة المحلّفين أكثر منه في قاعة المحكمة، في الوقت الذي كان فيه المحاميان يناقشان نقاطاً قانونية لم يكن المحلّفون مطّلعين عليها. بدا الأمر وكأنَّ الاهتمام كان منصبّاً على ما لن يسمعوه أكثر من الذي سيكون متاحاً لهم سماعه.

ازداد فضول مايا أكثر فأكثر حيال تلك النقاشات المغلقة بين المحاميَين. ما هي تلك المسائل بالغة الأهمية التي أُخفيَتْ عنها؟ وجدتْ نفسها تنشب أظافرها متمسّكةً بكلِّ جزءٍ من المصطلحات القانونية التي كانت تسمعها قبل أن يخرجها الحاجب ستيف من قاعة المحكمة. ما هو بالضبط الاستثناء «الشامل» من الحظر على الأدلّة الظرفية؟ لماذا بدا أنَّ ولاية كاليفورنيا تتعامل مع هذه الأدلّة بشكلٍ مختلفٍ عن الولايات الأخرى؟ لماذا عنى ذلك أنّهم لن يستمعوا إلى شهادة مدبِّرة منزل عائلة جيسيكا سيلفر؟

كانت محامية الدفاع باميلا غيبسون توحي بالعناد والصلابة في كلِّ مرّةٍ قاطعتْ فيها استجواباً للمدَّعي العام. «اعتراض، سيادة القاضي. الادّعاء يحاول توجيه الشاهد». أو «اعتراض، سيادة القاضي. الحقائق ليست مرتبطة بالأدلّة». لم تفهم جميع الاستدلالات القانونية، لكنّها كانت جيّدةً في الحساب: لقد أيّدَ القاضي كلَّ اعتراضات الدفاع تقريباً، وحوالي ثلث اعتراضات الادّعاء فقط. خلقت غيبسون حولها هالةً مقنعة من الكفاءة العالية.

لم تكن مايا يوماً مفتونةً بالقانون، لكنّها أدركت أيضاً أنّها لم تخض فيه من قبل، ليس عن قرب. وإذ جلستْ هناك كلَّ يومٍ تحدِّق في وجه بوبي نوك وتحاول مواكبة سير الأحداث بينما تعلَّق مصيرُه

على مدخلات ومخرجات التفاصيل الإجرائية غير القابلة للاختراق، فإنَّ كلَّ ما توصَّلتْ إليه هو أنّها كانت بحاجةٍ إلى معرفة المزيد.

18 يونيو، 2009

- «إنّها عن الشوارع ذات الاتّجاه الواحد»، قال لها ريك ذات صباح أثناء تناول الإفطار. كانا جالسين إلى طاولتهما الخاصّة في مطعم الفندق، بينما جلس الآخرون يتناولون طعامهم في مجموعاتٍ من ثلاثة أو أربعة أشخاص. فكّرتْ مايا كم كانت مذهلةً السرعةُ التي قسّموا أنفسهم بها إلى زُمر متمايزة. كانت فران وياسمين وليلا على طاولةٍ، وبيتر وكال وكيلان وأرنولد على طاولة ثانية، وتريشا وكارولينا وجاي على طاولةٍ ثالثة، فيما وقفت كاثي وإنريكي قرب طاولة البوفيه.

فقط واين كان يشرب القهوة على طاولةٍ بمفرده.

كانت الصفوف قد تشكّلتْ بحسب الجنس أوّلاً، ثمَّ بحسب العِرق. أمِلتْ مايا أن تكون هذه مجرّد مصادفة وليست حالة ناجمةً عن غريزةٍ فظيعةٍ موروثة.

- «أطروحتكَ؟»، سألت مايا.

- «نعم»، قال ريك. «تأثير الشوارع ذات الاتّجاه الواحد على الفقر والفصل العنصري في المدن الأمريكية».

- «أطروحتكَ للدكتوراه في جامعة جنوب كاليفورنيا هي عن الشوارع ذات الاتّجاه الواحد؟».

- «الشوارع ذات الاتّجاه الواحد هي إحدى أكثر الأدوات فعالية تستخدمها الحكومات للحفاظ على الفصل العنصري».

- «الشوارع ذات الاتّجاه الواحد عنصرية؟». رفعتْ مايا حاجباً.

- «أنا أتحدّثُ بجدّية». لكنّه ضحكَ، لذا هو لم يكن بتلك الجدّية. «المسألةُ ليست أنَّ الشوارع ذات الاتّجاه الواحد عنصرية. النقطةُ المهمّة تكمن في أنَّه يمكن لهذه الشوارع أن تكون قوّةً مؤثّرة في التخطيط الحضري. أيُّ الشوارع توجّه حركة المرور نحو شوارع أخرى يرسم معالم الأحياء. هذا هو ما أدرسه. تاريخيّاً، عندما أرادت مدنٌ مثل شيكاغو، ديترويت، أو لوس أنجلوس أن تَظهر على أنّها تتصرّف وكأن لا شيء عنصرياً يحدث، وظلّت مع ذلك تشجّع جميع السود، أو جميع اللاتينيين، أو جميع اليابانيين، على البقاء في نفس الفضاء، لقد حوّلوا الشوارع ذات الاتّجاهين إلى شوارع ذات اتّجاهٍ واحد لتحقيق ذلك».

- «هذه بالتأكيد أطول محادثةٍ أجريتها عن الشوارع ذات الاتّجاه الواحد».

تنهّد بتسامحٍ مرحٍ ومبالَغٍ فيه.

كانت مضايقتُه شيئاً ممتعاً، وبدا أنَّ جزءاً منه استمتع بمضايقتها له ذهاباً وإياباً.

- «حي هايد بارك في شيكاغو»، تابع ريك، «هو مثال كلاسيكي لما أتحدّثُ عنه. جامعة باراك أوباما في شيكاغو هي بمثابة جزيرة للطبقة المرفهة مزروعةٍ وسط حيٍّ أسود فقير تاريخيّاً. إذاً، كيف حافظت المدينة على هذا الجيب الراقي على مدى نصف قرنٍ من الزمن؟ عبر متاهةٍ من الشوارع ذات الاتّجاهِ الواحد، والشوارع المسدودة الواقعة بين كوتيج غروف و ليك شور درايف. بالمناسبة، ليك شور هو طريقٌ سريع مجاني».

- «ظننتُ أنَّ كاليفورنيا هي الوحيدة التي لديها طرقٌ سريعة مجّانية».

- «أنا خبيرٌ في الشوارع ذات الاتّجاه الواحد، الطرق السريعة لها اتّجاهان. ما أحاول قوله هو أنَّ الشوارع ذات الاتّجاه الواحد في هايد بارك تجعل من القيادة عبر حرم الجامعة أمراً عسيراً في حالِ كنتِ تحاولين الوصول إلى الأحياء الفقيرة غرباً من الطريق السريع. إنّه ليس فصلاً بموجب القانون - بل من خلال نوعٍ من الإزعاج المدروس».

- «المدينة ترسم الشوارع ذات الاتّجاهِ الواحد...».

- «والجميع يتحرّكون في نفس الاتّجاه».

كان طبق ريك لا يزال مليئاً بالبيض المخفوق الطري. لقد نسي أن يأكل. كان ذلك رائعاً، كيف جعلها تنظر إلى شيءٍ بسيط مثل الشوارع ذات الاتجاه الواحد بطريقةٍ جديدةٍ تماماً.

- «ماذا عن لوس أنجلوس؟»، سألتْ مايا.

- «حسنٌ، وسط المدينة، أيْ غرب سكيد رو...»، شرع بالكلام، ثمَّ توقّف بشكلٍ مفاجئ.

- «ماذا؟».

- «أعتقد أنّه لا ينبغي بي الحديث عن لوس أنجلوس».

- «لماذا؟».

- «لأنَّ أحد القوى الوازنة في تخطيط البنية التحتية للوس أنجلوس... حسنٌ...»، ثمَّ همس: «هو لو سيلفر».

أومأت مايا برأسها. كان محقّاً بالطبع في امتناعه عن الحديث، إذ سيكون الحديث عن لو سيلفر مخالفاً للقواعد. أيُّ كلامٍ عنه سيعني بالضرورة كلاماً عن القضية.

احترمتْ مايا النظرة التي رأتْها في عينيّ ريك حينها. كانت نظرة شخصٍ لن يتهاون في التزامه بتحقيق العدالة واحترام قاعدة كانت قد وُضِعتْ لسببٍ ما.

- «أنا أتفهّم»، قالت له.

لكنّها كانت تتوق مع ذلك لتعرف رأي ريك في القضية. ما رأيه في بوبي نوك؟ أو في الزمرة المتنافرة من خبراء الحمض النووي الذين جلسوا في منصّة الشهود طوال الأسبوع الماضي؟ فتّشتْ عن دليلٍ ما في ملامحه. رغبتْ كثيراً في سؤاله. ألا يمكنهما الحديث ولو لدقيقةٍ حول الشيء الذي كان يستنزف أيّامهم؟

من جانبها، كانت ثقةُ مايا تزداد شيئاً فشيئاً في أنَّ بوبي نوك كان قد اعتُقل بناءً على أدلَّةٍ ضعيفة. كم مرَّةً وُجهتْ تهمة القتل إلى مدَّعىً عليه في الولايات المتّحدة دون أن تكون هناك جثّة حتّى؟ طرحتْ محامية الدفاع هذا السؤال في الواقع على أحد المحقّقين الذين أدلوا بشهادتهم، فكان جوابه: 480 مرة... منذ العام 1800.

أشارت محامية الدفاع أنَّ احتمال أن تضرب الصاعقة بوبي، ومن ثمَّ تعود لتضربه مجدّداً، لهُو أكبر من الناحية الإحصائية من احتمال توجيه تهمة القتل دون وجود جثّة.

ذلك ما لم تكن هناك بالطبع قوىً أخرى تلعب لعبتها. مثل أن تكون الشرطة ببساطة في حاجة إلى اعتقال **شخصٍ ما** بتهمة قتل ابنة ملياردير، فكان بوبي عندئذٍ كبش الفداء المناسب.

كانت مايا تسأل نفسها طوال الوقت: هل كان من الممكن أن يكون بوبي نوك خاضعاً للمحاكمة الآن لو أنّه أبيض؟

لم تكن تعتقد ذلك. وبينما لم تجرؤ على قول ذلك بصوتٍ عالٍ، فقد كانت متأكّدةً أنَّ ريك يوافقها الرأي. ليس لأنّه أسودُ، مثل بوبي. سيكون هذا اختزالاً ماسخاً، وبصراحة أكثر، مسيئاً. لا، لا. كانت مايا تعرف في أعماقها أنَّ ريك يتّفق معها لأنّه كان شخصاً

ذكياً، وعميقاً، ومنصفاً. ولأنَّ الرجل الذي كان ضليعاً في تاريخ الفصل العنصري بواسطة الشوارع ذات الاتّجاه الواحد لا بدَّ أن يكون أكثر اقتناعاً منها بحالة التمييز الممنهَج التي أفضتْ إلى هذه المحاكمة المأساوية لبوبي نوك.

نظرتْ مايا بصمتٍ في عينَي ريك اللامعتين، الغامقتين.

استطاعت أن ترى ذلك في عينيه، رغم أنّه ظلَّ غير معلَنٍ بينهما.

لقد كانا متوافقين.

24 يونيو، 2009

جلس المحلّفون صامتين جميعاً في الحافلة الصغيرة، فيما هم يتّجهون عائدين إلى الفندق. قضوا ستَّ ساعات متتالية يستمعون إلى شهادة الطبِّ الشرعي، وكان الإعياء بادياً على وجوه الجميع. عُثر على شعيرات تطابق الحمض النووي لجيسيكا سيلفر في مقعد الراكب الأمامي لسيارة بوبي نوك، كما عُثر على قطرات دمٍ صغيرة تطابق أيضاً الحمض النووي لجيسيكا سيلفر في كلٍّ من مقعد الراكب الأمامي... وصندوق سيّارة بوبي نوك.

ذكَّرتْ مايا نفسها أنَّ محامية الدفاع لم تبدأ في استجواب شهود جهة الادّعاء بعد. حتّى هذه اللحظة، كانت قد قدّمت تفسيراً معقولاً لكلِّ شيءٍ طرحه المدّعي العام.

لكنَّ هذا لم يبدُ جيّداً.

لدى وصولهم، وإذ شرعوا ينزلون من الحافلة، مالت لِيلا نحو مايا وهمست في أذنها، «غرفة كيلان، بعد عشرين دقيقة».

وبعد عشرين دقيقة، طرقت مايا باب غرفة كيلان. كان لكيلان

شعرٌ طويل وحيوية راكبي الأمواج في كاليفورنيا. كان إلى حدٍّ بعيد الشخص الأكثر اجتماعيةً بينهم، وقد أحبّهُ الجميع رغم أنّه كان يقضي معظم وقته مع بيتر. لم تكن مايا قد ذهبت إلى غرفة كيلان من قبل، ولم تعتقد أنَّ لِيلا فعلتْ ذلك. كان هناك ستّةٌ من المحلّفين لدى وصولها، وسرعان ما وصل البقية كلّهم.

- «إذاً»، قال كيلان آخذاً الأمور على عاتقه. «إليكم ما في الأمر. لديَّ شيءٌ أعتقد أنّكم سترغبون جميعاً في رؤيته. شيءٌ لا علاقة له ببوبي نوك أو جيسيكا سيلفر، أو بقدرتنا على إصدار حكم عادلٍ ونزيه. لكنّني عملياً أخالف القواعد رغم كلِّ شيء. لذا أظنُّ أنَّ ما أريد قوله هو: أنا أثق بكم جميعاً، وآمل أنّكم تثقون بي أيضاً».

كانت مايا مفتونة بهذا الغموض حول ما قد يكون لدى كيلان.

- «إذا كنتم لا تريدون أن تكونوا جزءاً من هذا، غادروا الآن فحسب. لا أسئلة، ولا ضغائن». استدار ليتواصل بصرياً مع كلٍّ منهم، واحداً تلو الآخر.

بقي الجميع.

- «حسنٌ إذاً». ذهب كيلان إلى غرفة نومه وعاد ومعه كيس ورقيٌّ بنيّ. مدَّ يده بداخله. هل كان كوكايين؟ أمفيتامينات؟

أخرج من الكيس قرص DVD لفيلم ويل فيريل Step Brothers. التقطتْه فران عن طاولة القهوة وهي تحدّق في الغلاف وكأنّه جوهرةٌ ثمينة. ثم جاءت بعده أفلام Harry Potter، Order of the Phoenix، The Reader، وYes Man.

- «من أين حصلتَ على هذا؟»، سأل ريك.

هزَّ كيلان رأسه. «آسف. الطريقة الوحيدة لسير هذا الأمر هي أن أبقي جهة اتّصالي محمية».

أخذ المحلّفون يمرِّرون الأقراص لبعضهم البعض. لم تكن فران قد سمعتْ عن فيلم Yes Man. قالت لِيلا إنّه مضحك جدّاً. سألت تريشا كيلان إذا كان يظنُّ أنّها قد تحبّ فيلم Taken.

في تلك الليلة، سهرت مايا ولِيلا وريك يشاهدون فيلم The Reader في غرفة لِيلا. ألقى ريك نكتةً حول كونه فيلماً «سطحياً على نحوٍ راقٍ». وجدت مايا نزعته الفطرية للاعتراض محبَّبة.

حين بدأت لِيلا تغفو، شعرت مايا بريك يقترب منها، لكنّهما لم يقتربا لدرجة التلامس.

لم تخن مايا قط طوال حياتها، ولم تكن على وشك أن تبدأ في ذلك الآن.

حين اتّصلت أوّل مرّةٍ بهانتر في الساعة المخصّصة لهم من أجل ذلك كلّ ليلة، شعرتْ بالارتياح حين لم يجب، ثمَّ شعرتْ بالذنب لأنّها شعرتْ بالارتياح. ينبغي بها أن ترغب في التحدّث إلى حبيبها. هذا ما يفعله البشر حين يكونون متباعدين. إنّهم يتحدّثون مع بعضهم عبر الهاتف كل يوم، ويشتاقون إلى بعضهم البعض.

ومع ذلك، فقد كان من المستحيل العثور على أشياء لتقولها له لمدّة ثلاثين دقيقة، خاصةً عندما يكون محظَّراً عليها التحدّث عن الشيء الذي تقوم به طوال يومها. ولم يكن الأمر كما لو أنَّ لديه الكثير ليقوله عن وظيفته أيضاً. أصبحتْ لحظات الصمت المتكلّفة تلك لا تطاق، ووجدتْ نفسها كلّما تحدّثا تراقب الساعة وتتساءل كم عليها أن تبقى على الخطّ حتى لا تجرح مشاعره.

بعد أن فوّتَ تلك المكالمة - بسبب عشاء عملٍ متأخر - قالت له ألّا يقلق بشأن ذلك. شعرت بالرضا من قدرتها على مسامحته. لم

تكن علاقتهما من النوع الذي قد يكون فيه أيٌّ منهما الشخص السيّء.

بدأتْ تتّصلُ به كلَّ ليلتين.

ثمَّ كلَّ ثلاث ليالٍ.

6 يوليو، 2009

كانت مايا مع ريك على سريره يشاهدان فيلم Michael Clayton. بعد لحظةٍ، لم يعودا كذلك. كانا صاحيين تماماً، ومدركَين لما يفعلانه. كان الإحساس ببشرة ريك وهي تحتكُّ ببشرتها مثيراً، مخيفاً، ومذهلاً.

عند السادسة من صباح اليوم التالي، تسلّلتْ عائدةً إلى غرفتها، أسفل غرفته بطابقٍ واحد. استحمَّتْ، وارتدتْ ملابسها، وأعدّت كوب القهوة الذي كانت بأمّس الحاجة إليه. وأدركتْ أنّها إذا ماتتْ في ذلك اليوم، فلن يعرف أحدٌ أنَّ تلك الليلة قد حدثت على الإطلاق.

في المساء، تحوّلتْ إلى ثرثارة حين تحدّثتْ مع هانتر على الهاتف. تحدّثتْ بإسهابٍ كبير عن بوفيه الإفطار في ذلك الصباح، أكثر ممَّا تحدّثَ أيُّ شخصٍ عن البيض المخفوق يوماً.

كانت تشعر بالذنب بطبيعة الحال، على نحوٍ عنيف، لكنّ الشخص الوحيد الذي كان يمكنها أن تناقش معه شعورها بالذنب المقزّز هذا هو ريك. لم يكن إحساس الخيانة كما كانت تعتقد. الغراميّات المحرّمة كانت خيار الجبناء حين لا تمنحهم علاقاتهم ما يحتاجون إليه. والخيانة ليست سوى ملاذٍ للرومانسيين الضعفاء. هكذا كانت توصَف هذه الغراميات بين صديقات مايا، وكانت أكثر

من واحدةٍ منهنّ قد وجدتْ نفسها في موقع الشخص الذي تعرَّض للخيانة، لكنَّ أيّاً من تلك الخيانات، والتي بسببها قدّمتْ لصديقاتها العزاء، والعناق، والكحول، لم تبدُ أيٌّ من تلك الخيانات مثل هذه.

أمضتْ مايا الليلة التالية مع ريك، إذ بدتْ العودة إلى غرفتها لتكون وحيدةً مع ذنبها فكرةً لا تطاق. وفي الليلة الثالثة، اقترح ريك أن يناما في غرفة مايا. طرح الفكرة بمنتهى الكياسة والصراحة.

الفحش في علاقتهما جعلهما أكثر قرباً حتّى. ماذا ينبغي بها أن تفعل بشأن حبيبها؟ ماذا في وسعها أن تقول له، ومتى قد تفعل ذلك؟ تناقشا في ذلك بصراحة. لن تكون هناك أسرارٌ بينهما. أخيراً، كان هناك شخصٌ ليست مضطّرةً لإخفاء شيءٍ عنه، وكان الكلام نفسه ينطبق عليه.

في الفضاء الخاص لعالمهما المكوّن من شخصين، كان بإمكانهما الحديث عن الكون بأكمله خارج المحاكمة. كان بإمكانهما الحديث عن كلِّ ما لم يكن موجوداً أمامهما، وهذا يشمل معظم الأشياء في العالم. الروايات التي أحبّاها، الأفلام التي كرهاها، لماذا اختار ريك الدراسات العليا، ولمَ لم تفعل مايا، وماذا يُفترض أن يعني مفهوم الحبُّ على أيّ حال.

اتّفقا أنَّ الحبَّ يجب أن يعني أوّلاً وقبل كلِّ شيء الصدق الشامل والكامل.

خلقت الطبيعة السرّية لعلاقتهما حلقةَ تغذية راجعة: سِرّهما الرومانسي لا تمكن فلسفته أو الحديث عنه إلّا بينهما، لذا أرادا قضاء المزيد من الوقت مع بعضهما. كانت علاقتهما الحميمة سبب قربهما ونتيجته.

أصبحتْ حيلتهم روتينية: كانت تتسلّل في بعض الليالي إلى

غرفته عبر الدرج الخلفي، وفي ليالٍ أخرى كان ريك يتسلّلُ إلى غرفتها. لم يكن من الصعب تجنّب الحرّاس في ذلك الوقت المتأخر، لكنَّ الوضع كان أصعب في الصباح، إذ كان عليهما انتزاع نفسهما من الفراش في وقتٍ مبكّر لتفادي أيٍّ شخص قد يكون في الردهة. في كلّ صباحٍ كانت مايا تتسلّل فيه من غرفة ريك، كانت تختبر لحظةً من الرعب حين يتمزّق ذلك الحجاب الفاصل بين عالمها السرّي والعالم الذي في الخارج. ومن ثمَّ كان الخطر يختفي والعالم الذي تركتْه يصبح حلماً من جديد.

ذات صباح، وبعد ما يقارب العشرة أسابيع على بدء المحاكمة، غادر ريك غرفة مايا ثمَّ عاد على الفور.

- «لقد رآني واين»، قال وهو يسارع في الدخول إلى الغرفة.

- «ماذا تقصد بأنّه رآك؟».

- «ذهبتُ إلى الرواق... كان واين هناك».

- «ماذا قال؟».

- «لم يقل أيَّ شيء».

- «ماذا قلتَ؟».

- «لم أقل أيَّ شيء».

- «هل رآكَ تخرج من غرفتي؟».

- «لا أعرف. هو رآني... مرَّ بقربي... رمقني بتلك النظرة... ثمَّ ذهب».

- «أيُّ نوعٍ من النظرة؟».

- «مثل... نظرة».

- «نظرةُ أنّه يعرف؟».

أوه، يا لتلك الساعات التي قضياها وهما يناقشان تلك النظرة!

هل كانت مصحوبةً بابتسامة؟ في أيِّ اتّجاه مال حاجباه؟ هل حقّاً لم يصدر أيَّ صوتٍ على الإطلاق؟

لم يكتشفا ابداً ما الذي كان واين يعرفه، أو مَن أخبرَ، هذا إن كان قد أخبر أحداً، لكن من الواضح أنّه لم يشِ بهما إلى القاضي. وإنْ كان أيٌّ من المحلّفين الآخرين يعرف بالأمر، فإنَّ أحداً لم ينطق بكلمةٍ.

ومع المضيِّ قدماً في المحاكمة، ظلَّت مايا وريك على التزامهما المعلَن: عدم مناقشة القضيّة على الإطلاق.

كان كسرُ العديد من القواعد الأخرى هو ما جعل الحفاظ على هذا الالتزام أمراً مقدَّساً. كانا بالطبع يرغبان في التحدّث عن جيسيكا سيلفر وهما مستلقيان في السرير، وقد التفَّ جسداهما حول بعضهما مثل جديلة، لكنّهما كانا هناك كي يمنحا لبوبي نوك محاكمةً عادلة. وإن لم يحدث ذلك، فستكون كلّ التضحيات التي قدماها في سبيل واجب الخدمة قد ذهبت أدراج الرياح.

وحيث أنّهما لا يستطيعان التكلّم عن الحاضر، فقد تكلّما عن المستقبل. كانا في تلك السهرات المتأخرة وهما وسط ملاءات الفندق الناعمة - كانا يضعان الخطط.

أحبَّتْ مايا الطريقة التي تحدَّث بها عن المستقبل. رسمَ ريك أيّما مشاهد، متنوّعة، ومقنعة، وتفصيلية:

حين تنتهي المحاكمة، مايا سوف تهجر هانتر، وريك سينتقل من شقّة جيل. سيعثران على مكان جديد لهما. ألن تكون منطقة إيكو بارك رائعة؟ كان مستقبل لوس أنجلوس نحو الشرق. سوف ينهي ريك رسالة الدكتوراه، وستنهي مايا كتابها. وهذا الوقت الذي يقضيانه في المحاكمة سيوفّر لكليهما ذخيرةً ممتازة.

سيُشركان عائلتيهما في مسألة علاقتهما في الحال. بحلول ذلك الوقت، سوف يكونا قد تدبّرا حكايةً لا تكتمل فيها علاقتهما الرومانسية إلّا بعد انتهاء المحاكمة.

كانت العلاقة التي اخترعاها مغرِقةً في الرومانسية. شخصان متشابهان فكرياً، التقيا بمحض الصدفة أثناء تأدية الخدمة المدنية استجابةً لنداء العدالة. من بين كلِّ سكان لوس أنجلوس الذين قد يتمُّ استدعاؤهم لواجب هيئة المحلّفين، ما هي احتمالية أن يُلقى بهذين الشخصين معاً؟

كانا يتمازحان حول ذلك لكونه نوع القصص المبتذلة التي ينقضُّ عليها قسم الزيجات وحفلات الزفاف في صحيفة **نيويورك تايمز**.

ابتكرا معاً مستقبلاً أعادا فيه صياغة ماضيهما. وقعتْ مايا في حبِّ الشخص الذي كان ريك يأمل أن يكونه في النهاية. وبدا أنَّ ريك وقع في حبِّ الشخص الذي اعتقدتْ بصدقٍ أنّها في طريقها إلى أن تكونه.

فيما هي مستلقية بجانب ريك في تلك الليالي، كان في وسع مايا أن تسمع الأصوات الخافتة للمدينة في الأسفل. كانت تلك الهمهمة تمتزج داخل أذنيها مع صوت أنفاس ريك البطيئة، فتشعر بنفسها على شفير هاويةِ شيءٍ رائع.

28 سبتمبر، 2009

اقتيد المحلّفون إلى غرفتهم ليبدؤوا مداولاتهم بعد دقائق قليلة من انتهاء المحاكمة. بالكاد استطاعت مايا السيطرة على حماستها. أخيراً، وبعد أربعة شهور من الالتزام المبدئي بالصمت، يمكنهم

الآن مناقشة الكثير ممّا لم يتكلّموا عنه لفترةٍ طويلة. كانت تنظر إلى ريك طوال الوقت، فيما هو يحاول تجنّب التواصل البصري. لا بدَّ أنّه كان مأخوذاً في حالةٍ من الترقب، كحالها تماماً.

لكن قبل أن تدخل المجموعة في أيّ نقاشٍ حول القضيّة، قرّرت ممثلة الهيئة أنّه يجدر بهم أن يجروا تصويتاً أعمى. وزّعت عليهم بطاقاتٍ وأقلاماً سوداء، وانحنى الجميع فوق بطاقاتهم فيما هم يخربشون تصويتهم.

لم تكن مايا متأكدة كيف سيصوّت الآخرون. سيكون ريك في صفّها طبعاً، وكذلك ليلا، وتريشا، وربّما كاثي.

جمعت ممثّلة الهيئة البطاقات وقرأتها بصوتٍ عالٍ:

- «مذنب، مذنب، مذنب، مذنب، مذنب، مذنب، غير مذنب... مذنب، مذنب، مذنب، مذنب، مذنب».

أصيبت مايا بالدوار. كيف يمكن هذا؟ لم تعرف ماذا ستقول بينما كان الجميع يسبرون وجوه بعضهم البعض في محاولةٍ لمعرفة مَن كان المُعْتَرِض بينهم.مكتبة سُر مَن قرأ

- «ربّما ينبغي بنا أن نتشارك أفكارنا جميعاً، واحداً تلو الآخر»، قالت فران غولدنبرغ.

- «ربّما يجدر بالشخص الذي صوَّتَ بـ 'غير مذنب' أن يبدأ»، قال ريك.

لم تكن مايا واعيةً حتّى بما تفعله وهي ترفع يدها ببطء.

7

كم مِن الأشخاص يعرفون بشأن كلِّ هذا؟

الآن

كشفتْ شمس الظهيرة عن طبقات غبار رقيقة تغطي الأسطح في غرفة جلوس مايا بينما كانت تخبر كريغ بكلِّ شيء.

- «كنتِ الوحيدة التي خرجت عن الإجماع عبر التصويت بـ «غير مذنب»؟»، سأل كريغ.

- «نعم». أسندت ظهرها إلى الكرسيّ وأخذتْ رشفةً من كوب القهوة التي كانت قد أصبحتْ باردة.

- «وكان ريك متشبّثاً بتصويته بـ 'مذنب'».

- «نعم».

- «يبدو هذا... باعثاً على التوتّر».

- «بحلول الوقت الذي عدنا فيه إلى الفندق تلك الليلة، كان حلقي قد تقرّح. فكرةُ التجادل أكثر مع ريك كانت... لم يقل أحدٌ كلمةً واحدة أثناء العشاء. كان الصمتُ رهيباً، اثنا عشر شخصاً

يمضغون فحسب. بعد أن نام الجميع، دقّ ريك جرس باب غرفتي. دخل كالعادة، و...».

تناولت رشفةً أخرى من القهوة الباردة. «كان كلانا مضطَّرباً حدَّ الهذيان في تلك المرحلة. قلتُ إنّني لستُ قادرة على التحدّث أكثر. قال إنّه ليس علينا ذلك، يمكننا أن نستلقي فحسب، ثمَّ نغطُّ في النوم. قال إنّه يريد فقط أن يشعر بالقرب منّي. لكنَّ هذا لم يكن ممكناً... كانت علاقتنا برمّتها مبنيّةً حول تجنّب القضيّة. لكن الآن - كيف يسعني أن أستلقي بجانبه دون أن أتحدّثَ عن حقيقة أنّه يريد إرسال بوبي نوك إلى السجن؟ ولم يكن النقاش دون وجود البقيّة مقبولاً. كانت قواعد المحكمة بهذا الشأن واضحة: لا أحاديث جانبية خارج غرفة المحلّفين. كانت هذه القواعد أكثر أهمّيةً حتّى من أيِّ وقتٍ مضى. أخبرتُه أنّه يجدر بنا التوقُّف».

- «كيف تقبّل الأمر؟».

عرفتْ مايا إلى أين يريد كريغ أن يصل. «ليس بشكلٍ جيّد».

- «كان غاضباً؟».

- «لم يتفهّم الأمر. ظلَّ يكرّر 'ماذا عنّا؟ ماذا عن حياتنا معاً؟ أنتِ لا تهتمّين وحسب؟' لكن كانت هذه هي المشكلة. ريك كان رجل الأشياء المؤكَّدة. هو يحتاج **للتأكّد** من أنَّ بوبي نوك قتل جيسيكا سيلفر، تماماً مثلما يحتاج **للتأكّد** من أنّنا سنكون معاً. لم يكن يستطيع العيش مع عدم المعرفة. وأنا - حسنٌ، أنا لم أكن أعرف. ظلَّ يسأل، ويكرّر السؤال، 'كيف لي أن أتأكّد أنَّ بوبي لم يقتلها؟'. وظللتُ أقول 'أنا لستُ متأكّدة! لا أظنُّ أنَّه فعل ذلك، لكن ربّما يكون فعل...'. وقد أجّج هذا من غضب ريك أكثر فحسب. أنا أفهم ذلك. تلك الحاجة الى المعرفة. الجميع لديهم

تلك الحاجة. لكن ربّما النضج يعني أن تتقبّل أنّكَ لستَ قادراً دائماً على تلبيتها».

أخذت مايا نفساً طويلاً. «شعر بخيبة أمل كبيرةٍ بي. لكنّه لم يفهم أنّي كنتُ خائبة الأمل أيضاً. هذا الاكتشاف المهول أنّنا لا نصلح أحدنا للآخر، وأنَّ هذه الهوّة التي تفصل بيننا كانت سحيقة جدّاً - لا أعتقد أنّي شعرت يوماً بخيبة أمل كبيرة كهذه حيال أي شيءٍ في حياتي».

- «هل غادر غرفتكِ غاضباً تلك الليلة؟».
- «لقد غادر غرفتي حزيناً»، قالت بإصرار.
- «ثم. . .؟».
- «هذا كلُّ شيء».
- «لم تناما سوياً بعد ذلك؟».
- «لا».
- «ولم تتحدّثا مجدّداً حول علاقتكما الحميمة؟».

هزَّت كتفيها. ماذا عساها أن تقول؟ كانت علاقتهما مؤسَّسةً على سوء فهمٍ متبادل. بمجرّد أن تحطّم الوهم، تبخَّر مستقبلهما المتخيَّل.

تحوَّلت علاقتهما الرومانسية العظيمة إلى مجرّد نزوة عابرة.

أومأ كريغ برأسه. إمّا أنّه فهم، أو لم يفهم شيئاً على الإطلاق. لم يكن هذا بشكلٍ أو بآخر مهمّاً من أجل دفاع مايا.

شرحتْ كيف أنَّ التوتّر بينها وبين ريك ازداد فحسب مع المضيّ قدماً في المداولات. استطاعت الإطاحة بالمحلّفين الآخرين واحداً تلو الآخر وجعْلهم يقفون في صفّها - فيما بدا أنَّ ريك لا يجادل أحداً سواها. تشبث بموقفه بعنادٍ أكبر. بدا كما لو كان يعتقد أنّه عبر إقناعها

بحجّته سوف يتمكّن من إقناعها باستئناف علاقتهما. وصل الأمر أخيراً إلى تصويتٍ ضدّه بواقع 11 مقابل 1. لكنّه مع ذلك، لم يستسلم. كانت مايا تعرف مدى صعوبة الجدال مع أحد عشر شخصاً كانوا جميعاً متحالفين ضدّك. ورغم ذلك، ظلَّ ريك ثابتاً على موقفه.

طلبَ من القاضي أن يعلن تعليق عمل هيئة المحلّفين. رفض القاضي ذلك. لقد قطعت الهيئة كلَّ هذا الطريق وصولاً إلى هذه النقطة، ولم يكن مسموحاً لهم برميٍ كل شيء خلف ظهورهم ومغادرة المحكمة، والبدء من ثمَّ مع مجموعةٍ جديدة من المحلَّفين.

كان هذا هو بالتحديد ما جعل ريك يتراجع أخيراً: فكرة أنّهم إن لم يصدروا حكماً، فسوف يكون مصير بوبي في يد مجموعةٍ أخرى من الغرباء. وسيكون على العدالة التي تستحقّها جيسيكا سيلفر أن تتحقّق على يد أشخاص لن يهتمّوا للأمر بالقدر الذي أبدتْه هذه المجموعة، وهو ما كان ريك متأكّداً منه.

- «إن لم نقم نحن بهذا، فمَن سيقوم به؟»، قال ريك.

إذا كان أحد عشر من أصل اثني عشر شخصاً مؤهلاً للبتّ في هذه القضية واثقين من أنّه ينبغي بهم التصويت بـ «غير مذنب»، إذاً فليكن ذلك.

بدا تنازُل ريك وكأنّه تخلٍّ عن أيِّ أمل في أن يتمكّن من إقناعها، وفي أن يكونا معاً في يومٍ من الأيام.

لم تكن مايا قد روتْ هذه القصة لأحدٍ من قبل. ليس لحبيبها هانتر - لأسبابٍ واضحة - حتّى عندما انفصلا بعد أشهرٍ قليلة من المحاكمة. ليس لأسرتها أو لأصدقائها أو زملائها في العمل. وبطبيعة الحال هي لم تقل كلمةً واحدة لأيٍّ من المحلّفين الآخرين.

كانت قاعات المحاكم محور حياتها الاجتماعية، وقد تعلّمت كيف تلعب هناك ببراعة وتكسب المحلّفين إلى صفّها. لكنَّ علاقتها بريك كانت حاضرةً لوقتٍ طويل كذكرى لطالما تلعثمت مايا خلال محاولاتها لتجسيدها لغويّاً. كما بدا لها من غير النزيه تحويل تلك الأحاسيس عن الذنب، والتحدّي، والفقد الغاضب إلى قصّة أمكن لها أنْ تتشاركها في غرفة معيشة بعد ظهر يوم خميس، حتى وإن كانت تقول الحقيقة. بدتْ الكلمات تافهة، أو تنمُّ عن حنين ساذج، أو خارجةً من عيادة.

كيف لها أن تصف الأحداث التي أحاطت بأكثر تجارب حياتها فرادة لشخصٍ لم يكن هناك؟ فيما هي تتحدّثُ إلى كريغ، لم تنفكَّ تتخيّل ريك جالساً بجانبها. كان هو الشخص الوحيد الذي يمكنه المساعدة في شرح ما كان عليه الحال.

والآن هو لن يتمكّن من فعل ذلك مطلقاً. هل أملتْ أنّهما سيتمكنان ذات يومٍ أن يجلسا معاً ويحلّلا ما حدث؟ أن يحاولا معاً فهمه وإيجاد معنىً له؟ ربّماً كان هذا ما أرادتْه منه حقّاً الليلة الماضية. ما يثبت أنَّ ما كانت مرغمةً على تذكّره لوحدها كان ذات يومٍ حقيقياً، ومشتركاً. الحديثُ عنه الآن جعلها تتساءل ما إذا كانت قد أحبّتْه، وما إذا كان قد أحبّها. لم يقولا الكلمة أبداً آنذاك. هل كان ليقولها، الآن؟ أو في الأمس، لو كانت طرحت عليه السؤال قبل أن يدخل أحدهم غرفتها ويسحق جمجمته؟

ولأوّل مرّة منذ سنوات، وجدتْ نفسها تفتقده حقّاً. ليس ريك الذي ظهر على التلفزيون وأطلق عليها أقبح الأسماء؛ ليس ريك الذي انقلبَ عارُه الناجم عن قبوله مجاراتهم إلى هوسٍ لا يرحم؛ بل ريك الذي كان يستلقي بجانبها على سرير الفندق، ويداه تمسدّان

شعرها فيما هو يحدّثها عن وحشية الشوارع ذات الاتّجاه الواحد وطغيان الطرق التي لا رجعة فيها.

- «كم مِن الأشخاص يعرفون كلَّ هذا؟»، سأل كريغ حين انتهتْ.

- «أنتَ أوّل شخصٍ أخبره على الإطلاق. لكن لا فكرة لديّ إلى مَن تحدّث ريك بعد المحاكمة. العائلة ربما؟ الأصدقاء؟ وربّما لا أحد».

- «وواين راسل؟».

تنهّدتْ مايا. «أنا لا أعرف حتّى ما الذي رآه. أو ما يعتقد أنّه رآه. ناهيك عمّا يمكن أن يكون قد أخبره لأيٍّ كان».

- «هناك شخصٌ آخر يعرف على الأقل بعضاً من هذه القصّة. لأنَّ أحدهم أخبرها للشرطة هذا الصباح».

كانت قد أمضت الكثير من الوقت على مرِّ السنين تتساءل عمّا إذا كان هناك شخصٌ آخر يعرف سرّها. «واين لم يأتِ إلى لمِّ الشمل».

- «هو يعيش في كولورادو. أخبر المنتجون مايك أنّهم اتّصلوا به، وقال لهم كلمتين وأغلق الخط».

- «ما هما الكلمتان؟».

- «تبّاً، لا».

- «هذا يشبهه».

- «ربّما يكون قد أخبر الشرطة. أو أنّه أخبر الشخص الذي أخبر الشرطة. وعلاوةً على ذلك، فقد دعوتِ ريك إلى غرفتكِ الليلة الماضية».

- «نعم».

- «هل مارستما الجنس؟».

- «لا».

توقّف كريغ قليلاً. «الصدق المطلق من مصلحتكِ في هذه المرحلة. يمكننا إجراء فحصٍ لكِ. إن مارستما الجنس - جنسٌ عنيف على وجه الخصوص - فقد نتمكّنُ من العثور على تمزّقٍ طفيف في أغشية المهبل. يمكننا الاستفادة من ذلك في...».

- «لقد فهمت»، قالت له. «لكن أقسم أنّنا لم نمارس الجنس. لقد... تحدّثنا فحسب».

- «عن ماذا؟».

- «عن حياتنا الآن. تناولنا مشروباً، ثمَّ تحدّثنا عن كم كان أمراً سريالياً أنّنا نتناول مشروباً معاً. سوف يعثر رجال الشرطة على آثار حمضٍ نووي عائد لريك على واحدة من الكأسين. بعدها... بدأنا نتجادل».

- «حول ماذا؟».

تنهّدتْ مايا. «حول الشيء الوحيد الذي تجادلنا بشأنه يوماً».

بدا كريغ متعاطفاً. وبدت له وجهتا النظر المتناحرتان حول جريمة تعود لعقدٍ من الزمن مثيرتين للاهتمام تماماً إلى الدرجة التي تساعده على إبقاء مايا خارج أسوار السجن.

- «كان لدى ريك دليلٌ جديدٌ»، قال كريغ. «أو هذا ما أخبر به المنتجين».

- «لم يخبرني ما هو. قال إنّه كان يخطّط لكشفٍ مبهرٍ أمام الكاميرات».

- «لقد أوحى للمنتجين بأنَّ هذا الدليل سيكون بمثابة الدمار الشامل لبوبي نوك».

- «وهو ما لا معنى له. مبدأ الخطر المزدوج(*)».

- «هناك استثناءات».

- «تقصد الجرائم الفيدرالية(**)؟ لن يقترب أيُّ مدعٍ عام في العالم من ذلك بسبب كابوس التعديل الخامس(***)».

- «لنقل أنَّه كان عازماً جدّاً على المحاولة. ما الذي سوف يحتاجه ليجعل مدّعياً عاماً للولايات المتَّحِدة يلتقط الطعم ويسمح بإعادة فتح القضيّة؟».

حاولت مايا مجاراة اللعبة. «ينبغي في المقام الأول وجود ارتباطات فيدرالية للقضيّة. القتل جريمة من اختصاص الولاية، لذلك سيحتاج إلى تهمةٍ مثل... الخطف عبر حدود الولاية؟».

نظر إليها كريغ مشجّعاً. كانت لديه نفس الفكرة. «جثّةٌ عبر الحدود ستفي بالغرض. أو قطعةٌ من ملابس الفتاة، أيُّ شيءٍ يشير إلى أنّها نُقلتْ عبر حدود الولاية قبل وفاتها».

- «لكن ما لم يكن هذا الدليل محكماً - وأتحدّثُ هنا عن بصمات بوبي نوك على سكّينٍ مغطّىً بدم جيسيكا سيلفر. سيبقى ريك بحاجةٍ لإقناع مدّعي عام الولايات المتّحدة بأنَّ المحاكمة الجديدة ستجري بشكلٍ أفضل من سابقتها».

(*) انظر الهامش في الصفحة 66.

(**) الجرائم الفيدرالية: هي الجرائم التي تخضع للقوانين الفيدرالية، أي أنَّ الملاحقة القضائية فيها لا تتوقّف عند حدود الولاية التي ارتُكبت فيها الجريمة، بل تشمل كامل الأراضي الأمريكية - المترجم.

(***) التعديل الخامس: تعديلٌ في الدستور الأمريكي يحتوي عدداً من النصوص المتعلّقة بالقانون الجنائي، بما فيها حقّ التزام الصمت وعدم الإجابة على الأسئلة لتجنّب قول أيِّ شيء قد يكون مجرِّماً - المترجم.

- «مثل الكشف علناً عن أدلّةٍ على سوء سلوك هيئة المحلّفين في المحاكمة الأولى».

- «هل تعتقد أنَّ ريك كان ينوي أن يكشف للعلن ما حدث بيننا؟».

- «أنا بالتأكيد لا آمل ذلك. فمن شأن هذا أن يعطيكِ دافعاً صريحاً لقتله».

استذكرتْ مايا حديثها مع ريك في مطعم الفندق وأدركتْ مدى ضآلة ما اكتشفتْه من خلاله. ماذا كان يفعل طوال العشر سنواتٍ الماضية بحقِّ الجحيم؟

ما الذي لم يخبرها به؟ حقّاً، ماذا كان؟

- «ماذا عن المحلّفين الآخرين؟»، سألتْ مايا. «هل حصل مايك ومايك على حجج غياب لهم؟».

قلّب كريغ في الرسائل على جهازه الآيفون. «هل لديك سبب للاعتقاد بأنَّ أحدَ زملائك المحلّفين كان ليرغب في قتل ريك وإلصاق التهمة بكِ؟».

كان من الصعب تخيّلُ أنَّ أيّاً من الآخرين قد يفعل شيئاً كهذا. ومع ذلك، إذا كانت مايا قد استنبطتْ حقيقةً واحدة من كومة الشكوك المحيطة بوفاة جيسيكا سيلفر، فهي أنّه لا أحد في مأمنٍ من أقرانه البشر. يمكن لأيِّ شخصٍ أن يُقتَل؛ يمكن لأيٍّ أن يكون مشتبهاً به. يمكن لأيِّ شخصٍ أن يجد نفسه في نهاية سلسلة طويلة من القرارات السيئة، فيشعر أنّه لا سبيل آخر أمامه سوى أن يقدِم على فعل شيءٍ فظيع.

إن لم يكن بوبي نوك قد قتل جيسيكا سيلفر، فمَن فعل إذاً؟
لطالما سأل الناس مايا. عليها أن تعترف أنّها كانت تملك الجواب

الأقلّ إرضاءً على الإطلاق: هي لم تكن تعرف. لكن إذا أمكن قول شيءٍ بهذا الشأن، فهو أنَّ جهلها جعلها أكثر خوفاً فحسب. لأنَّ هذا يعني أنَّ قاتل جيسيكا، وقاتل ريك كذلك الأمر، لا يزال هناك في الخارج. طوال هذه السنين، لقد تفرّج أو تفرّجتْ على بوبي وهو يتحمّل مشاقّ المحاكمة، والإدانة من محكمة الرأي العام إن لم تكن من المحلّفين، والتدمير الممنهَج لحياته بأكملها. ما الذي جناه القاتل الحقيقي من كلِّ ذلك؟ إن كانت مايا على حقّ، فهذا يعني أنَّ هناك شريراً طليقاً بين أهالي لوس أنجلوس. قد يكون أيَّ شخص. في بعض الأيام راودها شعورٌ كما لو كان الجميع هم القاتل. كما لو أنَّ المدينة نفسها قد ابتلعتْ جيسيكا.

- «قد يكون لدى أيٍّ منهم سبب»، قالت مايا.

بدا كريغ متفاجئاً.

- «أعتقد أنَّ هناك سبباً جعلني أوظِّفكُ في المقام الأوّل».

ابتسمتْ مايا. وحدهُ كريغ يستطيع استخلاص شيءٍ قيّم من مهاراتها الممتازة في الارتياب وعدم الثقة.

- «لم يقدّم أحدٌ منهم حجج غياب للشرطة»، قال كريغ. «حتّى أنَّ قلّةً منهم فقط - بحسب مايك ومايك - قد قال للشرطة لو كلمةً واحدة. يبدو أنّه أيّاً تكن الدروس التي تعلّمتِها قبل عشر سنوات حول تجنّب الفخاخ في نظام العدالة الجنائي، فقد تعلّموها هم أيضاً».

أثار هذا إعجاب مايا. حاولت أن تتخيّل فران غولدنبرغ الأمّ الرؤوم وهي تطلب من رجال الشرطة أن يغربوا عن وجهها حين جاؤوا ليسألوها أين كانت وقت وقوع الجريمة.

لكن بالطبع إن لم يعطِ أيٌّ منهم شيئاً للشرطة، فإنَّ هذا سيزيد

من صعوبة أن تتمكّن مايا من اكتشاف ما حدث فعلاً لريك. ومن صعوبة أن تبقى هي نفسها بعيداً عن السجن.

لقد كانت في وضعٍ حرجٍ فعلاً. «هل مايك ومايك في المكتب؟ أودُّ أن أرى كلَّ ما لديهما».

- «سوف أرسل لكِ أيَّ شيءٍ مثيرٍ للاهتمام بعد أن أطّلع عليه. لكنَّكِ لن تذهبي إلى المكتب. أنتِ في إجازة».

قال ذلك وكأنّه يذكّرها بمحادثةٍ كانا قد أجرياها من قبل.

- «أنتَ توقفني عن العمل؟».

- «لا، أنتِ تطوّعتِ لأخذ إجازة».

- «ظننتُ أنّكَ - محاميَّ الشخصي».

- «أنتِ تحصلين على أحد الأمرين. إمّا أنّي رئيسكِ، أو محاميكِ. لكن فيما يتعلّق بالخيار الأول، فلا يمكنني أن أدعكِ تعملين على قضايا الشركة الأخرى. ليس قبل أن ينتهي هذا الأمر».

وقف كريغ.

- «إذاً، ماذا يُفترض بي أن أفعل؟»، قالت مايا.

- «سأوصي لكِ بقاعدتي الأولى مجدّداً: استمرّي في عدم القيام بأيِّ شيءٍ غبيّ». رفع حقيبته عن الأريكة.

لم تتخيّل مايا الجلوس وحيدةً في منزلها الذي بدا غريباً عنها فجأة، فيما هي تنتظر أن يُلقى القبض عليها. «لا بدَّ أنَّ هناك شيئاً يمكنني المساعدة فيه».

- «أريد منكِ أن تعيدي التفكير في كلِّ القضايا التي عملتِ عليها، وأن تسألي نفسك ما إذا كان أيٌّ من عملائك قد فعل أيَّ شيءٍ يفيد في الدفاع عنهم».

كان عليها أن تعترف بأنّه على حقّ.

ثمَّ تابع: «أميلُ حالياً لفكرة الدفاع عن النفس، وإلى أن نتّخذ قراراً نهائياً، فإنَّ الشيء الوحيد الذي يجب عليكِ فعله هو عدم فعلِ أيّ شيء».

ثمَّ ذهب.

أمضت مايا الساعات القليلة التالية في طمأنة عددٍ متزايد من الأشخاص بأنّها بخير. كان والداها وبعض الأصدقاء قد تركوا رسائل صوتية أو رسائل نصيّة بعد رؤيتهم التقارير الإخبارية حول جريمة القتل. لم تدرجها التقارير على أنّها «شخص ذو أهمية» في القضيّة. لكنّها ذكرتْ أنّه تمَّ العثور على جثة ريك في غرفتها، وكانت تبعات ذلك واضحة. أمكنها فقط أن تتخيّل برعبٍ النظرة على وجه والدها فيما هو يؤدّي طقوس الإفطار المعتادة جالساً إلى طاولة المطبخ في منزل طفولتها في ألباكركي، ويتصفح موقع **نيويورك تايمز** الإلكتروني.

– «هل من السيّئ أن أكون سعيداً نوعاً ما لأنّه قد مات؟»، قال والدها بمجرّد أن استطاعت الوصول إليه على الهاتف وأقنعتْه أنّها ليست في خطر.

– «أبي».

– «آسف. لكن بعد كل الهراء الذي قاله ذلك الرجل عنك في كتابه...».

أخبرتْه أنّها اكتشفتِ الجثة وكذبتْ بشأن كلِّ ما تبقّى، إذ أغفلتْ ذِكر استجواب الشرطة لها والحاجة إلى تدخّل كريغ، كل هذا كي تمنعه من القفز على متن الطائرة التالية المتوجّهة إلى لوس أنجلوس.

بمجرّد أن بدأت تتكلّم، وجدت نفسها عاجزة عن منع صورة جثة ريك من أن تقفز متوهّجةً أمام عينيها. فكّرت في الأشكال المختلفة التي رأت بها جسد ريك: جسدُ غريبٍ بكامل ملابسه، العاشق العاري، المقاتل الشرس، الجثّة الهامدة.

كان عليها أن تنهي المكالمة. «مِن فضلك قلْ لماما أنّني بخير».

المكالمةُ التالية كانت لزميلتها كريستال ليو، والتي لم تصدّق للحظة أنَّ مايا كانت على ما يرام أو حتّى قريبةً من ذلك.

- «أولئك السفلة في هيئة المحلّفين يحاولون الإيقاع بكِ»، قالت كريستال.

لم يكن من السهل على مايا تكوين صداقات حميمة منذ المحاكمة، فغالباً ما كانت تجد نفسها تكرّر نفس الأجوبة التافهة والمجهّزة سلفاً لنفس الأسئلة التي لا مفرَّ منها. وأسوأ جزءٍ في كلِّ هذا أنَّها كانت تشعر أنّها أكثر عزلةً بعد هذه الأحاديث.

كانت كريستال - باركها الله - قد أمضت النصف الأوّل من عام 2009 في إدمانٍ جنوني على الكحول، والنصف الثاني منه في مصحّةٍ لإعادة التأهيل. لقد فوتَّتْ بشكلٍ كامل اختفاء جيسيكا سيلفر وتبرئة بوبي نوك على حدٍّ سواء. وفي المناسبات القليلة التي أُتِيَ فيها على ذكر شهرة مايا، فقد تحدّثتْ كريستال عنها على النحو الذي قد يتحدث به المرء عن حبكة مسلسلٍ قديم: غريبة، لا يُسبَر غورها، معقّدةٌ على نحوٍ مضحك.

الآن، وبعد عشر سنوات من الاتّزان بعد الإقلاع عن الكحول، كانت كريستال عضواً راسخاً في قسم التحكيم في كانتويل ومايرز.

خاضت أعتى وأصعب المفاوضات، كما لو أنها سعت إلى أن تكون صوت الهدوء في قلب هذه العواصف.

خلال الأسبوع الأوّل لمايا في الشركة، أخذتْها كريستال لتناول الغداء. لم تطرح عليها ولو سؤالاً واحداً حول المحاكمة.

- «أيُّ سفلةٍ من هيئة المحلّفين؟»، سألتْ مايا.

- «جميعهم معاً».

لا بدَّ أنَّ كريستال كانت قد ذهبتْ مباشرةً إلى مايك ومايك اللذين عجزا على ما يبدو عن تفادي أسئلتها الاستقصائية.

- «تعتقدين أنَّ الثمانية جميعهم - الذين كانوا هناك الليلة الماضية - قد عملوا معاً على وضع خطّةً لقتل ريك ومن ثمَّ إلصاق التهمة بي؟».

استطاعت أن تسمع كريستال تتنهّد على الطرف الآخر.

- «بالمناسبة، أنا بخير»، قالت مايا.

- «كلّا يا صاح، أنت لست كذلك. هل تريدين أن تعرفي لماذا؟ لأنّكِ تثقين في الكثير من الناس»، قالت كريستال.

كان المعالج النفسي الذي شرعتْ مايا بمقابلته بعد المحاكمة قد أخبرها بعكس ذلك تماماً. وكذلك المعالج الذي جرّبتْهُ بعد ذلك. لم تتّفقْ مايا مع تحليل كريستال، لكنّها قدّرتْ لها صراحتها.

- «هناك طواقم تصوير خارج المكتب»، تابعتْ كريستال. «إنّها كحديقة حيوانات هناك في الأسفل، يلتقطون صوراً لكلِّ مَن يدخل ويخرج من الردهة. إنّهم يبحثون عنكِ».

- «حسنٌ، أنا في المنزل. اسمي غير مدرجٍ في سجلّات الملكية. لم يجدوا عنواني حتى الآن».

- «سوف يجدوه. قصّةٌ مثل هذه... 'أحدُ المحلّفين في هيئة

محلّفين بوبي نوك قتل محلّفاً آخر'؟ أستطيع بيع شريط تسجيل هذه المكالمة الهاتفية لموقع TMZ مقابل خمسين ألف دولار».

- «تقولين هذا في محاولةٍ لكسب ثقتي؟».

- «أنا أحظى بثقتكِ بالفعل. أقول هذا كي تخرجي من هناك بحق الجحيم».

نظرت مايا حولها على نحوٍ غريزي. كانت الصورة التي التقطتْها في الأرجنتين لدجاجٍ يدَخَّن على شوّايةٍ عند زاوية الشارع معلَّقةً على الحائط. كان هذا بيتها. وكان مكانه مخفيّاً بشكلٍ جيّد عن العامّة. لم تكن حتّى خدمة الإنترنت مسجَّلةً باسمها.

- «تعالي وامكثي عندي»، قالت كريستال.

- «شكراً، سأفكّر بالأمر».

- «سألتُ كريغ إذا كان بإمكاني الانضمام إلى فريقك».

- «أنا لستُ متَّهمة بعد».

- «كم مشتبهاً به آخر لدى الشرطة برأيك؟ مع كلِّ هذا الاهتمام بالقضيّة، سوف يتّخذون هذه الخطوة قريباً».

- «ماذا قال كريغ؟».

- «ها ها ها».

- «ضحك؟».

- «كنتُ قد سألته عبر البريد الإلكتروني، وكتب 'ها ها ها'». سكتتْ كريستال للحظة. «سأقرأ ذلك على أنّه 'لا'».

لم تكن مايا متأكّدةً إن كان كريغ قد ترك كريستال خارج الفريق عمداً، بحيث تتمكّن مايا من اللجوء إليها والتحدّث بصفةٍ غير رسمية، فنادراً ما يُترك أيُّ شيءٍ للصدفة في حياة كريغ المهنية.

حدّقتْ مايا خارج النافذة. كانت الشمس قد اتخذتْ منحنى

هبوطها باتّجاه هوليوود هيلز غرباً. «هل تريدين المساعدة؟».

- «اللعنة، بالطبع».

- «الديهم في **مدينة القتل** - النسخة التلفزيونية وليس البرنامج الإذاعي - مساعِدَةٌ».

صمتٌ طويل على الطرف الآخر. «أتخيّل أنَّ لديهم العديد».

- «اسمها شانون. في أوائل العشرينات، بيضاء، شقراء، جدّيةٌ على نحوٍ كئيب. لقد اصطحبتْني إلى غرفتي بالأمس».

- «حسنٌ».

- «اعثري عليها».

- «لماذا؟».

- «لم يخبرني ريك ما هو 'دليله الجديد' الغامض ضدَّ بوبي نوك. لكن لا بدَّ أنَّ شخصاً ما في البرنامج التلفزيوني يعرف ما هو».

- «فهمت. وأنتِ تعتقدين أنَّ هذه المساعِدة سوف تعطي ما عندها أيّاً يكن لأنّ . . .؟».

لم تصدّق مايا أنّها كانت على وشك أن تقول هذا: «أنا بطلتها».

كانت النظرة التي تعني **هل تمازحني بحقّ الجحيم؟** بمثابة موهبة فطرية لدى كريستال خلال المفاوضات. تخيّلت مايا هذه النظرة على وجهها الآن.

- «نعم، حسنٌ». بدت كريستال متشكّكة، لكن سعيدة لكونها كُلِّفتْ بمهمّة. «ما الذي تنوين فعله؟».

تجسّدت في ذهن مايا صورة المحقّقة ديزي التي كانت بشكلٍ شبه مؤكّد تعمل الآن في المخفر على تحضير الأدلّة كي تحصل على لائحة اتّهام ضدّها.

فجأةً، عاودها شعور الغضب. الغضب من نفسها لأنّها دعتْ

ريك إلى غرفتها الليلة الماضية. لأنّها انفجرتْ بتلك الطريقة. لأنّها حطّمت قلبه وسمحت له بتحطيم قلبها. هي لم تقتله، ومع ذلك، لو لم يقابلها، لكان اليوم حيّاً.

ثمَّ شعرتْ بالغضب من ريك أيضاً، لتذكيرها قبل أن يرحل إلى الأبد كم كانت تهتمُّ لأمره. لعدم وجوده هنا ليهدّئ ألمها على خسارته. لكونه بطريقةٍ ما وضعها مجدّداً في موقع الشخص الشرير.

دع الأمر لريك ليمضي ويموت وليجعل الأمر يبدو وكأنَّهُ خطؤها.

- «لن يتحدَّث المحلّفون الآخرون إلى رجال الشرطة، لكنّهم قد يتحدّثون إليّ»، قالت مايا.

أعطى مايك رقم 1 لمايا أرقام هواتف وعناوين منازل كلٍّ من لِيلا روزاليس، جاي كيم، تريشا هارولد، كال بارو، فران غولدنبرغ، وبيتر ويلكي. يبدو أنَّ البقية كانوا قد بذلوا جهوداً أكبر لحماية خصوصيّتهم.

كان منزل لِيلا يقع جنوب لوس أنجلوس، على مسافة رحلةٍ قصيرة بالسيارة. سلكتْ مايا طرقاتٍ فرعية لتجنّب الازدحام. مرّت بمربّعات سكنية وأحياء من المنازل ذات الطابق الواحد تكاد تكون متطابقة. حين قيل أنَّ لوس أنجلوس تبدو مثل ضاحيةٍ واحدة كبيرة، فهذا ما كانوا يقصدونه: مساحةٌ لا نهائية من المنازل، مع أسيجةٍ وحدائق، دون وجود مدينةٍ على مرمى البصر. إذا كان امتلاك المرء لقطعة أرض كان ذات يومٍ هو الحلم الأمريكي، فإنَّ مهمّة هذا الجزء من لوس أنجلوس هي السخرية من هذا المفهوم، إذ كانت هناك أرضٌ تكفي للجميع، دون أن يكون هناك الكثير لتفعله بها.

فيما هي تقود السيارة، وجدت نفسها تحصي الشوارع ذات الاتّجاه الواحد.

وصلتْ إلى منزل لِيلا وقرعتِ الجرس. فتح الباب رجلٌ في الستين من عمره يرتدي بنطال جينز وقميصاً قديماً. كان أصلعَ بالكامل تقريباً، وله بطنٌ بارز. تعرّف على مايا في الحال. «لا تريد لِيلا التحدّث إليكِ».

- «هل أنتَ والدها؟ لقد سمعتُ الكثير عنك»، قالت مايا.

لحظةٌ طويلة من الصمتِ الثقيل فيما هو واقفٍ يحرس الباب.

- «لِيلا ليست مضطّرةً للتحدّث إليّ إن كانت لا ترغب في ذلك، لكن هل يمكنها أن تقول لي ذلك بنفسها؟ أنت لا تريد أن تطردني دون أن تسألها حتّى، أليس كذلك؟ سيجنُّ جنونها».

نظر إلى مايا وكأنّها عبءٌ ثقيلٌ آخر أرسله ربٌّ قاسٍ ليختبره.

تذكّرتْ أنَّ لِيلا ترعرعتْ هنا. كانت تربّي ابنها في نفس المنزل حيث قام والداها بتربيتها. في لمِّ الشمل، تشكّل لدى مايا انطباعٌ أنَّ أطول فترةٍ قضتْها لِيلا خارج أمان هذه الجدران كانت أثناء المحاكمة.

هل أرادت لِيلا يوماً المغادرة؟ هل أتيحت لها الفرصة لذلك يوماً؟

قاد الأب مايا إلى الداخل بتنهيدة ضجرة.

كانت لِيلا تلعب مع ابنها آرون في غرفة نومه. في اللحظة التي دخلت فيها مايا الغرفة، قفزتْ لِيلا واحتضنتْها. «كنتُ قلقةً جدّاً عليكِ».

كانت الغرفة صغيرة، والجدران مطليّةً بالأزرق الفاتح، والأرضية مزدحمة بالشاحنات البلاستيكية الصغيرة من كل الألوان.

كان آرون يعمل على تحطيمها بشكلٍ ممنهج عبر صدمها ببعضها وجهاً لوجه.

- «لم تكوني تمزحين بشأن الشاحنات»، قالت مايا.

نظرتْ لِيلا حولها. «كانت هذه غرفتي. كانت الجدران ورديةً آنذاك».

التفتتْ لِيلا إلى والدها الذي كان واقفاً عند المدخل يراقبهما بحذر. «بابا! دعنا لوحدنا»، قالت له بالإسبانية.

غادر، لكنّه لم يبدُ سعيداً حيال ذلك.

كانت هناك دوائر سوداء حول عينيّ لِيلا. كانت نظرتها مشتّتةً ومتوترة، كنظرة شخصٍ لم ينم منذ فترة. خمّنتْ مايا أنّها هي أيضاً تبدو على هذه الشاكلة على الأرجح.

- «هل رأيتِ أو سمعتِ أيَّ شيءٍ الليلة الماضية؟» سألتْ مايا بعد أن شرحتْ وضعها الراهن.

- «كنتُ مع آرون. صعدنا إلى غرفتنا حوالي الساعة السابعة والنصف أو الثامنة».

كانت غرفة لِيلا أعلى بطابقٍ من غرفة مايا وبعيدة، واحتمال أن تسمع أصوات مشاجرة من مسافةٍ بعيدة كهذه كان منعدماً.

- «لم تغادري الغرفة قطّ؟».

هزّتْ لِيلا رأسها.

أرادت مايا أن تسأل آرون إن كانت أمّه قد بقيت معه في غرفة الفندق طوال الليل حقّاً - لكن فكرة الطلب من طفلٍ في الخامسة أن يؤكّد حجة غياب جعلتْها تشعر بأنّها حقيرةٌ تماماً. أضف إلى ذلك، فإنَّ أيَّ شيءٍ قد تحصل عليه من آرون سيكون عديم الفائدة، إذ لم يكن الأطفال الصغار هم الشهود الأكثر موثوقية.

- «هل استمتعتَ في الفندق الليلة الماضية؟»، سألتْه مايا.
استمرَّ آرون في تحطيم شاحناته.
- «هل كان النوم في سرير غريب أمراً مستغرَباً؟».
لم يرفع عينيه حتّى لينظر إليها.
- «لقد أيقظَنا رجال الشرطة»، قالت لِيلا. «في الواحدة صباحاً؟ الثانية ربّما؟ بعد أن أخذوكِ مباشرةً على ما أظنّ. سألوني بضعة أسئلةٍ عنك - لم أخبرهم بشيء - ثمّ أخرجونا من الفندق. وعدنا إلى هنا».
مسحتْ مايا وجه لِيلا وبحثت في ملامحها عن أيِّ إشارةٍ تدلُّ على الكذب. هل يمكن أن تكون قد تسلّلتْ إلى غرفتها حين كان آرون نائماً، وقامت بقتل ريك؟
لكنّها فكّرتْ بعدئذٍ: لماذا؟ وأيُّ نوعٍ من المعاتيه قد يصطحب طفله ذا الخمس سنوات في مهمّة قتل؟
- «هل رأيتِ الآخرين بعد أن أيقظكِ رجال الشرطة؟».
قالت لِيلا إنّها رأتْ فران في الردهة، مع كال وتريشا، لكن ونظراً للفوضى العارمة، فهٰذا كلُّ ما استطاعت تذكّره. كان هناك الكثير من رجال الشرطة.
- «هل يمكنني أن أطرح عليكِ سؤالاً أخيراً؟».
- «نعم».
- «مَن قتل ريك باعتقادك؟».
جفلتْ لِيلا وابتعدتْ، وكأنَّ فكرة أنَّ أيّاً منهم قد يكون مذنباً بجريمة قتل بدت اقتراحاً مظلماً للغاية بالنسبة لها. «هل الشرطة متيقّنةٌ أنّه لم يكن مجرّد حادث عرضي؟ عندما جاؤوا إلى هنا

لاستجوابي مجدّداً هذا الصباح، قالوا إن رأس ريك ربّما ارتطم بالطاولة. فقد يكون تعثّر وسقط ببساطة».

تذكّرت مايا كيف أنَّ لِيلا كانت من أوائل الذين وقفوا في صفّها أثناء المداولات. لطالما كانت سهلة الإقناع. أو ربّما كانت تميل بشكلٍ فطريٍّ لرؤية الأفضل في البشر.

تساءلت مايا إن كانت هذه سمةً يمكن اكتسابها. فقد أرادت دائماً أن تكون شخصاً يثق بالآخرين، لكنّ تلك لم تكن سِمتها، ليس بعد الآن.

بعد ذلك، اتّصلتْ مايا بتريشا هارولد وعلمتْ منها أنَّ الشرطة أبلغتها بألّا تعود إلى هيوستن لبضعة أيام. عرض جاي كيم على تريشا أريكة قابلةً للسحب في منزله. كانا على بعد عشر دقائق فقط.

كانت المنازل في كورياتاون متراصّةً بإحكام. كانت المساحات الخضراء قليلة، ومغطّاة ببراعم عشب صغيرة. استرسل ريك ذات مرّةٍ في خطبةٍ طويلة حول قلّة فصائل النباتات الأصلية في هذه المنطقة. قال إنّه حتّى أشجار النخيل لم تأتِ من جنوب كاليفورنيا. لقد بُنيتْ لوس أنجلوس فوق صحراء، على بعد رحلةٍ قصيرةٍ بالسيارة من وادي الموت. لذا فقد زَرعت سلطات المدينة في الثلاثينيات من القرن الماضي آلاف الأشجار المورقة، جميعها مستوردةٌ من المكسيك. لم تكن الآن قادرةً على تذكّر ما الذي كان يحاول قوله بالضبط. كل ما يمكنها تذكّره هو كيف أصبح مفعماً بالحيوية لدى انخراطه في شرح وجهة نظره، وجسده المغطّى بملاءة الفندق القبيحة فيما هي تربّت على ظهره بلطف.

ربّما كان ريك يقصد أنّه لا يُفترض بأيِّ شيءٍ أن يزدهر هنا. إمّا

أنَّ لوس أنجلوس كانت احتفاءً ملهِماً بقدرة الحضارة على الصمود في تربةٍ غير خصبة، أو صرحاً ذابلاً عن أفضل الخطط التي وضعها جيلٌ ما لتنمية شيءٍ لا ينبغي أن يعيش.

قابلها جاي عند الباب. كانت قد رأته بالأمس فقط، لكنّها صُدمت مجدّداً كَم كان قد تقدَّم في العمر. لقد فقد معظم شعره الأبيض القصير، وكانت شعيرات غير محلوقة مبعثرةً على وجهه وذقنه. ومع ذلك، ورغم سنّه ومظهره هذا - كرهتْ مايا أن تكون هذه هي فكرتها التالية - فقد كان جاي صلب العود بما يكفي لضرب رأس ريك على طاولة.

كان منزل الرجل الحِرَفيّ مكتظّاً بالأشياء: كراسٍ واطئة، وأوعية خزفية، وصور عائلية مؤطّرة فوق كلِّ طاولة. لم يبدُ جاي من النوع العاطفيّ، لكن من الواضح أنّه كان نزّاعاً للاحتفاظ بالأشياء. كانت هناك أيضاً كومةٌ من الجرائد مكدّسةً فوق أحد الكراسي.

كانت تريشا قد جهّزتْ طبقاً ثالثاً من أجل العشاء لدى دخول مايا مع جاي إلى غرفة الطعام. انتبهتْ مايا أنَّ تريشا كانت مرتدية ملابس المقابلة التلفزيونية؛ بنطالٌ رسميٌّ أسود وقميصٌ أبيض بأزرار. الأرجح أنّها لم تحزم أكثر من بضع قطعٍ من الملابس لِما اعتقدتْ أنّها ستكون رحلةً لليلةٍ واحدة، وجعلها أثر هذه الملابس تبدو وكأنّها الأكثر ارتياحاً بينهم.

لم تستطع مايا أن تتذكّر متى أكلت آخر مرة. كانت ممتنّة لحصولها على قطع اللحم المبخّرة من يخنة ضلوع العجل والتي وضعتْها لها تريشا في طبقها.

- «لمجرّد أنّكِ رهنُ الاعتقال بتهمة القتل، هذا لا يعني أن تستغني عن الطعام»، قالت تريشا.

- «أنا لستُ رهن الاعتقال. . . بعد»، قالت مايا.

- «لم أرَ أيَّ شيءٍ غريب الليلة الماضية، إن كان هذا هو ما تودّين معرفته»، قال جاي.

- «هذا ما أودُّ معرفته بالفعل».

- «بقيتُ في المطعم حتّى وقتٍ متأخر. لقد شربتُ أكثر من اللازم قليلاً. كان غباءً أن أسكر أمام الجميع. لست أذكر حتّى العودة إلى غرفتي».

فكّرت مايا أنَّ الادعاء بالسُكْر لدرجة العجز عن تذكّر أيّ شيء كان طريقةً رائعة لعدم الوقوع في صداع التلاعب في التفاصيل. في هذه الحالة لن يكون هناك شيءٌ لدحضه.

- «يمكن للكاميرات في المطعم أن تُظهر وقت مغادرتك»، قالت مايا.

لم يبدُ معنيّاً بالأمر فيما كان يمضغ ضلعاً من لحم العجل.

- «لقد غادرتُ بعدكِ مباشرة»، قالت تريشا. «بعد ريك على الفور».

- «هل ذهبتِ إلى غرفتكِ مباشرةً؟».

- «نعم».

- «متى غططْتِ في النوم؟».

- «يصعب عليّ التذكّر».

- «هل رآني أيٌّ منكما مجدّداً؟ أقصد بعد أن غادرتُ المطعم؟».

تبادل جاي وتريشا نظرة.

حسِبتْ مايا أنّ قول الحقيقة لتريشا وجاي لن يضرَّ بدفاعها المحتمل. أيُّ شيء قد تقوله لهما سيكون بمثابة ثرثرة، بغضِّ النظر عن نظرية الجريمة التي ستختار مايا في وقتٍ لاحق أن توظّفها.

- «عدتُ أنا وريك إلى غرفتي كي نتحدّث. شربنا كأساً آخر. ثمَّ غادرتُ الغرفة. كان لا يزال موجوداً فيها حين خرجتُ لأمشي. لدى عودتي، كان قد مات».

- «يبدو وكأنَّ حديثكما لم يجرِ على ما يرام»، قالت تريشا.

- «إذا كان أيُّ شخصٍ قد رآني أغادر - أو أعود - فإن هذا يمكن أن يساعد في إثبات أنّني لم أكن هناك حين قُتِل ريك».

لم تقل تريشا ولا جاي أنَّ أيّاً منهما رآها بعد أن غادرت المطعم.

- «ظننتُ أنّكما أردتما قضاء بعض الوقت معاً»، قالت تريشا. «عندما غادرتِ ومن ثمَّ غادر بعدكِ على الفور. لم يكن ذلك حاذقاً».

بدا جاي مرتبكاً. «ما الذي كان يجري بينك وبين ريك؟».

نظرتْ مايا إلى مضيفَيها غير المتوقَّعين. لولا هيئة المحلّفين، ما كانت لتستطيع أن تتخيل تقاطع مسار هذين الشخصين. والآن، ها هي تريشا تنام على أريكة جاي وتساعده في تقديم يخنة ضلوع العجل. هل كانا مقرّبين قبل عشر سنوات؟ شخصٌ ما أخبر الشرطة عن علاقة مايا بريك، قد يكون واحداً منهما. كانت بحاجةٍ لمعرفة مَن فعل ذلك.

استخدمتْ تقنيةً كانت قد تعلّمتْها من أحد المحقّقين في شركتها.

- «تريشا تعرف»، قالت مايا وهي تنظر إليها مباشرةً. قالت ذلك بنبرةٍ ودّية، وكأنّها تقول: تتشارك كلتانا هذا السرّ الصغير، أليس كذلك؟

أخذت تريشا نفساً طويلاً. «نعم». التفتتْ نحو جاي. «لقد أخبرني كال».

كيف عرف كال؟

- «أنتِ وريك؟»، قال جاي مستدركاً. «كنتما... خلال المحاكمة؟».

التفتتْ مايا نحو تريشا. «ماذا أخبركِ كال؟».

- «لقد كان الأمر واضحاً جدّاً بصراحة. كنتما يا رفاق تظنّان أنّكما ماكران جدّاً. لكنَّ كال قال إنَّ ما بينكما كان يحدث منذ فترة».

أومأت مايا برأسها. «وقد احتفظتِ بهذا لنفسك؟».

- «هل تظنّينني واشية؟».

- «لا، من الواضح أنّكِ لستِ كذلك. كال أيضاً لم يكن كذلك»، قالت مايا.

- «ريك لم يضع أيّاً من هذا في كتابه»، قال جاي وهو على الأرجح لا يزال يتساءل كيف فاته أن يعرف بأمر علاقةٍ غرامية كانت تحدث تحت أنفه مباشرة.

- «مايا»، قالت تريشا وهي تضرب بأظافرها البنفسجية الطويلة على الطاولة. «ما الذي حدث الليلة الماضية؟».

كرّرتْ مايا قول الحقيقة وهي تحاول قراءة وجهيهما.

بدا جاي معصوف الذهن بغموض هذا اللغز. وبدتْ تريشا وكأنّها لم تصدّق قصّة مايا فعلاً - لكنّها قد تمنحها أفضلية الشك.

- «أيّاً كان مَن دخل غرفتي وقتل ريك، كان يعرف أنّه هناك»، قالت مايا.

- «أنتِ لا تفكّرين في الأمر بطريقةٍ أخرى؟»، قالت تريشا.

- «أيُّ طريقةٍ أخرى؟».

- «مَن دخل غرفتكِ وقتل ريك... حسنٌ، لربّما كان يبحثُ عنكِ».

كانت هذه الفكرة قد خطرتْ لها. لكن في هذا السيناريو، ذهب شخصٌ ما ليقتلها، وعندما فتح ريك باب غرفتها، فقد قامت هي أو هو... بقتلِ مَن تصادف وجوده هناك بدلاً منها وحسب؟!

- «هل تعتقدين أنَّ هناك أحداً يريد قتلي؟».

- «من باب التجربة، نعم. لكن عشر سنوات قد مرّت الآن، لذا أنا لا أعرف مَن كنتِ تزعجين مؤخّراً».

قدَّرتْ لها مايا صراحتها. «مَن غيركِ أخبره كال عنّي أنا وريك؟ وكيف عرف كال بالأمر في المقام الأول؟».

هزّت تريشا رأسها. «ليست لديّ فكرة. أخبَرني ذات يوم أثناء الغداء، قرب نهاية المحاكمة. كنّا جالسين لوحدنا. كنتُ أحاول معرفة سبب كونك متشدّدة لهذه الدرجة بشأن المداولات».

- «قال كال أنَّ **هذا** هو سبب تشدّدي بشأن المداولات؟».

- «كان يدافع عنكِ».

- «مَن أخبره؟».

هزّتْ تريشا رأسها مرّةً أخرى. «عليك أن تسأليه بنفسك».

بعد ساعة، كانت مايا تجلس في غرفة معيشة كال بارو. كان منزله المطلي من الخارج باللون الأخضر الفاقع والمؤلف من طابقٍ واحد، مختبأً خلف نصف دزينة من أشجار الأفوكادو على أحد الطرقات ذات النهاية المسدودة في سيلفر ليك، على بعد تلّتين فقط من منزل مايا.

- «هل أنتِ متأكّدة أنّكِ لا تريدين واحدةً من هذه؟»، سأل وهو يرفع كأس كوكتيل. «هذا ما كنّا نجرّبه أنا ودون مؤخّراً. استبدال نبيذ Lillet بالـ Vermouth».

رفضتْ مايا العرض. كانت ذراعا كال النحيفتان المجعدتان مكشوفتين تحت قميص تي شيرت أبيض. تمتّعت بشرته بالسمرة الدائمة لشخصٍ قضى عقوداً كاملة تحت شمس كاليفورنيا. كانت فكرةُ أن يمثّل كال تهديداً جسدياً لريك صعبة التصديق، فقد كان هذا الأخير يصغره بثلاثين عاماً، لكنها لم تكن مستحيلة.

طرحتْ مايا أسئلتها السابقة. لكن للأسف، ورغم أنَّ غرفته كانت قريبة من غرفتها، فهو لم يرَ أيَّ شيءٍ مثيرٍ للاهتمام في الليلة السابقة.

تابعتْ مايا إلى الموضوعات الأكثر حساسيةً. «كيف عرفتَ أنّني وريك كنّا على علاقة؟».

- «أنا لا...».

- «لقد أخبرتَ تريشا قبل عشر سنوات. كيفَ عرَفتْ؟».

أخذ كال رشفةً من شرابه وهو يدور بإصبعه على حافّة الكأس. «واين أخبرني. كان قد رأى ريك يتسلّل من غرفتكِ ذات صباح».

- «لمَن قال واين أيضاً؟».

- «لا أحد، لا أعتقد أنّه قال لأحد آخر. كنّا نحاول حماية كليكما».

- «وأنت، مَن أخبرتَ أيضاً؟».

انتظر كال للحظة قبل أن يجيب. «كاثي. كانت قد بدأت تشكُّ بالأمر... كنّا نحاول أن نمنع تعرّضكما للطرد. أو ما هو أسوأ».

صدّقتْه مايا. لو أراد لها أن تُطرد من هيئة المحلّفين لكان بإمكانه جعل ذلك يتحقّقُ بسهولة.

- «لا أحد آخر؟»، سألتْه مايا.

- «لا أحد آخر».

- «مَن قتل ريك؟». بمجرّد أن تنجح في جعلهم يتحدّثون بصدق، فالأفضل أن تركب الموجة بقوّةٍ وسرعة إلى أن تتكسّر.

وضع كال كأسه. «كنتُ أمعن التفكير في هذا الأمر. إنّه محيّر. لكن في النهاية، التفسير الأبسط هو الأكثر منطقية».

- «الذي هو؟».

- «أنَّكِ أنتِ مَن قتلتِه».

بدتْ نبرة كال اعتذارية، وكأنَّ أصعب شيءٍ بالنسبة له في اقتراح مثل هذه الفرضية كان قلّة اللباقة.

لم تسمح مايا لنفسها بإبداء أيِّ ردّ فعل. «هل تعتقد حقّاً أنّني أستطيع فعلَ ذلك؟».

تجهَّم كال. «أنتِ تعتقدين أنّني أستطيع ذلك، أليس كذلك؟».

تنهّدتْ. لقد كان محقّاً. «أعتقد أنّه أمرٌ غير مرجح».

كان كلاهما قادرين تماماً على تخيّل الأسوأ في أحدهما الآخر.

فجأةً، سُمعت جلبةٌ من الشارع - هتاف وصياح وخبطُ أحذيةٍ فوق الرصيف.

نهض كال وأطلَّ من خلف الستائر.

- «رجالٌ يحملون كاميرات»، قال لها.

- «صحافة. لقد عثروا عليك»، قالت مايا.

- «لا. لقد عثروا عليكِ».

ذهبت نحو النافذة لتلقي نظرة، لكنه رفع يده وأوقفها.

- «ما الذي يفعلونه؟»، قالت مايا.

- «هل تقودين سيّارة لكزس بيضاء؟».

- «نعم».

أومأ كال برأسه. «إنّهم يقومون بتصوير سيارتك. لا بدَّ أنّهم حدّدوا موقعها بطريقةٍ ما... لا يبدو أنّهم يعرفون شيئاً عن هذا المنزل أو عنّي. إنّهم يحومون حول سيّارتكِ فحسب».

- «كيف أمكنهم العثور على سيّارتي؟ اللعنة! السيّارة مسجّلة باسم شركة المحاماة التي أعمل فيها. لا بدَّ أنَّ شخصاً ما...».

كان هناك الكثير من الأشخاص في الشركة ممّن يمكن أن يسرّبوا بيانات تسجيل سيّارتها مقابل المال. الموظفون الصغار، المتمرّنون، المساعدون. وباستخدام بيانات التسجيل، يمكن قرصنة تطبيقات السيارة التي تحدّد موقعها.

- «يجب أن أخرج من هنا - سأذهب إلى المنزل. من المرجّح أنّهم لم يحصلوا على عنوان منزلي بعد. إذا خرجتُ من الأمام فسوف يرونني. هل لديكَ بابٌ خلفي؟».

كان في وسعها أن تتخيّل النقاش الدائر في ذهن كال: هل كان حقّاً سيساعد مشتبَهاً بها بجريمة قتل على التسلّل خارج منزله؟

- «أرجوك»، قالت مايا.

تنهّد كال. «أسفل الردهة. الباب يفضي إلى الشرفة. يمكنك القفز منها إلى الأرض الخلاء في الخلف. يوجد سلّم هناك».

كانت تلال سيلفر ليك مربوطةً عبر شبكة سريّة من السلالم. جُعلتْ هذه السلالم مخفية عن الأنظار، ولم تكن موجودةً على معظم الخرائط، لكنّها سمحت بحركة سير على الأقدام أعلى وأسفل

التلال دون الاضطرار إلى استخدام الشوارع العريضة وأرصفتها غير المريحة.

- «عليّ أن أثبّتَ نقطةً هامّة هنا»، قال كال وهو يلحق بها إلى الجهة الخلفية من المنزل. «ما أفعله لا يجعلني شريكاً في الجريمة بعد وقوعها. أنا لا أعيق العدالة. أنا لا أعرف أنّكِ قتلتِ ريك، والأشخاص الوحيدون الذين أخفيكِ عنهم الآن هم المصوّرون».

- «أتّفقُ معك»، قالت مايا وهي تفتح الباب الخلفي. «شكراً لك».

- «مايا»، قال قبل أن تغلق الباب خلفها.

- «نعم؟».

- «لقد كنتُ حقاً أحبُّ قصص الغموض».

لم يكن لديها فكرة إلى أين يريد الوصول.

- «قصص أجاثا كريستي، جميعها».

- «أتذكّر أنّكَ كنتَ تقرأ هذه القصص حين كنّا محتجزين».

- «لم يعد يمكنني قراءتُها الآن».

- «حسنٌ».

- «أعتقدُ أنّي عرفتُ السبب». أخذ نفساً. «في القصص، هناك إجابةٌ دائماً في النهاية. هناك حلّ. المحقّقُ يواجه القاتل؛ القاتل يعترف بفعلته. ونحن نعرف كلَّ ما حدث بشكلٍ مؤكّد. لكن هنا - الأمر ليس كذلك. هنا، قد يذهب أحدٌ ما إلى السجن. وأحدٌ ما قد لا يذهب. لكنّنا لا نعرف الحقيقة أبداً. الحقيقة النهائية والتّامة والمحدّدة. هذا مستحيل».

لم تعرف مايا ماذا تقول.

أشار إلى المدينة المضاءة بأضواء الليل خلفها.

- «يجب أن تذهبي»، قال لها. «وآمل حقّاً أنّكِ لم تقتليه».

وفّرتِ السلالم المخفية المؤدِّية إلى التلِّ التالي غطاءً جيّداً، إذ كانت محاطةً بشجيرات طويلة ومضاءة فقط بواسطة مصابيح شوارع متباعدة. أمكنها رؤية شارع أكبر وأكثر إنارة إلى الأمام، أعلى التل.

لم يلحق بها أحد. أيّاً كان طاقم الكاميرا الجوّال الذي عثر على سيّارتها، فقد يبقون حائمين حولها لأسابيع.

كادت مايا تصرخ حين اهتزَّ هاتفها.

يا يسوع. هدِّئي من روعك.

كان المتّصل هو كريغ. «أين أنتِ الآن؟».

- «لماذا؟».

- «لأنَّ كاميرا مرورية عند تقاطع ثيرد وألاميدا التقطتْ صورةً لسيارة فورد F-150 حمراء، وهي تتجاوز الإشارة الضوئية عند الساعة 1:08 صباحاً الليلة الماضية. السيّارة تحمل لوحات كولورادو».

- «حسنٌ...».

- «إنّها مسجَّلةٌ باسم واين راسل».

تجمّدتْ مايا. «واين؟ لكنّي أخبرتكَ أنّه لم يأتِ إلى لمِّ الشمل».

- «هل أنتِ واثقةٌ من ذلك؟».

- «هو لم يكن هناك. أخبرَنا المنتجون أنّه رفض الحضور، حتّى أني تحدّثتُ عن ذلك مع فران وتريشا. لم يسمع أحدٌ شيئاً عنه منذ سنوات».

- «لمَ كانت شاحنته في لوس أنجلوس الليلة الماضية إذاً؟».

التفتت مايا على نحوٍ غريزيّ ونظرتْ من فوق كتفها. لا شيء.

- «هو لا يردُّ على هاتف منزله في كولورادو»، قال كريغ. «وهذا يعني أنّه ما زال هنا. لم نتمكن من العثور على رقم هاتفٍ جوّال له. ولا أعتقد أنَّ الشرطة تمكّنتْ من ذلك أيضاً».

- «لماذا قد يخبر واين الجميع أنّه لن يأتي، ومن ثمَّ... يظهر سرّاً في لوس أنجلوس؟». لم تكن متأكّدة ما إذا كانت تسأل كريغ أو تسأل نفسها. لكن جواب هذا السؤال قد يكون المفتاح لتبرئتها.

تذكّرتْ المرّة التي كاد فيها واين وريك أن يدخلا في شجار في غرفة المحلّفين. انفجر واين في وجه ريك وهو يضرب بقبضته على الطاولة. لقد كانا على نفس الجانب أثناء معظم المداولات - الأمر الذي، وعلى نحوٍ متناقض، عزّزَ كراهيّتهما المتبادلة.

تكلّم كريغ بسرعة. «قلتِ إنَّ التسلّل إلى ذلك الفندق سيكون خطوةً مجنونةً من بوبي نوك. كان سيتمُّ التعرّف عليه. ولعلّكِ على حقٍّ في ذلك. لكن ماذا عن شخصٍ عاش هناك لخمسة أشهر، ويعرف كلَّ زاوية وركنٍ في المكان؟».

تخيّلت مايا نفسها تتسلّل إلى داخل فندق أومني دون أن تتمَّ ملاحظتها. هل يمكنها ذلك؟ هذا وارد.

- «أريد منكِ أن تذهبي للمنزل، وأن تحزمي حقيبتكِ»، قال كريغ.

- «لماذا؟».

- «لأنَّ واين راسل أخبر الجميع أنّه لن يأتي إلى لمِّ الشمل، ومع ذلك فقد اكتُشِف وجوده سرّاً في الجوار لحظة وفاة ريك... والآن لا أحد لديه أيّة فكرة عن مكانه».



كال

9 يوليو، 2009

كان كال بارو يظنُّ أنّه من الصعب جدّاً جعْلُ محقّقٍ في شرطة لوس أنجلوس يحمرُّ خجلاً. لكن حتى رأس المحقّق تيد كانديرو الأصلع - وهو أحد قدامى المحاربين في سلك الشرطة بخدمةٍ تصل لـ 31 عاماً - استحال ورديَّ اللون وهو يقرأ بصوتٍ عالٍ الرسائل النصيّة بين جيسيكا سيلفر وبوبي نوك.

- «'لا أقوى على الانتظار حتّى أشعر بجسدكِ بجانبي'»، قرأ المحقّق كانديرو وهو يحاول يائساً تجنّب التواصل البصري مع مورنينغستار.

- «هل ردَّتْ جيسيكا على تلك الرسالة؟»، سأل مورنينغستار.

- «نعم»، أخذ المحقّق كانديرو نفساً عميقاً. «'أفكّر في عناقكَ الدافئ طوال اليوم'».

كتم كال ضحكته. هذه الصورة المتباينة لرجل شرطةٍ متشدّد واضطراره لقول «عناق دافئ» داخل محكمة - كانت هذه الصورة شيئاً مميّزاً ولا تراه كلّ يوم.

- «متى كان ذلك؟».

- «أُرسلتْ هذه الرسالة من هاتف جيسيكا في الساعة 2:08 من بعد ظهر الحادي عشر من يناير هذه السنة».

- «وبعد ذلك؟».

نظر المحقّق كانديرو إلى المدّعي العام نظرة توسّل. «ردَّ السيد نوك بعد دقيقة واحدة».

- «ماذا قال؟».

قرأ مجدّداً من مجموعة أوراق مغلّفة بالنايلون أمامه. «لقد ارتديتِ ذلك الفستان في الفصل اليوم لتغيظني فحسب».

- «ثمّ؟».

- «بعد دقيقة، كتبتْ جيسيكا، 'هل بدوتُ مثيرة فيه؟'». سكت لحظة. «يوجد بعض الأخطاء الإملائية هنا... هل يجدر بي قراءة هذا بصوتٍ عالٍ؟».

نظر كال إلى إيلين سيلفر، والدة جيسيكا، التي كانت تجلس في الصف الأمامي كحالها كلَّ يومٍ على مدار الأشهر الثلاثة الماضية. وكالعادة، فقد كانت ترتدي ملابس سوداء بالكامل، وكأنّها تحضر جنازة. لم تُظهر أي ردّ فعلٍ حيال الشهادة. جلست شامخة الرأس. كانت تملك هيئة شخصٍ لن ينكسر أو ينحني أمام كلِّ هذا الرعب، أو أيِّ شيءٍ غيره. لم يستطع كال أن يتخيّل نفسه مضطراً للجلوس هنا، في مكانها، حيث عليها أن تستمع إلى كلِّ هذا. إن لم يكن موت جيسيكا - أو «اختفاء جيسيكا»، إذ كان عليه أن يصحّح لنفسه كما كانت ستفعل محامية الدفاع بالتأكيد - إن لم يكن ذلك محزناً بما يكفي، فإنَّ مشاهدة هذه المرأة المسكينة وهي تتكبَّدُ عناء هذه المحاكمة القاسية كان أمراً لا يُحتمل تقريباً.

لم يظهر لو سيلفر إلى جانبها قطّ. لربّما كان هذا كثيراً جدّاً عليه. بالكاد استطاع كال أن يلومه.

استمرّت شهادة المحقّق كانديرو الماجنة لبقيّة الفترة الصباحية. أُجبِر خلالها على قراءة كلٍّ واحدةٍ من العشرين رسالة الإباحية التي تبادلها بوبي وجيسيكا. كما أُجبر على وصف كلتا الصورتين اللتين أرسلتهما جيسيكا وصفاً تفصيلياً، وحيث إنّ الصورتين تظهران قاصراً بشكل غير لائق، فقد وافق المحاميان على عدم عرضهما في جلسةٍ علنية.

كانت الأوصاف لوحدها كافية، ولله الحمد.

أمضى كال ساعة الغداء وهو يأكل الفلافل ويقرأ كتاباً لأجاثا كريستي. اعتاد أن يمعن التفكير في فكرة وقرار القتل. استطاع أن يتخيّل أنّه يتمنّى لو مات شخصٌ آخر. لكنَّ فكرة الرغبة في أن يكون الشخصَ الذي يقوم بفعل القتل؟ أن يؤدّي الحركة الجسدية المتمثّلة في رفع نصل وجعله يهوي لينغرز في جسد إنسانٍ آخر؟ بدا ذلك عصيّاً على التصوّر.

كان الشيء الذي جعل ألغاز أجاثا كريستي هي المفضّلة لديه، هو أنَّ عدد المشتبه بهم محدودٌ دائماً. مع شيرلوك هولمز، يمكن لنصف لندن أن تكون قد ارتكبت الجريمة. لكن مع أجاثا الأمر مختلف، إذ ليس هناك سوى عدد قليل من المشتبه بهم الذين يُكشَف عنهم بوضوحٍ منذ البداية. وبالرغم من صعوبة تعقّبهم جميعاً مع تسارع أحداث القصّة، يمكنكَ أن تكون متأكّداً أن واحداً منهم هو مَن فعلها. أجاثا تلعب بإنصاف - لن تجد لديها شخصية كامنة تظهر فجأة في النهاية دون أن تكون قد سمعتَ عنها من قبل. لكلِّ كتابٍ

من كتبها حيلته العبقرية الخاصة. في كتاب **جريمة في قطار الشرق السريع**، كانت الحيلة هو أنَّ الاثني عشر مشتبهاً بهم جميعهم ارتكبوا الجريمة. وفي كتاب كال المفضّل **مقتل روجر أكرويد**، كانت الحيلة أنّ الراوي هو مَن فعلها. وفي **الستارة**، وهو أكثرها حزناً، كانت الحيلة أنَّ الفاعل هو المحقّق نفسه. قُلْ ما تشاء عن تلك الفتاة العجوز، لكن كلَّ ما يخطر بالبال من إحلالٍ وإبدال جواباً على «مَن الذي فعلها؟»، فإنَّ أجاثا استخدمتْه.

لمَ تقتل شخصيات أجاثا بعضها بعضاً؟ من أجل المال في العادة. من أجل الانتقام في بعض الأحيان. نادراً ما قَتَلَ أحدٌ من أجل الحبّ.

راقب كال الأربعة عشر محلّقاً الآخرين في الغرفة، والذين كانوا على نحوٍ متنوّع يأكلون أو يقرؤون أو يتحدّثون. هل يمكن لأيٍّ منهم أن يصبح قاتلاً؟

يا لهذه الشخصيات الغريبة التي يتألّف منها هذا الطاقم! بطريقةٍ ما، لقد أثبتَ مركز كلارا شورتريدج فولتز للعدالة الجنائية أنّه مكانٌ أكثر غرابة من قطار الشرق السريع. هذا المكان الذي لم يكن يبعد أكثر من أربعة أميال عن منزل كال عند الحدّ الفاصل بين سيلفر ليك ولوس فيليز. كان يمكنه المشي إلى هنا من كلِّ العقارات التي يملكها أو يديرها تقريباً. كانت شركة إيستسايد للعقارات عملَ كال على مدار خمسة وعشرين عاماً. ارتفعت الإيجارات في المنطقة بشكلٍ منتظم مع انتقالها من كونها وعاءً فارغاً إلّا من الغبار إلى بلدةٍ تضجُّ بالحياة بأسلوب ذروة حقبة الثمانينات مع مقاهٍ حديثة ونوادٍ للبيلاتس. كان شريكه دون موجوداً معه هنا منذ الأزل. ومع ذلك،

فإنَّ أهل لوس أنجلوس الذين قابلهم في المحكمة كانوا غرباء تماماً بالنسبة له. جغرافيّاً، كانوا جيرانه. ورسميّاً، كانوا نظراءه. لماذا إذاً كانوا يبدون وكأنّهم نُقلوا إلى هنا عبر الفضاء من كوكبٍ آخر؟

كان هناك جانبٌ جسيم في فكرة أنَّه فقط في قاعة المحكمة هذه يمكن لهذه العناصر العشوائية أن تتجمَّع. كل ما تطلّبه الأمر لجعل الناس في لوس أنجلوس يتحدّثون بعضهم إلى بعض هو أن يقتل أحدُهم الآخر.

وجد كال نفسه في نهاية استراحة الغداء واقفاً في حمّام الرجال إلى جانب بيتر ويلكي الذي أخذ على عاتقه كسر حاجز الصمت:

- «يا لتلك الرسائل، صحيح؟».

- «تماماً».

- «هل حدثَ أن تلقَّيتَ رسائل كهذه يوماً؟ من شابٍّ مثلاً؟»، سأل بيتر.

هزَّ كال كتفيه.

- «لن تصدّق بعض الأشياء التي وصلتني من فتيات؛ إنّها جديرةٌ بجائزة بوليتزر في البذاءة. لا أعرف بالنسبة للمثليين...».

ابتسم كال بأدب. كانت هناك فصيلةٌ من الرجال ذوي الميول الطبيعية تستشعر في أصواتهم نوعاً من الحسد المضحك حين يتحدّثون عمّا كانوا يتخيّلون أنّها حياة المثليين الحميمة.

- «لقد اقتنيتُ هاتفاً محمولاً السنة الماضية فحسب»، قال كال وهو يتوجّه إلى المغاسل. «حاول ابن أخي أن يريني كيف أرسل رسائل نصّية، لكن ما المانع من أن تتّصل بالشخص وحسب؟».

بعد الغداء، جاء دور محامية الدفاع غيبسون مع المحقّق كانديرو.

- «أيّها الضابط»، قالت وهي تتمشّى متهاديةً نحو منصّة الشهود وكأنّ لديها كلّ الوقت في العالم. «لا بدّ أنّكَ صُدمتَ كثيراً لدى رؤيتكَ لتلك الرسائل النصّية بين بوبي وجيسيكا».

- «نعم، سيّدتي».

- «حتّى أنّكَ شعرتَ بالغيظ؟».

- «إذا أردتِ ذلك».

- «الكثير من اللغة الاستفزازية بالنسبة لفتاةٍ في هذا العمر».

ابتسم كانديرو قليلاً. «حسنٌ، لديَّ فتاةٌ في هذا العمر. قد نُصدَم أحياناً».

كان على كال أن يتّفق مع الشرطيّ. كل تلك الأشياء التي يراها الفتية والفتيات على الإنترنت هذه الأيام...

أومأت غيبسون برأسها على نحوٍ يوحي بالودّ. «وهذا مع مدرّسها».

نظر القاضي إلى مورنينغستار وكأنّه كان يبحث عن اعتراض، لكنَّ المدّعي العام التزم الصمت. كان يعترض كثيراً في الفترة الأخيرة، لذا فهو يدّخر ذخيرته ربّما.

- «تماماً»، قال كانديرو.

- «ما الاستنتاجات التي استخلصتها من هذه الرسائل النصيّة؟».

- «أستميحكِ عذراً؟».

- «ماذا جعلتكَ هذه الرسائل تعتقد أنَّه قد حدث؟».

- «قد حدث؟». فكّر للحظة. «حسنٌ، هذه الرسائل كانت بين المتَّهم والضّحية».

- «فقط لنكون واضحين، في هذه المرحلة، أيْ حين علمتَ بأمر هذه الرسائل، لم يكن بوبي نوك متّهماً، ولم يكن قد أُعلِن عن جيسيكا سيلفر على أنّها ضحيّة».

- «نعم. صحيح. نعم».

- «لكنّكَ افترضتَ أنَّ هذه الرسائل تعني أنّهما كانا منخرطين في علاقةٍ غير لائقة؟».

- «نعم، هذا ما افترضتُه. الأمر الذي يعطيه دافعاً لقتلها».

- «آه، صحيح»، قالت غيبسون.

وقفتْ هناك للحظة، وكأنَّ أفكارها مشوّشة. ثمَّ نظرتْ إلى منصّة الشهود، وكأن شيئاً قد خطر لها للمرّة الأولى.

- «أوه، سؤالٌ واحد فقط، لمَ افترضتَ ذلك؟»، قالت له.

لم يكن كال واثقاً إلى أين تريد الوصول بهذا، لكنّها حصلتْ على انتباهه بالتأكيد.

- «حسنٌ، إذا كان بوبي نوك يحتاج أن يخفي عن المدرسة، وعن عائلة سيلفر، أنّه كانت تجمع بينهما علاقة حميمة، إذا كان يحتاج للتأكد من أنّها لن تخبر أحداً بما كان يجري بينهما، فسيشكّل هذا دافعاً جيّداً لارتكاب هذه الجريمة»، قال المحقّق.

- «لا، أنا آسفة، اسمح لي أن أعيد صياغة السؤال. لمَ اعتقدتَ أنَّ بوبي نوك وجيسيكا سيلفر كانت تجمع بينهما علاقة حميمة؟».

حدَّق المحقّقُ كانديرو مذهولاً. «الرسائل النّصية.. لقد كانت صريحةً ومحدّدةً جدّاً».

- «كانت واضحة جدّاً».

- «نعم، سيّدتي».

- «لكن، هل حدث في أيٍّ موضعٍ من هذه الرسائل أنْ تمَّتِ الإشارة إلى أنَّ بوبي وجيسيكا قد جمعتهما علاقة حميمة بالفعل؟».

كان في وسع كال سماع أصوات الهمهمة تعلو في أرجاء الغرفة.

- «سيّدتي؟».

- «حسنٌ، فلنأخذ الرسالة الأولى التي قرأتَها لنا هذا الصباح»، قالت غيبسون.

- «إنها ليست أمامي الآن».

قرأتْ من ملاحظاتها. «'لا أقوى على الانتظار حتّى أشعر بجسدكِ بجانبي'. هل هذه هي الرسالة؟».

- «أعتقد ذلك».

- «'لا أقوى على الانتظار...'»، كرّرتْ ببطء. «إذا قلتَ الآن، 'لا أقوى على الانتظار حتّى آكل شطيرة ديكٍ رومي...'، حسنٌ، هل سيأخذ أحدٌ هذا التصريح بمعنى أنّكَ تناولت الغداء بالفعل؟».

بدا المحقّق مرتبكاً، في أقّل وصفٍ لحالته.

بدأ يتّضح لكال إلى أين تريد غيبسون الوصول.

اللعنة! لقد كانت بارعة.

- «اعتراض». وقف مورنينغستار. «هذه فرضيةٌ سخيفة».

- «على أيِّ أساس؟».

سكت مورنينغستار. «إنّها غير ذات صلةٍ».

التفتتْ غيبسون نحو القاضي. «لقد قام بوضع المحقّق على المنصّة للإدلاء بشهادته بشأن هذه الرسائل النصّية. وطلب منه أن يستخلص المدلولات من لغة هذه الرسائل. إن كنّا نوسّع إطار

الشهادة التي قدّمها الشاهد، فهذا لأنَّ الولاية ممثّلةً بجهة الادّعاء فعلتْ ذلك في المقام الأوّل».

أخذ القاضي لحظةً للتفكير. «الاعتراض مرفوض»، قال أخيراً.

لن يدّعي كال أنّه يعرف أيَّ شيءٍ عن الجوانب القانونية التقنية ذات الصلة بالأمر، لكن حتّى هو استطاع أن يدرك أنّ محامية الدفاع كانت قد فعلتْ شيئاً ذكيّاً جدّاً.

- «أيّها المحقّق؟»، قالت المحامية.

- «أنا...»، قال المحقّق. «أنا... لا أعتقد أنَّ المتّهم كان يتحدّث هنا عن شطيرة ديكٍ روميّ».

كانت هناك أصوات ضحكٍ في القاعة. نظر كال إلى إيلين سيلفر، تلك المرأة المسكينة.

ابتسمتْ غيبسون. «معك حقّ. ماذا عن الرسالة التالية؟ هل أعيد قراءتها لكَ أيضاً؟»، قالت وهي تتحقّق من ملاحظاتها.

- « لقد ارتديتِ ذلك الفستان في الفصل اليوم لتغيظيني فحسب».

- «أعتقدُ هذا يعني أنَّ المتَّهم أحبَّ فستان الضحية».

حدجتْهُ بنظرةٍ صارمة. «الضحيّة المزعومة».

- «الضحية المزعومة»، صحّحَ لنفسه.

- «شكراً لك»، قالت المحامية. «إذاً، أنا أرى إشاراتٍ إلى أشياء 'لا يطيق بوبي الانتظار حتى يفعلها' أو أشياء 'يفكّر فيها'، لكنّي - وانتبه، أنا لا أدّعي أنّني أعرف على وجه اليقين - لا أرى أيَّ موضعٍ حيث تشير هذه الرسائل إلى شيءٍ قد فعلوه بالفعل».

التقطَ المحقّق كانديرو أوراقه المطبوعة المغلَّفة بالنايلون. قلّبها سريعاً وهو يمسح الصفحات بعينيه.

- «صحيح؟»، قالت غيبسون بنبرةٍ مرحة كما لو كانت هي بنفسها مجرّد مراهقةٍ غبيّة وجدتْ نفسها متورّطةً في كلِّ هذا، دون أن تكون متأكّدة ما الذي كانت تفعله في قاعة المحكمة الرسمية الكبيرة هذه.

أثارت السهولة التي كانت غيبسون تتنقّل بها من دور المفترِس إلى دور الفريسة إعجاب كال.

- «اعتراض، سيادة القاضي». وقف مورنينغستار مرّةً أخرى مستشعراً على الأرجح تغييراً في اتّجاه الريح. لكن إنْ كان على خطوته التالية أن تقف في وجه الريح المعاكسة، فقد فشل في ذلك، إذ كان في وسع كال أن يسمع أثر التوتّر في صوته حين قال: «ليست صيغة سؤال».

- «سأعيد الصياغة، سيادتك»، قالت غيبسون بهدوء. «أيّها المحقّق، حيث إنَّ كلّ هذه الرسائل والصور تشير - بالمناسبة، جميعها مرسَلةٌ في نفس اليوم - إلى علاقةٍ غير لائقةٍ على نحوٍ صادم بين معلّمٍ وتلميذته، هل خرجت تحقيقاتكَ بأيِّ دليلٍ ملموس - من أيِّ نوعٍ - يثبتُ أنَّ بوبي نوك وجيسيكا سيلفر قد جمعتهما علاقة حميمة حقّاً؟».

كان المحقّق كانديرو لا يزال يقلّب في الأوراق. الرسالة التي كان يسعى إلى العثور عليها لم تكن موجودة. أخيراً، أغلق المصنّف.

- «لا، سيّدتي، لم تفضِ التحقيقات إلى دليلٍ كهذا»، قال المحقّق.

سمع كال أصوات الهمهمة تعلو مجدّداً. كانت هذه المرّة عاليةً لدرجة أنَّ القاضي استخدم مطرقته ليعيد الهدوء إلى القاعة.

- «إن لم تكن هناك علاقة حميمة تجمع بين بوبي وجيسيكا في

الواقع، فأين لهذا أن يضع نظرية الادّعاء حول دافع بوبي لارتكاب هذه الجريمة؟»، قالت غيبسون.

لم ينجح المحقّق كانديرو في إخفاء إحباطه. «لمجرّد أنّهما لم يكونا على علاقة ربّما، فهذا لا يعني أنّه لم يقتلها».

- «بالطّبع أيّها المحقّق، بالطبع. ولكنّ...»، أشارت إلى مورنينغستار، «صديقي هناك يقترح أنّ بوبي نوك قد قتل جيسيكا سيلفر بغرض التستّر على علاقةٍ سرّية. ولهذا السبب أنا أسألك، بحسب رأيكَ المهنيّ، هل ستكون قضيّة الادّعاء قريبةً من أن تكون ذات معنى ما لم تكن العلاقة حميمة على وجه التحديد؟».

خلال لحظة كان مورنينغستار قد وقف متوجّهاً باعتراض. ربح الاعتراض هذه المرّة، إذ لم يكن على الشاهد أن يجيب على هذا السؤال.

كان في وسع كال الشعور ببراعم الشكّ الآخذة بالتّشكّل.



9

هو لم يفعل ذلك لوحده

الآن

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة حين بلغت مايا أعلى التلّ متوجّهةً إلى منزلها.

أضاء وهجُ أنوارِ وسطِ البلدِ الجديدِ الذي ابتدعه لو سيلفر تلالَ سيلفر ليك. الضوء القريب الوحيد جاء من نوافذ جيرانها.

كان الشارع أمام منزلها خالياً، فسمحت لنفسها بالاسترخاء قليلاً، مدركةً أنّها كانت على حقٍّ حتى الآن: لم يكتشف أحدٌ عنوان منزلها بعد.

ثمَّ رأتْ شيئاً يتحرّكُ في حديقتها الأمامية.

كانت للحظةٍ متأكدة أنَّها تتخيّل الأشياء. شعرتْ بمعدتها تنقبض من الخوف.

كشفتْ هيئةٌ بشرية عن نفسها في الظلام. كان أشبه بطيفٍ لشخصٍ قبالة نوافذها المضاءة. أحدٌ ما كان يمشي بهدوء بين أشجار النخيل في فناء منزلها.

جثمتْ مايا تحت بوّابة أحد الجيران الخشبية. شعرت بقلبها يخفق بشدّة.

أيّاً يكن، هناك مَن انسلّ عبر الظلام إلى طرف حديقتها. إن كان مصوّراً، فإنَّ اللقطة الوحيدة التي تستحقُّ أيّة أموال هي لقطةٌ لمايا، وفي هذه الحالة، رهانه الأفضل سيكون الانتظار في الشارع حتى تظهر. لكنَّ هذا الرجل كان يتسلّل متلصّصاً داخل حديقتها.

واين.

عرفتْ مايا أنَّ عليها أن تركض مبتعدة بأسرع ما تستطيع وتتَّصل برقم الطوارئ 911. لكن بحلول الوقت الذي ستصل فيه الشرطة إلى هنا، سيكون واين قد رحل على الأرجح. وسيجد الادّعاء طريقة ليستخدم تلك المكالمة ضدّها. إن كانت في مكانهم، لفعلتْ الشيء نفسه.

سحبت مايا هاتفها المحمول، وقرّبتْه إلى صدرها كي تحجب ضوء الشاشة الساطع. ثمَّ شغَّلت كاميرا الفيديو.

قفزت بسرعة من فوق البوّابة واندفعت نحو حديقة منزلها. مدّت يدها بالهاتف وشغّلت ضوء المصباح فيه.

- «اللعنة».

كان صوتَ امرأة. صوتٌ مألوف. رفعتِ المرأة ذراعها أمام وجهها منبهرةً من الضوء.

- «أنا أتّصل بالشرطة»، قالت مايا.

- «انتظري، هذه أنا».

أخفضتْ شانون - المساعِدة من **مدينة القتل** - ذراعها.

- «ما الذي تفعلينه هنا؟»، قالت مايا.

- «أعطتني صديقتكِ كريستال عنوانك. . . أنا أحاول المساعدة».

- «كيف لهذا أن يساعد؟».

رفعت شانون مظروفاً كبيراً فوق رأسها. بدت وكأنّها تستسلم لفرقة مغاوير مسلّحة لا إلى محاميةٍ مع هاتفٍ محمول.

- «لا أعتقدُ أنّكِ قد تقتلين أحداً»، قالت شانون.

- «شكراً».

- «منح ريك للبرنامج إمكانية الوصول إلى جميع ملفّاته. كلُّ ما جمعه من معلومات عن اختفاء جيسيكا سيلفر».

- «ماذا وجد؟».

- «لا أعرف». رفعت شانون المظروف مجدّداً. «لكنَّ هذا قد يخبرنا».

انتظرتْ شانون ريثما قامت مايا سريعاً برمي بعض الملابس في حقيبة ظهر وحشر كمبيوتر محمول مع مجموعة من أجهزة الشحن في حقيبتها.

- «سنأخذ سيّارتكِ»، قالت لشانون.

- «إلى أين نحن ذاهبون؟».

- «إلى مكانٍ آمن».

لم تكن هناك أيّة حركة مرور بينما شرعتْ شانون تقود سيّارتها الـ BMW السوداء الجديدة، ومايا تجلس بقربها.

- «سيّارةٌ جميلة»، قالت مايا. تساءلت كيف لمساعِدةٍ أن تتحمّل كلفة سيارة BMW.

- «والداي»، قدّمتْ شانون إجابة دون أن تكون قد سُئلت.

كان منزل كريستال ليو في سانتا مونيكا معزولاً عن الشارع بصفٍ من أشجار البامبو المشذَّبة. كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل تقريباً حين فتحت الباب لهما مرتدية بنطالاً رياضياً وقميصاً قديماً.

- «الديكِ موعدٌ كبيرٌ الليلة؟»، قالت مايا.

تجاهلتْها كريستال والتفتتْ نحو شانون. «هل حقّاً قلتِ لها أنّها بطلتكِ؟».

- «ماذا؟»، قالت شانون بنبرةٍ لا توحي بالندم.

في غرفة معيشة كريستال المؤثّثة بذوقٍ رفيع، فتحتْ شانون المظروف. احتوى حزمة من المعلومات لموظّفي مدينة القتل الجدد: تعليمات حول ركن السيّارات، كشوف المرتّبات، سياسة الإجازات المرضية، وكيفية تسجيل الدخول إلى أنظمة التخزين السيبرانية الخاصة بالبرنامج.

سجّلت شانون دخولها باستخدام كمبيوتر كريستال المحمول. «من المفترض أن يكون كلُّ شيءٍ قدّمه ريك للبرنامج مخزّناً على الشبكة».

- «هل يمكن لأيِّ شخصٍ تتبُّع هذا؟»، سألت مايا.

- «بالتأكيد. أنتِ تستخدمين بيانات تسجيل الدخول الخاصّة بي، ولكن من عنوان الـ IP الخاص بكريستال».

- «اشرحي ذلك».

قلبتْ شانون عينيها مستغربة. لم تشعر مايا بأنّها تقدّمتْ في السنّ وأصبحتْ عديمة الجدوى منذ آخر مرّة رأتْ شانون فيها.

- «لكمبيوتر كريستال عنوان IP فريد وخاصٌّ به. إذا قام أيٌّ من

طاقم البرنامج بالبحث عن الموقع الفعلي الذي حدثت منه عمليات تسجيل الدخول، فسوف يعرف أنَّ إحداها حدثتْ من هذا الكمبيوتر. لكنْ لمَ البحث؟ لم يقم أحدٌ باختراق نظامهم، إنّه تسجيل دخول نظاميّ. كما أنّني واثقة أنّهم أعطوا للشرطة إمكانية الدخول إلى النظام، فالأرجح أنَّ هناك مجموعة من عناوين الـ IP الجديدة تقوم بعمليات تسجيل دخول هذه الليلة».

التفتتْ مايا نحو كريستال، التي أومأت لها. «افعلي ذلك».

حمّلتْ مايا على ذاكرة تخزين مؤقّت مجموعة ضخمة من الملفّات التي حملت عنوان «عرضٍ تقديمي من ريك ليونارد».

- «إنْ تحقّقوا من الأمر، سيعرفون أنّنا استخدمنا بياناتكِ، وسوف يقومون بطردك»، قالت مايا.

هزّتْ شانون كتفيها. «هل يمكنني أن أكون صريحةً معك؟».

- «ألم تكوني كذلك؟».

نقرتْ شانون أمر فتح ذاكرة التخزين على كمبيوتر كريستال. «هذا العمل مقرفٌ نوعاً ما».

علمتْ مايا لاحقاً أنَّ شانون لم تكن تحصل على أجر حتّى. ويبدو أنّها كانت وريثة ثروات إحدى عائلات كونيتيكت، والتي لم تفهم مايا طبيعتها الدقيقة.

أخذت الثلاث أماكنهن على أرائك منفصلة. بينما كانت شانون تعمل على كمبيوتر كريستال، استعملت هذه الأخيرة جهازها الآيباد، فيما شغّلتْ مايا كمبيوترها المحمول.

تولّت كريستال أمر الملفّات المتعلّقة بعائلة سيلفر. تولّتْ شانون

المسائل العلمية. فيما تحمّلت مايا العبء الأكبر من هذه الملفات: تلك المتعلّقة ببوبي نوك.

كان التحقيق الذي أجراه ريك على مدى عشر سنوات في اختفاء جيسيكا سيلفر مستنزِفاً. لم تكن مايا تتوقّع ما هو أقلُّ من ذلك، ورغم كلِّ شيء فإنَّ حجم هوسه كان أمراً يخطف الأنفاس. كانت هناك ملفّاتٌ تفصيلية عن كلِّ عنصر من عناصر القضيّة: كيمياء الحمض النووي، مع تقارير كاملة من عشرات المقابلات مع خبراء الطبِّ الشرعي؛ فيزياء أبراج الهواتف المحمولة، مع شروحٍ مفصّلة من عشرين صفحة عن تقنيّة الموجات الراديوية التي تعمل عليها الشبكات اللاسلكية؛ تاريخ إمبراطورية لو سيلفر العقارية، ليس فقط بالبيانات المالية المفصّلة بل مع شهادات من موظّفين سابقين؛ شجرة عائلة إيلين سيلفر التي تظهر ظروف نشأتها القاسية قبل أن تتزوّج من لو الذي سرعان ما سيصبح ملياردير اً؛ بطاقات تقارير مدرسية لجيسيكا سيلفر تعود رجوعاً حتى مرحلة روضة الأطفال؛ وبالطبع صفحاتٌ لا حصر لها حول حياة بوبي نوك وأفعاله الشريرة.

فكّرتْ مايا في ملفّها الخاص بالقضيّة، والذي رآه ريك في غرفتها بالفندق. هل تصوَّر أنّه قد يجد فيه هوساً يمكن أن ينافس هوسه؟ لَكَمْ يجب أن يكون مجلدها الصغير قد بدا ضئيلاً وتافهاً.

هل ألقى نظرةً عليه حين كان لوحده في غرفتها قبل أن يأتي أحدٌ ما ويقتله؟

هل كان آخرُ ما شعر به قبل موته هو خيبة أمل؟

ذهبت مايا لتعدَّ القهوة بعد الساعة 1:00 صباحاً، الأمر الذي لم تفعله منذ أيّام الجامعة.

كانت تعاني مع آلة صنع القهوة الأنيقة نرويجية الصنع الخاصّة بكريستال حين ظهرتْ شانون بجانبها، وجعلت الآلة تعمل خلال ثوانٍ.

- «هل تعتقدين أنّه كان واين؟»، سألتْ شانون.

اعترفتْ مايا بأنّها لم تكن تعرف. لقد أوضحتْ كذبة واين واختفاؤه المتزامن أنّه بالتأكيد كان يخفي شيئاً ما. لكنَّ ذلك أعطى أيضاً مصداقيةً لنظرية كريستال القائلة إنَّ كثيراً من المحلّفين متورّطون في الأمر - وإنَّ هناك نوعاً من المؤامرة في هذا الأمر برمّته.

- «قد يكون واين قاتلاً»، قالت مايا وهي تصبُّ القهوة، «لكنّه ليس مخطِّطاً. إنّه قويٌّ شديد البأس لكنّه أحمق. إذا كان قد فعل ذلك، فلا أعتقد أنّه فعله بمفرده».

- «شكراً»، نادتْ كريستال من الغرفة الأخرى مطالبةً بالفضل في الاستنتاج الأخير.

كان لشانون هيئةُ مَن تمَّ نقله إلى مشهدٍ من برنامجها التلفزيوني المفضَّل: مبتهجة، متوتّرة، ومتشكِّكةً باستغرابٍ من أنَّ كلَّ هذا يحدث معها فعلاً.

صُدِمتْ مايا بعدد الأشخاص الذين كان ريك قد تحدَّث إليهم. اكتشفتْ مقابلاتٍ أجراها مع المعلّمين في المدرسة، وزملاء الكليّة، وأصدقاء الطفولة. كانت هناك ملاحظاتٌ عن الجميع، وتسجيلات صوتية للعديد منهم.

- «متى تسنّى لريك الوقت لكلِّ هذا؟»، سألتْ مايا.

- «كان لديه عشر سنوات»، أجابتْ كريستال.

- «هل هذا هو كلُّ ما كان يفعله طوال عشر سنوات؟»، تساءلتْ مايا بصوتٍ عالٍ.

- «نعم»، قالت شانون.

استدارت مايا ونظرتْ إليها. «ماذا تقصدين؟».

- «كنّا قد بدأنا نجمّع شريطاً حول ريك قبل بضعة أسابيع. أقصد، ليس أنا، لم يسمحوا لي بفعل أيِّ شيء. لكنّه زوّدنا بخلفيةٍ عامّة حول أين كان طوال هذا الوقت».

- «أين؟».

- «هنا، في لوس أنجلوس. لقد ترك برنامج الدكتوراه بعد ستّة أشهر من صدور الحكم. كانت هناك حالةٌ من التوتّر مع الخرّيجين الآخرين وبعض الأساتذة، شيءٌ من هذا القبيل. كان من الصعب عليه المتابعة.

- «إذاً فقد مكث في لوس أنجلوس فحسب و...؟».

هزّتْ شانون كتفيها. «تحوّل إلى مهووس».

- «لقد نشر ذلك الكتاب الذي يشرح فيه كم أنتِ فظيعة»، قالت كريستال.

رمقتْ مايا كريستال بنظرةٍ متجهّمة.

- «لكن بعد ذلك؟ ماذا فعل ريك كي يكسب المال؟»، سألت مايا شانون.

- «يبدو أنَّ الكتاب قد غطّى مصاريفه لفترةٍ طويلة. ادّخر الكثير من عائداته، واستثمر بشكلٍ جيّد على ما أعتقد. أنا حقّاً لا أعرف الكثير عن هذه الأشياء».

كانت شانون **بالتأكيد** وريثةً من عائلات الأموال في الساحل الشرقي.

- «تريدين أن تقولي لي أنَّ الشيء الوحيد الذي فعله ريك منذ انتهاء المحاكمة هو التحقيق في اختفاء جيسيكا سيلفر»، قالت مايا.

- «هذا ما قاله. أعتقد أنّه كان وحيداً جدّاً. فقد كان الأمر برمّته قاسياً على عائلته، إذ انفصل والداه بعد صدور الحكم. ما زالا يعيشان في... أين كان ذلك...؟».

- «كارولاينا الشمالية»، قالت مايا. تذكّرت أنّها سمعتْ بأمر والديّ ريك. كان الحديث عن عائلتيهما أثناء المحاكمة أحد أكثر المواضيع أماناً للخوض فيه. كادتْ مايا تشعر بالإهانة لكون شانون تعرف الآن عن عائلته أكثر ممّا تعرف هي.

لم يرغب ريك في إخبار مايا بأيٍّ من هذا. **لماذا؟**

- «لا أستطيع أن أصدّق أنّه لم يتمكّن من تجاوز المحاكمة والمضيّ قدماً»، قالت كريستال.

- «لا أحد منّا تمكّن من تجاوزها، حتّى لو تظاهرنا بذلك»، قالت مايا.

لأوّل مرّة، لم يكن لدى كريستال شيئاً لتقوله.

بالأمس فقط، كانت مايا قد أخبرتْ ريك بكلِّ ثقة أنّها تجاوزت الأمر، أنّها لم تعد تتساءل مَن قتل جيسيكا، أنّها لم تعد تهتمُّ.

هراء كانت الغاية منه طمأنتها هي.

كانت مايا قد قطعت ثلث الطريق تقريباً في رحلتها عبر كومة الملفّات الرقمية حين صادفت شيئاً مثيراً للفضول.

- «لقد ذهب ريك لزيارة بوبي نوك»، قالت مايا. بما أنَّ تحقيق ريك كان بهذه الشمولية والعمق، فكان من الطبيعي أن يجد طريقةً

لاستجواب المشتبه به نفسه. لكنّها لم تصدّق أنَّ ريك وبوبي التقيا بالفعل ولم تكن هي حاضرة لرؤية ذلك.

- «متى؟»، سألتْ كريستال.

قرأتْ مايا التقرير الموجز. «كان بوبي يعيش في بلدةٍ صغيرة على بعد بضع ساعات إلى الشمال من هنا. ذهب ريك لزيارته في الخامس من أبريل. لكنَّ هذا كلُّ ما جاء في الملفّ. لقد تحدّثَ إليه، لكن نص الحوار غير موجود، وليس هناك تسجيل أو أيّ شيء».

عبستْ شانون. «يبدو هذا غريباً، أليس كذلك؟».

أومأتْ مايا برأسها. «توجد صفحات هنا عن أبناء عمومة إيلين سيلفر الفقراء في فلوريدا، عن موقف المقطورات الذي ترعرعت فيه قبل أن تنتقل إلى لوس أنجلوس وتلتقي بلو. لكن ليس هناك نصٌّ لمحادثةٍ واحدة أجراها ريك مع الرجل الذي قضى عشر سنوات وهو يحاول أن يضعه في السجن؟».

- «الرجل المختفي الآن»، لاحظت كريستال من على أريكتها.

تجهّم وجه مايا. «اختفى قبل خمسة أشهر. هذا ما قاله لي كريغ...». نظرت إلى تاريخ زيارة ريك مرّةً أخرى. «متى بالضبط بلّغ ضابط بوبي عن خرقه لقواعد الإفراج المشروط؟».

نظرت كريستال وشانون إحداهما إلى الأخرى: هل كانت هذه المعلومة في مكانٍ ما هنا؟

أرسلت مايا رسالةً نصّية إلى مايك ومايك.

ردَّ أحدهما خلال عشرين ثانية، والآخر بعده بخمس عشرة ثانية.

- «انتهك بوبي الإفراج المشروط في التاسع من أبريل»، قرأتْ مايا من هاتفها. «ولم يرَهُ أحدٌ منذ ذلك الحين».

نظرتْ كريستال إليها. «اختفى بوبي نوك بعد أربعة أيّامٍ من زيارة ريك».

- «لذا، أيّاً كان ما اكتشفه ريك، فإنّه أخاف بوبي أكثر من خرق الإفراج المشروط»، قالت شانون.

بعد حوالي الساعة، دفعتْ مايا أخيراً الكمبيوتر المحمول بعيداً.

«لا يوجد شيءٌ آخر هنا»، قالت بإحباط. كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحاً، وكان الهدوء يخيّم على سانتا مونيكا على نحوٍ مخيف، لدرجة أنَّ مايا جفلت من صوتها الذي بدا جهوريّاً. «عثر ريك على عالِمٍ آخر يدعم حجّة الادّعاء بأنَّ دم جيسيكا كان في صندوق سيّارة بوبي. يا للخَطْب الجلل!».

- «هذا ليس بخطْبٍ جلل؟»، سألتْ كريستال.

- «ليس بالشيء **الجديد**. لقد تصفّحتُ مئات الصفحات حتّى الآن، وليس فيها شيءٌ لم نُشبِعه نقاشاً وجدلاً قبل عشر سنوات. حسنٌ: هناك بعض التقنيات الجديدة في الطبِّ الشرعي؟ إنّها لا تثبتُ أيَّ شيءٍ على نحوٍ قاطع. وتلك الشهادة الخطّية تحت القَسَم لرجلٍ في متجرٍ لنسخ المفاتيح بالقرب من شقّة بوبي، والذي رأى فتاةً **يعتقد** أنّها تشبه جيسيكا يوم اختفائها؟ مرّةً أخرى: يا للخَطْب الجلل!».

نظرتْ شانون إلى شاشتها. «نفس الوضع هنا. أعني... كلُّ شيءٍ هنا عبارةٌ عن أشياء كنتُ أعرفها من قبل».

- «أنا لم أكن أعرف **أيّاً** من هذا»، قالت كريستال، «لكن لا شيء ممّا قرأتُ يجعلني، لو كنتُ بوبي نوك، أقول لنفسي 'أوه نعم، عليّ الآن أن أختفي عن الأنظار بالتأكيد'».

وقفتْ مايا. «أيّاً كان ما وجده ريك، فهو لم يضعه هنا».

بدتْ شانون في حيرةٍ من أمرها. «ولكنَّ هذا كلّ ما قدّمهُ لنا».

وقفتْ تمطّط عضلات ظهرها. «كان من المفترض أنّه سيطلعنا على الملفّات ويشرح لنا كلَّ شيء في اليوم التالي. اليوم الذي يلي... حسنٌ، اليوم. يا يسوع، هل كان من المفترض أن يفعل ذلك اليوم؟».

نظرت كريستال إلى الساعة في شاشتها. «عمليّاً إنّه الأمس».

- «هل اطّلعَ أحدٌ من طاقم البرنامج على هذه الأشياء؟»، سألتْ مايا.

- «ليس حقّاً. لقد كنّا ننتظره. ومَن يدري إنْ كان أيُّ أحدٍ سيفعل ذلك الآن، مع وجود الشرطة، وكلِّ شيءٍ آخر».

- «الشرطة لن تخوض في كلِّ هذا»، قالت مايا. فكّرتْ في المحقّقة ديزي التي كانت تعمل على بناء قضيّةٍ مُحكمةٍ ضدّها. «الشرطة تصبُّ تركيزها عليّ، ولسوف يغفلون أيَّ شيءٍ من شأنه أن لا يساعد في وضعي خلف القضبان».

نقرتْ كريستال على جهازها الآيباد. «حسنٌ، يبدو أنَّ هناك شيئاً على الأقلّ هنا سيكونون مهتمّين به».

- «ماذا تقصدين؟»، قالت مايا.

- «يوجد ملفٌّ هنا، بعنوان 'مايا سيل'»، قالت كريستال.

- «ماذا بداخله؟». جلستْ مايا بجانب كريستال.

نقرتْ كريستال على الملف. ظهرت على الشاشة صورٌ لمايا. بعضها من المحاكمة. بعضها من قبل المحاكمة. والبعض كانت صورها... في قاعات محاكم أخرى، في قضايا أخرى، بعد وقتٍ طويل من المحاكمة.

- «يا صاح»، قالت كريستال.

انضمَّت شانون إليهما على الأريكة. «انظرا، هناك ملفٌّ آخر لسجّلات المحكمة. هل هذه لجميع القضايا التي ترافعتِ فيها؟».

شعرت مايا بالبرد. سرتْ قشعريرةٌ عبر جسدها.

- «درجاتك في كليّة الحقوق موجودةٌ هنا أيضاً»، قالت كريستال. «يا إلهي... لقد حصلتِ على درجة ممتاز في **قوانين العطل والضرر المدنية؟**».

شعرتْ مايا بانقباضٍ في معدتها. «لماذا قضى ريك كل هذا الوقتِ في إجراء الأبحاث... عنّي؟».

نقرت كريستال على مجلّدٍ آخر، عنوانه «جاي كيم».

ملأت صور جاي الشاشة. كانت هناك أيضاً صورٌ لرجالٍ أصغر سنّاً يشبهونه؛ افترضتْ مايا أنّهم أبناؤه. كانت السجّلات الوظيفية لكلٍّ منهم موجودة في الملفّ.

- «لستِ أنتِ فقط»، همستْ شانون.

مدّت مايا يدها إلى لوحة المفاتيح. أغلقت ملفَّ جاي كيم، وحرّكتْ المؤشّر نحو الملفّ التالي. كان هناك ملفٌّ عن كلٍّ واحدٍ منهم: لِيلا روزاليس، فران غولدنبرغ، كاثي وينغ، بيتر ويلكي، كارولينا كانسيو، واين راسل، ياسمين صرّاف، تريشا هارولد، كال بارو.

- «إنَّ ريك لم يمضِ عشر سنوات يحقّق في القضية فحسب»، قالت مايا وقد اشتد الانقباض في معدتها. «لقد كان يحقّقُ بشأننا أيضاً».

بيتر

10 يوليو، 2009

كان بيتر ويلكي لا يزال يبتسم كلّما تذكَّر أوّل ليلةٍ تسلّل فيها إلى غرفة فندق بداخلها فتاةٌ نائمة. كان متوتّراً بشكلٍ جنونيّ، ويتصبّبُ عرقاً لدرجة أنَّ كفّيه بلّلا بطاقة المفتاح الإلكتروني الذي تركتْه له في مكتب الاستقبال.

بدتْ تلك الثواني في المصعد وكأنّها أطول رحلةٍ في العالم. **ماذا لو لم تعمل بطاقة المفتاح؟ ماذا لو ذعرتِ المرأة حين رأتْه وقرَّرتْ أنّها ارتكبتْ خطأً فادحاً؟** لقد كاد يصاب بالشلل لشدّة توتّره.

وصل إلى الطابق الخامس في فندق Long Beach Hyatt، غرفة 521. كان لا يزال يتذكّر رقم الغرفة. عملتِ البطاقة بشكلٍ جيد. مشى في العتمة فوق الأرضية المفروشة بالسجّاد. كانت هناك في السرير، نائمةً، وشعرها يغطّي وجهها.

أمِلَ أن تكون شبيهةً بالصور التي أرسلتْها له في اليوم السابق.

اقترب من السرير وانسلَّ تحت الأغطية. تحرَّكتْ الفتاة قليلاً، لكنّها لم تستيقظ.

استلقى هكذا لدقيقة. كان بالتأكيد خائفاً، لكنّه مبتهج ومستثار لكونه مستلقياً بجانب شخصٍ غريب تماماً. قال لنفسه: **مَن أنا؟**

سعلَ، مثلما يسعلون على منصّةٍ أمام جمهور.

استدارت نحوه وفتحتْ عينيها. مرَّتْ بلحظةٍ قصيرة من الذعر، وكأنّها كانت تتساءل: **مَن هذا الشخص، وما الذي يحدث؟**

بعدها مباشرةً، تودّدت إليه كما لو أنهما صديقان.

بالضبط كما طلبتْ في بريدها الإلكترونيّ.

كان ذلك قبل عامين. وكان على الأرجح الشيء الأكثر إثارة الذي فعله في حياته حتّى تلك اللحظة. أليس من الجنون أنَّ الأمر استغرق منه كلَّ هذا الوقت ليتعرّف على كمِّ الجموح الذي يمكنه أن يحصل عليه من موقع Craiglist؟

الحمد لله على نعمة الإنترنت.

أوحى له بالفكرة صديقٌ لأحدِ الأصدقاء، وهو في حالةٍ يرثى لها من السُكر داخل أحد نوادي الرقص على شارع سنست. قال الرجل لبيتر إنَّ المشكلة التي يواجهها معظم الرجال هي أنّهم ليسوا صادقين حيال نواياهم. لمَ على الرجال دائماً أن يعبثوا ويواربوا عبر كلِّ تلك التلميحات: «هل ترغبين في تناول مشروب في وقتٍ ما؟»، «لمَ لا تسمحي لي بإيصالك إلى المنزل - لن أقوم بأي حركاتٍ طريفة، أعدكِ!».

ما الهدف من كلِّ هذا الهراء؟ إنّه لا يخدع أحداً.

وهكذا عرض الرجل على بيتر المنشور الذي وضعه على الإنترنت: «مرحباً. أنا متعلّمٌ تعليماً عالياً، رياضيّ، بصحّةٍ جيدة،

في الأربعينات من عمري. أبحث عن علاقةٍ لليلةٍ واحدة فقط. لا أسماء، لا أحاديث، ولا محاولةٌ للتواصل بعد انقضاء الليلة».

ثمَّ أطلع بيتر على الردود التي تلقّاها... كانت شيئاً لا يصدق. ثلاث أو أربع مراتٍ في الأسبوع، كانت فتاة ما ترسل له بريداً إلكترونياً متخماً بخيالات فائقة التحديد والدقّة.

في اليوم التالي، وضع بيتر أوّل منشورٍ له. «مرحباً. أنا رجلٌ أبيض، متعلّم، أعزب، طبيعي الميول، في الثلاثينات من عمري، أسعى لسبر أغوار أعمق خيالاتك التي لم تتحقّق بعد...». تلقّى ردّاً في غضون ساعات. «لطالما كنتُ أرغب في الاستيقاظ ذات يوم بجوار شخصٍ غريب داخل غرفة فندق، شخصٌ لم أقل له كلمةً واحدة من قبل...». وبعد ذلك، وجد نفسه في عطلة الأسبوع تلك يتسلّلُ إلى غرفةٍ في Long Beach Hyatt.

أرادت إحدى الفتيات أن تشغّل موسيقا بصوتٍ صاخب. قالت إنَّ زوجها لا يسمح بتشغيل أيِّ موسيقا على الإطلاق، كلُّ شيءٍ ينبغي أن يكون هادئاً تماماً. حين التقى بها بيتر، كانت قد أحضرت معها مكبّر صوت آيبود ضخماً، وشغّلتْ بيتهوفن. أو برامز؟ كانت موسيقا كلاسيكية بالتأكيد.

ثم تراسل مع فتاةٍ طلبتْ شيئاً أكثر عنفاً. «أريدكَ أن تقتحم شقّتي - ليس اقتحاماً حقيقياً، سأترك لك الباب مفتوحاً. لكنّي أريدكَ أن تأتي كما لو كنتَ لصّاً، ارتدِ قناعاً...». في البداية، لم يعتقد بيتر أنَّ في وسعه فعل ذلك. شعر بالسخافة من وضع قناع التزلج. لكن حين دفع بابها المفتوح، وعثر عليها في غرفة المعيشة... كان الاندفاع رهيباً.

بعدها، باتت العودة إلى خيالات أكثر اعتدالاً شيئاً غريباً.

ارتداء زيّ رجل إطفاء أو سكب قطراتٍ من العسل الدافئ أو أشياء من هذا القبيل. لم يشعر بنفس تدفّق الأدرينالين المقترن بفكرة «**اللعنة! نعم، إنّ هذا يحدث حقّاً!**». وجد امرأةً طلبتْ أن تُخطف. وجد أخرى - وهذه ليست مزحة - أرادت منه أن يقتحم المنزل عبر نافذة المطبخ. حاول تحطيم النافذة بمرفقه كما يفعلون في الأفلام.

لم يتزحزح الزجاج، وظلّ بعدها مرفقه يؤلمه بشدّة طوال أسبوعٍ كامل.

كان قبل أيّامٍ قليلة من اختياره لهيئة المحلّفين قد وضع آخر منشورٍ له.

كان بيتر في بعض الأحيان يفكّر في تلك الليالي البائسة حين كان شابّاً صغيراً يضطّر إلى التوسّل أو التملّق كي تقبل الفتيات مواعدته. كيف عاش على ذلك النحو؟ هذا أكثر صدقاً بكثير. أكثر واقعيةً بكثير.

لكن انظر إليه الآن: يمشي عابراً ردهة فندق أومني، عائداً إلى غرفة نومه بعد يومٍ طويلٍ آخر في المحكمة. لا شيء ليفعله سوى مشاهدة بعض الأفلام الغبيّة التي قام كيلان بتهريبها. متى كانت آخر مرّةٍ عاشر فيها بيتر امرأة؟ كان قد بدأ يفقد صوابه.

كان أولئك القوم الطيّبون في المحكمة قد صادروا جهازه البلاك بيري بمجرد أن بدأت مرحلة العزل. كان بيتر متهيّجاً مثل كلب، ويشعر بالملل أكثر من أيِّ وقتٍ في حياته، ولم تكن تلوح في الأفق نهايةٌ لكلِّ هذا.

مرّر مفتاحه الإلكتروني على قفل باب غرفته بينما كانت لِيلا روزاليس تغادر غرفتها. لم يصدّق أنّها كانت ترتدي بنطال جينز ضيّقاً لهذه الدرجة في المحكمة. لكن ليس الأمر وكأنّه كان يشتكي، فقد

كانت الأكثر إثارة بأشواط بين أعضاء هيئة المحلّفين. لم يكن هناك حتّى مجالٌ للمقارنة.

- «مرحباً»، قالت ليلا.

أمسك بيتر بمقبض الباب. «مرحباً».

استطاع أن يشمَّ لدى مرورها بقربه رائحة زهورٍ وطراوة في هواء الفندق المعاد تدويره. ظلَّ يراقبها إلى أن اختفتْ داخل المصعد.

ثمَّ دخل غرفته وأغلق الباب.

اللعنة، لقد بدأ حقّاً يفقد صوابه.

في فترة بعد الظهر من ذلك اليوم، كانت محامية الدفاع غيبسون ترتدي تلك التنّورة السوداء التي ترتفع أعلى ركبتها مباشرةً، وذلك القميص الأبيض الذي كان رقيقاً بما يكفي ليتمكّن بيتر من رؤية خطوط حمّالة صدرها تحته. لقد رأى هذه الملابس من قبل. كانت المفضَّلة لديه.

كانت الأمور قد وصلتْ إلى **هذه الدرجة** من السوء: أصبح بيتر يشعر بالإثارة من خطوط غير واضحة لحمّالة صدر.

كان لها أسلوبها المميّز في ذرع أرضية المحكمة فيما هي تُجهِز على أحد شهود الادّعاء. كان هذا النوع من الثقة كفيلاً بإطفاء جذوة الشهوة عند بعض الرجال، لكنَّ هذا لا ينطبق على بيتر. لم يكن من نوع الرجال كارهي النساء، بل كان مولعاً بالفتيات اللواتي يعرفن ما يُردْن وكيفية الحصول عليه.

دار ذلك اليوم كلّه حول حمض جيسيكا سيلفر النووي. كان لدى غيبسون تفسيرٌ بسيط لسبب العثور على شعر جيسيكا ودمها على مقعد الراكب في سيّارة بوبي: لم ينكر بوبي أنّه قضى وقتاً مع

جيسيكا بعد المدرسة. كان يصطحبها في السيّارة في بعض الأحيان. يمكن لبضع شعرات في هذه الحالة أن تكون قد علقت على المقعد ببساطة. وبالمثل، فقد كانت جيسيكا تعاني من نزيفٍ أنفي متكرر، قد تكون قطرة دمٍ أو اثنتان سقطتا على المقعد المغطّى بالقماش.

الأرجح أنَّ بيتر، وربّما أيُّ شخصٍ آخر كان على استعداد لتصديق ذلك. لكن كيف وصل دمها إلى صندوق سيّارته؟ لا يتطلّب الأمر شخصاً عبقرياً لمعرفة أنّه إن كان لديك دمُ أحدهم في صندوق سيّارتك، فذلك يعني أنَّ شيئاً سيّئاً للغاية قد حدث.

أحد خبراء الطبِّ الشرعيّ في الشرطة، امرأةٌ صينية ترتدي بذلةً، كانت تتحدّث حول شيءٍ ما منذ بعض الوقت حين أدرك بيتر أنّه يجدر به أن يحاول إيلاء المزيد من الانتباه. كان لا ينام جيّداً منذ بدء المحاكمة، وكان يجد صعوبةً في الحفاظ على تركيزه طوال يومٍ لا نهاية له من الإدلاء بالشهادات. لم يكن يمارس التمارين الرياضية كثيراً، لم يكن يقوم بأيِّ نشاطٍ جسديّ، أو جنسي، أو غير ذلك.

- «أُحضِرت كلتا العيّنتين إلى مكتبي بواسطة الموظّف»، قالت الخبيرة.

- «هل وضعهما على مكتبك؟»، قالت غيبسون.

- «هناك طاولةٌ أستخدمها. نضع عليها العيّنات قبل أن أضعها في جهاز تفاعل البوليميراز التسلسلي. إنّه الجهاز الذي شرحتُ عنه سابقاً».

بدأ يفكّر في أفضل الرسائل التي وصلتْه من الفتيات عبر الإنترنت. فكّر في أوّل رسالةٍ بالطبع، مجرّد الإثارة الناجمة عن التسلّل إلى غرفة الفندق تلك كانت...

تردَّدتْ أصوات شهقات في أرجاء القاعة. عاد بيتر إلى رشده.

- «وبالتالي فإنَّ وضع كلتا العيّنتين بجانب بعضهما على الطاولة بهذا الشكل كان انتهاكاً واضحاً للبروتوكول الإداري»، قالت غيبسون.

- «من الناحية التقنية»، قالت الخبيرة.

- «يبدو هذا جواباً بـ «نعم» بالنسبة لي»، قالت غيبسون. «وهل أنا محقّةٌ بشأن أنّ شيئاً يمكن أن يكون قد حدث لهاتين العيّنتين أثناء جلوسهما جنباً إلى جنب على الطاولة؟».

- «هذا غير مرجّح إلى حدٍّ بعيد».

- «أليس صحيحاً أنّه إذا لامس أيُّ جزء من العيّنة المأخوذة من مقعد الراكب العيّنةَ المأخوذة من صندوق السيّارة، سيصبح عندها أثر ضئيل من حمض جيسيكا النووي - تماماً كما وجدتِها - موجوداً في عيّنة الصندوق؟».

- «هذا غير مرجّح إلى حدٍّ بعيد».

- «آسفة، لكن هل يمكنكِ الإجابة على السؤال من فضلك؟».

استمتع بيتر بتحدّي التحديق الذي دار بين المرأتين لبضع لحظات.

- «بلى»، قالت الخبيرة. «إذا حدث نوعٌ من التلوّث لدى وجود العيّنتين سوياً على الطاولة ـــــ».

- «نفس الطاولة التي من المخالف للبروتوكول أن تسمحي بوضع كلتا العيّنتين عليها؟».

- «إذا حدث مثل هذا التلوّث، وهو أمرٌ بعيد الاحتمال جدّاً، عندئذٍ الجواب على سؤالكِ هو: نعم، قد يفضي ذلك إلى نتيجة الاختبار التي توصّلتُ إليها. لكن مجدّداً، هذا أمرٌ بعيد الاحتمال جدّاً».

- «بعيد الاحتمال»، كرّرتْ غيبسون، واستدارتْ لتواجه المحلّفين. «إنَّ 'بعيد الاحتمال' هذه تبدو لي وكأنَّ شخصاً ما لديه شكوك».

في ذلك اليوم، صرفهم القاضي باكراً. ركب بيتر الحافلة الصغيرة مع الآخرين للعودة إلى الفندق. لم يستطع التوقّف عن التحديق في لِيلا التي كانت جالسة في الصف الذي أمامه. كم كان عمرها؟ تسعة عشر؟

من غير الوارد أبداً أنّها لا تزال عذراء.

بحلول الوقت الذي نجح فيه في الوصول إلى غرفته، كان يشعر بالأسف على نفسه.

دفع باب الحمّام.

في الداخل، كانت الخادمة منحنية فوق الحوض تفرك بفرشاة التنظيف شيئاً يصعب الوصول إليه. كان زيّها الضيّق يبرز خطوط جسدها. بدتْ رائعة بهذا الزي، وبتلك الانحناءة.

كانت المياه تتدفّقُ بقوّةٍ من الصنبور، لذا لم تسمعه وهو يدخل، أم أنّها سمعتْه؟

حين اقترب منها لم يكن متأكّداً تماماً ممّا كان يفعله، أو ما كان يخطّطُ لفعله. بدا وأنَّ شيئاً ما يحدث، لكنَّ مهما كان هذا الشيء، لم يكن هو مَن يفعله.

لقد كانت. . . الغريزة فحسب.

كان على بعد مسافةٍ قليلة منها حين شعرت بوجوده. بدأت تستدير نحوه مصدومة، لكنّه وضع يديه على كتفيها على نحوٍ يوحي بالقوّة، وبتولّي زمام الأمور كما كان معتاداً أن يفعل.

- «سيّدي!»، قالت، «أوه! سيّدي!».

كانت مرتبكةً جدّاً. دفع نفسه واقترب منها أكثر، جاعلاً الأمور واضحة.

- «سيّدي، من فضلك، لا»، قالت له.

لكنّها وبالطريقة التي قالت بها ذلك، بدت له مثل تلك الفتيات اللواتي راسلنه عبر البريد الإلكتروني. الفتيات اللواتي أحببنَ التمنّع، اللواتي استمتعن عبر التظاهر بقول «لا».

وضع يده على فمها.

كانت خائفة، تماماً كخوف كلِّ الأخريات.

دفعها إلى حوض المغسلة.

هي ترغب بذلك، فكّر بيتر بثقةٍ وقطعية وهو يمزّقُ الجزء العلوي من زيّها، فيطير أحد الأزرار وتُسمع قرقعة اصطدامه بالأرض الباردة.

11

ميراكل

الآن

كانت مايا قد نفضتْ عنها منذ زمنٍ بعيد الوهم القائل بوجود بشرٍ خالين من الأسرار ذات الطبيعة المُدينة. لقد وضعتْ على المنصّة عدداً كافياً من الشهود لتعرف أنّه يوجد دائماً خطيئة ما في ماضي أيِّ شخص، والتي يمكن من خلالها الطعن في شهادته. لذا فهي لم تشعر بالمفاجأة لدى قراءتها للملفّات التي أعدّها ريك عن زملائه المحلّفين. ومع ذلك، فقد أُعجِبتْ بالمهارة التي تمكّن بها ريك من نبش خطاياهم.

بدأتْ بالملفّ الخاصّ بها. وبالطبع، ها هنا نجد تفاصيل عن العلاقة: «أنا ريك ليونارد، كنت على علاقةٍ بمايا سيل لثلاثة أشهر بدأتْ في الليلة...».

أخيراً، كانت هذه رواية ريك لما حدث بينهما. أدركتْ مايا كم كانت تتوق لسماعها: هل سيصف علاقتهما بنفس وصفها لها؟ ما الذي شعر به تجاهها حقّاً؟ ما الذي كان يعتقده حقّاً حيال شعورها تجاهه؟

لكنّها لم تجد أيّة إجابات هنا. كانت روايته المكتوبة مختصرة، لغته جافة وقانونية. كان ريك شاهداً غير عاطفي وغير انفعالي على سوء سلوكهما. لم تكن أفكاره الداخلية نائيةً على هذا النحو المؤلم من قبل.

تابع ملفّ مايا ليتضمَّن قوائم لموكّليها، إلى جانب جرائمهم المزعومة. وجدت في الملف الحجج التي استخدمتْها ضدَّ الشرطة، كما وجدت محاضر الاستجواب التي جرت في قاعة المحكمة حين كانت تستدعي خبراء الطب الشرعي. وجدت وصفاً شاملاً لكل اشتباكٍ خاضتْه على المستوى المهني مع سلطات إنفاذ القانون، الشيء الذي لم يكن بالضرورة ودّياً دائماً. حتّى أنّها وجدتْ إشارةً إلى المحقّقة ديزي، التي خضعتْ كشرطيةٍ للاستجواب من قِبل مايا في قضيّة بيلين فاسكيز (لا عجب أنَّ ديزي كانت مصمِّمةً على وضع مايا في السجن).

كان من السهل رؤية ما الذي كان ريك يسعى إليه. لقد كان يعمل على إثبات حالة من التحيّز ضدَّ الشرطة. **لم تكن مايا سيل قادرةً على أن تعطي حكماً منصفاً في القضية المرفوعة ضدَّ بوبي نوك، لأنّها ببساطة ما كانت لتصدِّق الشرطة أبداً، بغض النظر عمّا تقوله الأدلّة.**

لم تكن القضيّة التي جمعها بقوّة المثابرة سيّئة بالمطلق.

لم تقل مايا شيئاً لكريستال وشانون بينما كانتا تقرآن ملفّها أيضاً. راقبتْ وجهيهما حين أتى الملفُّ على ذكر علاقتها الغرامية. شانون لم تنفكَّ تعبس وتنظر إلى مايا، وكأنّها تطلب منها تأكيداً على صحّة ما كانت تقرأه.

نظرتْ كريستال في عينيّ مايا مرّةً واحدة فقط وهي تقرأ، مع

ابتسامةٍ ماكرة على وجهها. «إنّهم دائماً أولئك الذين يكونون أقلّ مَن تشتبهين بهم».

كانت الملفّات مكرّسةً فقط للتركيز على الانحرافات والأكاذيب والتفاصيل غير القانونية، وأغفلتْ لحظات اللطف والصدق والاستقامة. سيبدو أيُّ شخصٍ بمظهر الشرير حين تقرأ قائمةً بأسوأ قراراته.

من الواضح أنَّ جاي كيم كان قد كذب في استبيان هيئة المحلّفين، وهذه جريمةٌ بحدّ ذاتها. لقد اشتغل ذات مرّة في أعمال بناء تخصُّ لو سيلفر. لو أنّه صرّح بهذه المعلومة لمَا كان سُمح له بالخدمة في هيئة المحلّفين. لمَ كذب؟ ما الذي كان يخبّئه؟ ما هي بالضبط علاقته المالية بسيلفر؟

كان واين راسل قد تعرّض لحادثٍ عنيف ومضنٍ قبل المحاكمة بسنةٍ واحدة فقط. عانى من اضطراب ما بعد الصدمة شديد، أخذ شكل رهابٍ من الأماكن المغلقة كان ينتج عنه نوباتٍ عدوانية، حتّى إنَّه اصطدم بالشرطة في واحدةٍ من هذه النوبات. هل كان مضطرباً عاطفياً لدرجة أنّه كان عاجزاً عن إصدار حكمٍ بتجرّد وبعيداً عن العاطفة؟

لِيلا روزاليس كانت قد واعدتْ صبيّاً أثناء المرحلة الثانوية، وسُجِن لاحقاً بتهمة السطو المسلّح. هي لم تفصح عن هذه المعلومة في استبيانها، لماذا؟ وبالمثل، هي لم تُدرج هويّة والد آرون في شهادة ميلاده. لماذا؟ وما الذي حدث لوالد آرون الذي يبدو أنّه لم يلعب أيّ دورٍ في حياتها أو حياة آرون؟ هل كان الوالد في السجن أيضاً؟ إن كان هذا صحيحاً، فقد يشير إلى حالة من التحيّز ضدَّ سلطات إنفاذ القانون.

قُبِض على كال بارو بتهمة الفجور العلني خارج حانةٍ للمثليين في عام 1974. أقرَّ بالذنب ودفع غرامة، لكنّه لم يكشف عن ذلك للمحكمة أو أيٍّ من أرباب العمل أو شركائه اللاحقين. أدركت مايا أنَّ هناك طريقتين يمكن لريك بواسطتهما أن ينسج شيئاً مفيداً من هذه المعلومة. إمّا أنَّ كال كان مفترساً جنسياً ليس لديه ما يندم عليه، ما قد يجعله يميل طبيعياً إلى الصفح عن آثام بوبي نوك، أو - وهو الأكثر ترجيحاً - أو أنَّ كال كان واحداً من الكثير من مثليّي كاليفورنيا الذين أُلقي القبض عليهم بشكلٍ ممنهج على يد رجال شرطة يعملون بشكلٍ متخفٍّ في وقتٍ كان فيه «عدم ارتداء ملابس تتوافق مع جنسك» يعدُّ بحدِّ ذاته جريمةً؛ في هذه الحالة، فمن المرجّح أن لا يكون كال من كبار المعجبين بالشرطة.

تابعتْ الملفّات في عرض الشكوك الكبيرة منها والصغيرة. لكنَّ مايا وجدتْ نفسها تشعر باشمئزاز يمنعها من متابعة الخوض في كلِّ هذا، حين قرأتْ عن اتّهامٍ غير مثبَت كانت فران غولدنبرغ قد تستَّرتْ عليه حول أنَّ ابنها كان قد اختلس أموالاً من كنيسهم. بعض هذه الأشياء كان محض افتراء، وبعضها كان تافهاً وغير ضارّ، لكن يمكن لأيٍّ منها تشويه حياة إنسان إذا ما عُرض علناً ضمن سياقٍ محدَّد.

حتّى مجرّدُ طرح الأسئلة علناً حول هذه الأشياء قد يكون مدمّراً. «سواءٌ كنتَ مذنباً أم غير مذنب، لمَاذا لم تخبر أحداً؟... إذاً كنتَ تكذب عندئذٍ، أم أنَّكَ تكذب الآن؟».

كان يمكن لريك مسلّحاً بهذه الملفّات أن يحوّلهم جميعاً إلى لحمٍ مفروم.

- «كان يحاول أن يثبت التباس هيئة المحلَّفين، هل هذا هو

المصطلح؟ كان سيستخدم هذه الأشياء لإسقاط الحكم»، قالت شانون.

- «لا»، قالت كريستال. «لا يمكن إبطال الأحكام بالبراءة. إنّه مبدأٌ أساسيّ في التعديل الخامس. أيُّ محامٍ استشاره ريك كان سيخبره أنّه ما من طريقةٍ لإعادة محاكمة بوبي نوك».

- «ليس في كاليفورنيا، وليس بتهمة القتل»، قالت مايا مستذكرةً ما اقترحه كريغ. «لكن على المستوى الفيدرالي... يمكنه أن يستخدم هذه الملفّات ليثبِت لمكتب المدّعي العام للولايات المتحدة أنّه على الرغم من فشل المحاكمة الأولى، فإنَّ محاكمةً جديدة لربّما تنجح. أو، دَعي القانون جانباً، يمكنه ببساطة استخدام هذه الملفّات لتركيز ضغط الرأي العام عليهم لفعل شيءٍ ما. **أيّ شيء**».

- «لقد سلَّمَ هذه الملفّات للبرنامج، لذا فقد كان بالتأكيد على استعداد لنشر أسوأ أسراركم على العلن»، قالت شانون.

ألقتْ مايا نظرةً سريعة على قائمة الأسماء الظاهرة على الشاشة.

أحد عشر محلّفاً. أحد عشر سبباً للرغبة في منع خروج هذه الملفّات إلى النور.

قبل الرابعة صباحاً ببضع دقائق، التفتتْ شانون إلى مايا: «مَن هي مارغريتا دلفينا؟».

في البداية، صعب على مايا أن تتذكّر الاسم. «مارغريتا... أممم، أعتقد أنّها كانت إحدى الخادمات في الفندق. لقد كانت هناك طوال فترة احتجازنا».

أشارت شانون إلى الملفّ الخاص ببيتر ويلكي.

كان ريك قد حصل على شهادةٍ موقّعة من رجلٍ يدعى ستيفن برينس. استغرق الأمر ثانية لتدرك مايا أنّه «الحاجب ستيف»، وهو الآن متقاعدٌ من محاكم كاليفورنيا.

كتب الحاجب ستيف: «في 11 يوليو 2009، أبلغتني مارغريتا دلفينا أنّها تعرّضتْ لاعتداءٍ جنسيّ من قِبل المحلّف بيتر ويلكي. بحسب مارغريتا، فقد كانت تعمل في غرفة بيتر حين تسلّل من الخلف وهاجمها. وبعد صراعٍ معه، تمكّنتْ من دفعه بعيداً عنها والهروب إلى الردهة».

تذكَّرتْ مايا مخاوفها من أن تنتبه إحدى الخادمات إلى الملاءات الملطّخة بآثار الجماع في غرفتها. بدت تلك المخاوف سخيفة بالنظر إلى ما كانت تقرأه الآن.

تابع الحاجب ستيف: «واجهتُ بيتر بهذه المزاعم، لكنّه أنكرها جملةً وتفصيلاً. عجزتْ مارغريتا عن تقديم أيِّ دليل يدعم مزاعمها، لذا فقد رفضتُ لفتَ نظر المحكمة، أو الشرطة، إلى هذه الحادثة. أُدرِك الآن، بعد فوات الأوان، أنَّ هذه كانت زلّةً لا مسوّغ لها، وأنا أتحمّل كامل المسؤولية عنها».

ذُعرتْ مايا لكون الحاجب ستيف لم يبلّغ عن الأمر، لكنّها تفهَّمتْ لمَاذا لم تمضِ مارغريتا في الأمر قدماً. لم تكن المرأة توّاقةً إلى الترويج لادّعاء لا أمل لها في إثباته.

هزّتْ كريستال رأسها. «إذاً، هذا السافل أفلت من العقاب ببساطة؟».

مضى الحاجب ستيف في شهادته ليشرح أنّه لم يرد في ذلك الوقت تعريض المحاكمة برمّتها للخطر بسبب ما قد يكون «سوء فهم». الآن فقط، بعد أن تقاعد وحصل على عشر سنوات ليفكّر مليّاً

في الأمر، كان قد أصبح مستعدّاً أن يفصح لريك عن ذلك وعلى نحوٍ رسمي.

تنهّدت كريستال إذ انتهتْ من القراءة. «هل تمنّيتِ يوماً لو لم تكوني محامية دفاع؟».

رصدتْ مايا بنظرةٍ سريعة الديكور الأنيق والباهظ الكلفة في غرفة معيشة كريستال. ما كانت لتتمكّن من تحمّل تكاليف هذه الرفاهية عبر أتعاب الترافع عن القدّيسين.

- «بلى»، اعترفتْ مايا. «أتمنّى ذلك أحياناً، لكنّني بعدها أتذكّر ما هي البدائل... لا أعتقد أنَّ في وسعي أن أكون مدّعياً عاماً».

كانت شانون لا تزال تتفحّص الملفّات. «لا يوجد هنا تصريحٌ للمرأة. هل تواصل معها ريك من قبل؟ هذا ليس مذكوراً هنا».

- «من المستحيل أن لا يكون ريك قد تواصل مع مارغريتا».

- «ربّما لم يتمكّن من العثور عليها؟»، قالت شانون.

- «لقد عثر على كلِّ شخصٍ آخر»، قالت كريستال.

أخرجت مايا هاتفها من جيب سترتها. حصلت على الرقم بعد بضع نقرات.

- «فندق أومني لوس أنجلوس»، جاء الصوت من الجهة الأخرى. «معكم غريغ».

- «غريغ، أنا أتّصل لأتحدّث مع فردٍ من طاقم خدمة الغرف لديكم. مارغريتا دلفينا. هل بدأت مناوبتها اليوم أم ليس بعد؟»، قالت مايا.

أطلقت مايا هذه الرصاصة في العتمة.

- «مارغريتا دلفينا...». كان في وسع مايا أن تسمع غريغ ينقر

على لوحة مفاتيحه. «لن تبدأ مناوبتها اليوم حتّى الساعة السادسة. هل يمكنني أن أصلكِ بشخصٍ آخر من خدمة الغرف؟».

أغلقتْ مايا الخط.

- «لربّما كانت تعمل ليلة لمّ الشمل»، قالت مايا.

مرّتْ لحظةٌ من الهدوء في غرفة جلوس كريستال. بدا وكأنَّ مختلف السيناريوهات الفظيعة كانت تعتمل داخل رؤوسهنّ.

- «ما الذي حدث باعتقادكِ في تلك الليلة؟»، قالت شانون أخيراً.

- «لا أعرف، لكنّنا نعرف الآن أنّه من المرجّح أنَّ مارغريتا، وبيتر، وريك - وهو أحد القلائل الذين علموا بأمر مهاجمته لها - كانوا جميعاً في ذلك الفندق في ذات الوقت».

كانت بويل هايتس عبارةً عن تمدّد عمراني منبسط في الضواحي. وهي تمرّ بالسيّارة قرب مراكز التسوّق المعتمة ذات الطابق الواحد وسلسلة من أكشاك البرغر، شعرت مايا أنّها قد تكون في أيِّ مدينة متوسّطة الحجم في أيِّ مكانٍ بأميركا. لم تتذكّر آخر مرّةٍ نامت فيها، كانت الأيّام الأخيرة متداخلةً على نحوٍ ضبابي.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة صباحاً بقليل عندما عثرت مايا على العنوان المذكور في الملفّ، وهو بيتٌ خشبيّ بسقفٍ منخفض، مؤلّف من طابقين على جانب الطريق الهادئ.

نزلتْ من السيارة، كانت هناك أضواءٌ في الداخل. فتحت البوابة ذات الصرير الحادّ، سارت عبر الفناء الضيّق، وطرقت الباب الأمامي.

المرأة التي فتحت الباب كانت في منتصف العمر، وترتدي زيّ

العمل الرمادي الخاصّ بفندق أومني. كان شعرها الطويل الداكن مبلّلاً بعد الاستحمام. بدتْ ضئيلةً جدّاً. حاولت مايا أن تتخيّل كيف قاتلت بكل قوّتها لتتمكّم من صدّ مهاجمٍ بحجم بيتر.

- «هل أنتِ مارغريتا دلفينا؟». تذكّرت مايا على نحوٍ مبهم المرأة الواقفة أمامها قبل عشر سنوات. لم تكن مايا قد تفاعلتْ معها أو انتبهتْ لها كثيراً. أدركت الآن بخجل أنّها كانت منهمكة بأمورٍ أخرى.

أومأتْ مارغريتا برأسها.

- «هل تعرفين مَن أكون؟».

حدّقتْ مارغريتا بها للحظة. «No hablo inglés، (لا أتحدّث الإنجليزية)».

- «Entonces hablaremos en español (سنتحدّث بالإسبانية إذاً)»، قالت مايا. «لكن»، عادت لتتحدّث بالإنجليزية، «لا أعتقد أنَّ اللغة التي سنتحدّث بها هي ما يهمّ».

أصبحتْ نظرة مارغريتا أكثر قسوة. «ماذا تريدين؟».

- «لقد هاجمكِ بيتر ويلكي قبل عشر سنوات. وقبل ليلتين قابلتِه في الفندق مجدّداً. أريد أن أعرف ما حدث».

لم يرفّ لمارغريتا جفن. «أنا لا أريد أيّة مشاكل».

- «أنا في صفّكِ. لا أحد في ورطة، باستثناء بيتر».

أطرقت مارغريتا برأسها نحو الجوربين في قدميها.

- «ما الذي حدث؟»، قالت مايا. «ما الذي حدث قبل ليلتين؟ وما الذي حدث قبل عشر سنوات؟».

بدت مارغريتا على وشك اتّخاذ قرار. «قبل ليلتين، لم أرَ بيتر في الفندق. لقد رأيتُ ريك ليونارد».

نظرتْ نحو الشارع وراء مايا وقد بدأ يأخذ لوناً برتقالياً مع خيوط الفجر الأولى.

- «هل تريدين الدخول؟».

جلستا في المطبخ. كان بإمكان مايا سماع أصوات أطفال في الطابق العلوي. أصوات حنفيّاتٍ تُفتَح وتُغلق، وأبوابٍ كذلك، وضجيج مشاحنات لا تتوقف بين الأخوة. صبيان، على ما بدا.

- «زوجي نائمٌ في الطابق العلوي»، قالت مارغريتا وكأنّها تريد إخبار مايا أنَّها تحظى بحماية في منزلها. كرهتْ مايا فكرة أنّها ومارغريتا وُضعتا في موقفٍ تحذر فيه إحداهما من الأخرى.

- «متى رأيتِ ريك ليونارد في الفندق؟»، سألت مايا.

- «بعد الظهر، حين اصطحبه طاقم البرنامج إلى غرفته. لقد كنتُ خائفة».

- «لماذا؟».

في الأعلى، صرخ أحد الصبيّين شيئاً بالإسبانية على الآخر. لا بدَّ أنَّ طبقة الصوت في شجار الأخوة هي نفسها في كلِّ اللغات.

- «لقد جاء إليّ هنا». أشارت مارغريتا حولها إلى المطبخ المكتظّ. «حدث ذلك قبل سنةٍ ربّما. جاء وقال إنّه يعرف ما حدث. أراد منّي أن أكتب تصريحاً حول ذلك. فقلتُ إنَّ هذا مستحيل».

- «لماذا؟».

هزّتْ مارغريتا رأسها بغضب. «ما الذي سيحدث؟ مَن يهتمّ؟».

- «أنا سأهتمّ. كثيرٌ من الناس سيهتمّون. أيّاً كان ما فعله بيتر...».

- «أنا لن أتحدّثُ عن ذلك»، قالت مارغريتا بتحدٍّ.

- «لستِ مضطرة، ليس الآن».

- «هل تتذكَّرين أقراص الـ DVD تلك؟».

كانت مايا في حيرةٍ من أمرها. «أيُّ أقراص DVD؟».

- «تلك التي قام صديقكِ الآخر بتهريبها إلى الفندق في ذلك الوقت».

- «هل تعرفين عن ذلك؟».

- «كنتُ أنا وسيلته لإدخالها. في عربتي مع لوازم التنظيف. دفع لي كي أقوم بذلك، كان الأمر برمّته غير قانوني».

كانت مايا تتميَّزُ غيظاً، إذ شعرت مارغريتا أن عليها أن تلزم الصمت بشأن اعتداءٍ مروّع فقط لأنّها كانت مذنبةٍ بارتكاب مخالفةٍ بسيطة. لكنَّ مايا تفهّمت ذلك أيضاً، فقد تعتبر مخالفة شروط العزل جناية؛ كانت ستُطرد من عملها بكل تأكيد.

- «طلبتُ من صديقكِ ريك أن يغرب بعيداً»، قالت مارغريتا. «كان غاضباً. قال إنّه يحتاج إليّ. كان يعمل على شيءٍ ما، خطّة كبيرة، لا أعرف. لا يهمّني. قلتُ له لا. فرحل، ثمَّ مرَّ عام... ورأيتُه في الفندق أوّل أمس. اصطحبوه إلى غرفته. ما زلتُ أنظّف ذلك الطابق... كان هذا في فترة بعد الظهر. وجدني هناك، قال إنّه لا يزال يحتاج منّي أن أتحدّث. قلتُ لا. قال إنّه سيخبر الجميع بما حدث. سيخبر زوجي أيضاً. الجميع. قلتُ لا! قال إنَّ ذلك الرجل الرهيب بيتر قادمٌ إلى الفندق. عندها أخبرتُ المدير أنّني مريضة وعدتُ إلى المنزل باكراً. ومن ثمَّ في اليوم التالي... رأيت في الأخبار أنَّ ريك قد مات».

كان بإمكان مايا رؤية شقوق الألم، التي كانت قد غُطّيتْ بالحجارة والإسفلت منذ زمنٍ بعيد، وهي تعاود تظهر على وجه

مارغريتا. كانت مايا مستعدّة للرهان بحياتها على أنَّ مارغريتا كانت تقول الحقيقة.

- «حسنٌ. لقد عرف ريك ما فعله بيتر بكِ. إذا كان بيتر يعرف أنَّ ريك يعرف... سيكون هذا عندها سبباً وجيهاً جدّاً كي يقدِم بيتر على قتلِ ريك»، قالت مايا.

- «أنا لا أعرف ما الذي حدث لصديقكِ. لا أريد أيّة علاقة لي بهذا الأمر. هل تفهمين؟ زوجي، طفلاي، عملي. لا أريد لأحدٍ أن يعرف».

- «لا بأس».

- «هل تعدينني؟».

نظرتْ مايا في عينيها. كان هذا أقلَّ ما يمكن أن تفعله لهذه المرأة. «أعدكِ».

أومأتْ مارغريتا برأسها.

- «أعتقد أنّه يمكنني مساعدتكِ»، قالت مايا وهي تشعر بالحكّة التي تنجم عن تشكّل فكرة في رأسها.

- «يمكنني الاعتناء بنفسي».

- «أعرف»، قالت مايا. «لكن يمكنكِ أيضاً الاستفادة من خدمات محامٍ».

أمضت مايا اليوم التالي وهي تحاول دون جدوى الاتّصال بالحاجب ستيف. استطاعت كريستال أن تجري بعض التحرّيات السريعة في المحكمة. اتّضح أنَّ محاكمة بوبي نوك كانت آخر محاكمة عمل بها ستيف قبل أن يتقاعد. هو الآن يعيش بالقرب من ساكرامنتو. لم يجب على الرقم الذي حاولت كريستال أن تتصل به.

لذلك لجأت مايا إلى الخيار الوحيد المتاح لها: اتّصلتْ ببيتر.

قَبِل بيتر دعوتها للّقاء أسهل ممّا توقّعتْ. عرض عليها القدوم إلى منزله. لم تعتقد أنّها تستطيع إقناعه بالذهاب إلى منزل كريستال، فهو لم يكن يعرفها، لذا لم يكن لديها خيار سوى قبول عرضه. بالنظر إلى الأضواء المسلّطة على حياتهم، فإنَّ أيَّ مكانٍ عام كان مستبعداً تماماً.

قال إنَّ لديه التزامات عملٍ لا يستطيع إعادة جدولتها، لذا كان أقرب وقتٍ متاحٍ بالنسبة له هو في التاسعة من تلك الليلة. أعطى هذا مايا بضع ساعات لتحاول استراق بضع لحظاتٍ من الراحة، لكنّها إذ استلقتْ على سرير كريستال وحاولت أن تجبر عينيها على الانغلاق، وجدتْ أنَّ النوم مستحيلٌ تماماً.

لربّما سبق وأن كانت عيناها مغلقتين بالفعل منذ وقتٍ ليس بالقصير.

عاش بيتر في قصر ما كان ليسمّيه «قصراً» أبداً. الأرجح أنّه كان سيسمّيه «منزلاً إسبانياً من الحقبة الاستعمارية». تخيّلتْ مايا أنَّ أيَّ شخصٍ يعيش هذه الأيام في منزل من أربع غرف نومٍ واسعة في فينيس سيكون متواضعاً جدّاً كي يستخدم كلمة «قصر».

كان المنزل على مقربة من جادّة فينيس المزدحمة. استطاعت سماع الأصوات الناجمة عن ساعات ذروة الشراب على طول الشارع الرئيسي قربها وهي تخفّف السرعة لتدخل بسيارة كريستال إلى بداية الممرّ الخاص بمنزل بيتر. نقرت على لوحة مفاتيح ففُتِحتِ البوّابة الفولاذية. تجاوزت مايا البوّابة التي أُغلِقتْ خلفها بسلاسة، فخفّتْ ضوضاء المدينة فجأة.

كان المنزل أكبر حتّى عن قرب. طابقان، يبدو أنّهما مكوّنان من الكثير من المخابئ المعزولة عن العالم الخارجي.

استقبلها بيتر عند الباب الخارجي. كان يرتدي سترةً صوفيةً، وقميصاً أبيض، وبنطال جينز بلا حذاء. «من الجيّد رؤيتكِ تتجوّلين بحرّية»، قال لها.

- «رجال الشرطة صبورون. هم ينتظرون اللحظة المناسبة ليضربوا ضربتهم»، قالت مايا.

في الداخل، كان المنزل على نحوٍ مفاجئ مؤثّثاً بذوقٍ رفيع إذا كان المطلوب أن يعطي إيحاءً بالراحة الباردة. «إنَّ مصمّمي هو كتلةٌ من الروث»، قال بعد أن أثنتْ عليه بشأن الكراسي المصنوعة بأناقة من جلد بالٍ.

كرهتْ أنّها مضطّرةٌ أن تلعب معه هذه اللعبة المهذّبة، لكنّها كانت هنا لسببٍ معيّن.

جلسا على أرائك قماشية بيضاء في غرفة تَشمُّسٍ معتمة. زُينت الجدران ببعض الصور الطبيعية بالأبيض والأسود. فكّرت مايا أنّها لم ترَ شيئاً واحداً ذا طابعٍ شخصي - صورةٌ عائلية، تذكارٌ قديم - في أيّ مكان.

فتح علبةً معدنية كانت على طاولة القهوة. كانت العلبة مليئة بأقلام السيجارة الإلكترونية.

- «هل ترغبين بواحدة؟»، عرض عليها بيتر. «نحن نقوم بصنعها. ليس الحشيشة، بل الجهاز الإلكتروني. المال الحقيقي هو في تجارة الملحقات». مضى بيتر يحدّثها عن نظافة تقنية المرذاذ هذه، لكنَّ عينَيه لم تنفكّا تعودان للتحديق في حقيبة مايا التي كانت موضوعة في حِجرها.

كانت كريستال قد أجبرتها على أن تحضر معها علبةً قديمة من رذاذ الفلفل، وهو ما اعتقدتْ مايا أنّه أمرٌ سخيف. لقد قابلت العديد من المغتصبين من قبل، ولم تكن قلقةً من مهاجمة بيتر لها. لكنَّ كريستال ذكّرتْها أنّه إنْ كان بيتر قد قتل ريك كي يبقي ما فعله بمارغريتا طيَّ الكتمان، فلن يكون لديهم عندئذٍ فكرة عمّا كان قادراً على فعله حين تتمُّ محاصرته. الآن، وفي غرفة تشمّس بيتر المعتمة، كانت مايا سعيدة أنّ تلك العلبة بحوزتها.

- «هل أنتِ بخير؟»، قال بيتر.

- «متعَبةٌ فحسب».

- «هل تريدين تجربة زيت الكانابيديول؟ نحن نصنعه أيضاً. لن تنتشي أو ما شابه لكنّه جيدٌ. . . للتوتّر».

- «لا، شكراً».

دسَّ بيتر السيجارة الإلكترونية في جيب سترته الصوفية. «هل تذكرين كلّ أقراص الـ DVD التي كنّا نشاهدها؟ تلك التي قام كيلان بتهريبها؟».

- «نعم».

- «مذهلٌ كمُّ الأشياء التي أفلتْنا بها»، قال مبتسماً.

لم تستطع معرفة ما إذا كان يختبرها أم أنّه يتفاخر فحسب.

اللعنة على هذا الرجل.

- «مارغريتا دلفينا»، قالت مايا بحزم. «هي لم توقّع بعد على بيان يفيد بأنّكَ اعتديتَ عليها جنسياً في غرفتك في فندق أومني في يوليو من العام 2009، لكن لدي بيان موقّع تحت القسَم من شاهدٍ عاصر الحادثة. لذا سؤالي لكَ هو: ما الذي سوف نفعله بهذا الشأن؟». راقبتْهُ وهو يتجمّد في مكانه.

أذا أردتَ أن تدفع شخصاً ما للاعتراف، فلا تسأله إن كان قد ارتكب الجريمة أم لا. تعامل مع التهمة وكأنّها واقعٌ محتوم، وكأنَّ المسألة الملحّة هي فقط ما يجب فعله حيال الأمر.

عبس بيتر. «مَن قال إنّي هاجمتُ أحداً ما؟».

- «لا يمكنني إخبارك بذلك، لكن ليس هذا هو بيت القصيد. النقطة المهمة هي أنّني لستُ الوحيدة التي لديها بيان حول هذا الأمر. كان لدى ريك نفس البيان أيضاً. وريك ميتٌ الآن».

إذا قمتَ بسوق ادّعاءاتٍ أشدَّ خطورة، فسيبدو من الأسهل الاعتراف بما هو أقلُّ خطورةً.

- «هل تعتقدين أنَّ لي علاقةً بمقتل ريك؟».

- «كان لديك الدافع الأقوى بيننا جميعاً».

وقف بيتر، فوقفتْ أيضاً على نحوٍ غريزي.

مشى قرب النوافذ وفتح باب خزانةٍ خشبية.

يا إلهي، هل كانت كريستال على حقّ؟

مدّت مايا يدها داخل حقيبتها وأمسكت بعلبة الرذاذ. تخبّطتْ أصابعها وهي تحاول العثور على الزرّ.

سحب بيتر زجاجة ويسكي وكوباً واحداً من الخزانة، ثمَّ التفتَ نحو مايا التي كانت يدها مدفونةً داخل الحقيبة.

- «هل تعتقدين حقّاً أنّني سأؤذيكِ؟»، قال لها.

- «لن أخاطر بشيء».

أنزل بيتر نفسه على الأريكة بامتعاض.

- «لقد ارتكبتُ خطأً غبيّاً»، قال لها.

- «لا أظنُّ أنَّ هذا الوصف يفي الأمر حقّه».

أخبرها بقصّته، مفترِضاً أنّها تعرفها بشكلٍ مفصّل أكثر ممّا

كانت في حقيقة الأمر. أخبرها عن الرسائل التي اعتاد أن ينشرها على الإنترنت، والردود التي كان يتلقّاها من نساءٍ غريبات، وعن الإدمان الذي اكتسبه بشكلٍ غير متوقّع على الخطر والإثارة المرتبطين بقدرٍ مقبولٍ من العنف. كان مشوّشاً في غرفته بالفندق في ذلك اليوم. كان على مايا أن تفهم أنَّ ظرفية الحالة هي التي فعلتْ ذلك. هو يخضع للعلاج الآن، حيث تعلّم في الجلسات أنَّ شعوره بالاستجابة الجنسية الطبيعية كان قد تلاشى بالكامل، لذا في ذلك الوقت هو لم يكن يعتقد حقّاً أنّه يرتكب خطأ. الآن هو يرى الأمر بشكلٍ أفضل بالطبع. هو لم يفعل أيَّ شيءٍ مماثل منذ ذلك الحين، وما كان ليكرّر تلك الفعلة أبداً. لقد كان آسفاً جداً.

لم تكن مايا متأكدةً أنّها صدّقته. لكنَّ هذا لا يهمّ.

- «هل هذا ما قلتَه لريك؟»، قالت دون أن تسمح لأسلوبه في استجداء التعاطف أن يهزمها.

- «لم أتحدّث إلى ريك بهذا الشأن مطلقاً. لم أعرف حتّى أنَّ ريك يعرف. أنَّ أيّ شخصٍ ـــ». أمكنها رؤية أنّه يحاول تجميع أفكاره. «تبّاً! الحاجب ستيف. كان الشخص الآخر الوحيد الذي يعرف بالأمر. سألني وقتها ما الذي حدث. كذبتُ وقلتُ لم يحدث شيء، فتغاضى عن المسألة برمّتها».

- «من المؤكّد أن الحاجب ستيف حمى ظهرك جيّداً».

- «أنا حقّاً آسفٌ جدّاً لما حدث. لكن ما من شيءٍ يمكنكِ فعله بي الآن. لقد بحثتُ في الأمر. أعني حين ظهرت مسألة لمّ الشمل وما إلى ذلك، فكّرت فيها. . . مدّة السقوط بالتقادم هي عشر سنوات». تحقّق من ساعته وكأنّها تحوي عقرباً يشير إلى العقود. «لقد انقضتْ».

لم يكن في وسع مايا أن تجادل في ذلك. مدّتْ يدها داخل حقيبتها وأخرجت هاتفها.

أدارته نحو بيتر بحيث يتمكّن من رؤية الشاشة: كان مسجّل الصوت على وضع التشغيل.

ضغطتِ الزرّ الأحمر.

- «أنتَ محقٌّ تماماً»، قالت له. «قانونياً، ليس هناك ما يمكنني فعله لك. إذ لم يعد هناك في كاليفورنيا مدّة تقادم فيما يخصّ الاغتصاب، لكنّها كانت موجودة في ذلك الوقت، وكانت عبارةً عن عشر سنوات».

مدّتْ يدها إلى حقيبتها مجدّداً وأخرجت مجموعة من الأوراق المطوية. «من ناحيةٍ أخرى، فإنَّ دعوى مدنية...».

رمتْ بالأوراق فوق طاولة القهوة.

انحنى بيتر فوق الأوراق وأخذ يقرأ بسرعة. «هل تقاضينني؟».

- «موكّلتي مارغريتا دلفينا هي التي تقرّر إن كانت ستقاضيكَ أم لا. هي لم تتّخذ قرارها بعد. لكنَّ المغزى من الأمر هو أنّكَ تبيع الحشيشة بشكلٍ قانوني من أجل لقمة العيش. ولكي تقوم بذلك تحتاج إلى رخصة. يمكن لمجلس الولاية إلغاء رخصتك في حال وجود أيِّ إداناتٍ جنائية. أعتقد أنّه قد يلغيها حتّى بدون إدانة، فبالنظر إلى الأدلّة المتوفّرة لدينا وخطورة هذه التهمة ستكون الدعوى المدنية وحدها كفيلة بذلك... إذا ما قرّرت موكلتي تقديم دعوى، يمكنني خلال خمس دقائق دفع شخصٍ من مجلس الولاية لإلغاء رخصتك».

أشارت إلى بقيّة المنزل. «منزلٌ جميل. سيكون من المخزي أن تضطر لبيعه».

لم يتحرّك أيٌّ منهما. تساءلت إن كان سيهجم عليها. لم تظنَّ أنّه غبيٌّ لدرجة أن يحاول قتلها.

لا بدَّ أنّه كان يعرف أنَّ التسجيل الصوتي يُنسَخ احتياطياً على السحابة السيبرانية بشكل تلقائي؛ لذا فلن يكون إتلاف هاتفها مجدياً. وقد يشكّل ذلك تهمةً جنائية جديدة.

- «ماذا تريدين مني، يا مايا؟».

أعادتِ الهاتف إلى حقيبتها، وسارت نحو الباب. لحق بها مثل جروٍ جريح.

- «حين تتّخذ موكّلتي قراراً، سأحرص على إخبارك به».

خرجت إلى هواء الليل، وشعرت بالضباب القادم من جهة المحيط. كان شعوراً مجدِّداً للنشاط والطاقة.

بقي بيتر في المدخل مكبّلاً بعجزه بينما ركبت مايا في سيّارة كريستال.

- «أنا لم أقتل ريك!»، صرخ خلفها. «أقسم! أنا لم أقتل ريك!».

وبينما كانت تبتعد بالسيّارة، شعرتْ مايا بالقلق من أنّه ربّما كان يقول الحقيقة.

قال لها كريغ متهكّماً في وقتٍ لاحق تلك الليلة بعد أن سمع كلَّ ما فعلتْه خلال الأربعِ وعشرين ساعة الماضية: «لقد فعلتِ عكس كلّ ما طلبتُ منكِ فعله، والذي كان بحسب ما أذكر هو ألّا تفعلي شيئاً على الإطلاق». كانت تتحدّث معه عبر هاتفها من منزل كريستال.

- «كان لدى بيتر ويلكي دافعٌ لقتل ريك. ويمكنني إثبات أنّه

اعتدى على امرأةٍ في الماضي. الدافع لدى واين راسل غير واضح، لكنَّ كذبه بشأن عدم حضور لمّ الشمل هو أمرٌ باعثٌ على الشكِّ بكل تأكيد».

- «إذا أخذتِ اثني عشر شخصاً عشوائياً من الشارع، فسوف تجدين اثني عشر مجرماً مختلفاً. لقد قمتِ بعملٍ جيّدٍ هنا. لكنّي... ما زلت لم أرتدع عن استراتيجيتي الأولية».

- «ما زلتَ تريد منّي أن أدفع بحجّة الدفاع عن النفس؟ أنا لم أقتله!».

- «ماذا كان ذلك؟ لقد تقطّع صوتك. لم أسمع ما قلتِ»، قال كريغ.

- «آسفة».

- «ستقوم شرطة لوس أنجلوس بفحص ملابس ريك»، تابع كريغ، «والكؤوس التي استخدمتماها. وأيُّ شيءٍ قد تكونا لمستماه».

- «تحليل الحمض النووي؟».

- «آمل أنَّهم سيجدون حمضاً نووياً لشخصٍ آخر هناك - بيتر، واين، لا أعرف، أيّ أحد. لكن إن لم يعثروا...».

- «سوف يوجّهون التهمة إليّ».

خيّم على الخط صمتٌ ينذر بالسوء.

- «كم يستغرق الاختبار... ثمانياً وأربعين ساعة؟ اثنتين وسبعين؟»، سألت مايا.

- «لستُ في حاجةٍ إلى تذكيركِ بأنَّ كونكِ متّهمةً بالقتل ليس نهاية عملنا، بل هو بدايته»، قال كريغ بلطف.

كانت هذه نسخته من الحديث التشجيعي.

تابع قائلاً: «ما لديك بشأن المحلّفين الآخرين جيّدٌ وصلب، لكن هل هو مجرِّمٌ أكثر من وجود جثّة ريك في غرفتكِ، مع حمضكِ النووي، ودمه على يديكِ؟».

ترك السؤال معلّقاً.

- «لا جدوى في هذه المرحلة من محاولة تعطيل لائحة الاتّهام»، قال كريغ. «لذا فلن أذهب وأطلعهم على كلِّ ما لدينا حول المحلّفين الآخرين حتّى الآن، خاصّةً الأشياء التي قد يكتشفونها بأنفسهم، كما هو الحال مع فظاعة بيتر ويلكي هذه. ليس هناك الكثير الذي نعرفه ولا يعرفونه هم، لذا أقترح أن نتمسّك بالقليل الذي لدينا إلى أن نعرف كيف ننوي استخدامه. سوف أركّز على التخطيط لدفاعنا. ودفاعنا، ما لم يتغيّر شيءٌ خلال الثماني والأربعين ساعةً القادمة، يجب أن يكون مرتكزاً على الدفاع عن النفس».

أخذتْ نفساً عميقاً.

- «هل ما زلتِ هناك؟»، قال كريغ.

حاولت أن تتخيّل نفسها تقسم على الإنجيل أنَّ ريك ليونارد قد هاجمها. كانت الفكرة قبيحة أكثر من أن يمكن استيعابها. كيف يمكن أن يكون السيناريو الأبعد عن الحقيقة هو أفضل خياراتها القانونية؟

كان عليها أن تجد مخرجاً آخر.

- «لا بدَّ أنَّ هناك شيئاً مفقوداً من ملفّات ريك، شيءٌ كان مرعباً جدّاً لبوبي لدرجة أنّه بمجرّد أنْ واجهه ريك به فرَّ هارباً. ما هو إذاً؟»، قالت متجاهلةً وجهة نظر كريغ.

- «حسنٌ... ريك لم يخبركِ. ولم يخبر منتجي البرنامج. لم يخبر أحداً. والآن هو ميت، فكيف تنوين أن تكتشفي ما هو؟».

فكّرت مايا لبرهة. كان الجواب الذي توصّلتْ إليه واضحاً جدّاً

لدرجة الإحراج. «هناك شخصٌ واحد يعرف ما هو دليل ريك. من الأفضل أن أجده».

كانت ميراكل، في كاليفورنيا، بلدة صغيرةً جداً. كانت تقع قريباً من الساحل، على بعد تسعين دقيقة شمال سانتا باربرا، ومحاطةً بأميال من الحقول الزراعية. ورودٌ من جهة الجنوب، وتوتٌ من جهة الغرب، وخسٌّ في صفوفٍ طويلةٍ ورفيعة من الأوراق الخضراء من جهتي الشمال والشرق. بلغ تعداد سكّانها 270 فقط، وخلافاً لمعظم المدن الصغيرة كان جميع سكّانها من الرجال، وكلٌّ واحدٍ منهم كان مداناً بجريمةٍ ذات طابع جنسي.

ميراكل كانت آخر عنوانٍ معروف لبوبي نوك.

سمعتْ مايا كلاماً عن هذا المكان من أحد موكّليها السابقين، وهو شابٌّ مسجّلٌ كمعتدٍ جنسي، علمت منه مايا أنَّ إحدى المشاكل المرتبطة في كون أحدٍ ما معتدياً جنسياً هي صعوبة العثور على مكان للعيش فيه.

كانت القيود على خيارات السكن المتاحة لمرتكبي الجرائم الجنسية - خاصةً بعد إطلاق سراحهم من السجن - متنوّعة بقدر ما كانت شديدة القسوة: كان على الرجال أن يبقوا على بعد نصف ميل من المدارس، والحدائق العامة، وحضانات الأطفال، والمؤسسات الدينية ذات الطابع التعليمي، وأحياناً حمّامات السباحة، ومراكز إعادة التأهيل لكلِّ الأعمار. وحتّى لو كان مسموحاً لهم قانوناً بالعيش في مكانٍ ما، لطالما وجدوا أنَّ ليس الكثير من ملّاك العقارات كانوا مرتاحين لتأجير شققهم إلى معتدين جنسيين مسجّلَين. وحتى لو تمكّنوا من استئجار مكانٍ ما، فإنَّ تلك الجولات الرسمية

الإجبارية في أحيائهم للطرق على كلِّ باب والاعتراف بجرائمهم لم تكن إذلالاً فحسب، بل عادةً ما أثارت استجابةً سريعة من الجيران. فأُلغيتْ عقود إيجارهم دون تفسير، ورُمي البيض على نوافذهم، وامتلأت جدرانهم بالكتابات المسيئة. «منحرف» كانت هي الكلمة الأكثر استخداماً. وفي بعض الأحيان كانت أسوأ من ذلك.

لم يخسر أيُّ سياسي في أيّ وقتٍ من الأوقات انتخاباتٍ لكونه صارماً جدّاً حيال مغتصبي الأطفال. لذا فقد أُضيفت المزيد من الجرائم إلى تلك القائمة التي تستدعي التسجيل في قائمة البيانات. البداية كانت من صناعة المواد الإباحية المحظورة، وبعدها تحول استهلاك هذه المواد إلى جريمة - حتّى لو كان المستهلك لا يعرف أنَّ المنخرطين في هذه المواد كانوا تحت السنِّ القانونية. ثمَّ أصبح القانون يعاقب على التحرّش اللفظي مثلما يعاقب الاتّصال الجسدي.

طُرد المزيد والمزيد من الرجال من المجتمع، وباتوا يحتاجون إلى مكان ليعيشوا فيه بسلام. نتيجةً لذلك، وُلد سوق عقاراتٍ في الظل، أنتج مدناً مثل ميراكل، حيث تعتمد مسألةُ ما إذا كان المجتمع يحتاج إلى الحماية من هؤلاء الرجال أو أنّهم يحتاجون إلى الحماية منه، على وجهة نظر الفرد.

غادرت مايا لوس أنجلوس بعد منتصف الليل بقليل. استعارت سيارة كريستال الكهربائية الزرقاء تسلا، وتوجّهت شمالاً على الطريق 101، على أمل أن تصل إلى ميراكل بحلول الفجر، حيث يستيقظ الرجال الذين يعملون في حقول الخس المجاورة. لم تكن تظنُّ أنَّ إقناع أيٍّ منهم بالتحدّث معها سيكون أمراً سهلاً، لذا كانت ستحاول أخذ أكبر قضمة ممكنة من التفاحة.

ثمَّ ذكَّرت نفسها بأنّه ربّما لا يجدر بها أن تستخدم أيّة استعارات

لفظية تخصُّ الفاكهة المحرّمة وهي محاطةٌ بمئات المغتصبين، والاستعرائيين، والمتحرّشين بالأطفال.

بعد بضع ساعات، شهدت مايا فجراً كاليفورنياً بلون حلوى الأطفال ينبلج فوق حقلٍ من الورود المتفتّحة. خرجتْ عن الطريق 101 وسلكت طريقاً ترابياً، فتصاعدت أعمدة الغبار خلف سيارتها. وصلت في اللحظات الأولى من يومٍ جديد إلى أكثر مكان معزول رأته في حياتها.

كانت ميراكل في الحقيقة عبارةً عن تقاطع طرق واحد بلا إشاراتٍ ضوئية، ومحاطةً ببضع عشراتٍ من المقطورات يفصل بينها مساحاتٍ ترابية مزروعة بعجلاتٍ قديمة، وقطع أثاثٍ مهترئة بفعل عوامل الطقس، والأغرب عددٌ من برك السباحة الفارغة للأطفال.

ركنتْ السيارة على جانب الطريق، وخرجت منها.

انتظرتْ قليلاً.

لم يمضِ وقتٌ طويل حتّى بدأ الرجال في الخروج من المقطورات، وهم يرتدون ملابس تكاد تكون متطابقة من الجينز القديم والقمصان الملطّخة ببقع العرق. رصدوا كما هو متوقّع وجود عنصرٍ غريب على الفور، وحركتهم التالية كانت متوقّعةً أيضاً، وهي إخفاء وجوههم وكأنّهم لا يزالون المدانين الذين يخرجون لتوّهم من المحكمة. رفعت مايا يديها عالياً، لتظهر لهم أنّها لا تحمل كاميرا.

- «أريد طرح بعض الأسئلة فحسب!»، نادت لهم. لم يبدُ أيٌّ منهم مهتمّاً. كانت غريبةً من خارج البلدة تقود سيّارة تسلا كهربائية، لذا فإنَّ أي شيءٍ قد تريده منهم هو موضع شكٍّ. وحيث إنّها امرأة، فإنَّ كلّ شيءٍ حولها ينبئ بالخطر.

ضاعت الساعات التالية في الاقتراب من المعتدين الجنسيين واحداً تلو الآخر أثناء مغادرتهم لمقطوراتهم. لكنَّ أحداً لم يقل لها كلمةً واحدة. كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة ولم تكن قد تمكّنتْ حتّى من جعل أحدٍ يعترف بوجودها. كان حشد العمّال قد غادر لذلك اليوم، لذا لم يكن هناك الكثير من الحركة إلى أن فتح رجلٌ ضخم يرتدي سروال بيجامة باب مقطورته الأمامي. كان أبيض اللون، بشعرٍ أشقر مجعد، وكتلةٍ من 120 كيلوغراماً بحاجةٍ للتنظيف. كانت تسريحته تزيّن وجهاً كان على الأرجح وسيماً ذات يوم. تجمّد حين رأى مايا، لكن بدلاً من الانسلال داخل مقطورته مجدّداً، أخذ ينظر حوله كما لو أنّه ضحيّة مزحة في برنامج كاميرا خفيّة.

- «هل أنتِ ديليا؟»، قال لها.

- «اسمي مايا. هل يمكنني أن أطرح عليك بعض الأسئلة حول شخصٍ كان يعيش هنا؟».

زفر الرجل بخيبة أمل. «ألا تعرفين ديليا؟».

- «لا» قالت وهي تقترب من مقطورته. لم يوقفها.

- «قبل خمسة أشهر، كان هناك رجلٌ يعيش هنا اسمه بوبي نوك. أمريكي من أصلٍ إفريقي في الخامسة والثلاثين من عمره»، قالت مايا.

حدّق الرجل بعيداً وكأنّه يحاول أن يتبيّن كيف يمكن أن تُستخدم هذه المعلومات ضدّه.

- «أنا أحاول العثور على بوبي نوك»، قالت ومدّت يدها إلى جيبها. سحبت ورقة مئة دولار ورفعتْها كي يراها الرجل ترفرف في الهواء. «هل تستطيع مساعدتي؟».

نظر الرجل إلى النقود، ثمَّ حدّق في الفراغ. أومأ برأسه وقال: «ادخلي».

فتح باب المقطورة وعاد إلى الداخل. لم يكن لديها أدنى فكرة ما الذي ينتظرها هناك.

لم تكن هناك روحٌ أخرى في الجوار. وعلى هاتفها هناك علامة واحدة لاستقبال الإشارة الخلوية.

كانت مرتعبة وخجلةً من نفسها في نفس الوقت لأنّها كذلك. لم تكن تعرف شيئاً عن هذا الرجل: ما الذي فعله، ومتى فعل ذلك، أو كيف انتهى به الأمر هنا. كان يستحقُّ مثل أيّ واحدٍ من موكّليها الاستفادة من نهجها القائم على الشكّ. ومع ذلك، فذهابها بمفردها إلى مقطورة شخصٍ أدين بارتكاب نوعٍ من الجرائم الشنيعة بدا عملاً غبيّاً تماماً.

ذكَّرتْ مايا نفسها بسبب قدومها إلى هنا. كان قد سبق لها أن شاهدت جثةً هذا الأسبوع. وكان قد سبق لها أن وجدت نفسها لوحدها مع متحرّش جنسي مؤكد. والشخص الذي قتل ريك لم يكن داخل تلك المقطورة، ما يعني أنّه مهما يكن الخطر الذي قد يكون في انتظارها هناك في الداخل، يوجد ما هو أكثر خطورة في انتظارها هنا في الخارج.

كانت المقطورة من الداخل أنظف ممّا توقّعتْ. إذا كان الرجل لا يعتني بنفسه كثيراً، فكان يعتني بمنزله جيّداً. حتّى أنّه كانت هناك لوحاتٌ زيتية لقوارب معلّقة على الحائط.

وقف عند المغسلة وملأ كأسَي ماء.

أعطاها كأساً. «ليس لديَّ بيرة أو أيّ شيء مثلها».

- «لا بأس، شكراً لك»، قالت له.
جلس على أريكة قطنية. كان الهواء دافئاً وخانقاً.
- «مَن هي ديليا؟»، سألتْ مايا.
- «ابنة صديقي. من المفترض أن تأتي لزيارته. هذا ما قاله».
- «لا بدَّ أنّه أمرٌ لطيف أن تحظى بزائر». شعرت أنّها غبيّة.
هزَّ كتفيه. «لا أعرف».
- «ما اسمك؟».
فكَّرَ للحظة. «هانك».
ابتسمت مايا. «هذا ليس اسمك الحقيقي، أليس كذلك؟».
هزَّ كتفيه مجدّداً. «هل هذا مهم؟».
رفعت مايا ورقة المئة دولار. «منذ متى وأنتَ تعيش هنا؟».
أشار هانك إلى الورقة. «دعيني أرى هذه».
ناولتْه إيّاها. أمسكها بإحدى يديه وأخذ يتحسّسها بأطراف أصابع اليد الأخرى.
ابتعدتْ مايا عنه بعض الشيء. «منذ متى وأنتَ تعيش هنا؟».
- «ثماني سنوات». سكت لحظة. «ربّما أكثر من ذلك بقليل».
- «هل تعرف بوبي نوك؟».
- «الرجل الذي قتل تلك الفتاة؟».
- «هل تعتقد أنّه قتل تلك الفتاة؟».
- «أخبرني أنّه فعل ذلك».
رمقتْه مايا بنظرةٍ طويلةٍ وفاحصة. «بوبي نوك أخبرك أنّه قتل جيسيكا سيلفر؟».
وضع هانك ورقة المئة دولار على المنضدة القريبة. «هل تريدين منّي أن أقول إنّه أخبرني بذلك؟».

أطلقت مايا تنهيدة. لم تكن متأكدة إن كانت تعبيراً عن ارتياح، أو إحباط، أو مجرّد حاجةٍ لحظية للانعتاق.

- «أريدكَ أن تخبرني بالحقيقة فحسب»، قالت له.

هزَّ هانك كتفيه نصف هزّة. «إنّها نقودك، ويمكنكِ أن تطلبي بها ما تشائين».

- «هل كنتَ تعرفه؟».

- «نعم».

- «هل تعرف أين ذهب؟».

هزَّ هانك رأسه. «ذات يوم كان هنا. ثمَّ لم يعد كذلك. استغرق الأمر بعض الوقت حتى لاّحظ أحدٌ غيابه».

- «لماذا؟».

- «كان الرجل هادئاً، انطوائياً، ولم يكن لديه وظيفة».

- «ماذا كان يفعل ليكسب المال؟».

- «تبّاً لي إن كنتُ أعرف. العائلة؟ كثيرٌ منّا لديه عائلة، هم لا يزوروننا، ولا يتّصلون حتّى، لكنّهم يرسلون الشيكات».

فتحتْ مايا صورةً لريك ليونارد على هاتفها.

- «هل تعرف هذا الرجل؟».

حدّق هانك في الصورة. بدا أنّه يعالج معطىً مفاده أنَّ هذا الشاب الأسود ريك، كان مختلفاً عن بوبي الشاب الأسود الذي عاش هنا. وهي إشارةٌ جيّدة فيما يخصُّ ذاكرته، علماً أنَّ بوبي وريك لم يبدوا متشابهين حقّاً.

- «أحضريه إلى هنا»، قال هانك.

خطت مايا إلى الأمام ممسكةً بالهاتف أمامها مثل مشكاة.

- «أقرب، أعطه لي».

وقفتْ مايا فوقه ووضعت هاتفها المحمول في يده الممدودة.

- «هذا رجلٌ مختلف»، قال هانك.

- «نعم».

- «هل اسمه ريك؟».

حاولت مايا ألّا تبدي ردَّ فعل. «كيف تعرف ذلك؟ هل كان هنا؟».

- «نعم، كان هنا قبل شهرين. كان يبحث عن بوبي أيضاً. كان قد جاء قبلها بضع مرّات. إنّه مثابر».

- «هل كان هنا قبل أن يرحل بوبي أم بعد ذلك؟».

نظر هانك نحو السقف وكأنّه يحاول أن يتذكّر. «رأيتُه بعد أن رحل بوبي فقط. قال إنّه كان قد تحدّث إلى بوبي من قبل؛ كانا صديقين أو شيئاً من هذا القبيل؟ لم أصدّق ذلك حقّاً. لكن بوبي اختفى وكان بحاجةٍ للعثور عليه».

- «ماذا قلتَ له؟».

- «ما قلتُه لكِ».

- «هل قال له أحدٌ آخر شيئاً لم تخبرني به؟».

- «كيف لي أن أعرف ما قاله أحدٌ آخر؟».

- «لأنّكم تتحدّثون مع بعضكم، ولأنّك لستَ مجرّد غبيٍّ لعين».

ابتسم هانك لأوّل مرّة. «أقدّر ذلك». وقف فملأت كتلته الضخمة المقطورة. «لكنّي لا أعتقد أنَّ رجلكِ قد حصل على الشيء الكثير هنا. لقد أعطى رقماً لبعض الشباب كي يتّصلوا إذا استجدَّ أيُّ شيء. لكن، أعني... ما الذي قد يستجدّ؟».

- «هل أعطاكَ الرقم؟».

ذهب إلى منطقة النوم في مؤخّرة المقطورة. كان في وسعها

سماعه ينبش باحثاً عن شيءٍ ما. على نحوٍ غريزي، تحرّكتْ مايا نحو باب المقطورة. أمسكتْ بعلبة رذاذ الفلفل التي لا تزال داخل حقيبتها. إنْ خرج من هناك بسكّين، ربّما تستطيع هزمه أو صدّه. إن خرج بمسدّس، فقد قُضي عليها.

بدلاً من كل ذلك، خرج من هناك ممسكاً بقصاصة ورق.

ناولها القصاصة. كان رقم الهاتف يحمل رمز المنطقة 310 أي لوس أنجلوس.

لم تحصل مايا على أيِّ شيءٍ آخر من هانك، أو أيّاً كان اسمه الحقيقي، فلم تمكث طويلاً.

في الخارج، أخذت تبتلع الهواء النقيّ بشراهة. كانت الشمس حادّة. التجأتْ إلى الظلّ داخل السيارة، واستجمعت قواها من أجل جولةٍ أخرى مع مواطني ميراكل.

لكنّها أخرجت هاتفها أوّلاً، واتّصلتْ بالرقم الذي أعطاه هانك لها. استعدت لسماع صوت ريك في الرسالة الصوتية. كم سيكون من الشنيع سماع صوته المنهمك في تأدية مهام حياته الاعتيادية.

أجاب صوت امرأةٍ بعد رنّةٍ واحدة فقط.

- «صباح الخير»، جاء الصوت من الطرف الآخر. «مكتب لو سيلفر».

كان هناك صمتٌ طويل. هدوءٌ ثقيل داخل السيّارة المتوقّفة على مشارف بلدة صحراوية كلُّ سكّانها مجرمون مدانون بارتكاب جرائم فظيعة.

- «كيف يمكنني توجيه اتّصالك؟».



جاي

27 سبتمبر، 2009

أحبَّ الكثير من الناس التحدّث بالسوء عن الأثرياء، لكنَّ جاي كيم لم يكن واحداً منهم. اعتقد بعض الناس أنَّ هناك جانباً نبيلاً في كون المرء فقيراً. كان جاي يعتقد أنَّ السبب في ذلك هو أنّهم لم يختبروا الفقر الحقيقي. أمضى جاي ليالٍ في طفولته بلا سقفٍ فوق رأسه، بلا طعام. إن كان يملك الخيار بين أن يكون فقيراً أو غنيّاً لاختار الغِنى في كلِّ يومٍ من أيّام الأسبوع. كان على يقين من أنَّ أولئك الذين لا يرغبون في أن يكونوا أغنياء، قد تعرّضوا لغسيل دماغٍ جعلهم يعتقدون أنّهم لن يكونوا كذلك أبداً.

كان الرجال في موقع البناء حيث يعمل جاي يرَون صوراً للأثرياء في الصحف أو المجلّات ويهزؤون من أولئك الرجال بالبذلات الغامقة أو تلك النساء بالملابس الداخلية البرّاقة - بطريقةٍ ما نصف النساء الثريّات اللواتي تراهُنَّ في المجلات كنَّ يرتدين ملابسهنَّ الداخلية - والذين لا بدَّ أنّهم كانوا جميعاً عبارةً عن عصبةٍ من المحتالين لمجرّد أنّه كان عليهم أن يأخذوا بعض الخيارات الصعبة كي يصلوا إلى ما كانوا فيه. ربّما كانوا جميعاً محتالين، كلُّ واحدٍ

منهم. لكنَّ جاي كان يعرف الكثير من الفقراء المحتالين أيضاً. على الأقل فإنَّ هؤلاء الرجال في الصحف والمجلّات - رجالٌ من أمثال بيل غيتس وستيف جوبز ووارن بافت - قاموا ببناء شركات عملاقة. وتلك النساء - مثل أوبرا وجينيفر أنيستون وأنجلينا جولي - بنَين لأنفسهنَّ علاماتٍ تجارية. أن تكون ثريّاً هي مسألةٌ عقلية. ليس هناك من علامة أقوى لشخصٍ لا يملك المال ولن يملكه يوماً، من اعتقاده أنَّ السخرية ممّن يملكه هو مزحةٌ ظريفة.

كانت هذه هي اللعنة الحقيرة الحقيقية في كونك فقيراً. هذا النوع من التفكير الذي يخلّلُ دماغك. الذي يجعلك تعتقد أنَّ ضعفكَ هو خطأ الجميع إلّا أنت. وكلٌّ من حولك يفكّرون بنفس الطريقة. بعض الفقراء معجونون بهذه الأفكار، ممقوعون فيها طوال حياتهم ثمَّ يقومون بنقلها من جيل إلى آخر.

كانت تخطر لجاي هذه الفكرة، إن ألقيتَ نظرةً على أطفال الأثرياء، لماذا ينتهي بهم الأمر دائماً أكثر ثراءً من آبائهم؟ ذلك لأنّهم كانوا منذ اليوم الأوّل يكبرون في العقلية الصحيحة.

إنْ كان عند جاي أمنيةٌ واحدة لأطفاله - ثلاثُ فتياتٍ وصبيّ، من الرابعة حتى الرابعة عشرة - فهي أنَّهم سيتعلّمون التفكير مثل الأشخاص الذين يريدون أن يكونوا عليهم. آمن جاي بحماس بنبوءة أنَّ أطفاله يمكن أن يصبحوا ذات يوم مثل الأشخاص الذين كان يقرأ عنهم. لطالما سمع الناس يقولون أشياء من قبيل «أوه، لم يعد هناك أبطالٌ» لكن كلّ هذا كان جزءاً من تلك العقلية الانهزامية. إن كنتَ تظنُّ أنّكَ لست في حاجة أن تتطلّع إلى بطل، فهنيئاً لك، لا ينبغي بك إذاً أن تكون في حاجة للارتقاء صعوداً إلى أي مكان. جاي لم يفكّر بهذه الطريقة، وأطفاله ما كانوا ليفعلوا ذلك.

متى كانت آخر مرّة شاهد فيها جاي فيلماً بطله رجل أعمال؟ حيث لم يكن فيه الرجل الذي بنى شيئاً من لا شيء مجرماً يسمّم المياه الجوفية، بل كان يحفر الآبار في منطقةٍ صحراوية قاحلة؟ لماذا لم تكن هوليوود تصنع هذا النوع من الأفلام أبداً؟

كان متأكداً من أنّه يعرف السبب. لأنَّ أولئك الليبيراليين الهوليووديين، فوق تلك المنحدرات المخفية في بيفرلي هيلز، كانوا يشعرون بالخجل الشديد من الفقراء في الجوار لدرجة أنّهم حبسوا أنفسهم بعيداً في قصورهم وصنعوا أفلاماً تمجّد نفس الضحيّة التي لا يحتملون أن يكونوا بقربها.

كلُّ ذلك للقول إنَّ جاي كان متحمّساً جدّاً للسماع لملياردير صادق يوم كان لو سيلفر يستعدُّ للصعود على المنصّة.

كان أوّل انطباعٍ لجاي عن لو سيلفر هو خيبة الأمل. هل هذا هو عملاق الصناعات، وصانع الأسواق، حُوت المال القادم من مينيابوليس كما وصفتْه إحدى المجلّات ذات مرّة؟ كانت كتفا لو محنيتين للأمام، ووجهه مترهّلاً كما لو أنَّ جلده فقد العضلات التي تثبّتُه في مكانه. قرأ جاي كيف أنَّ المليارديرات يتمتّعون بذلك الحضور ذي الجاذبية المغناطيسية والذي يُفترض أن تشعر به بمجرّد دخولهم إلى الغرفة. لكنَّ هذا لم ينطبق على لو. بدت بذلته واسعةً جدّاً في بعض المواضع، وضيّقةً جدّاً في مواضع أخرى؛ ظنَّ جاي في البداية بحسن نيّة أنّه لربّما كان لو أكثر درايةً بالاتجاهات الحديثة في الموضة الأوروبية. لكن لا، أدرك جاي وهو يراقب لو يجلس على الكرسي الخشبي أنّه كان ببساطة يرتدي بذلةً غير مناسبة.

قد لا يكون أيُّ مبلغٍ من المال قادراً على حماية الشخص من إهمال مظهره الخارجي بعد أن يُقتَل طفله الوحيد.

كان غريباً بالنسبة لجاي أن تكون هذه أوّل مرة يظهر فيها لو في قاعة المحكمة. كانت زوجته إيلين حاضرةً في الصفّ الأمامي كل يوم، مرتدية ملابس سوداء دائماً. وكأنّها ملاكٌ منتقم جاء ليصدر حكمه في شؤون البشر.

لو أنَّ أحداً ما كان قد قتل واحداً من أطفال جاي، فمن المؤكّد أنّه سيكون مثل إيلين: جالساً في الصفّ الأمامي في قاعة المحكمة من الصباح حتى المساء، على مدار الساعة، طوال أيّام الأسبوع، 365 يوماً في السنة.

كان لو آخر شهود الادّعاء. وكان مورنينغستار قد جمَّع على مدار الأشهر الماضية أجزاء قضيّته قطعةً قطعة: بقع الدم، والحمض النووي، والرسائل النصّية، وأخيراً المكالمة الغريبة الصادرة من هاتف جيسيكا. لقد اتّصلتْ بهاتف منزلها - أو، وكما دأبتْ محامية الدفاع على تذكير الجميع، اتّصل **هاتفها** بهاتف منزل سيلفر - بعد مغادرتها المدرسة ظهيرة يوم اختفائها. أجاب جهاز الردّ التلقائي على تلك المكالمة. لم تُترَك أيّة رسالة. كان هاتف جيسيكا في منطقة وسط البلد وقت إجراء المكالمة - أو، وكما دأبت محامية الدفاع على تذكير الجميع، كان داخل منطقة مساحتها 25 هكتاراً تشمل معظم منطقة وسط البلد إضافةً إلى أربعة طرقٍ رئيسية سريعة.

اقترح مورنينغستار أنَّ موقع الهاتف يعني أنَّ جيسيكا كانت على الأرجح في طريقها من أو إلى شقّة بوبي. رسمَ مورنينغستار صورةً حيّةً للأحداث: أخذ بوبي في ذلك اليوم جيسيكا معه في سيّارته، واصطحبها إلى شقّته. وقد دخلا في جدالٍ عنيف إمّا في الطريق إلى شقّته، أو في طريق العودة. ربّما أرادتِ الفتاة أن تنهي علاقتهما المخزية، أو ربّما أرادت فقط أن تخبر والديها بها. ثارت ثائرة

بوبي، فقتلها هناك في السيّارة. كان دمها في كلِّ مكان. بعدها، وحين أدرك ما الذي فعله، حشر جسدها في صندوق السيّارة - حيث عُثر على آثار الدم - ودفنها في مكانٍ ما في الصحراء.

في العموم، كان جاي يشعر أنَّ القضيّة صلبة. إن لم يكن بوبي نوك قد قتل جيسيكا، فقد انتقى من بين الطلاب خياراً سيّئاً للغاية كي يتحرّش به.

كان من المفترض أن يكون لو قد جاء إلى المحكمة كي يقدّم الحلقة الأخيرة في القضيّة.

كان صوته هادئاً. «اسمي لو سيلفر. وُلدت في مينيابوليس بمينيسوتا، وأعيش الآن في مدينة لوس أنجلوس». مال جاي نحو الأمام كي يسمع بشكلٍ أفضل. لاحظ أنَّ زملاءه المحلّفين قد فعلوا الشيء نفسه. «أنا رجل أعمال».

إنّه لمظهرٌ من مظاهر القوّة والنفوذ، أدرك جاي، أن تجعل خمسة عشر شخصاً ينحنون متّكئين عندما تتحدّث.

طلب مورنينغستار من لو أن يصف طبيعة أعماله.

اعترضت غيبسون، محامية الدفاع. قالت شيئاً عن كون السؤال «غير ذي صلة»، ثمّ دخلا في أخذٍ وردّ حول هذه النقطة. كان هذا طبيعياً جدّاً بالنسبة للمحاكمة - تُطرح بعض الأسئلة، ثمّ يحدث جدال بين المحامين، سؤالٌ آخر، ثمَّ جدالٌ آخر. وإن كان النقاش حامياً جدّاً ومغرِقاً في التفاصيل القانونية، فكان القاضي يطلب من هيئة المحلّفين مغادرة القاعة.

أخيراً أجاب لو: «أنا المؤسّس والرئيس التنفيذي لشركة Silver Properties، وأنا المؤسّس وعضو مجلس إدارة شركة SunRay Insurance. أنا المساهم الرئيسي في شركة Allied Metalwork،

وAllied Concrete، وAllied Glassworks، وAllied Renovations.
أنا أيضاً المؤسس والرئيس التنفيذي لشركة Silver Ventures. كما أنّي أعمل مع زوجتي حين يتعلّق الأمر بمؤسّسة Silver Foundation الخيرية».

كان يمكن رؤية بعض الابتسامات في القاعة. لكنَّ جاي كان متجمّداً في مكانه. جاء اسم Allied Concrete مثل صفعةٍ بالنسبة له.

لم يكن جاي قد تعامل مع Allied Concrete فحسب، بل كان قد تعاقد معهم منذ ثلاثة أشهر ونصف، وقبض منهم الشيكات حتّى اللحظة التي استُدعي فيها للعمل في هيئة المحلّفين.

شعر برغبةٍ في لكم نفسه، مثل أبلهٍ في الرسوم المتحركة. كان يعرف أنَّ لو سيلفر يملك بعض شركات Allied، فكيف لم يدرك أنَّ شركة الخرسانة واحدةٌ منها؟

تابع لو الكلام حول مشاريعه الإنشائية في وسط البلد، في الوقت الذي تذكّر فيه جاي أنّه أقرَّ تحت القسم أن لا علاقة شخصية أو مالية تربطه بلو سيلفر.

يا إلهي، أدرك أنّه كان قد التقى بلو من قبل بالفعل! أو كانا على الأقل ضمن نفس دائرة المدراء خارج موقع بناء في سنتوري سيتي. كان لو واحداً من ضمن عديد الرجال البيض ذوي البذلات والذين قاموا بجولةٍ تفقّدية في ذلك اليوم. لكنَّ جاي لم يتحدّث إليه، كان متأكّداً من ذلك بنسبة 95%.

أو 90% ربما.

شعر جاي بالحرّ فجأة. تحرّكَ في كرسيّه. جلست فران غولدنبرغ بجانبه ككلِّ يوم، ونظرتْ إليه وهي تعرض عليه رشفةً من قنّينة الماء. «هل أنتَ بخير؟».

لوّح جاي رافضاً واستدار عائداً إلى لو. لا يجب أن يجعل فران أو أيَّ شخصٍ آخر يعرف بالأمر. لم يكن المحلّفون الآخرون أصدقاءً له فعلاً، ولسوف يشون به في اللحظة التي يضطرون فيها إلى ذلك. لكن جاي فكّر بعدها، مَن في لوس أنجلوس ليس لديه نوعٌ من الارتباط بلو سيلفر بطريقةٍ ما؟ إن لم يكن جاي قد لاحظ ارتباطه بلو، فإنَّ أيّاً منهم كان يمكن أن يكون ارتكب الخطأ نفسه.

بذل جاي قصارى جهده للتركيز على الشهادة. كان المدّعي العام يطلب من لو أن يصف محادثته الأخيرة مع ابنته صباح وفاتها.

كان هناك اعتراضٌ سريع من جانب الدفاع.

- «لقد تحدَّثنا حول هذه النقطة من قبل، سيادتك»، قالت غيبسون بضجر. «لم يُدرَج 'موت' جيسيكا سيلفر كدليل».

- «اعتراضٌ مقبول»، رمق القاضي مورنينغستار محذِّراً. «دعونا لا نفعل هذا مرّة أخرى».

أومأ مورنينغستار برأسه معتذراً. «ماذا كان حديثك الأخير مع جيسيكا يوم اختفائها؟»، قال للو.

هزَّ لو رأسه بحزن. «هل تعرف ما هو أسوأ ما في الأمر؟ أنّني لا أستطيع حتّى أن أتذكّر».

وصف لو ابنته بأنّها ميّالةٌ للثقة بالآخرين، رقيقة القلب، لطيفةٌ، ساذجة، وقادرة بشكلٍ مطّرد على إخفاء أسرار مظلمة عنه. قال إنّه لم تكن لديه أدنى فكرة عمّا كان يحدث بين جيسيكا وبوبي. أنحى باللائمة على نفسه. هل كان مستهلَكاً إلى هذا الحدِّ في عمله؟ مهملاً لعائلته على نحوٍ لا يُغتفر؟ أم أنَّ هناك عمراً حيث يصبح فيه أطفال المرء غرباء في بيته؟

شعر جاي أنّ لو بدا وكأنّه يتحدّث عن شيءٍ غير شخصي فيما يتعلّق بابنته. بطريقةٍ ما، جعله ذلك يبدو أكثر حزناً. كأنّه لم يكن يعرف كيف يتحدّث عن الشيء الفظيع الذي حدث له، لذا بذل ما بوسعه ليتحدّث فقط عن الأشياء الفظيعة في العموم. طرح مورنينغستار على لو مجموعةً من الأسئلة - ما الوقتُ الذي كانت تعود فيه عادةً من المدرسة، متى بدأ يقلق بشأن غيابها، هل كان من المعتاد أن تغيب كلّ ذلك الوقت - لكن جواب لو كان في الغالب هو تذرّعه بعجزه عن معرفة الكثير عن أي شيء يتعلّق بجيسيكا.

واظب مورنينغستار على الالتفات نحو هيئة المحلّفين بعد كلّ إجابة، مركّزاً بشكلٍ خاص على جاي، وكارولينا، وفران، وكاثي، وإنريكي. أدرك جاي أنّهم كانوا المحلّفين الذين لديهم أطفال. ولأوّل مرّة، شعر أنَّ المدّعي العام كان يحاول التأثير عليهم. من المؤكّد أنَّ ما كان يعيشه لو سيلفر هو بمثابة الكابوس لكلّ أب؛ فقد كان كابوس جاي قطعاً. إذا لم يستطع **لو سيلفر** من بين كلّ الناس أن يبقي ابنته في أمان، فما إمكانيةُ أيّ أحدٍ آخر في فعل ذلك؟

مع ذلك، فقد بدا في غير محلّه استمرار مورنينغستار في الضرب على وتر ما يفعله الأطفال حين لا يكون آباؤهم متواجدين. إذا كان مورنينغستار يعتقد أنّه بحاجةٍ للتنمّر على المحلّفين بهذا الأسلوب حتّى يفوز، فما الذي يخبرنا به ذلك عن قضيّته؟

كان المزاج في القاعة كئيباً حين نهضت غيبسون ببطء، وكأنّها تنتظر أن يصبح الهواء أكثر نظافة.

- «أنا آسفةٌ جدّاً سيّد سيلفر. لا بدَّ أنَّ هذا الأمر برمّته فظيعٌ وشديد الوطأة عليك»، قالت له.

اعترض مورنينغستار قبل أن يتكلّم لو. «لا أعتقد أنّي سمعتُ سؤالاً، حضرة القاضي».

رمقه القاضي بنظرةٍ تقول: وهل أنتَ متقيّدٌ بالنظام لهذه الدرجة؟ لكن الرجل لم يكن مخطئاً على أيِّ حال. التفتَ نحو غيبسون. «يمكنكِ التطرّقُ إلى أسئلتكِ مباشرةً أيّتها المستشارة».

أومأتْ برأسها. «نعم حضرة القاضي، سأحاول أن أختصر قدر الإمكان لأجل السيّد سيلفر».

خاطبتْ غيبسون منصّة الشهود. «ما عدد الشركات المختلفة التي تمتلكها؟».

اعترض مورنينغستار. «لا علاقة لهذا بالقضيّة».

هزّت غيبسون رأسها هازئة. «وكأنّني عشتُ هذه اللحظة من قبل!».

- «اعتراضٌ مرفوض، أنتَ الذي فتحتَ هذا الباب»، قال القاضي.

مشتْ غيبسون إلى وسط القاعة وهي تخاطب هيئة المحلّفين بقدر ما تخاطب شاهدها، إن لم يكن أكثر. «هل أثار أيٌّ من نشاطاتك التجارية الجدل؟».

أخذ لو نفساً عميقاً. «بقدر ما تثيره أعمالٌ بهذا الحجم».

- «أنا آسفة، هل كان هذا جواباً بـ «نعم»؟».

- «نعم».

- «هل هدّدكَ أحدٌ بالقتل؟». كانت تنظر مباشرةً نحو جاي.

هل هذا بسبب صلته بلو؟ لكن كيف أمكنها أن تعرف؟

- «لقد تعرّضتُ للتهديد بالطبع»، قال لو.

استدارتْ مستندةً على كعبها العالي. «بالطبع؟».

- «كنتيجةٍ لأعمالي في التطوير العقاري، جرى إخلاءٌ وترحيل للسكّان. وهو ما أغضب الهيئات المجتمعية. بعث الناس برسائل. مروّعةٌ هي الأشياء التي قد يقولها الناس حين يغضبون. لكن كلّ هذا مجرّد كلام».

- «هل سبق أن كتب لك أحدهم رسالةً قال فيها إنّه سيؤذي عائلتك؟».

- «أتصوّر ذلك».

- «هل سبق أن كتب لك أحدهم رسالةً يقول فيها إنّه سيغتصب ابنتكَ المراهقة قبل أن يدفن جثّتها في الصحراء؟».

أذهلت دقّةُ الوصف في هذا التعليق كلَّ مَن في القاعة.

- «لا أتذكَّر»، قال لو.

لو كتب لي أحدٌ ما مثل هذه الرسالة، لكنتُ سأتذكّرها بالتأكيد، قال جاي لنفسه.

- «اسمح لي إذاً أن أنعش ذاكرتك». أخذت غيبسون ورقةً عن طاولتها وعرضتْها أوّلاً على مورنينغستار. أيّاً يكن هذا الشيء، فهو كان قد رآه من قبل. ثمَّ عرضتْها على القاضي، والذي صنّفها أصولاً على أنّها «مستند الدفاع 101».

- «هل لي الاقتراب من الشاهد؟»، قالت غيبسون. أومأ القاضي بالموافقة.

دنت من منصّة الشهود وسلّمت الورقة إلى لو سيلفر.

- «هلّا تقرأ لي هذه الورقة، سيّد سيلفر؟».

نظرَ إلى القاضي مثل طفلٍ يطلب الإذن. أومأ القاضي برأسه.

- «عزيزي سيلفر 'اليهودي'»، بدأ لو في القراءة، «أنتَ تدمّر هذه المدينة. أنتَ تستحقُّ أن تشاهد ابنتكَ تُغتَصب وتُقتل، ثمَّ تُدفَن جثّتها

في الحلوى(*) حتى لا تتمكّن من العثور عليها أبداً. ربّما سأفعل ذلك. ربّما، إذا كنتَ محظوظاً». رفع لو رأسه. «إنّها بلا توقيع».

- «تُدفَن في الصحراء؟»، قالت غيبسون.

- «مذكورٌ هنا 'الحلوى'».

- «هل تتذكّر تلقّيكَ هذه الرسالة؟».

- «لا».

- «لقد وصلت إلى عنوان منزلك».

- «هذا ما أخبرتني به الشرطة بعد أن ألقوا القبض على بوبي نوك لقتله جيسيكا».

- «ألم تصدمك لدرجة شعورك أنّها جديرةٌ بالاهتمام؟».

- «بالطبع صدمتني ووجدتُها جديرةً بالاهتمام».

- «ليس لدرجةٍ تجعلك تعتقد أنَّ كاتب الرسالة ربّما يكون جادّاً؟».

- «بوبي نوك هو مَن قتل ابنتي».

كان جاي شبه متأكّد أنّه رأى غيبسون تبتسم.

- «لا بدَّ أنّكَ صُدمتَ حين رأيت رسائل المتّهم النصّية مع ابنتك».

- «لم أرَ تلك الرسائل إلّا بعد أن قتلها».

كان جاي قد شهد الكثير من الاعتراضات وكسر الإيقاع في سير المحاكمة ليتوقّع أنَّ غيبسون ستنقضُّ على تلك الكلمة الأخيرة، لكن ولدهشته فقد تركتْها تمرّ. نظرتْ فحسب نحو هيئة المحلّفين

(*) تُدفن جثّتها في الحلوى: هناك خطأً إملائي في الرسالة، حيث كلمة Desert تعني الصحراء، لكنّها وردت في الرسالة Dessert وتعني الحلوى - المترجم.

طلباً للتعاطف. كما لو أنّها تقول إنّهم يفعلون ما بوسعهم لاستيعاب الانفعالات المفهومة لأبٍ مكلوم.

- «ماذا فكّرتَ لدى رؤيتكَ لتلك الرسائل؟».

- «لم أصدّق ذلك».

- «أنَّ ابنتكَ كانت تتواصل مع معلّمها بهذه الطريقة؟».

- «أنّه كان يرسل تلك الرسائل إليها».

بدا الفضول على وجه غيبسون. «فوجئتَ بسلوكه أكثر من سلوكها؟».

- «لقد خالف القانون. لقد استغلّها».

- «مع كامل الاحترام سيّد سيلفر، يشير محتوى الرسائل إلى أنّها كانت شريكةً راغبة».

يا له من شيءٍ حقير، هذا الذي قالته تلك المحامية لوالد الفتاة! لم يكن ذلك مقبولاً.

لم يترك مورنينغستار انطباعاً جيّداً لدى جاي، لكنَّ غيبسون كانت أسوأ منه حتّى.

- «كيف تجرئين؟»، قال لو.

- «عذراً، أنا لم أقصد الإساءة إليك»، قالت له.

- «كانت في الخامسة عشرة من عمرها، هي مجرّدُ طفلة».

- «أنا آسفةٌ لأنّكَ اضطررتَ إلى قراءة مثل هذه الرسائل الإباحية بين ابنتكَ وموكّلي».

ظلَّ لو صامتاً. بدا وكأنّه يُطبَخ في غضبه.

- «هل أتت جيسيكا على ذكر بوبي نوك من قبل؟».

- «لا أعتقد ذلك».

- «لا تعتقد ذلك؟».

- «لا أتذكّر».
- «ليس حتّى بصفته مدرّسها؟».
هزَّ لو رأسه.
نظرت غيبسون إلى القاضي طلباً للمساعدة.
- «سيّد سيلفر، أخشى أنَّ هذه المحكمة يمكنها فقط تسجيل الإجابات الشفهية على أسئلة المحامين»، قال القاضي.
التفتَ لو نحو القاضي وقد بات الآن غاضباً منه أيضاً. لم يبدُ لو شخصاً معتاداً على أن يخبره أحدٌ ماذا عليه أن يفعل.
فكّر جاي أنّه لو كان يملك مليار دولار، فلن يستسيغ أن يخبره الآخرون بما سيقوله ومتى سيقوله.
- «لا»، قال لو.
- «سيّد سيلفر؟»، قالت غيبسون.
- «لا، هو الجواب على سؤالك. أنا لا أتذكر أنَّ جيسيكا أتت على ذكر الرجل من قبل».
- «هل كانت تخبركَ في العادة عن أصدقائها؟».
بدا أنَّ لو يشعر بالغثيان. «عفواً؟».
- «يمكن للفتيات أن تكنَّ كتومات حول هذه الأشياء، خاصّةً مع آبائهنّ. هذا طبيعي تماماً. كنتُ فقط أحاول معرفة ما إذا كانت قد أخبرتكَ عن أصدقائها السابقين، قبل بوبي؟».
- «هذا الرجل لم يكن صديقها».
هزَّتْ غيبسون كتفيها. «أنا آسفة، ما الكلمة التي تعتقد أنَّ جيسيكا كانت ستستخدمها؟».
- «كان **مدرّسها**».
- «حين قرأتَ الرسائل التي كتبتْها ابنتكَ إلى بوبي، لا بدَّ أنَّكَ كرهتَه حقّاً».

- «نعم، لقد كرهتُه».

- «هل أردتَ أن تراه ينال العقاب لحديثه مع ابنتكَ بهذه الطريقة؟».

- «أردت أن ينال ذلك الشيطان الأسود ما يستحقّه».

كانت هناك شهقاتٌ في جميع أرجاء القاعة، وكأنّها مسابقةٌ حول مَن يستطيع امتصاص أكبر قدرٍ من الأوكسجين. كان جاي متأكّداً أنّه سمع أحدهم يقول «أوه، اللعنة»، لكن لم يكن لديه فكرةٌ مَن هو. حتّى القاضي تجمّد في كرسيّه.

أمّا غيبسون، فلم يرفَّ لها جفنٌ. تنهّدتْ على نحوٍ يكاد لا يُسمع، كما لو أنّها سئمت من عالمٍ شديد التحيّز ضدَّ موكّلها.

- «لا مزيد من الأسئلة».

أعلن القاضي عن استراحةٍ قصيرة. كان هناك الكثير من التواصل البصري داخل غرفة المحلّفين، لكن لا أحاديث. كانوا يعرفون أنّه إذا قال أحدهم كلمةً واحدة، فسيكونون جميعاً في ورطة. لكن كيف تبقى صامتاً بعد سماع شيءٍ كهذا؟

حاول جاي أن يتواصل بصمتٍ مع ريك، محاولاً أن يقول له شيئاً مثل: **هيه يا رجل، أنا أعرف ما الذي يفعله هؤلاء القوم البيض**. لكن من النظرة على وجه ريك، بدا أنّه لم يلتقط ما كان جاي يحاول قوله. أو أنّه لم يرد أن يكون هذا الأخير مَن يتشارك التعاطف معه.

في بعض الأحيان وجد جاي أنَّ السود قد يكاشفونه فقط بمسألة كم أنَّ البيض عنصريّون، لكنّهم بعد ذلك يشعرون بحاجةٍ إلى توضيح أنّهم نالوا النصيب الأسوأ من تلك العنصرية. وكأنَّ جاي لم يسمع يوماً أشخاصاً بيض يقلّدون بسخرية لكنةً لم يكن يتكلّم بها، أو

يهذرون بهراء من قبيل أنّه لا بدَّ أن يكون بارعاً في الرياضيات أو شيءٍ من هذا القبيل. لطالما أثار حنق جاي تظاهُر السود بأنّهم الضحايا الوحيدون لعنصرية البيض البغيضة.

انتقل إلى تريشا، والتي كان يقضي معها وقتاً أكثر على أيّ حال. كان لديها نوع من حس النكتة الجافّة والسريعة التي يمكن أن تكون مخلّةً بالأمن إذا تمكّنتَ من التقاط سخريتها المتأصّلة. كلُّ ما قاله لها كان: «اللعنة». شعر بأنَّ هذه الكلمة تعكس موقفه تماماً.

هزّتْ تريشا رأسها فحسب. «أحسنت».

بدت فران غولدنبرغ خجِلة. هل كانت تشعر بالحرج لأنَّ لو سيلفر، وهو يهوديٌّ مثلها، كان قد قال شيئاً مفرطاً في العنصرية؟ وكأنَّ هذا الرابط الديني لوحده كفيلٌ بجعلها تبدو سيّئة هي أيضاً؟

كان المزاج العام متوتّراً حين أعادهم الحاجب ستيف إلى قاعة المحكمة.

نادى القاضي على مورنينغستار الذي وقف وقال: «الادّعاء أنهى تقديم قضيّته».

التفتَ القاضي إلى غيبسون. «هل الدفاع جاهزٌ لتقديم شاهده الأوّل؟ أم أنّه يفضّل رفع جلسة اليوم وتقديم الشاهد في الصباح؟».

راقب جاي بينما أخذت غيبسون لحظةً للتفكير. همست شيئاً ما في أذن بوبي نوك. تبادلا الهمسات لبضع لحظات. أومأ بوبي برأسه أخيراً، وعاد ليحدّق في المقعد أمامه.

وقفت غيبسون.

- «سيّداتي وسادتي أعضاء هيئة المحلّفين»، قالت غيبسون، «الدفاع أنهى تقديم قضيّته».

13

قد أكون أفضل صديقٍ سوف تحظين به

الآن

- «أودُّ التحدّث إلى السيّد سيلفر، من فضلك»، قالت مايا على الهاتف. لم تردّ المرأة على الطرف الآخر - كائناً مَن كانت - بشيء. وبعد صمتٍ متردّد، أضافت مايا: «اسمي مايا سيل».

- «لحظة»، جاء صوت المرأة. ثمَّ انتظرتْ مايا مع الموسيقى التي لا تنتهي فيما هي جالسةٌ تحدّق في خلاء ميراكل البائس أمامها.

ما الذي كان ريك ولو يفعلانه معاً؟ هل كان لو يساعد ريك في تحقيقه ماليّاً أو بوسائل أخرى؟ ولماذا لم يخبر ريك أحداً بذلك؟

ظهر رجلٌ آخر فوق الدرجات الأمامية لمقطورته. أخذ يحدّق في سيّارة تسلا التي استعارتها مايا، محاولاً معرفة ما الذي تفعله السيارة - والمرأة التي بداخلها - في هذه التضاريس المهجورة.

- «آنسة سيل؟» عاد صوت المرأة. «يقترح السيّد سيلفر أن تتفضّلي بالحضور إلى المكتب في التاسعة من صباح الغد. هل يناسبكِ هذا؟».

وافقتْ مايا.

أمضت الساعات التالية وهي تحاول التحدّث إلى المعتدين الجنسيين المسجّلين، لكن أحداً منهم لم يقبل التحدّث إليها.

كان الوقت عصراً حين أخذتْ طريق العودة ذا المناظر الأخّاذة نزولاً عبر خطّ الساحل. كان الطريق المتعرّج محفوراً في الجروف، مرتفعاً على نحوٍ خطير فوق الشواطئ في الأسفل حيث تكسّرت الأمواج على البروزات الصخرية في هيئة رذاذٍ أبيض خلّاب. أرادتْ مايا وقتاً للتفكير في كلّ ما كانت قد اكتشفتْه، وللتلذذ بما قد يكون آخر عهدها مع منظر المحيط قبل دخولها إلى السجن.

كانت هذه المرّة الأولى التي تقود فيها على هذا الامتداد من الطريق السريع 1 منذ انتقالها إلى لوس أنجلوس. تذكّرتْ فيما هي تحدّق في المياه المتلألئة أحاديثها مع هانتر خلال رحلتهما من سان فرانسيسكو. في المناسبات النادرة التي فكّرت فيها بهانتر، كانت تدهشها دائماً ندرة هذه المناسبات.

كانا قد انفصلا بعد فترةٍ وجيزة من المحاكمة. لكن ليس بسبب علاقتها الغرامية. ما حدث مع ريك كان خطأً مأساوياً قد ندمتْ عليه بالفعل. لكن الشخص - الجدار الذي وقف حائلاً بينهما وفقاً لهانتر - كان بوبي نوك.

- «هل يمكننا أن نتحدّث عن شيءٍ آخر لمرّةٍ واحدة؟»، انفجر هانتر غاضباً بعد أسبوعين من عودتها إلى المنزل. «ألم يفسد هذا الوغد ما يكفي من الحيوات؟ الآن عليه أن يدمّر حياتنا أيضاً؟».

كانا قد خرجا لتناول العشاء، لكنَّ أحداً ما تعرّف على مايا في المطعم. اقتربت منها امرأةٌ تلبس بنطالاً ضيّقاً غامق اللون والكثير

من الحليّ، وقالت: «لقد كنتِ في هيئة المحلّفين، أليس كذلك؟ أتمنّى أن تكوني سعيدة الآن». عندها أمسك صديق المرأة المحرَج بيدها وسحبها بعيداً.

ساءت حال موعد تلك الليلة منذ تلك اللحظة: صمتٌ متوتّر؛ تعليقٌ مهينٌ تافه على شيءٍ غير ذي أهمّية؛ صمتٌ متوتّر آخر؛ النادل يعيد ملء كؤوس الماء؛ صوت تصدّع مكعّبات الثلج أثناء ذوبانها.

- «كلُّ ما أريده هو أن أحظى بوقتٍ طيّبِ الليلة»، قال لها.

ما الذي كان يرغب في التحدّث بشأنه بدلاً من ذلك؟ هي لم تكن متأكّدة حتّى يومنا هذا. سألتْهُ في حينها، لكنّه راوغ، وترك ذلك لها إذ قال: «أيُّ شيءٍ آخر».

- «أنا لستُ مديرة رحلاتك السياحية البحرية»، قالت في أحد تلك الشجارات، لم تستطع أن تتذكّر في أيٍّ منها بالضبط، إذ اختلطت جميعها على نحوٍ ضبابيٍّ في ذاكرتها. «ليس من واجبي أن أبقيكَ مستمتعاً».

- «أنتِ **مهووسة**»، قال لها. كان هذا بالتأكيد من شجارٍ لاحق، بعد أن أخبرتْهُ أنّها تنوي الالتحاق بكلّية الحقوق. فكّرت مايا كم هو مثير للسخرية أنّه وبينما كان افتقارها سابقاً للـ «وجهة» في حياتها مصدراً خفيّاً للتوتّر في علاقتهما، إلّا أنَّ قرارها الالتحاق بكلّية الحقوق بدا أنّه أزعجه أكثر.

- «ماذا؟ تريدين أن تصبحي محامية حتّى تتمكّني من تخليص بوبي نوك من مأزقه كقاتل؟ إليك خبراً عاجلاً: لقد سبق لكِ وأن قمتِ بذلك فعلاً»، قال لها.

- «لا»، حاولتْ أن تشرح. «سأصبح محامية لأنَّ الناس مثل

بوبي نوك وجيسيكا سيلفر كلاهما يستحقّان نصيباً منصفاً من العدالة».

يُقتَل أحدٌ في هذه المدينة كلَّ يوم. يُغتَصب أحدٌ كلَّ ساعة. يُسرَق أحدٌ كلَّ دقيقة. وكانت الشرطةُ تعتقل الناس ذات اليمين وذات الشمال، وبعضهم كان بريئاً، والبعض الآخر لم يكن كذلك، لكن ماذا كان يريد منها هانتر أن تفعل، أن تبقى على الهامش؟ أن تنهي روايةً غبيّة لن يهتمَّ لها أحدٌ على أيّ حال؟ أو أن تكتب مذكّرات حول كم عاملها نظام العدالة على نحوٍ سيئ؟

مستحيل. هي لم تكن ضحيّةً عاجزةً لنظامٍ عديم الرحمة. هي لم تكن مجرّد متفرّج بريءٍ وحياديّ.

لم يستطع هانتر أن يفهم قطُّ أنَّ كونها ستصبح محامية لم يكن يعني بحالٍ من الأحوال استرجاع تلك المحاكمة، وتكرار الحالة المحيطة بها إلى ما لا نهاية. بل كان الأمر يتعلّق بتملّك أصعب أحداث حياتها وأكثرها صدماً، الامتلاء بها، ومن ثمَّ تقبّلها واحتضانها.

كانت قد تركتْ مايا القديمة في تلك المحكمة. هي الآن شخصٌ آخر. وهذا الشخص الجديد، الآنسة سيل، قد وُلد في تلك الغرف. هناك كانت ديارها.

كان هانتر متزوّجاً الآن، ويعيش في بورتلاند. بدا من الصور على صفحته على فيسبوك أنّه طوّر شغفاً بمهنة تخمير البيرة السوداء.

قضتْ وقتاً طيّباً على الطريق إلى أن اصطدمت بازدحام ساعة الذروة حول ماليبو. كانت الشمس قد غابت لتوّها، ولاح في الأفق وهج أضواء وسط البلد الجديد الذي تعود ملكيّته بالكامل تقريباً لرجلٍ واحد.

صادفت مايا لو سيلفر مرّةً واحدة بالضبط منذ المحاكمة. كان ذلك قبل بضع سنوات في حملة جمع تبرّعات لصالح تغيّر المناخ برعاية إحدى شركات التجميل. كانت مايا الضيف الإضافي على بطاقة دعوة كريستال ليو، وكانت تستمتع بهذه اللحظة النادرة التي استطاعت فيها إخفاء هويّتها الحقيقية. «أنا مايا، أعمل مع كريستال». هذا ما قالته للحضور، وهذا هو كلُّ ما كانت عليه في تلك الأمسية: محامٍ آخر يأخذ عيّنات من مقبّلات الخضار المغمّسة بالزيت والصلصة، والعطور التي ستصدر في الموسم القادم.

هذا ما كانت عليه إلى أن لمحتْ إيلين سيلفر في الجهة المقابلة من الغرفة. التقت عيونهما لثانية. أشاحت مايا بوجهها على نحوٍ غريزي. لم تكن متأكّدة من أنَّ إيلين سيلفر قد رأتْها بالفعل، أو ما إذا كانت تلك هي إيلين حتّى. حاولت إقناع نفسها أنَّ تلك المرأة الستّينية الأنيقة في الطرف الآخر من الغرفة كانت مليارديرةً أخرى، محسنةٌ كبيرة ووجهٌ بارز في المجتمع الراقي. وبذلك لن تضطر مايا أن تواصل استراق النظر إليها.

استمرّت حالة الجهل المصطنعة تلك حتى نهاية الأمسية. كانت مايا تقف بجانب كريستال في صف انتظار السيّارات حيث شعرت بشخصٍ يتحرّك خلفها على مسافةٍ قريبةٍ جدّاً.

كان ذلك لو سيلفر يقود زوجته نحو السيارة التي كانت تنتظرهما.

– «آنسة سيل»، همس لدى مروره بالقرب منها.

وكان ذلك كلَّ شيء. ركب آل سيلفر السيارة دون أيِّ نظرةٍ أخرى نحو مايا.

- «إذاً»، قالت كريستال بعد بضع دقائق بينما كانتا تمخران مسرعتين عباب الليل. «هل قابلتِ أحداً مثيراً للاهتمام؟».

احتلَّتْ شركات لو سيلفر المتنوّعة طوابق متجاورة في البرج الجنوبي من مجمّعه في سنتوري سيتي. تمثّل كلّ كتلةٍ من الطوابق مجالاً مختلفاً من استثماراته: العقارات، التأمين، الأسهم الخاصّة، و«الابتكار»، أيّاً كان معنى هذه الأخيرة. كان لمؤسسة إيلين ولو سيلفر الخيرية نصف طابق قرب مكاتب الإدارة المالية، فيما احتلّتْ مكاتب لو الشخصية أعلى البرج.

بدا لو أكبر سنّاً ممّا تخيّلت مايا. يصف الناس الشيخوخة بأنّها حالة هبوط تدريجي، لكن مع لو بدت وكأنّها سقوط عن جرفٍ شديد الانحدار. قبل عشر سنوات، حين كان في الخمسين، بدا رجلاً في منتصف العمر. الآن هو ما عاد يفرق شعره كي يخفي الصلع، وكانت بقع الكبد الداكنة باديةً بوضوح على يديه. حين مشى لاستقبالها من وراء مكتبه، لاحظت التأنّي في كل خطوةٍ يخطوها.

كان لوجهه نفس الملامح المرهَقة القديمة.

- «كان يجدر بنا فعل هذا قبل الآن. مرحباً، أنا لو»، قال وهو يمدُّ يده مصافحاً.

قبلتْ مصافحته. «لم أعتقد أبداً أنّنا سنفعل هذا».

- «لماذا؟».

- «لأنّكَ صرّحتَ لصحيفة **نيويورك تايمز** أنّ لا بدَّ أن والدتي قد أسقطتني على رأسي مراراً حين كنتُ طفلة».

استوعب صراحتها وردّها لها بالمثل. «حسنٌ، لقد أطلقتِ سراح الرجل الذي قتل طفلتي جيسيكا».

- «هذا الحديث يسير بشكلٍ جيّد».

ابتسم وقال: «أفضل ممّا كنتُ أتوقّع بصراحة. هلّا جلستِ؟».

أشار إلى زوجٍ من الأرائك. استطاعت مايا أن ترى المحيط عبر أحد الجدران الزجاجية. ومن الجهة الأخرى رأتْ هوليوود هيلز، ومن الثالثة رأت ناطحات سحاب وسط البلد.

- «إذاً؟ لقد اتّصلتِ بي»، قال لو.

- «لماذا أعطى ريك ليونارد رقم هاتفك لمعتدٍ جنسيّ يعيش في بلدةٍ تسمّى ميراكل؟».

لم يخرج لو عن الإيقاع الدائر بينهما. «أوه، حسنٌ، هذا جيد، فقد كنتُ أتساءل من أين حصلتِ على هذا الرقم الخاص. لقد أعطاه ريك لأنّه الخطُّ الخاص بالخدمات الاستقصائية».

- «لديكَ خدمات استقصائية؟».

- «ألم يخبركِ؟».

- «لا».

- «هممم». من الواضح أنَّ هذا لم يكن الجواب الذي توقّعه. «حسنٌ، في السنوات الأخيرة كان ريك ليونارد بمثابة خدماتي الاستقصائية».

- «كان يعمل لصالحك؟».

- «منذ عامين تقريباً، جاء ريك لرؤيتي هنا. أخبرني كلَّ شيءٍ عن تحقيقاته حول بوبي نوك. كان مقتنعاً أنَّ بوسعه إثبات ذنب بوبي، لكنّه كان بحاجة إلى الوقت والموارد البشرية والمادّية. عملياً، لقد كان مفلساً. كنتُ قد قرأتُ كتابه - وكنتُ أعرف أنّه يقف على الجانب الصحيح. فأعطيتُه كلَّ ما طلبه».

فوجئت مايا بصراحة لو.

نظر إليها. «هل كنتِ تتوقّعين منّي أن أحاول إخفاء هذه الأشياء عنك؟».

- «لا أعرف».
- «لمَ قد أفعل ذلك؟».

كان سؤاله منطقياً على نحوٍ محيّر.

- «سمعتَ عن وفاة ريك»، قالت له.
- «إنّه شريرٌ فحسب».
- «ريك شرير؟».
- «بوبي».
- «أستميحكَ عذراً؟».
- «بوبي نوك قتل ريك». قالها بطريقةٍ وكأنَّ هذا أكثر الأشياء وضوحاً في العالم.

لم تعتقد مايا أنَّ هذا ممكنٌ حتّى. «هل أنتَ مقتنعٌ بذلك؟».

بدا على لو الاستياء. «لقد قتل بوبي نوك ابنتي. وقد قضى عقداً من الزمن مختبئاً من عدالةٍ مستحقّة بعد أن حرَّرتِه منها بحكمتكِ اللامتناهية. كان ريك ليونارد، بوركت روحه، وبمساعدةٍ منّي، يبحثُ عميقاً في أمر بوبي. اكتشف ريك دليلاً ضدّه، فقتله بوبي لأجل ذلك».

- «هل تدرك ما الذي عليكَ أن تصدّقه حتى تجادل بأنَّ بوبي نوك قتل ريك؟».
- «أخبريني ماذا عليَّ أن أصدّق؟».
- «أوّلاً أنّه كان على بوبي أن يعرف بأمر لمِّ الشمل، ثمَّ أن يعرف مكان انعقاده بالضبط. ثمَّ كان عليه أن يشقَّ طريقه داخل الفندق دون أن يلمحه أيٌّ منّا أو من عشرات الأشخاص الذين قد

يميّزونه في ثانية. وبعد كلّ ذلك كان عليه أن يعرف أنَّ ريك سيكون في غرفتي، وفي أي وقتٍ بالضبط، وأنّني لن أكون هناك».

- «ربما أحد الاختلافات الجوهرية بيني وبينكِ هو أنّني لا أستبعد شيئاً عن بوبي نوك».

للإنصاف، فقد اعتقدتْ مايا أنَّ هذا كان على الأرجح وصفاً دقيقاً لحالتهما.

- «هل تعرف أنَّ الشرطة تعتقد أنّني أنا التي فعلتُ ذلك؟».

- «أعرف».

- «لكنّكَ لا تشاركهم اعتقادهم؟».

- «لا». سكت للحظة. «أصعب ما عليكِ تقبّله الآن هو أنّني على الأرجح الشخص الوحيد الذي يعتقد أنّكِ بريئة. وهو ما يعني أنّه وعلى الرغم من كوني متأكداً أنّك الشخص الأكثر سذاجة وحماقة في كامل محيط غولدن ستايت، إلّا أنّني قد أكون أفضل صديق سوف تحصلين عليه».

لم تصدّق مايا ما كانت تسمعه.

- «إنّها شراكات غريبة، أعرف»، قال وهو يجلس على الأريكة مباعداً ذراعيه مثل جناحيْ ملاك.

لقد حجبتْ كراهية لو لبوبي كل شيءٍ آخر في مجال رؤيته. لم يكن لديه شيءٌ غير معقول أو عصيٌّ على التصديق طالما أنّه يورِّطُ بوبي.

- «إذاً، علامَ عثر ريك؟ مع كلّ مواردكَ التي سُخِّرتْ لدعمه»، سألت مايا.

خيّمت سحابةٌ من خيبة الأمل على ملامح لو.

- «ليس جيّداً، هذا ليس جيّداً»، قال.
- «ماذا؟».
- «كنتُ آمل أنّكِ تعرفين».
- «ألم يخبركَ؟».

تنهّد لو. «كان ريك ذكيّاً جدّاً، ومتحفّزاً جدّاً. لا شيء كصحوة الردّة يعطي الرجل حافزاً على العظمة. أنا أردتُ العدالة بسبب ما فعله بوبي بابنتي. لكنَّ ريك أراد العدالة بسبب ما جعله بوبي يفعله بنفسه». اتّكأ لو مقترباً منها. «على الأقل، لقد اعترف ريك بأخطائه. على عكس البعض منّا».

منعتْ مايا نفسها من ابتلاع الطعم. ذكّرتْ نفسها بأنَّ نقاشاً حول مَن قتل جيسيكا سيلفر هو آخر شيءٍ تحتاجه الآن، وبالأخص مع والد الفتاة. الشيء الوحيد الذي كانت تحتاجه هو المعلومات التي تخدم دفاعها.

- «هل ما زلتِ حقّاً واثقةً جدّاً؟»، سأل وكأنّه مغتاظٌ من هدوئها. «بعد كلّ هذه السنين؟ وبعد كلّ ما حدث؟ يكاد المرء يُعجب بثبات موقفك... يكاد».

- «إذا كان ريك يعمل لصالحك، فلا بدّ أنَّ لديك إمكانية الوصول إلى ملاحظاته، وملفّاته حول بوبي».

طقطق لو لسانه. «لديَّ هذه الإمكانية بالفعل. والملفّات ليست مخبّأة - لقد أعطاها لمنتجي البرنامج التلفزيوني أيضاً».

- «لقد رأيتُ ما لديهم».

- «إذاً أنتِ مدركةٌ للوضع. ليس هناك كشفٌ مهم في تلك الملفّات. كما أنّه لم يخبرني بشيء. أوه، لقد سألته مراراً. يمكنني أن أريكِ مئة رسالة بريدٍ إلكتروني، وظلَّ يقول إنّه بات لديه شيء

جيّد، جيد حقاً، جيد للغاية. لكن ينبغي بالتوقيت أن يكون مثالياً. لقد تشاجرنا بسبب ذلك».

بدا كلُّ شيءٍ حول هذا الأمر جنونياً. «لماذا قد يكتشف ريك شيئاً حاسماً وغير قابلٍ للجدل، ثمَّ يقوم بإخفائه عنك؟ من بين جميع الناس؟».

نقر لو على شفتيه بإصبعه. «هذا لطيف، أليس كذلك؟ أن نسأل أنا وأنتِ نفس الأسئلة أخيراً».

سرح لو في الأفق البعيد وراء زجاج نوافذه. «لطالما أحبَّتْ جيسيكا الماء».

نظرت مايا إلى حيث كان ينظر - كلُّ ما استطاعت رؤيته كان امتداداً لأميال من منظر المدينة. «حسنٌ».

- «منذ أن كانت طفلةً صغيرة. معظم الأطفال يكرهون الاستحمام، لكن جيسيكا لم تكن كذلك. كانت تعشق الاستحمام، ثمَّ حين كبرت، كانت هناك دروس السباحة. ثمَّ دخلت بعد ذلك في فريق السباحة. في كلِّ عطلة نهاية أسبوع كانت تذهب إلى الشاطئ مع أصدقائها. كنتُ هنا، في هذا المكتب. كنتُ أعمل كثيراً، وما زلتُ. لكن الآن، ما الذي قد أفعله غير ذلك؟ كنتُ أراها في الليل، وشعرها الطويل لا يزال مبتلّاً. كنتُ أشمَّ رائحة الماء المالح، وأقول لها «جيسيكا، أنتِ في فريق السباحة طوال الأسبوع، ثمَّ في يوم العطلة تسبحين في المياه المالحة؟». قالت إنَّ هذا كان أمراً تأملياً أو شيءٍ من هذا القبيل. تلك هي الفتاة التي كانت عليها ابنتي. كانت تقول عن شيءٍ إنّه 'تأمّلي'».

لم تعرف مايا ماذا تفعل بهذا الشأن، أو ماذا تقول ردّاً عليه.

- «أتمنّى لو تمكّنتُ من لقائها»، كان هذا أفضل ما توصّلت إليه.

هزَّ لو رأسه. لم يكن ما كان عليها قوله مهماً. «أتعرفين ما الذي تظلُّ إيلين تكرّر لي؟ 'معاقبة بوبي نوك لن تعيد لنا جيسيكا'».

- «ألا توافقها الرأي؟».

- «أقول لإيلين دائماً: فلنحاول، وبعد ذلك سنرى ما سيحدث».

وضع لو يديه على حجره. «لهذا السبب سأساعدكِ».

- «كيف؟».

- «أنا أعرف أين هو بوبي نوك».

لم تصدّقه مايا.

- «لقد اكتشف ريك أين هو قبل حوالي الشهر»، شرح لو. «ولحسن الحظ، فقد شاركني هذه المعلومة. وأنا سأشاركك إياها».

- «لماذا؟».

ابتسم لو. «لأنّني إذا أخبرتكِ أين هو بوبي، فسوف تذهبين للتحدّث إليه. إذ كي تتمكّني من تبرئة نفسك، أنتِ بحاجة إلى معرفة ما كان لدى ريك ضدَّ بوبي. ربّما يكون لدى هذا الأخير فكرةٌ عن ذلك».

- «لمَ لا تذهب بنفسك؟».

هزَّ لو كتفيه. «ما الذي سأفعله إن ذهبت؟ والأهمُّ من ذلك، ما هي احتمالية أن يقبل بوبي التحدّث إليّ؟ أو إلى أحدٍ من جماعتي؟».

- «ليست عالية».

- «لكن ما هي احتمالية أن يتحدّث إليك؟ أنتِ مخلّصته الآثمة!».

كان المنطق البارد الذي استطاع لو من خلاله حساب مصلحة كل فردٍ في المعادلة، وتوظيف تلك التي تتماشى مع مصلحته، أمراً مثيراً للإعجاب. تعلّمت مايا بعد سنواتٍ من المفاوضات مع محامين خصوم كيف تميّز الشخصية المتلاعبة بمجرّد رؤيتها. لكنَّ لو كان من طينةٍ مختلفة. كان الحال أشبه بكونه يعرف أسرار صناعة آلة Rube Goldberg(*) لكنَّ نسخته منها مصنوعة من الرغبات البشرية الأساسية فقط.

فكّرتْ مايا أنّه ربّما أصبح مليارديراً بهذه الطريقة؛ ليس من خلال فرض إرادته على الآخرين، بل من خلال تنظيم الآخرين لفرض إراداتهم على بعضهم البعض. كان الجميع يعملون لصالح لو سيلفر، سواءٌ كانوا يعلمون ذلك أم لا.

- «حسنٌ، سأبتلع هذا الطعم. أين بوبي نوك؟»، قالت له.

- «قبل أن أخبركِ بمكانه، هناك شيءٌ أريده منكِ».

- «ما هو؟».

- «أريدكِ أن تصدقيني القول».

ارتبكتْ مايا. «متى كذبتُ عليك؟».

- «لقد تجنّبتِ سؤالي قبل قليل. أريد أن أعرف الآن. هل أنتِ حقّاً - وبكلِّ صدق - ما زلتِ واثقة أنّكِ كنتِ على حقٍّ قبل عشر سنوات؟».

بعد كلِّ الذين ظلّوا يحومون حول هذا السؤال على مرِّ السنين،

(*) آلة Rube Goldberg: سُمِّيت تيمّناً برسّام الكارتون الأمريكي غولدبيرغ، وتحوّلت إلى مصطلح للإشارة إلى بناءٍ أو آلة يقوم على سلسلة متتالية من ردود الأفعال المصمّمة بدقّة وصولاً إلى نتيجةٍ محدّدة - المترجم.

قدَّرتْ مايا جرأة لو لطرحه بشكلٍ مباشر. إذا كان هو يكاد يحترم ثباتها، فربّما هي تكاد تحترم صراحته.

- «أو ربّما»، قال لها. «فقط ربّما... هل يمكن أن يكون بوبي قد قتل حبيبتي جيسيكا؟».

بدا وجه لو مضنىً من شدّة التوق لمعرفة الجواب.

لقد عرفتْ لمَ كان مهتمّاً بإجابتها. كانت تفهم كيف هو الحال حين تخوض جدالاً لوقتٍ طويلٍ جدّاً لدرجة أنَّ نتيجة الجدال لم تعد مهمّة - فالشيء الوحيد الذي قد يمنح بعض الراحة هو ليس كونك على حق، بل هو إظهار أنّكَ كنتَ على حقٍّ منذ البداية. هذا ما كان يريده لو حقّاً. لقد فات الأوان لتحقيق العدالة، وهو لن يجد السلام أبداً. لذا، فإنَّ حالة الرضا الوحيدة التي أمكنه أن يأمل بها هي سماعها تعترف بأنّها كانت مخطئة.

أرادت مايا أن تخبر لو أنَّ الشيء الذي يتوق إليه كان سيعذّبه لبقيّة حياته، أنَّ النتيجة الحتمية التي سيكون عليهم جميعاً التعامل معها هي أصعب ما يمكن تقبّله - وهي أنّهم لن يعرفوا أبداً على وجه اليقين. إنَّ عقابهم على كونهم أناساً يطالبون بإجابات كان أن يُجبَروا على البقاء عالقين في شكوكهم إلى الأبد.

رأت مايا في قاعات المحاكم على امتداد المدينة الناس يحصلون على الأحكام التي رغبوا بها، كما رأت الكثير ممَّن لم يحصلوا على ما رغبوا به. لكن ليس للأحكام علاقةٌ أو صلةٌ بالحقيقة. فلم يغيّر حكمٌ يوماً رأي أحد. والمحلّفون لم يكونوا آلهة. والناس الذين دخلوا إلى قاعات المحاكم بحثاً عن وحيٍ إلهي خرجوا محمّلين بثمار تفاوض بيروقراطي.

أرادت مايا أن تخبر لو أنَّ هذه الحاجة الشديدة إلى الإثبات

تحوّلت إلى مستنقع يغطّي كامل بلدهم المثير للشفقة. كانوا في كلِّ يومٍ يستيقظون محمومين على أمل أنَّ العناوين الرئيسية ستكون إثباتاً قاطعاً على كون جماعتهم هي الفضلى، والجماعة الأخرى هي الأسوأ على الإطلاق. لكنَّ الأخبار حول هذا اليقين ستظلُّ تراوغهم إلى أبد الآبدين. كلُّ كشفٍ جديد بدا أنّه يدين أولئك الذين لا يتّفقون معهم، كان يتبعه مبرّر جديد. لكلِّ نبوءةٍ فاشلة، كان هناك عذرٌ مخفِّف. وجعلهم ذلك يصبحون أكثر تشبّثاً بمعتقداتهم الواهية فحسب، إذ بدا البديل شيئاً لا يطاق. أرادت مايا أن تقول له إنَّ الشيء الوحيد الأسوأ من كونك مخطئاً هو حاجتك الملحّة لإثبات أنّكَ لم تكن كذلك.

لكنّها لم تقل للو أيّاً من ذلك.

بدلاً من كل هذا، قالت مايا للو ما أراد سماعه. فعلتْ ذلك لأنّها كانت آخر شخصٍ على هذه الأرض يمكنه أن يعطي تعليماتٍ للو سيلفر حول كيف يجدر به أن يعيش حياته. وفعلتْ ذلك لأنّه سألها بصدقٍ وصراحة، فكان يستحقُّ أن يسمع منها إجابةً صادقة.

- «سيّد سيلفر»، قالت وهي تمرّر أصابعها في شعرها، «أنا لم أعد متأكّدةً من أيِّ شيءٍ بعد الآن».

كاثي

28 سبتمبر، 2009

- «ماذا ستفعلين؟»، قال ألبرت، زوج كاثي وينغ، على الطرف الآخر من الهاتف. «ستحلّين القضيّة؟».

كرهتْ كاثي تخيّل الحاجب ستيف في مقرّه يستمع إلى هذه المكالمة. فكّرتْ في تذكير ألبرت أنّهما ليسا الوحيدين على الخط، لكن ومن خلال خبرتها، فإنَّ «تذكير» ألبرت بأشياء يعرفها يأخذ الأمور في مسارٍ سيّئ فحسب.

لذا، وبدلاً من تذكيره، قالت له: «غداً المرافعات النهائية، ثمَّ سنجري المداولات، سأكون في المنزل قريباً».

- «أربعة أشهرٍ يا كاث»، قال ألبرت. «مَن كان يعتني بسارا بيث لأربعة أشهر؟».

ابنتهما، سارا بيث، لم تكن حتّى قد أنهت مقالاتها الجامعية بعد، إلى هذه الدرجة اهتمَّ واعتنى ألبرت بها. لكن لم تكن هناك أيّة جدوى من الشجار بشأن ذلك الآن.

- «أعرف كم بذلتَ جهداً في غيابي. أعدكَ أنّي سأعوّضكَ بمجرّد عودتي. لقد انتهت المحاكمة تقريباً».

- «ما الذي تفعلينه هناك حتّى؟ تقيمين العدل؟ أنتِ لستِ محامية، ولستِ قاضية، ولا تعرفين ألفباء هذه الأمور. أنتِ مجرّد بلهاء إن كنتِ تظنّين أنّكِ قد تحدثين فرقاً».

تنهّدتْ كاثي. قد يكون ألبرت قاسياً، هذا مؤكّد، لكنّه كان على حقّ. ما الذي **كانت** تعتقد أنّها ستفعله؟

مع ذلك، كان الأمر أنّها قطعتْ وعداً. كانت قد تعهّدت لولاية كاليفورنيا أنّها ستخدم في هيئة المحلّفين. صحيحٌ أنّهم طالبوها بما لا طاقة لها به، لكن إذا تخلّت عن مسؤوليّاتها، عن وعدها، فما المثال الذي سوف تعطيه لسارا بيث عندئذٍ؟

كانت كاثي قد رأت في القاعة إيلين سيلفر، والدة الضحيّة. شاهدتْ تلك المرأة ترفع رأسها عالياً كلّ يومٍ، وبوبي نوك يكاد لا يبعد عنها أكثر من عشرين قدماً. حتّى يوم أمسٍ، حين قال زوجها لو ذلك الكلام الفظيع. ما كانت كاثي لتلوم امرأةً على الأشياء الفظيعة التي يقولها زوجها، فلو أنَّ المحكمة استمعت إلى نصف الأشياء التي يقولها **ألبرت**...

أملتْ كاثي فقط أن تكون قويّة بالقدر الذي رأت إيلين عليه إذا - لا سمح الله - حدث شيءٌ لسارا بيث. شعرت بأنّها لم تقطع وعداً لولاية كاليفورنيا فحسب، بل وعدتْ إيلين أيضاً. وقد عنى هذا شيئاً ما.

لكن حاول فقط أن تشرح أيّاً من ذلك لألبرت.

كان لديها فكرة جيدة عمّا سيقوله إذا حاولت التحدّث عن واجبها تجاه زوجة ملياردير ما.

بدلاً من ذلك، قالت له: «ربّما سيختارونني لأكون محلّفاً بديلاً. ألن يكون ذلك جيّداً؟ عندها سأكون في المنزل... حسنٌ، قد يكون ذلك في الغد».

كان القاضي قد أخبرهم أنّه في نهاية المحاكمة، سيتمُّ اختيار ثلاثة محلّفين بدلاء بشكلٍ عشوائي. هؤلاء سيُصرفون على الفور، ما يعني أنَّ لدى كاثي فرصة واحدٍ من خمسة للعودة إلى المنزل وتناول العشاء هناك يوم الغد.

- «أنتِ بلهاء كبيرة! إنّهم يستغلّونكِ، ولا تملكين حتّى الحدَّ الأدنى من الإدراك لرؤية ذلك»، قال ألبرت.

كان من الأفضل دائماً تركه ينفّس عن انفعالاته حين يكون في واحدة من حالاته المزاجية هذه.

- «أخبريهم أنّه من الضروري لكِ أن تكوني واحدةً من البدلاء».

- «قال القاضي أنَّ هذا الإجراء عشوائي، لا أعتقد ——».

- «أخبريهم فحسب. سوف تعودين إلى المنزل غداً، نقطة - انتهى».

تخيّلتْ كاثي ابنتها سارا بيث في غرفتها في ذلك الوقت، وهي لم تنجز مقالاتها الجامعية بعد. قد يكون من الأفضل لكاثي أن تعود إلى المنزل في الحال. أن تكون بديلاً لا يُعدُّ تهرّباً من واجباتها، أليس كذلك؟ ينبغي بثلاثةٍ منهم أن يكونوا بدلاء. يمكنها أن تكونَ أحد الثلاثة. «حسنٌ».

- «حسنٌ؟». بدا ألبرت مشكّكاً.

- «سأخبرهم».

- «هم لا يحتاجون إليكِ ليتوصّلوا إلى الحقيقة»، استطرد

ألبرت كما لو أنّها لم توافق لتوّها. «العثور على القطعة الناقصة من الدليل الرئيسي، والتي كانت مفقودةً طوال الوقت؟ ليس أنتِ مَن ستقومين بذلك، هل تفهمين؟ نظام العدالة الجنائية لن ينهار إن رجعتِ إلى بيتكِ وعائلتكِ».

أملتْ كاثي أن يكون الحاجب ستيف غارقاً في النوم الآن. لكنّها كانت تشكُّ في ذلك. «قلتُ أنّي سأخبرهم».

- «تخيّل فحسب. **كاثي: رئيسة المفتّشين اللعينة**». ضحكَ ألبرت هازئاً.

في قاعة المحكمة في الصباح التالي، قدّم مورنينغستار مرافعته الختامية بسرعةٍ ملفتة. ظنّتْ كاثي أنّه سيحمّلها بشحنةٍ عاطفية أكبر - معاناة جيسيكا المسكينة، معاناة إيلين وزوجها - لكن بعد الحريق الذي اشتعل بالأمس أثناء إدلاء لو بشهادته، ربّما شعر مورنينغستار بالحاجة إلى تخفيض درجة حرارة الأجواء.

ركّز انتباههم على أركان قضيّته الثلاثة: الرسائل النصّية، بقع الدم، الكذب على الشرطة حول المكان الذي كان فيه بوبي ساعة وقوع الجريمة. قال لهم: «في الوقت الذي تبذل فيه زميلتي على الجهة المقابلة كلَّ ما في وسعها لإرباككم، سأطلب منكم التمسّك بهذه الحقائق الثلاث الأساسية. **الرسائل، بقع الدم، الكذب**. سوف تقول إنّه ربّما كان المتّهم مجرّد شابٌ أسيءَ فهمه. ربّما كان كذلك. لكن... **الرسائل، بقع الدم، الكذب**. سوف تقول إنَّ الشرطة ربّما تسرّعتْ في الاشتباه به. ربّما فعلوا. ولكن... **الرسائل، بقع الدم، الكذب**».

اختتم مرافعته برفع صورةٍ لجيسيكا بالحجم الطبيعي تقريباً.

كانت قد التُقطتْ بواسطة كاميرا مراقبة أثناء مغادرتها المدرسة يوم اختفائها. كانت تلك آخر صورةٍ لها على الإطلاق.

كانت كاثي قد رأت تلك الصورة عشرات المرّات على مدار المحاكمة. كان مورنينغستار يواظب على العودة إليها. والآن، ها هو يوازن الصورة بعناية فوق حمّالة. إذا كانت المحاكمة أغنية، فالصورة هي الجوقة. كان كلُّ شيءٍ يتمحور حول التكرار.

ما كانت كاثي لتتمكّن من نسيان هذه الصورة أبداً حتّى لو أرادت ذلك. كانت جيسيكا مرتدية زيّها المدرسي: تنّورةٌ كحلية حتى أسفل الركبة، جوربان غامقان، قميصٌ أبيض. شعرها الأشقر مشدودٌ إلى الخلف. مع صورةٍ بهذا الحجم، استطاعت كاثي حتّى أن تتبيّن التفاصيل على القلادة التي تتدلّى من رقبة جيسيكا.

كانوا قد عرفوا سابقاً أنَّ القلادة كانت هديّةً من والدها. تذكارٌ لرحلةٍ قاموا بها قبل سنوات. جعلت تلك القلادة الفضية جيسيكا تبدو أصغر حتى ممّا كانت عليه. اعتقدتْ كاثي أنَّ ذلك طفوليٌّ على نحوٍ غريب، قلادةٌ على رقبة فتاة تغوص رأساً في مرحلة البلوغ التي لم تكن مستعدّةً لها.

حاولت كاثي أن تتخيّل جعل سارا بيث ترتدي قلادةً أعطاها لها والدها... **حسنٌ، بالتوفيق في مسعاكم هذا!**

أنهى مورنينغستار مرافعته الختامية، وترك الصورة ماثلةً هناك. وكأنَّ لقطة جيسيكا في ملابسها المدرسية وقلادتها الطفولية هي أكثر ما أراد لهم أن يتذكّروه.

كان تكتيك غيبسون على النقيض من تكتيك الادّعاء. حيثما كان هو متأكّداً، لمّحتْ هي إلى عدم التيقّن. حيثما كان هو واضحاً، رشّت هي الحبر في الماء. الأرقام المرتبطة بالطبّ الشرعي أخذت

عدّة أشكال – نسبٌ مئوية بالغة الصغر، أجزاء في المليون، هوامش خطأ – وقد أخرجت غيبسون هذه المعطيات من جعبتها وألقتها بسرعة مذهلة. مكتبة سُر مَن قرأ

بالنسبة لموضوع لو سيلفر، فقد تعالتْ وغضّت الطرف، ولم تأتِ حتّى على ذكر ما قاله في اليوم السابق. قامت بدلاً من ذلك بخلق سحابة شكٍّ ضبابية حول أعدائه. كان هناك أشخاصٌ يريدون إلحاق الأذى به وبأسرته. لم تكن من ضمن مسؤوليّاتها القانونية إثبات أنّهم اختطفوا جيسيكا، بل كانت مسؤولية الادّعاء أن يثبت أنّهم لم يفعلوا.

استخدمتْ غيبسون دائماً كلمة «اختطاف» للإشارة إلى جيسيكا، لم تسمعها كاثي مرّةً واحدة تقول «قتل».

لم تشرح غيبسون أبداً سبب عدم قيامها بالدفاع. ولم تقل كلمةً واحدة عن سبب عدم وضع بوبي نوك على المنصّة.

كانت تتصرّف وكأنّها ربحت القضيّة بالفعل. كما لو أنَّ الادّعاء فشل في إثبات شيءٍ واحد حتّى، لذا لم يكن لديها ما تدحضه.

بعد أن شكرتهم غيبسون على وقتهم وخدمتهم، أعلن القاضي أنّهم وصلوا إلى نهاية المحاكمة.

– «سأكشف الآن عن الأعضاء الذين اختيروا عشوائياً كمحلّفين بدلاء. إذا ناديتُ على رقمكم، أرجو منكم الوقوف ومرافقة الحاجب إلى مكتبي. تتقدّم لكم ولاية كاليفورنيا وأنا أيضاً بالشكر على خدمتكم»، قال القاضي.

استطاعت كاثي أن تشعر بتوتّر كل مَن حولها. كانت واثقةً أنّها الوحيدة التي ترغب في أن تكون بديلة. قبل بضعة أيّام، قالت تريشا

إنّها لا تستطيع تخيّل أن تكون قد احتُجزت وخاضت في هذا الأمر شهوراً، فقط كي تتمَّ إعادتها إلى المنزل دون إصدار حكم. «ستكون مزحةً سمجةً جدّاً بالنسبة لي»، قالت تريشا.

كانت كاثي ستحسُّ نفس الإحساس، لكن ألبرت كان قد بيّن نقطةً مهمّة. إن كان عليها أن تصدر حكماً حول براءة أو ذنب بوبي نوك، فبماذا ستصوّت؟ «مذنب» ربّما؟ لم تكن الشخص الأفضل لإصدار حكم. كانت مايا شخصاً يتلهّف للدخول إلى غرفة المحلّفين والإدلاء بصوته. نفس الأمر مع «صديقها» ريك. كانت تريشا قد قالت إنَّ مايا وريك على علاقة، لكنَّ كاثي لم تعتقد أنَّ هذا يخصّها في شيء. كما أنّه لا يخصُّ تريشا أيضاً.

ثمَّ هناك واين، كان ينبغي به أن يكون بديلاً بكل تأكيد. كان توتّره يزداد باطّراد، مع دخوله في فترات صمتٍ مطوّلة وهو جالس يحدّق خارج النافذة. لقد احتاج في الأسبوع الماضي إلى خمسٍ وعشرين دقيقة لـ «يمتصّ بعض أشعة الشمس»، قبل أن يصعد إلى الحافلة المتّجهة إلى قاعة المحكمة. اضطر الحاجب ستيف يومها أن يتّصل بالقاضي ويبلغه أنّهم سيتأخّرون في الوصول إلى المحكمة. لم تعرف كاثي كم يمكن لواين أن يحتمل أكثر. أو كم يمكنهم أن يحتملوا منه أكثر.

قرأ القاضي الأسماء.

- «المحلّف رقم 906».

وقف أرنولد دين. بدا أنه يلهث.

- «المحلّف رقم 552»، قال القاضي.

استدارت كاثي نصف استدارة لتتمكّن من رؤية إنريكي نافارو، الذي وقف دون أن يبدي ردَّ فعلٍ حيال الخبر.

لم يبقَ سوى مكان واحد بينها وبين واين.

- «المحلّف رقم 873».

وقف كيلان براغ.

لحق الثلاثة بالحاجب ستيف إلى الباب.

كانت كاثي مذهولة. لقد حدث كلّ شيءٍ بسرعةٍ كبيرة. لم تتح لها الفرصة لقول أيِّ شيء، لشرح موقفها. لم يكن هناك من سببٍ وجيه لإرسال أولئك الثلاثة إلى المنزل بدلاً منها.

رفعتْ يدها دون أن تفكّر ملياً في الأمر.

حدّق بها الجميع.

- «المحلفة رقم 690؟ إذا كنتِ ترغبين في التحدّث معي بشأن أمرٍ ما، فيمكننا فعل ذلك في مكتبي»، قال القاضي.

أنزلت كاثي يدها خجلة. **يا لي من بلهاء!**

قال القاضي لأعضاء هيئة المحلّفين الاثني عشر المتبقين: «قبل أن تبدؤوا مداولاتكم، سنختار أحدكم بشكلٍ عشوائي ليكون ممثّل هيئة المحلّفين. كل الرسائل والآراء والطلبات يجب أن تُسلَّم إلى هذه المحكمة - أي إليَّ شخصياً - عبر ملاحظاتٍ مكتوبة بخطّ اليد على بطاقاتٍ خاصة سنوفّرها لكم عبر ممثّل الهيئة المعيَّن. ممثّلكم هذا سيكون مكلّفاً بإدارة الحديث والمداولات التي ستجرونها في غرفة المحلّفين. القواعد الأساسية الوحيدة التي حدّدتها هذه المحكمة هي كالتالي: أوّلاً، جميع المداولات يجب أن تُجرى داخل غرفة المحلّفين بحضور جميع المحلّفين الاثني عشر. ما يعني أنَّ الأحاديث الجانبية ممنوعة، والأحاديث في الفندق ليلاً كذلك الأمر. تجري المداولات في تلك الغرفة فقط، بحضور الجميع، إلى أن تتوصّلوا إلى قرار. هل هذا واضح؟».

أومأت كاثي برأسها.

- «ثانياً، المدَّعى عليه متَّهمٌ بتهمةٍ واحدة، وهي جرم القتل من الدرجة الأولى. إمّا أن تجدوه مذنباً بهذه التهمة أو غير مذنب. لكنَّ أيَّ قرارٍ تتّخذوه يجب أن يكون بالإجماع. إن كانت لديكم أيّةُ أسئلةٍ حول تعريفات التهمة، أو حول أيٍّ من التعليمات المتعلّقة بكم، فيمكنكم طلب التوضيح عن طريق البطاقات المكتوبة بخط اليد، والتي سيقوم ممثّلكم بإرسالها إلينا كما سبق وشرحتُ. هل هذا واضح؟».

أومأت كاثي برأسها من جديد. أرادت فقط أن تنتهي هذه التعليمات كي تتمكّن من الذهاب إلى مكتب القاضي وتصحيح هذا الخطأ.

فتح القاضي مظروفاً أمامه. «سيكون ممثّلكم لهيئة المحلّفين...». سحب ورقةً واحدة من داخل المظروف. «المحلّف رقم 690».

- «لا يمكنني البقاء هنا، عليّ أن أكون في المنزل مع عائلتي»، قالت كاثي للقاضي في مكتبه بعد بضع دقائق.

اتّكأ القاضي في كرسيّه الذي يصدر صريراً مزعجاً. كان قد خلع رداءه، وظهرت تحته بذلةٌ داكنة اللون. لم تره كاثي دون الرداء من قبل. بدا عارياً على نحوٍ غريب رغم البذلة التي كان يرتديها.

- «إذا كانت لديكِ مسؤولياتٌ تتعلّق برعاية أطفال، والتي من شأنها أن تمنعكِ من تأدية الخدمة في هيئة المحلّفين، فكان يجدر بكِ ذكرها في وقتٍ سابق».

لم ترد كاثي أن تكذب على قاضٍ. «ليس الأمر كذلك».

- «ما الأمر إذاً؟».

كيف كان يُفترض بها أن تجعله يفهم؟ «إنَّ معظم أعضاء الهيئة يرغبون في البقاء. لمَ لا يستطيع مَن يريد البقاء أن يبقى، ومَن يريد الذهاب أن يذهب؟».

حكَّ القاضي فروة رأسه الأصلع. «الإجابة الطويلة هي: لأنَّ ذلك سيجعل مجموعة المحلّفين مختارةً ذاتياً، الأمر الذي قد يضرُّ بالنتائج. الإجابة القصيرة هي: لأنّ هذا ما أريده ببساطة».

أصغت كاثي إلى تنهّدها المحمّل بالإحباط، وأدركت أنَّ هذا ما ينبغي أن تكون سارا بيث قد شعرت به حيال آراء كاثي وتصريحاتها.

- «من الطبيعيّ أن تشعري بالتوتّر. لديك مسؤوليةٌ كبيرة بين يديكِ»، قال القاضي بلطف.

- «هذه هي المشكلة بالضبط. أنا لا أعرف شيئاً عن كل هذه الأمور - هكذا قال زوجي - حسنٌ، إنّه قرارٌ أكبر من أن أتحمّل مسؤوليّته».

- «هل سبق أن فكّرتِ أنّه وبالتحديد لكونكِ 'لا تعرفين شيئاً عن كلِّ هذه الأمور' فالقرار يجب أن يكون لكِ؟».

ما مشكلة هذا الرجل؟ إنّه أبله كبير.

- « لقد صرفتُ البدلاء بالفعل»، تابع القاضي. «لذا، إن غادرتِ قبل التوصّل إلى حكمٍ، فسوف أضطر إلى إعلان بطلان المحاكمة. وإذا لم يكن لديكِ عذرٌ قاهر للمغادرة، فيمكنني عندئذٍ حبسكِ بتهمة ازدراء المحكمة».

حين وصلتْ كاثي أخيراً إلى غرفة المحلّفين، كان الجميع واقفين.

لماذا لم يكن أيٌّ منهم جالساً؟

- «هل خُصِّصتْ لنا مقاعد محدّدة؟»، سألت فران.

كانوا جميعاً يتطلّعون إلى كاثي للحصول على إجابة. «لا أعرف».

- «ربّما يجب أن نجلس بحسب ترتيب أرقامنا»، قالت فران.

- «لا أعتقد أنَّ للأمر أهمّية»، قال ريك.

- «في المحكمة نجلس وفقاً لأرقامنا»، قالت تريشا.

- «إنّها غرفتنا يا رفاق، يمكننا وضع قواعدنا الخاصة» قال واين.

نظروا إلى كاثي مجدّداً. أصيبت بالهلع. كانت طوال الخمسة عشر عاماً الماضية تعمل كصيدلانية، ما يعني أنّها تملك خبرةً في تهدئة روع أولئك الذين نفذت منهم وصفات الأدوية المضادّة للقلق. لكنّها لم تمارس دور القيادة والتنظيم إلا على أصدقاء ابنتها المزعجين.

- «اسمحوا لي أن أقرأ تعليمات القاضي مرّةً أخرى»، قالت كاثي.

- «أوه، بحقّ الجحيم!»، صاح واين. مشى نحو الباب وفتحه وسط ذهول الجميع.

- «الحاجب ستيف؟»، نادى عبر الرواق.

ظهر الحاجب ستيف خلال لحظات. «ما الأمر؟».

- «هل يهمُّ أين سنجلس؟».

بدا الحاجب ستيف وكأنّه سعيدٌ بالسؤال. «ليس مسموحاً لي الإجابة على أيّة أسئلة قانونية، لكنّها غرفتكم، وأنتم تديرون الأمور فيها كما تشاؤون، طالما أنّكم تمتثلون لتعليمات القاضي».

- «شكراً»، قال واين. ثمَّ أغلق الحاجب ستيف الباب.

- «فليجلس الجميع»، قال واين وقد احتفظ بكرسيّه قرب النافذة.

جلسوا دون ترتيبٍ محدّد. بدتْ فران غاضبةً حيال ذلك، ولم تعرف كاثي ماذا تفعل لتطيّب خاطرها. أرادت فعل ذلك على نحوٍ غريزي، لكن الأنظار توجّهتْ إليها مجدّداً - كان الجميع ينتظرون التعليمات.

- «ربّما، علينا أن نجري تصويتاً»، اقترح ريك.

وزّعتْ كاثي بطاقاتٍ من الكومة التي كانت قد تُركتْ لهم على الطاولة. شعرت بشعورٍ مرضٍ لدي تمزيقها الغلاف البلاستيكي لعلبة الأقلام. ثمَّ اختبرتْ لحظةً قصيرةً هانئة حين أخذت تمرّر الأقلام لهم، إذ شعرت بالزمن عاد بها إلى مجموعة سارا بيث للعب بعد المدرسة، حيث كانت كاثي توزّع عليهم الأدوات والألعاب.

- «حسنٌ، سنجري تصويتاً أعمى. فليدوّن الجميع تصويتهم، ثمَّ مرّروا البطاقات إليّ»، قالت كاثي. لكنَّ أحداً لم يحرّك ساكناً. لم تكن كاثي متأكّدة ما الذي كانوا ينتظرونه.

نظرتْ حولها طلباً للنصيحة.

- «فليكتب الجميع إمّا «مذنب» أو «غير مذنب»»، قال ريك بلطف. كان يحاول المساعدة. «ومن ثمَّ يمكن لكاثي أن تقرأ علينا النتائج، وعندها سنعرف أين نقف».

انكبّت كاثي على بطاقتها. لم تكن تعرف أبداً ماذا ستكتب. مَن كانت هي لتقول مَن الذي قتل جيسيكا سيلفر؟ كيف حدث أن جعلت نفسها تعلق في هذه الفوضى؟

اختلست النظر إلى بطاقة تريشا. كانت هذه الأخيرة تجلس

بالقرب منها، وكان ساعدها يحجب البطاقة. مطّتْ كاثي رقبتها قليلاً فتمكّنتْ من رؤية بطاقة تريشا.

دوَّنتْ نفس الحكم الذي أعطتْهُ تريشا.

على الأقل بدتْ هذه الأخيرة وكأنّها تعرف ما الذي تفعله.

بعد دقيقة، رفعت مايا يدها. «كان ذلك أنا».

لم تصدّق كاثي الأمر. كان الباقون جميعاً متّفقين.

كيف كانت مايا تفكّر بحقّ الجحيم؟

بدا ريك محطّماً. وكأنَّ مايا خانته بصورةٍ شخصية. ربّما تكون قد فعلتْ حقّاً، نظراً للشيء الخاص الذي كان يدور بينهما.

- «مستحيل»، قال جاي.

- «هل حقّاً أنا الوحيدة؟»، قالت مايا. «كنتُ أعرف أنَّ بعضكم سيجده مذنباً. لكن... جميعكم؟».

نعم، **جميعنا**. عندما تدرك مايا كم كان وضعها يفتقر للشعبية، لا بد أن تغيّر تصويتها. كم ينبغي بها أن تكون مجنونة حتّى تتجادل مع الأحد عشر جميعهم؟

- «تريشا، أليس لديكِ أيُّ شكوكٍ حول هذا؟»، قالت مايا.

بدت تريشا متشكّكة. «شكٌّ أو اثنان؟ بالتأكيد. لكن، أعني... بالله عليك».

نظرتْ مايا إلى ريك الذي أشاح بنظره بعيداً. «كنتُ أتصوَّر أنَّ المحلّفين من ذوي البشرة الملوّنة سيكونون أكثر قلقاً وتحوّطاً بشأن ما رأيناه في المحكمة بالأمس».

- «ما الذي يعنيه ذلك بحقِّ الجحيم؟»، قالت تريشا.

بدتْ مايا مجروحة. «أنا في صفّك!».

- «هل لأنّني سوداء، ولأنَّ بوبي نوك أسود، ولو سيلفر عنصريّ، فهذا يعني أنّه ينبغي بي أن أصوّت بـ 'غير مذنب'؟».

- «لا»، قالت مايا، ونظرتْ إلى ريك مرّة أخرى طلباً للمساعدة. لم تحصل على شيءٍ منها.

قالت كاثي في محاولةٍ لفعل شيءٍ يخفّف من حدّة التوتر: «ربّما تستطيع مايا أن تشرح لنا سبب اعتقادها ببراءة بوبي نوك، ثمَّ يمكننا الردُّ على النقاط التي سوف توردها».

شعرتْ وكأنّها تنزع فتيل خلافٍ بين سارا بيث وأبناء عمّها. لم يكن ألبرت جيّداً في التعامل مع نزاعات الأطفال، ودائماً ما كان هو نفسه ينخرط في حفلة الصراخ. لذا كان هذا على الأقل دوراً تعرف كاثي كيف تؤدّيه.

هزّت مايا رأسها. «بل نفعل ذلك بطريقةٍ معكوسة».

- «ماذا؟»، قالت فران.

- «إنَّ عبء الإثبات يقع على عاتق الادّعاء. أخبروني لمَ أنتم متأكّدون أنّه فعل ذلك. ومن ثمَّ يمكننا مناقشة هذه النقاط»، قالت مايا.

كانت هناك جوقةٌ من التنهيدات التي تنمُّ عن الضيق حول الطاولة.

- «هل تقولين لي إنَّ في وسعكِ النظر إلى ذلك الشاب في قاعة المحكمة، والقول لنفسك 'إنَّ مظهر هذا الرجل يوحي أنّه بريء'؟»، قال جاي. تحرّك البعض في مقاعدهم حين لفظ كلمة «مظهر» على نحوٍ ينمُّ عن عدم الارتياح.

التفتت كاثي غريزياً نحو ريك وتريشا - هل اعتبرا ذلك إهانةً عنصرية؟ لم تستطع كاثي تبيّن ذلك. لكن إذا لم يعتقد العضوان

الأسودان في الهيئة أنَّ تعليق جاي حول «مظهر» المتّهم الأسود كان عنصريّاً، فهذا يعني أنّه لم يكن كذلك.

- «ما بال 'مظهره'؟»، قالت مايا. «ماذا تقصد بذلك؟».

إذا كان الحرج حتّى الآن عند درجة يمكن تحمّلها، فهو لم يعد كذلك. ما الذي أعطى لمايا الحق في فعل ذلك؟ كان يُفترض بهم خوض محادثةٍ متحضّرة.

رسم جاي على وجهه ملامح تقول «**هل يمكنكِ تصديق هذه السيدة؟**» فيما هو ينظر نحو تريشا.

- «الطريق إلى الجحيم معبّدٌ بالبيض الذين يحاولون تقديم المساعدة»، قالت تريشا بحزن.

كان التوتّر في الجوّ كثيفاً. أدركت كاثي أنّها توشك على البكاء، فشدّت قبضتيّ يديها بقوّة في محاولة لحبس دموعها.

- «حين أنظر إلى بوبي نوك»، قالت مايا، «كلُّ ما أراه هو رجلٌ بريء».

إيست جيسوس

الآن

إيست جيسوس، بحسب ما أخبرها لو سيلفر، كانت أشبه بجيبٍ معزول للفنّانين الهيبّيين على الجهة الأخرى من بحر سالتون(*). يقع هذا الجيب وسط الصحراء، ويفتقر للوضع القانوني، ناهيك عن وجودٍ رسميّ لقوة شرطة. تساءلت مايا مَن لديه سلطة اعتقال أحدٍ ما هناك، وإن كانت هناك دوريات للتحقق من خروقات الإفراج المشروط، في مكانٍ ناءٍ كهذا. أعطاها لو إحداثيات نظام تحديد المواقع العالمي (GPS)، ونوّه أنّه مكانٌ جيّدٌ جدّاً لرجلٍ سيّئٍ جدّاً كي يهيم على وجهه.

بعد سبع ساعات من القيادة، انعطفت مايا تاركةً الطريق السريع إلى طريقٍ ذي مسربٍ واحد، ثم انتقلت إلى طريق ترابي يكاد لا يكون مرئياً. كانت الشمس آخذةً في الغروب بينما مايا تقود ببطء عبر أعمدة الغبار الداكنة. لم تُصنع سيّارة تسلا من أجل القيادة على

(*) بحر سالتون: بحيرة ملحية في وادي إمبريال بكاليفورنيا - المترجم.

الطرقات الوعرة. بدت السيارة الكهربائية غير ثابتةٍ على أرض الصحراء الصخرية.

أشعلت أضواء السيارة مع تلاشي آخر أضواء النهار. كان في وسعها الرؤية فقط لبضعة أقدام أمامها من تلك التضاريس القاحلة. وجدت مايا نفسها متضايقةً من هذا الامتداد لصحراء الليل بشكلٍ غير متوقع بالنسبة لشخصٍ وُلد وترعرع في نيومكسيكو . ذكّرتْ نفسها أنّها في هذا الأسبوع فقط، كانت قد تواجدتْ بالفعل في غرفة استجوابٍ للشرطة وجلستْ في الجانب الخطأ منها، وداخل مستعمرةٍ لمرتكبي الجرائم الجنسية. الأرجح أنّ بإمكانها التعامل مع مجتمعٍ من الفنّانين.

كانت سلاب سيتي هي أقرب «بلدةٍ» من نوعٍ ما لإيست جيسوس، لكنَّ تجمّعها الجذّاب من المقطورات المتنقّلة بات الآن وراء مايا بمسافةٍ بعيدة. وها هي تمخر عباب الظلام بعد أن تلاشت الأضواء التي كان يمكن رؤيتها في المرآة الخلفية.

من ثمَّ رأت أمامها ما بدا مثل انتشارٍ ساطعٍ لأضواء عيد الميلاد. ومضت ألوان حمراء وخضراء وزرقاء وصفراء من أعلى هيكل بناءٍ ما. اقتربت بالسيارة أكثر، وبدأت تتضّح لها أشكال بعض الكتل في ذلك الفراغ. بعضها كان أشبه بملاجئ مصنوعة من الصفيح، والبعض الآخر مثل أكوامٍ من القمامة. ثمّ ظهرت للعيان الملامح الضبابية لأطول كتلةٍ بينها. فكّرتْ مايا أنّها لا يمكن أن تكون ما تبدو عليه. . .

أوقفت السيّارة.

كانت تلك كومةً من رؤوس الدمى بارتفاع أربعة طوابق، وقد كانت مضاءةً فقط بأضواء العيد الوامضة المعلّقة في الأعلى.

الغريب أنّه كان هناك مدخلٌ في أسفل الكومة. وكان الباب مفتوحاً.

خرجت من السيّارة.

- «بهدوءٍ الآن، استديري ببطءٍ شديد» سمعتْ صوتاً أجشّ لرجلٍ وراءها.

استدارت مايا لتجد رجلاً بلحية حمراء يرتدي زيّ عملٍ من قطعة واحدة تغطّيه البقع. كان يلبس أيضاً مصباح **LED** في رأسه، والذي أبهر ضوؤه المتوهّج عينَي مايا. كان من الصعب رؤية وجه الرجل، لكن من المستحيل ألّا ترى البندقية التي وجهّها نحوها مباشرةً.

رفعتْ يديها.

- «لا أريد أن أطلق النار عليكِ»، قال الرجل.

- «هذا مُطَمْئِن، لا أريد أن أتعرّض لإطلاق نار»، قالت مايا.

ابتسم الرجل. دائماً ما يستطيع المتحاذق تمييز واحدٍ آخر من نفس فصيلته.

- «ما هذا؟»، دمدم الرجل.

أدركتْ مايا أنّها ما زالت تمسك بمفتاح السيّارة. «إنّه مفتاح السيّارة. سوف أفلته الآن، لذا لا تفزع حين يصطدم بالأرض».

- «سأفعل ما بوسعي».

أفلتت المفتاح. جفلت لدى سماع صوت ارتطامه بأرض الصحراء الصخرية.

استعان الرجل بمصباحه الرأسي لإضاءة الأرض عند قدميها.

بعد لحظات، وجّه - لحسن الحظّ - البندقية بعيداً عنها. «هل أنتِ شرطية؟».

استخدمت إحدى قدميها كي تقلب مفتاح السيارة نحوه فيتمكّن من رؤية شعار تسلا. «لا».

- «لا يبدو عليكِ وكأنّكِ هنا من أجل سرقتنا».
- «وهل لديكم هنا يا رفاق شيءٌ يستحقُّ السرقة؟».

بدا أنّه يأخذ وقته في التفكير مليّاً في هذه النقطة. «أليس لدى الجميع؟».

- «أنا أبحثُ عن شخصٍ ما».

أشار الرجل إلى المعسكر خلفه. «لدينا قواعد. لا أحد يدخل أو يخرج بعد حلول الظلام».

- «أنا آسفة، لم أكن أعرف ذلك».
- «إنّه مذكور على الموقع الإلكتروني».
- «لم أعرف أنَّ لديكم موقعاً إلكترونياً».

رسم تكشيرة على وجهه. «إنستغرام، سنابشات، فيسبوك. لدينا صفحات عليها جميعاً».

- «ليس لديكم تويتر؟».

هزَّ رأسه. «اللعنة على تويتر».

- «كان لديَّ شعورٌ أنّنا سنتفقُّ».

ألقى نظرةً فاحصة على ملابسها وسيّارتها وحذائها الجلدي المريح. «مَن تكونين؟».

- «اسمي مايا سيل».

لم يتعرّف على اسمها، وهي إشارةٌ جيدة. رغم أنَّه من الواضح أنَّ هذا المكان كان متّصلاً بالإنترنت، إلّا أنّه لا يبدو أنّ هذا الرجل وقومه كانوا متابعين لآخر المستجدات من أخبار لوس أنجلوس.

- «بمَ أناديك؟»، سألتْه.

فكّر في إجابته بعنايةٍ ثمَّ ابتسم. «نادِني إسماعيل».

- «حسنٌ يا إسماعيل، أنا أبحث عن رجلٍ يدعى بوبي نوك»، قالت مايا.

- «هذا اسمٌ من كتاب موبي ديك».

- «أعرف ذلك».

- «لا يوجد بوبي نوك هنا».

- «من الوارد أنّه يستخدم اسماً مختلفاً».

- «إذاً يبدو أنّه قد لا يرغب في التحدّث إليكِ».

- «بل إنّه يرغب، هو فقط لا يعرف ذلك بعد»، قالت مايا.

كان ضوء إسماعيل يتوهّج في عينيّ مايا كلّما حرّك رأسه. كان تأثير ذلك مربكاً.

- «كيف تعرفين هذا الرجل بوبي نوك؟»، قال لها.

فكّرتْ مايا للحظة. «لقد أخرجتُه من السجن ذات يومٍ».

لم تكن تلك كذبة، ليس تماماً. بدا إسماعيل راضياً بهذا الشرح.

- «تعالي، سآخذكِ إلى المعسكر»، قال لها.

أرخى قبضته عن البندقية، وسحبها على نحوٍ آمن لتتدلّى أمام صدره، ثمَّ تجاوز سيّارتها باتّجاه أضواء العيد الوامضة.

لحقت مايا بالضوء المنسكب من مصباحه الرأسي. «ما هذا؟»، أشارت إلى الأمام.

- «هذا هو إيست جيسوس».

علمت مايا أنَّ إيست جيسوس كانت عبارة عن مجموعة غير منظّمة من المشاريع الفنّية الضخمة التي يسكنها الفنّانون القائمون

عليها ورفاقهم في الشرب. كانت قد رأت بيت **الدمى**، يبدو أنّ الرجل الذي صنع ذلك الشيء يعيش فيه مع بعض المساعدين. البعض كانوا يعيشون في خيامٍ بجانب مشاريعهم، خاصّةً إن كانوا قد ساعدوا في بناء الهيكل المركزي للمخيّم، والذي كان شبيهاً بمبنىً حقيقيّ. كان له جدرانٌ من ألواح الجبس، وسقفٌ، ومنصّة مؤقّتة مع بيانو كبير للموسيقيين الذين حملتهم الريح إلى هذا المكان. أكّد لها إسماعيل أنّ لديهم معدّات إضاءة جيدة من أجل أولئك الذين يأتون لتصوير مقاطع فيديو موسيقية.

- «هناك مَن يصوّر مقاطع فيديو موسيقية هنا؟»، سألتْه.

- «بالتأكيد». اصطحبها قرب جدار مبنيٍّ بالكامل من أجهزة تلفزيون قديمة محطّمة، ملأت الجدار - بواسطة الرذاذ المرشوش - رسائل من كلمة واحدة من قبيل «حكومة»، «ثقة»، «موضة»، «قتل».

- «أعني»، تابع قائلاً، «هذا المكان اللعين غريبٌ جدّاً بحقّ». بدا فخوراً.

خلف جدار التلفزيونات المحطّمة، كانت هناك حفرة نار يحلّق حولها ما يقرب من عشرين شخصاً، يشربون، يدخنون الحشيشة، أو يستلقون على الأرض يحدّقون في النار وحسب. كان لبعضهم نظرة العيونِ المفتوحةِ على اتّساعها لأشخاصٍ يتعاطون المهلوِسات، فيما كان آخرون يتناقشون بهدوء حول العشاء.

أوضح حجم العقاقير المعروضة المخاوف الأمنية. لم يكن واضحاً ما إذا كان معظم قاطنيّ هذا المكان هم تجار مخدّرات في إجازاتٍ ينجزون خلالها أعمالاً فنّية، أم أنّهم فنّانون في إجازاتٍ لتعاطي المخدّرات. كانت الخطوط في هذا المكان ضبابية.

- «هذه مايا»، قال إسماعيل للمجموعة المتحلّقة حول النار.

- «لا زوّار بعد حلول الظلام!»، صاحت امرأةٌ بيضاء حليقة الرأس ترتدي ما يشبه ملاءة السرير.

- «لا بأس في ذلك»، قال إسماعيل. «إنّها لطيفة». كان لا يزال يحمل البندقية على نحوٍ عرضانيّ أمام صدره. بدا أنَّ أحداً لم يُعر الأمر مزيداً من الاهتمام.

- «أنا أبحث عن صديقٍ قديم»، قالت مايا. «اعتاد أن يستخدم اسم «بوبي»، وهو شابٌّ أسود في منتصف الثلاثينات، يرتدي نظّارات، نحيلٌ جدّاً... أو هكذا كان على الأقل. لقد مرَّ وقتٌ طويل».

تبادلتِ المرأة النظرات مع إسماعيل.

- «هل يمكنكم أخذي إليه؟»، سألت مايا.

بدا أنَّ إسماعيل والمرأة يتفاوضان حول إنْ كان فعل ذلك ينتهك بعض القواعد غير المعلنة.

لكن كلاهما تجمّد بعد لحظة. شخصت عينا إسماعيل إلى شيء أعلى كتف مايا.

جاء نحوهم من الجانب البعيد من النار رجلٌ يرتدي بنطال جينز غامق اللون وقميصاً أحمر، ويحمل دلواً ينسكب بعض السائل منه أثناء سيره. كان أنحف حتّى ممّا تتذكّره مايا.

توقّف الرجل وأخذ يحدّق بمجرّد أن رأى مايا. كان ضوء النار يتراقص بجانبه.

أدركت مايا أنّه لم يسبق لهما أن تحدّثا قطّ.

- «مرحباً، بوبي»، قالت له.

- «مرحباً».

- «هل يمكننا التحدّث؟».

وضع الدلو من يده ببطء، وقال: «مايا سيل. أنا عاجزٌ عن تخيّل ما الذي علينا أن نتحدّث بشأنه».

قادهما إسماعيل إلى ما يشبه الخيمة. حين قام برفع الغطاء ورأت ما كان بالداخل، تساءلت إن كانت هي أيضاً تحت تأثير المهلوِسات. كانت الخيمة ملية بالدببة المحشوّة المرتّبة في مشهدية تمثّل سلوكياتٍ عنيفة. كان بعضها يحمل مسدّساتٍ صغيرة، وبعضها الآخر سكاكين؛ حتّى أنَّ أحدها كان يحمل قوساً وسهماً. سُلِّطتْ عليها بعض الأضواء الموجّهة للأعلى انطلاقاً من الأرضية الخشبية، ما جعل ظلال الحيوانات القاتلة تتراقص على جدران الخيمة.

- «كيف عثرتِ عليّ؟»، قال بوبي بعد أن غادر إسماعيل. كان صوته خافتاً، وكأنّه كان خائفاً من فكرة أنّه حتّى هنا كان هناك أحدٌ ما يستمع.

- «ريك ليونارد».

- «هو مَن أخبركِ بمكاني؟».

حاولت مايا أن تحدّد كيف يُقرأ هذا الرد. «لقد أخبر لو سيلفر».

أومأ بوبي، وكأنَّ هذا ما كان يتوقّعه، أو يخشاه ربّما. «إذاً أنتِ تعملين الآن لصالح لو أيضاً؟».

فكّرتْ مايا للحظة. «بصراحة، لا أستطيع الإفصاح عن ذلك».

أخذ جوابها على أنّه تأكيد. «لو، وريك، جميعكم ستستمرّون في مطاردتي حتى أقاصي الأرض، إلى الأبد؟ وكأنّني الوحش فرانكشتاين؟».

- «فرانكشتاين فرَّ إلى القطب الشمالي. أنتَ انتهى بكَ الأمر في مكانٍ أكثر دفئاً على الأقل»، قالت مايا.

كاد أن يبتسم. «كنتُ أدرِّس هذا الكتاب».

- «لجيسيكا؟».

- «في المدرسة».

- «لن يطاردكَ ريك بعد الآن».

تفحّصتْ تعابير وجهه بعنايةٍ - هل حقّاً لم يكن يعرف ما الذي حدث خلال الأيّام الثلاثة الماضية؟ «لقد مات ريك».

إمّا أن ملامح المفاجأة التي ظهرت على وجهه كانت حقيقية، وإمّا أنّه ممثّلٌ بارعٌ.

- «متى؟».

- «قبل ثلاثة أيّام».

لم يبدُ على بوبي أن الحزن غلبه على رجلٍ حاول إعادته إلى السجن، لكنّه بدا قلقاً. تغضَّن جبينه، ومع الإضاءة المسلّطة من الأسفل، بدا وكأنّه يستمع إلى قصّة شبحٍ عند نار المخيّم. «كيف؟».

- «كان هناك حفلٌ للمِّ الشمل. التقى جميع المحلّفين في فندق أومني للاحتفال بالذكرى العاشرة للمحاكمة. قتل أحدٌ ما ريك في ذلك الحفل».

عقد ذراعيه أمامه، وراح يذرع الخيمة جيئةً وذهاباً. فاجأها أنّه بدا شخصاً قد تعلّم كيف يكون حذراً بشأن ما يقوله، وأنّه لا ينبغي به أن يعطيها أيَّ شيء ما لم يَعرف أولاً ماذا لديها بالضبط. لم تلمْه مايا على عدم ثقته بها.

- «هل تعتقدين أنّي قتلتُ ريك ليونارد؟».

- «لا. لكنَّ لو سيلفر يعتقد ذلك».

- «يبدو ذلك منطقياً. ما رأي الشرطة؟».
- «الشرطةُ تعتقد أنّني أنا التي فعلتُ ذلك».
نظر إليها وكأنّها أصبحتْ فجأة أروع شخصٍ في العالم. «أنتِ؟».
- «نعم».
تشكّلت على فمه ابتسامةٌ غريبة ومريرة. بدا وكأنّه يشعر بالدغدغة من الكيفية التي انقلبت فيها الأمور رأساً على عقب. «في المستقبل، سوف يُتَّهم كلُّ شخصٍ بقتل شخصٍ آخر لخمس عشرة دقيقة».
- «هل من نصائح؟».
- «نعم. تأكّدي من حصولك على هيئة محلّفين جيّدة»، قال لها.
ظنّتْ مايا أنّه يُفترض بالجملة أن تكون مجاملة. «أنا بحاجةٍ لمساعدتك».
- «كيف يمكنني المساعدة؟».
- «أريد أن أعرف بمَ أخبركَ ريك حين عثر عليكَ في ميراكل».
- «أنتِ تعرفين أنّني خرقتُ الإفراج المشروط، وتعرفين ماذا سيحدث إن اكتشف أحدٌ أنّني هنا».
- «أعرف».
- «لمَ إذاً ينبغي عليّ مساعدتكِ؟».
- «لأنّكَ مدينٌ لي».
رسمت الأضواء ظلالاً حادّة على وجه بوبي. كان بإمكان مايا من هذه المسافة القريبة رؤية الخطوط التي تشكّلتْ هناك. آثار سجن، آثار اضطهاد، آثار مطاردة. كانت هناك ندبةٌ على خط الفك لم تكن موجودةً في السابق.

لقد ذهب هذا الرجل إلى الجحيم وعاد منه. مَن يعرف ما قد يفعله هذا بالمرء؟

قبل عشر سنوات، اعتقدتْ مايا أنّه كان شابّاً محترماً اتّخذ بعض القرارات السيّئة حقّاً. لكن وبغض النظر عمّا كان عليه في ذلك الوقت، فقد أدركت أنّها لا تعرف بتاتاً مَن يكون الآن.

- «أنا منبهرٌ حقّاً من أنّ لديك الجرأة لتقولي لي ذلك»، قال لها.

- «لقد قرأتَ كتاب ريك، أليس كذلك؟ أنتَ تعرف أنّني أقنعتُ أحد عشر شخصاً بأن يطلقوا سراحك».

لم يحاول إنكار ذلك. «هل تتذكّرين اليوم الذي أدلى فيه لو سيلفر بشهادته في محاكمتي؟».

- «نعم».

- «وكيف بعد أن قال ذلك الشيء عن «الشيطان الأسود»، جاء دور محاميّتي لتترافع دفاعاً عنّي؟ لكنّها لم تفعل؟».

- «نعم، أتذكّر كلَّ ذلك».

- «كان هذا بسببك».

اعتقدتْ مايا أنّها لا بد أنّها لم تسمعه بشكل صحيح. «ماذا؟».

ابتسم على نحوٍ غريب، كما لو كان يتذكّر حلماً سقطت فيه كلُّ قوانين الفيزياء. ذلك النوع من الكوابيس الذي لا يعني شيئاً إلّا للحالم به. «كنّا قد حضّرنا دفاعاً كاملاً وشاملاً. شهودٌ لصالحنا، أشخاص يمكن أن يؤكّدوا أنّي لم ألمس جيسيكا، أصدقاء قدامى، إخوتي، وحتّى معلّمٌ آخر. حتّى أنّه كانت لدينا نظريةٌ بديلة عن الجريمة. لكنّنا ظللنا - محاميتي وأنا - نناقش ما علينا فعله على نحوٍ مستمرّ».

كان بإمكان مايا أن تتخيّل ما كان سيقوله أولئك الشهود في المحكمة، لأنّها استمعت إليهم جميعاً يتحدّثون على شاشات التلفزيون بعد المحاكمة. كان من المفزع معرفة الكثير عن بوبي بعد أن كانت قد أصدرتْ حكماً بالفعل. لم تسمع والديّ بوبي يتحدّثان عن طفولته في فرجينيا إلّا بعد أن عادت إلى المنزل. ولم ترَ حتّى ذلك الحين زميله في السكن الجامعي يتحدّث عن فرقة البوب التي كانا فيها، وحيث كان بوبي يعزف على البيانو. في النهاية، عرفت مايا لمَ انتقل بوبي إلى لوس أنجلوس في المقام الأوّل: كان أحد أصدقائه الأكبر سنّاً في الجامعة يدرّس في مدرسة جيسيكا، وقد رشّحه لوظيفة مدرِّس موسيقى هناك. وافق بوبي، لكن بعد وصوله تبيّن أنَّ خطأً ما قد حدث وأنَّ شاغر مدرّس الموسيقى لم يعد متوفّراً، لذا فقد عُيّن بدلاً من ذلك مدرّساً للغةِ الإنجليزية بدوامٍ جزئي. درّس صفّاً واحداً فقط، أربعة أيّامٍ في الأسبوع. كما أعطى دروساً في البيانو بشكلٍ مستقل في أيام العطلة كي يجني المزيد من المال.

- «لو أنّكَ قدّمتَ كلَّ أولئك الشهود، كنّا سنتوقّع منكَ أن تشهد بنفسك. فبالنسبة لهيئة محلّفين، سيبدو من السيئ أن ترسل مجموعةً من الأصدقاء وأفراد العائلة للدفاع عن اسمكَ الطيّب دون أن تفعل ذلك بنفسك».

- «هذا بالضبط ما قالته محاميتي».

- «ولكن إن كنت قد شهدتَ بنفسك، كنت ستفتح باباً للادّعاء لتقديم أدلّةٍ عن أفعال سيّئة سابقة».

- «هل سمعتِ عن تلك الأفعال؟».

- «سمعتُ عنها بعد المحاكمة. لقد ضربتَ طفلاً حين كنتَ في

الثانوية. إنّها جنحة اعتداء، لكنّكَ كنتَ قاصراً، فحُكم عليك بخدمةٍ مجتمعية».

- «جنحة اعتداء؟ لقد حاول ولدان أكبر سنّاً منّي أخذ محفظتي. دخلنا في شجار، وبطريقةٍ ما، ربحتُه. ما زلتُ حتّى الآن لا أعرف كيف كان ذلك ممكناً. لكنَّ كلاهما قال إنّني مَن بدأ ذلك، لذا ألقي القبض عليّ».

- «ولأنّكَ لم تدلِ بشهادتك، فإنَّ أيَّ ذكرٍ لإدانتكَ السابقة كان غير وارد. تلك كانت خطوةً ذكيّة من جانب محاميتك».

- «كنّا طوال الوقت غير واثقين ممّا سنفعله. فمن ناحية، أردنا إخبار الجميع مَن أنا حقّاً، وما الذي أعتقد أنّه حدث لجيسيكا. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ وضعي على منصّة الشهود كان سيفتح الباب أمام الإدانة السابقة بـ «جنحة الاعتداء»، وهو ما بدا أنّه قد يأخذ الأمور في منحىً سيّئ، أعني سيّئ حقّاً. حتى ذلك اليوم، كنّا لا نزال غير متأكدين ما هي الخطة الأفضل. لكن وبعد أن تفوّه لو سيلفر بذاك الهراء العنصريّ... ورأت غيبسون كيف كانت ردّة فعلك».

- «تقصد هيئة المحلّفين؟».

- «أنتِ».

لم تفهم مايا ما الذي كان يحاول قوله.

- «مالت غيبسون نحوي وهمست في أذني، «كلُّ ما نحتاجه هو محلّفٌ واحد، وأعتقد أنَّ مايا سيل هي محلّفنا المنشود»».

حاولت مايا أن تتخيّل كيف كان تعبير وجهها آنذاك. حاولتْ أن تتذكّر إذا كانت قد انتفضتْ في كرسيّها، إن كانت قد شهقتْ كما فعل الكثيرون. لم تعرف. أدركتْ أنّها كانت في تلك اللحظة مركّزةً

بشدَّة على لو لدرجة أنّه لم يخطر لها أنّه يمكن أن تكون محامية بوبي مركّزةً عليها بنفس القدر.

- «أنا لا . . .». تلعثمت مايا. ما كان ليخطر لها أنّها كانت ذات أثرٍ على نتيجة المحاكمة حتّى قبل أن تبدأ المداولات.

- «هل تعرفين كيف تلعبين لعبة قلوب؟ في الواقع، ما زلتُ لا أعرف كيف تُلعَب لعبة الورق هذه. إلا أن غيبسون تعرف، أو بالأحرى عرفتْ، كيف تُلعَب. إنها مجازَفة، فإما أن ينجح الأمر جيداً جداً، وإما تخسر في ثوانٍ. نظرتُ لكيف بدت الأمور، وقبلتُ بالمجازفة.

بدا أنَّ نظرة محامية بوبي نوك عن أشخاص مثل مايا كانت أفضل من نظرة مايا عن نفسها. لم يبدُ ذلك جيّداً، أن تكون مكشوفةً تماماً لشخصٍ لم يسبق له أن رأى وجهها إلّا في قاعة محكمة. لم يكن من المريح معرفة أنّها من نوعٍ يسهل تمييزه لهذه الدرجة: المثاليّ. المحارب في سبيل التغيير.

الأخرق.

- «لمَ تخبرني بكلِّ هذا؟»، قالت له.

- «لأنّني إذا وافقتُ على مساعدتكِ، فذلك ليس لأنّني مدينٌ لكِ بأيِّ هراء. أنتِ لم تخاطري ولم تضحي نفسكِ على المحكِّ لأجلي - لقد فعلتِ ما كان يُفترض بكِ فعله بالضبط. ما قد تمَّ اختياركِ للقيام به. صدّقي أو لا تصدّقي، هناك بعض الأشخاص في حياتي ممّن أكنُّ لهم امتناناً صادقاً. لكنّكِ لستِ واحداً منهم».

لم تكن مايا تحتاج منه أن يطبطب عليها، ما تحتاجه حقّاً كان بعض المعلومات. «إذاً، إن كنتَ لن تساعدني بدافع الامتنان، فلمَ ستفعل؟».

- «لأنّني لم أقتل جيسيكا».
استغرق الأمر لحظةً من مايا كي تفهم أنَّ هذا لم يكن تصريحاً. لقد كان عرض اتّفاق.

- «أنا لم أقتل ريك»، عرضتْ في المقابل. وبدون كلمةٍ أخرى، كانا قد توصّلا إلى اتّفاق.

- «ما الذي حدث عندما وجدكَ ريك؟ ولماذا هربتَ بعدها؟»، سألتْه.

فعل عندئذٍ شيئاً لم ترَه يفعله خلال مئات الساعات التي أمضياها معاً في صمتٍ داخل قاعة المحكمة.

أخذ يضحك. كان صوته وهو يضحك أعلى من صوته وهو يتكلّم، تماماً مثل طفل. بدت ضحكته وكأنّها تأتي من جزءٍ نادر الاستخدام في رئتيه. «فلنتمشَّى».

كان أوّل شيءٍ فعله بوبي هو إطلاعها على الدليل الذي يدعم حجّة غيابه في ليلة وفاة ريك. أخبرها بينما كانا يتجوّلان في المخيّم أنّه كان هنا في تلك الليلة، في إيست جيسوس، وأنَّ أحد المصوّرين في المخيّم كان يلتقط الصور طوال الأسبوع. اصطحبها بوبي إلى خيمة المصوّر وعرض لها الصور التي كانت ممهورةً بختمٍ رقميّ يُبرز التاريخ والوقت. كان وجه بوبي ظاهراً بشكلٍ واضح في تلك اللقطات.

في حال كانت تلك الأختام الرقمية دقيقة، فإنَّ الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يكون بوبي قد قتل ريك بها، هي أن يكون قادراً على القيام برحلة الخمس إلى سبع ساعاتٍ ذهاباً إلى لوس أنجلوس،

وارتكاب جريمة قتل، ثم القيام برحلة الخمس إلى سبع ساعاتٍ إياباً إلى إيست جيسوس؛ كلُّ هذا في غضون سبعين دقيقة فقط.

كانت خيمة بوبي الخاصّة بالقرب من برج رؤوس الدمى. كانت كبيرة بما يكفي كي تتّسع بالضبط لكيس نوم، ووعاء مياه، ومصباحٍ يدوي، وبعض اللمسات الشخصية البسيطة.

- «كنتُ لأعرض عليكِ الجلوس، لكن...»، قال مشيراً إلى افتقاره للكراسي.

انتبهتْ مايا إلى رسمٍ بالتلوين لتمساح، كان معلّقاً على جدار الخيمة قريباً من كيس النوم. كان التمساح بلونٍ أحمر فاقع، وأسنان برتقالية. إنَّ تنافر اللوحة مع البيئة المحيطة بها جعل من غير الممكن ألّا تلفت انتباه مايا. فكّرتْ لثانية أنّه ربّما يكون بوبي قد اتّجه إلى فنِّ التلوين، لكنّها أدركت بعدها أنَّ هذا لا بدَّ أن يكون من عمل طفل. تذكّرتْ أنَّ لديه شقيقين أصغر منه، هل لدى أيٍّ منهما أطفال؟ بدا الأمر كما لو أنَّ بوبي قد حافظ على هذا الأثر الأوحد ممّا كان يمكن أن يكون حياةً عائلية عادية.

كانت قد رأت عائلة بوبي في قاعة المحكمة. حضر والداه كلَّ يوم، وجلسا على الجهة المعاكسة من إيلين سيلفر. كان الاضطراب والذهول باديين عليهما أكثر من إيلين، أو ربّما كانا لا يحاولان إخفاء حزنهما فحسب. حاولت مايا الغوص في عمق معاناتهم. تلاشت ابنة لو وإيلين سيلفر منهما في لحظة. وكان ابن جيري وألانا نوك يؤخذ منهما ببطء أمام ناظريهما، يوماً بعد يوم على مدار أشهر. لم تعرف مايا أيَّ الأمرين أسوأ.

- «لم يكن لدى ريك أيُّ شيءٍ ضدّي»، قال بوبي مجيباً على

سؤالها أخيراً. «ظهَر ذات يومٍ عند مقطورتي في ميراكل، جاهزاً ومتحفّزاً لاستجوابي، لحملي علَى الاعتراف أخيراً، أو شيءٍ من هذا القبيل. قلتُ له أن يغرب فحسب».

واجهتْ مايا صعوبةً في تصديق ذلك. «لماذا هربت بعدها إذاً؟».

- «لأنّه كان سيواظب على المجيء إلى هناك. هو وكلُّ شخصٍ آخر. قال إنّه مع اقتراب الذكرى السنوية العاشرة، ستكون هناك برامج وحلقاتٌ خاصّة. والمزيد من اهتمام الصحافة. لم يكن من الصعب العثور عليّ، وكان كلُّ شيءٍ على وشك أن يبدأ من جديد. لذا... أنا لم أكن قادراً على تحمّل ذلك مجدّداً. أخبرني أحدهم في ميراكل عن هذا المكان». هزَّ بوبي رأسه. «خذي لحظةً للتفكير في مدى سوء حياتي، تصوّري أنّي أحصل على نصائح بشأن العقارات من متحرّش بالأطفال».

تمعّنتْ مايا في وجهه: هل يمكن حقّاً أن تكون هذه هي الحقيقة؟

لم يخبر ريك بوبي حتّى بما اكتشفه؟

- «كان بإمكانكَ الذهاب إلى الديار».

مكتبة
t.me/soramnqraa

- «الديار؟».

- «إلى والديكَ وأشقّائك».

- «أعتقد أنّهم مرّوا بما يكفي».

- «يبدو أنّكَ أنت نفسك مررتَ بأكثر ممّا يكفي».

- «هل حقّاً فعلتُ؟». ركل بوبي بحذائه التربة القاسية. «يمكنني التفكير في شخصٍ مرَّ بما هو أسوأ بكثير: جيسيكا».

وعندئذٍ، وكما لو كان هذا أكثر شيءٍ طبيعي في العالم، طرحتْ

مايا على بوبي سؤالاً كانت قد فكّرتْ فيه، ووضعت الفرضيات بشأنه، وخطّطت له، لمدّة عشر سنوات.

- «بوبي، مَن قتل جيسيكا باعتقادك؟»، قالت له.

- «مرَّ وقتٌ طويل جدّاً منذ أن سألني أحدٌ هذا السؤال». ابتسم ابتسامةً كئيبة.

نظر إلى تمساح الطفل المعلّق على جدار الخيمة، وكأنَّ شيئاً في ذلك الرسم يذيب شيئاً في داخله.

- «كان والدها يضربها»، قال بوبي.

شعرت مايا بأنفاسها تعلق داخل حنجرتها. «ما الذي تتحدّثُ عنه؟».

- «لقد أرتني الكدمات. قالت إنّه كان يضرب إيلين أيضاً. كان هذا يحدث منذ الأزل. أيُّ شيءٍ كفيل بجعله ينفجر. إذا تركت جيسيكا الأنوار مضاءة، أو أطفأت الأنوار الخطأ، أو تأخرت على العشاء. أيُّ شيء. أعتقد أنّني كنتُ أوّل شخصٍ تخبره جيسيكا بذلك. كانت مرعوبةً منه. اللعنة! أنا لم أقابل الرجل قطّ، لكنّني مرعوبٌ منه. تخيّلي أن تترعرعي في منزلٍ كهذا - إنّه مثل نجمٍ غازي متفجّر، والجميع بمن فيهم هي، عبارةٌ عن كواكب صخرية قاحلة. كانت هذه الاستعارة التي استخدمتْها جيسيكا بعدما أرتْني آثار حروق السجائر على...».

توقّف وكأنّه يريد حماية مايا من معرفة ما هو أسوأ.

- «قالت إنَّ والدتها كانت تتلقّى نصيبها من كلِّ ذلك مثلها. لكنَّ إيلين سيلفر اللعينة ما كانت لتفعل أيَّ شيءٍ حيال الأمر. كانت في الأعماق، تتحمّل هذا القرف لعقود».

كانت الأفكار تعصف بعقل مايا. لطالما تساءلتْ إن كان لو

يخفي شيئاً. لطالما ذهبت أفكار الجميع باتّجاه الأب حين يحدث شيءٌ ما لفتاةٍ مراهقة. وقد كان هذا منطقياً من الناحية الإحصائية. لكن طوال هذا الوقت لم يكن هناك الكثير من الكلام عن أيَّة أذيّةٍ جسدية.

حاولت أن تتصوّر لو سيلفر الضعيف الخائر القوى وهو يرتكب مثل هذه الأفعال العنيفة المروّعة. لم يبدُ قادراً على ذلك. لكن وبعد التفكير في الأمر، كم عدد المعتدين الذين بدا عليهم أنّهم كذلك؟

- «لماذا لم تقل هذا في المحاكمة؟».

- «لم يكن لديَّ دليلٌ يدعم كلامي. وإذا صعدت إلى المنصّة وأقسمتُ أنَّ لو سيلفر قد اعتدى جسدياً على ابنته... حسنٌ، ما الذي قلتِه للتوّ؟».

فهمتْ مايا ما كان يرمي إليه. كان ذلك سيفتح الباب أمام إدانته السابقة. قد تكون الشهادة حول تعرّض جيسيكا للأذى الجسدي دقيقة، لكنّها كانت ستمثّل استراتيجيةً قانونية سيّئة.

أحياناً، تشكّل الحقيقة دفاعاً سيّئاً على نحوٍ خاص.

- «هل تعرفين ما هو أسوأ ما في الأمر؟»، تابع بوبي. «أسوأ ما في الأمر أنَّ كلَّ شيءٍ بدأ بيننا بسبب هذا. احتاجتْ جيسيكا إلى شخصٍ ما لتخبره بما يحدث في منزلها. كانت خائفةً، ومرتبكة، ولا تثق بأحد... لكنّها لسببٍ ما وثقتْ بي». شدَّ قبضته بقوّةٍ كبيرة كما لو كان يحاول أن يكسر عظامه. «وانظري ما الذي فعلتُه».

- «ذلك عندما بدأتما تقضيان وقتاً معاً... لوحدكما؟».

أومأ بوبي. «كانت هناك هذه الفتاة المسكينة التي تعيش في الجحيم، وتعرفين فيمَ فكّرت؟ فكّرتُ أنَّ بوسعي المساعدة».

هزَّ رأسه بحزن. «هل فكّرتِ يوماً في كلِّ الأشياء الفظيعة التي

آلت بنا الأمور إلى فعلها لأنّنا كنّا نقول لأنفسنا أنّنا نحاول المساعدة؟».

كانت مايا تتمنّى لو أنّها تفكّر في ذلك أقل. «نعم».

- «قلتُ لنفسي أنّني كنتُ **أساعدها** حين أخذتُها لشرب القهوة بعد المدرسة. كنتُ متأكّداً أنّني **أساعدها** حين قلتُ لها أن تذهب إلى المستشارين في المدرسة، إلى المدير، أن تتحدَّث مع رجال الشرطة... لكنّها ظلَّتْ تقول لا. جعلتني أقطع وعداً أنَّني لن أخبر أحداً. قالت «مَن سيصدّقون، أنتَ أم أبي؟ مَن قادر على فعل أيّ شيء؟». لا أدري إن كانت مخطئة. هل تعتقدين أنَّ أحداً مثل لو سيلفر يمكن أن يُقبض عليه؟ هل تعتقدين أنَّ أحداً مثل لو سيلفر يمكن أن يذهب إلى السجن؟ مستحيل. أسوأ ما يمكن أن يحدث له هو أن تفرَّ إيلين هاربةً مع جيسيكا في النهاية. وهو ما نصحتُها به. قلتُ لها: «أخبري والدتكِ أنّه إن بقيتما هناك، فإحداكما سوف تتعرّض للقتل. خذي أمّكِ، واستقلّا سيّارة، أو استأجرا طائرةً خاصّة - يمكنكما تحمّل كلفة شيءٍ كهذا - وارحلا». لكنّها ما كانت لترحل من دون والدتها. ووالدتها ما كانت لترحل. قالت إنَّ الأمور ستكون على ما يرام، وإنّها كانت تعالج الوضع، ولو سوف يتوقّف. لا أحد سيُقتَل...».

ترك لصدى تلك الكلمة الأخيرة أن يتردّد في العتمة.

- «فما الذي فعلتُه؟ وعدتُ ألّا أقول شيئاً، كي أحملها على الاستمرار في التحدّث إليّ. حاولت أن أجعلها تذهب إلى المستشارين. واظبنا على الالتقاء سويّاً. كنتُ جديداً في لوس أنجلوس، ولم أكن أعرف الكثير من الناس. كنتُ وحيداً. تكرّرتْ مسألة القهوة أكثر فأكثر. أعني، ما الشيء الآخر الذي قد أفعله بعد

المدرسة؟ تحدثتْ عمّا كانت تريده في حياتها - بلدةٌ صغيرة هادئة في مكانٍ ما بعيداً عن المدينة. مزرعة ربّما. ستنجبُ أطفالاً وسيكون لهم أبٌ لطيف، أبٌ صالح. عكس الأب الذي حظيتْ به. لكن لم تكن كل الأحاديث بالضرورة ثقيلة الوطأة. هل تعرفين أنّها كانت مرحة؟ يرى الناس صورتها على التلفاز، أو يسمعون كلَّ تلك الحقائق عن حياتها، إلّا أنّهم لا يعرفون أنّها كانت مرحةً حقاً. كانت تكره المياه، وأغرب شيءٍ عنها هو أنّ أسوأ مخاوفها كان أن تؤكَل من قِبل قرشٍ أو شيءٍ كهذا. أعتقد أنّها كانت في فريق سباحة، لكنّها توقّفت بعد ذلك بسبب الجروح والكدمات، حيث لم يكن بمقدورها ارتداء بذلة سباحة، لكنّها كذبت وأخبرت والديها أنّها لا تزال تسبح. كنتُ أراها في عطلات نهاية الأسبوع، وقبل أن أوصلها إلى المنزل، كانت تضع شعرها تحت المغسلة حتّى يبتلّ. ثمَّ تخبر والدها أنّها كانت على الشاطئ طوال اليوم. لمَ الشاطئ؟ لم أعرف أبداً.

ثمَّ كانت تلك الرسائل النصّية. كان الأمر مثل تسلية أو مزحة. أعلم أنّه لا يجدر بي التراسل على هذا النحو مع طالبة، لكنّي أُخذتُ على حين غرّة. كم هذا مثيرٌ للشفقة؟ احتجتُ إلى اهتمام طفلةٍ في الخامسة عشرة كانت قد تعرّضت للأذى كي أشعر بالرضا عن نفسي. كانت ربّما أوّل شخصٍ يتطلّع إليّ. قلتُ لنفسي 'لا أحد يتأذّى هنا، أنا لم أقم بأيّ شيء خاطئ'. لذا ظللتُ أقضي وقتاً معها. كانت الرسائل والصور الإباحية مزحة. أخذتْ جيسيكا هاتفي ذات يومٍ، وأرسلتْ كل تلك الرسائل ذهاباً وعودة بين هاتفينا. حين اكتشفتُ أخيراً أنَّ هاتفي كان معها، ثمَّ عثرتُ عليها بعد المدرسة وأرتْني ما كانت قد فعلتْه، كانت تضحك بشدّة. «سينتهي أمرك إن

رأى أحدٌ ذلك». اعتقدتْ أنَّ ذلك مضحكٌ على نحوٍ جنوني. لقد حذفتُ المحادثة كاملة عن هاتفي، لكن أعتقد أنّها تركتْها على هاتفها. ومن ثمَّ، لاحقاً، وبمجرّد أن وضعت الشرطة يدها عليها...».

تذكّرت مايا تفصيلاً من المحاكمة: كانت كلُّ الرسائل الإباحية بين بوبي وجيسيكا قد أُرسِلت في اليوم نفسه. كان تفسيره معقولاً على نحوٍ غريب، حتّى وإن كان يعرضه الآن فقط.

- «هل تتصوّرين لو أنّي عرضتُ تلك القصّة في دفاعي؟ هل كان سيصدّقني أحدٌ؟ هل كنتِ ستصدّقينني؟ كان الأفضل أن أتصرّف كما لو كنتُ قد أرسلتُ تلك الرسائل بالفعل. لكنَّ تلك كانت المشكلة في دفاعي: علاقتنا كانت غير لائقة. أعترفُ بذلك. كانت أغرب بكثير من أن نتمكّن من شرحها.

نفس الأمر بالنسبة للسيّارة! هذا كان الجزء الأكثر إثارةً للسخرية، البقع من نزيف أنفها، والشعر على المقعد الأمامي. هل لديكِ فكرة كم من الوقت قضيناه في السيّارة ونحن نتجوّل فحسب؟ أكثر بكثير ممّا كان يظنُّ المدّعي العام. إنَّ ثلاثين في المئة من مساحة لوس أنجلوس عبارةٌ عن طرق. هل كنتِ تعرفين ذلك؟ قالت لي جيسيكا إنَّ والدها تحدّث عن ذلك طوال الوقت. لذا كنّا نقود. ونرسل رسائل نصية. ما زلتُ لا أعرف كيف دخلت تلك القطرات الصغيرة من الدم إلى صندوق السيّارة. أعتقد أنَّ محاميتي كانت على حقّ في أنَّ مختبر الأدلّة قد أخفق بالفعل. لقد قضينا الكثير من الوقت في تلك السيارة، وأنا واثقٌ أنَّ حمضها النووي موجودٌ في كلِّ مكان. ما حدث بيننا كان خطأً. كان خطئي. ثمَّ ذات يومٍ... اختفتْ».

فلتحلَّ اللعنة على مايا إذا كانت لا تصدّقه. لطالما صدّقتْه، أليس كذلك؟ هو خذل جيسيكا بشكلٍ سيّئ. هو يعرف ذلك. لكن الجميع خذلوها أيضاً. والدا جيسيكا، معلّموها، وحتّى مايا نفسها، والتي كانت الآن تعمل مع المعتدي على جيسيكا، إذا كانت قصّة بوبي صحيحة.

- «هل قتل لو سيلفر ابنته؟»، همستْ مايا.

- «كان هذا هو الدفاع الذي سنؤسّسه. 'دفاع إيجابيّ' هكذا تسمّونه؟ ربّما عرف لو بأمرنا أنا وجيسيكا. ربّما أخبرتْهُ أنّها أخبرتْني عنه. هم لم يعثروا على الجثة قطّ، صحيح؟ حسنٌ، مَن لديه الموارد ليجعل جثّةً تختفي؟ تختفي حقّاً؟».

لم يكن هناك دليلٌ ماديٌّ واحد على تورّط لو. لكنَّ تلك كانت حجّة بوبي، أليس كذلك؟ كي يعتقد المرء أنَّ بوبي قتل جيسيكا، يجب أن يعتقد أنّه نفّذَ ذلك على نحوٍ سيّئ، تاركاً بقع دمٍ في سيّارته. وكي يعتقد المرء أنَّ لو قتل جيسيكا، يجب أن يعتقد أنّه نفّذَ ذلك على نحوٍ جيد لدرجة أنَّ أحداً لم يشتبه به لعشر سنواتٍ طويلة.

عرفتْ مايا أنّها تستطيع تصديق قصّة بوبي عن الاعتداء، دون تصديق اتّهامه للو بأنّه كان القاتل. كان هذا نفس نهج التفكير الذي كانت قد طبّقتْهُ على بوبي - لقد ارتكبَ فعلةً شنيعة، لكنَّ هذا لم يجعله بالضرورة قاتلاً.

تائهةً بين لو وبوبي، شعرت مايا أنّها محاصرةٌ في دوامةٍ لا نهاية لها. كان لو وبوبي أهمَّ رجلين في حياة جيسيكا، لكنَّ أحداً منهما لم يقم بحمايتها.

- «أنتَ لم تقل أبداً شيئاً من كلِّ ذلك... بسببي». جعلت هذه الكلمة الأخيرة معدة مايا تنقبض أكثر.

ضحك بمرارةٍ كانت قد تخمَّرتْ عبر السنين. «أتعلمين ما الذي يثير حنقي أحياناً؟ لقد قام نظام العدالة بعمله. فعلتُ شيئاً غير لائقٍ مع مراهقة وذهبتُ إلى السجن بسبب ذلك. أشخاصٌ مثلكِ تحدّثوا كم أنَّ الأمر برمّته كان ظلماً، لكن حين تفكّرين في الأمر... أين كان الظلم حقّاً؟».

نظرتْ مايا حولها. لم يبدُ هذا المكان الغريب شبيهاً بأيِّ نوعٍ من العدالة التي تستطيع فهمها.

- «عليكَ أن تخبر الناس بهذا».

نظر بوبي إليها كما لو كانت مغفَّلة. «مَن؟ ولماذا؟».

شعرت مايا بالحيرة. كان هذ الاتّهام أخطر من أن يحتفظا به لنفسيهما. ومع ذلك... فإنَّ بوبي لم يكن مخطئاً. كان هناك سببٌ لعدم نشره الأمر على العلن. كان بإمكانهما إبلاغ الشرطة، لكن ما الذي ستفعله الشرطة؟ الجريمة الوحيدة هنا هي جريمة قديمة ولا يمكن إثباتها. كان بإمكانهما التحدّث إلى الصحافة في محاولةٍ لفضح لو سيلفر علناً، لكن مجدّداً، لم يكن لديهما دليل عدا شهادة رجلٍ يعتقد معظم الناس أنّه قتل ابنة لو سيلفر.

كان يمكن لبوبي ولو أن يستمرّا في توجيه الاتّهامات أحدهما للآخر بشتّى أنواع الفظائع لما تبقّى من حياتهما، ولن يحدث ذلك فرقاً. فلا شيء سيعيد لهما ما قد فقداه.

- «ما الذي ستفعله إذاً؟ ستظلُّ هارباً إلى الأبد؟»، سألتْهُ مايا. كان ما فعله خطأً، لا شكَّ في ذلك. لكنَّ هذا لا يعني أن يُضطَّهَد بسببه إلى الأبد، لا سيما بوجود أشخاص هناك في الخارج كانت جرائمهم ضدَّ جيسيكا نفسها أسوأ من جريمته. «هناك أشخاصٌ يهتمّون لأمرك».

- «مَن؟».

- «لقد شاهدتُ عائلتكَ في قاعة المحكمة. حدّقتُ في والدتكَ لمئات الساعات، وأنا أحاول تخيّل كيف لشخصٍ أن يكون بهذه القوة ليجلس هناك كلَّ يوم. لا تستطيع أن تقول لي إنّها توقّفتْ يوماً عن الإيمان بك، أو أنَّ والدكَ فقد ثقته بك يوماً. ألا تظنُّ أنّهما يفتقدانك؟ ألا تظنُّ أنّهما يريدانكَ بقربهما؟».

خرجت من بوبي تنهيدةٌ ذابلة. «لا فكرةَ لديكِ مطلقاً... أنتِ تظنّين أنّكِ تعرفينني جيّداً، لكنّكِ لا تعرفينني. لا فكرة لديكِ مطلقاً مَن أكون».

نظرتْ بعيداً، فوقعتْ عيناها على رسم التمساح الملوَّن. الجسد الأحمر الطويل، الأسنان البرتقالية مكشوفة ومستعدّة. بدت المحاولة الطفولية في تصوير الرعب متنافرةً على نحوٍ حزين مع عرض الرعب الذهانيّ المحيط بهما.

أشارت إلى الرسم. «أعرفُ أنّكَ تحبُّ التماسيح».

تدبّر بوبي ضحكة. لم يكن سيناقش الرسم معها. ليس مع شخصٍ كان، حتّى بعد عشر سنوات، يكاد لا يعرفه.

- «لقد فكّرتُ أن أكتب لكِ بعد المحاكمة»، قال لها.

- «لتقول ماذا؟».

- «لأقول إنّني آسف لكوني دمّرتُ حياتكِ أيضاً».

- «ما فعلتُه... لم يكن لأجلك».

- «كانت جملةٌ من قبيل 'أنتَ لم تدمّر حياتي' ستكون شيئاً لطيفاً لقوله».

- «لقد فعلتُ ذلك انتصاراً لمبدأ».

رفع حاجباً وقال: «كيف يسير هذا الأمر معكِ؟».

لم يكن هناك شخصٌ كانت أقلَّ رغبةً في أن تدافع أمامه عن

الأولوية القصوى لمسألة المبدأ من هذا الرجل المحدودب داخل خيمةٍ صغيرة وسط الصحراء، والذي كان إمّا ضحيةً لظلمٍ شنيع أو مرتكباً له.

أو كلاهما.

ومع ذلك، فقد أوجد نوعاً من التصالح حول العدالة في كلِّ ما حدث. أو ربّما لم يكن ذلك صحيحاً تماماً. ربّما كان بوبي قد تجاوز حالة القلق بشأن مفهوم «العدالة» فحسب.

- «فكرتُ أن أكتب إليكَ أيضاً»، قالت له.

- «لتقولي ماذا؟».

هزّتْ مايا كتفيها بأسف. «لهذا السبب لم أكتب أبداً».

تنهّد بوبي وكأنّه هائمٌ في الذكريات القاتمة لحياته السابقة. «هل كان الجميع هناك في الفندق؟».

- «الجميع؟».

- «أقصد جميع المحلّفين».

أومأت برأسها.

- «كيف حالهم؟».

أدركتْ أنّه لم يكن يعرف أيّاً منهم. كانوا جميعاً عبارة عن وجوه حدّق فيها ساعةً بعد ساعة، يوماً بعد يوم، شهراً بعد شهر. الأرجح أنّه عرف أسماءهم من التلفاز.

- «ما الذي كنتَ تفكِّر به حيالنا؟»، قالت له.

- «أملتُ أنّكم كنتم تحاولون بذل قصارى جهدكم».

غمرها الحزن. فعلى الرغم من مرارة بوبي المفهومة، فقد كان هذا أكثر ما قد يقوله شهامة.

كسر ذلك قلبها.

قوطعت تلك اللحظة بصوت جلبةٍ متصاعد خارج الخيمة.

حين رفعا غطاء الخيمة، رأيا فوضى عارمة. كان الجميع عبر المخيّم يجرون في جميع الاتّجاهات. قادها بوبي داخل هذا الهياج، وتمكّنا من رؤية ما الذي كان يخيف الجميع: خمس سيّارات سوداء رباعية الدفع، مع مصابيح سقف متوهجة تتسابق نحو المخيّم مثل جيشٍ غازٍ.

شقّت الأضواء طريقها عبر الظلام. وضع الناس أيديهم فوق عيونهم مع اقتراب السيّارات ليخفّفوا من حدّة الضوء المزعجة.

ظهر إسماعيل بالقرب منها، كانت بندقيّته على خصره.

هرب بعض الفنّانين محتمين في خيامهم. سحب رجلان آخران البنادق.

شكّلت السيّارات رباعية الدفع جداراً أفقيّاً. عندها فقط رأتْ مايا على أبوابها شعار BuzzFeed News.

رفع إسماعيل بندقيّته.

- «لا!»، صرختْ مايا. «لا بنادق!».

- «تبّاً لذلك»، قال إسماعيل. توقّفت السيّارات أخيراً، وتطايرت الأتربة في سماء الليل.

- «أرجوك!». وضعت مايا إصبعها برفقٍ على فوهة البندقية. «هم ليسوا رجال شرطة. إنّهم صحافيّون، وليسوا هنا من أجلك».

- «هل جاؤوا إلى هنا من أجلكِ أنتِ؟».

اندفع المصوّرون خارجين من السيارات.

نظرتْ مايا إلى بوبي الذي كان قد تجمّد في الضوء.

حدّق فيها بعينين يملؤهما الذعر والمرارة.

ثمّ ركض مسرعاً.

وسرعان ما ابتلعه الحشد الهائج.

كان من الضروري أن تلحق به، لكن كان من الضروري أيضاً أن تقف حائلاً بين قوم الصحراء الذين فقدوا صوابهم والصحافيين مفرطي الحماس كي ينقضي الأمر على خير. انبثقت أضواء الكاميرات عبر البنادق إلى يمين ويسار مايا. صرخت طلباً للهدوء. لا أحد كان يصغي. نظراً للهياج الحاصل، فلن يكونوا قادرين على سماعها حتى لو كانوا يسمعونها.

كان هناك خيارٌ واحدٌ فقط. رفعت يديها ودخلت المنطقة المحايدة بين الصحافيين وحرّاس إيست جيسوس.

تحسّست طريقها خطوةً خطوة عبر التراب.

سُلِّطتْ عليها خمس كاميرات.

- «اسمعوا جميعاً!»، صاحت وهي تستدير نحو الفنّانين. «دعونا نأخذ نفساً عميقاً. لا أحد يريد أن يؤذي أحداً هنا. لا حاجة أن يتأذّى أحد».

وجّهت كلامها إلى إسماعيل: «إنّهم صحافيّون. إنّهم هنا من أجلي».

لم يبدُ مقتنعاً.

- «هل بوبي نوك معك؟»، صاح أحد المراسلين.

- «بوبي نوك هناك في الداخل»، صاحت مايا. «لكن إن دخلتم وراءه عنوة، سيشعر أصدقائي هنا بالتهديد، وسيكونون تحت سقف حقّهم القانوني في حماية أنفسهم. البعض منهم مسلّحون».

وجّهت حديثها إلى الفنّانين: «أيّها الأصدقاء، أعتقد بصدقٍ أنّه سيكون من الحكمة أن تخفضوا بنادقكم. هؤلاء القوم ليسوا هنا من أجلكم. إذا تأذّى أحدٌ فسنعلق جميعاً في كومةٍ من المشاكل».

أخفض إسماعيل بندقيّته أخيراً، ثمَّ حذا مواطناه حذوه.

- «لا يمكن لأولاد العاهرة هؤلاء الدخول إلى هنا»، صرخ إسماعيل.

صاحتْ مايا متّوجّهة للمراسلين: «هذا المخيّم ملكيّةٌ خاصة، إذا دخلتم، فهم لديهم الحق القانوني بموجب قانون ولاية كاليفورنيا أن يطلقوا النار عليكم».

كان هذا الكلام مجرّد هراء، لكنّها فكّرتْ أنَّ المراسلين لن يعرفوا ذلك.

- «هل يمكننا التحدّث إلى بوبي نوك؟»، قال المراسل.

- «لا يمكن لكَ الدخول. أنا سأدخل، وأبحثُ عن بوبي، وأرى إن كان سيتحدّثُ إليك. يمكنني أن أنقل له رسالة».

لم يعترض المراسلون، فوجّهتْ كلامها لأهل المخيّم: «هل أنتم موافقون على ذلك؟».

- «أنتِ فقط تدخلين»، قال إسماعيل.

- «أنا فقط».

- «اسألي بوبي لمَ ركض بعيداً»، جاء صوت المراسل.

- «حسنٌ»، قالت مايا وهي تمنع نفسها عن الإشارة إلى أنَّ الجواب سيكون بالتأكيد «أنتم».

- «واسأليه أيضاً إن كان قد قتل جيسيكا سيلفر»، قال المراسل.

- «لقد سُئل هذا السؤال وأُجيب عليه»، قالت مايا بردِّ فعلٍ انعكاسيّ. «لكنّي سأفعل ما بوسعي».

- «أنتِ لا تهلعين بسهولة»، قال لها إسماعيل إذ مرّتْ بجانبه وهي تتّجه نحو المخيّم.

- «لقد كان أسبوعاً طويلاً».

ظلَّ إسماعيل مرابطاً على الخطوط الأمامية بينما كانت هي تناور عبر الاضطرابات داخل المخيّم. تمكّنتْ من إيجاد طريقها إلى خيمة بوبي دون كثير عناء. وجدتْهُ في الداخل يرمي أغراضه القليلة داخل كيسٍ قماشي.

- «لقد قدتِهم إليّ»، قال لها وكأنّها كانت مجرّد رقمٍ في صفٌ طويلٍ جدّاً من الأشخاص الذين كانوا قد خانوه.

- «ربّما، أو ربّما لم أكن الشخص الوحيد الذي أخبره لو بمكانك»، قالت له.

هزَّ بوبي رأسه. لمَ عليه أن يلقي بالاً لتبريراتها؟

- «لا يمكنكَ الاستمرار في الهروب»، قالت له.

- «ماذا يُفترض بي أن أفعل غير ذلك بحقّ الجحيم؟».

إذا أمسكتْ به الشرطة، فسيعود إلى السجن لخرقه الإفراج المشروط. قد يعني ذلك ستة أشهرٍ أخرى في سجن تشينو، أو اثني عشر شهراً ربّما، ومن ثمَّ العودة إلى ميراكل. ثم سيجد رجال الشرطة طريقةً أخرى لمخالفته وإعادته إلى السجن. سيكون هذا بمثابة المدّ والجزر لما تبقّى من حياته: السجن، مستوطنة المعتدين الجنسيين، السجن مجدّداً.

كان بوبي نوك في الرابعة والثلاثين من عمره فقط، أدركتْ ذلك بينما كانت تراقبه وهو يحشر ثيابه في الكيس. بدا وجهه نحيلاً، وجسده هزيلاً حدَّ الانكسار. لم تكن حياته قريبةً من نهايتها، لكن ما من بريقِ أمل فيها أو حتّى فرصة في الحرّية. كانت هذه قِسمته، لم يكن في وسعها أو في وسع أيِّ أحد فعل شيءٍ حيال ذلك.

كان الهروب هو خطوته الوحيدة الآن. هذا ما آل إليه حال هذا الرجل الذي كانت تعتقد ذات يوم أنها أنقذت حياته.

- «أنا في صفّك». عرفتْ مايا أنّه جواب هزيل جدّاً. لكنّه كان صادقاً.

- «أعرف»، قال وكأنّه يتحدّث إلى طفل.

سحب رسم التمساح عن الجدار. «هل تريدين مساعدتي، مايا سيل؟».

- «نعم».

رفع رسم التمساح. «إذاً تذكّري هذا».

نظرتْ إلى التمساح. كانت الأسنان البرتقالية المكشوفة، الجاهزة للقتال كبيرةً جدّاً نسبةً إلى هيكل الحيوان. فحتّى في صورةٍ سخيفةٍ كهذه، كانت هناك مسحةٌ من العنف.

- «لم يعد لدي إلّا القليل جدّاً. هذا يذكّرني أنّه رغم ارتكابي لبعض الأخطاء - ورغم أنّي فعلتُ أشياء سيّئة - فأنا لستُ الشخص الذي يعتقد الجميع أنّني عليه. لذا، مهما حدث، مهما قالوا عنّي لاحقاً... تذكّري أنّي كنتُ إنساناً حقيقياً ذات يوم».

طوى الرسم ووضعه في الحقيبة القماشية، ثمَّ تجاوز مايا وخرج من الخيمة.

لم تهرع في إثره. لحقتْه ببطء، وراقبتْهُ وهو يركض، والحقيبة القماشية تتقافز على كتفٍ لم يبدُ أنّه صُمّم ليتحمّل وزناً ثقيلاً.

غاب بوبي في الظلام.



تريشا

4 أكتوبر، 2009

شاهدت تريشا هارولد كاميرات الأخبار التي توافدت عند الساعة الخامسة كلَّ صباحٍ، وفي نفس التوقيت. شعرت - وليس للمرّة الأولى - وكأنّها ممثّلةٌ هاوية خرجتْ على الخشبة في مسرحية لم توافق أبداً على المشاركة فيها. كانت الأدوار قد وُزِّعتْ، والجمهور قد تجمّع. والنقاد جاهزون بأوراقهم وأقلامهم. كانت تشعر أنَّ الستارة على وشك أن تُرفَع على دراما ذات طابع يعقوبي(*) قائمٍ على الخديعة والانتقام - لكنّها لم تحفظ السطور الخاصّة بحوارها. شعرتْ وكأنّها تلعب دوراً في مسرحية **مأساة المنتقمين** لكريس دورانغ.

ابتعدت عن نوافذ غرفتها في الفندق، وذهبت إلى الكرسيّ الواطئ عند طرف السرير، حيث أخذت ترتدي ملابسها المطوية

(*) الدراما اليعقوبية: نوعٌ مسرحي قائمٌ على القتامة والسوداوية انتشر على نطاق واسع في حقبة الملك جيمس الأول الذي ورث عرش إنكلترا عن إليزابيث في العام 1603، وكانت هذه الصيحة المسرحية بمثابة المنافس للمسرح الشكسبيري في تلك الفترة - المترجم.

بإتقان منذ اليوم السابق. كان وضعُ ملابسها خارجاً منذ الليلة السابقة عادةً اتّخذتْها عندما كانت فتاةً مراهقة - كطريقةٌ لبدء يومٍ جديد بفعالية، نظراً لاضطرارها للبقاء حتّى وقتٍ متأخّر ليلاً في التدريبات المسرحية آنذاك. اعتقدتْ في ذلك الوقت أنّها تريد أن تصبح ممثّلة. كانت المسرحيات الموسيقية حبّها الأوّل. كانت ميّالةً للغناء واتّساق الأصوات أكثر منها إلى الرقص.

قضتْ بين الصفّين الثامن والتاسع أفضل صيفٍ في حياتها بأحد مخيّمات الفنون. أدّت أدوار فانتين، وروكسي هارت(*)، وبعض الشخصيات الجانبية في Into the woods، كلُّ ذلك في غضون شهرين. كانت لا تزال تستمع إلى تسجيلات برودواي معظم الأيّام في مكان عملها في دار البلدية، حيث قامت تريشا بتنصيب (وصيانة وإعادة صيانة) أنظمة التقانة المعلوماتية. كانت تضع السمّاعات وتتخيّل نفسها على خشبة مسرح بعيد. لكنّها لم تشعر يوماً بأنّها تؤدّي دوراً بقدر ما شعرت بذلك أثناء هذه المحاكمة.

مرّتْ أربعة أشهر مرهِقة، ولم يُشر أحدٌ ولو مرّةً واحدة إلى أنَّ تريشا كانت واحدةً من اثنين فقط من السود في هيئة المحلّفين، وأنّها كانت المرأة السوداء الوحيدة. حاولت أن تلقي نكاتاً حول هذه النقطة عدّة مرّات أمام جاي وفران، لكنّهما كانا يتجاهلانها، ويتظاهران بأنّهما لم يسمعا شيئاً.

كان كلّ ما أرادتْهُ في بعض الأيام هو أن يقوم أحد المحلّفين بتسليمها النصّ الذي كتبوه لها في رؤوسهم: المرأة السوداء الغاضبة التي تحارب طغيان شرطة لوس أنجلوس.

(*) فانتين وروكسي هارت: شخصيتان رئيسيتان في مسرحيتي برودواي الموسيقيتين الشهيرتين: **البؤساء** و**شيكاغو** على التوالي - المترجم.

مايا كانت الأسوأ، فكّرتْ تريشا وهي ترتدي ملابسها. كانت تتوقّع دعماً من تريشا بمجرّد أن انطلقت في سعيها المحموم لإنقاذ بوبي نوك، في الوقت الذي لم تكن تريشا تميل إلى تقديم مثل هذا الدعم. بدت مايا مستاءةً من كون تريشا تمكّنتْ بحالٍ من الأحوال أن تتوصّل إلى نتيجةٍ مختلفة. بدتْ مستاءةً على وجه التحديد لأنَّ تريشا لم تلعب الدور الذي أُسند إليها.

ما انفكّت مايا تقول إنّه لكان من المستحيل أن يمضي الادّعاء قدماً في محاكمةٍ لجريمة قتل من دون جثّة إذا كان المتّهم أبيضَ. وما انفكّت تريشا تقول إنّه وبينما قد يكون ذلك صحيحاً، لربّما مضوا قدماً في هذه المحاكمة لأنّه من **الواضح والجليّ جدّاً أنَّ بوبي هو مَن فعلها**.

لقد كان الرجل على علاقة بتلميذته المراهقة، بحقّ المسيح! إنَّ ادّعاء مايا أنَّ العنصرية هي السبب الوحيد لكونه في ورطة من شأنه فقط أن يقلّل من قدر المشاكل الحقيقية المتجذّرة بفعل العنصرية الأمريكية. حاولت تريشا أن تقول إنّه إذا كان كلُّ شيءٍ عنصريّاً، فما من شيءٍ عنصريٌّ إذاً. هل كان بوبي نوك حقّاً الشخص الأكثر حاجة للدفاع عنه ضدَّ حالة العسف الممنهَج في إنفاذ القانون؟

شهدتْ تريشا خلال الأسبوع الماضي من المداولات على فوز مايا ببعض التغيرات في المواقف لصالحها. كانت لِيلا قد بدّلت جهتها بسهولة بمجرّد أن أُمِرتْ بذلك. بينما كانت كارولينا مرتبكة بسبب كمّية الادّعاءات والادّعاءات المضّادة التي لا حصر لها. أمّا كال، فقد استمتع بلعب دور المحقّق؛ إذ أرسلتْه مايا للتعمّق في المعلومات التي أُعطيت لهم بغية العثور على بعض الأدّلة التي قد تشير إلى هويّة القاتل **الحقيقي**.

شحنتْ تريشا نفسها بالعزيمة من أجل يومٍ آخر من المداولات المضنية.

غادرت غرفتها ودلفت في المصعد المفتوح. وجدتْ ريك ليونارد في الداخل.

- «مرحباً»، قال ريك.

- «مرحباً». وقفتْ تريشا بجانبه في صمتٍ بينما أُغلق بابا المصعد.

كان ريك قد أمضى معظم فترة العزل مع مايا. شاهدتْهما تريشا يجلسان بعيداً عن الآخرين أثناء الوجبات. رأتهما يختفيان خلف أبواب غرف الفندق لمشاهدة الأفلام المهرَّبة. لم تتفاجأ حين أخبرتْها فران أنَّ واين ضبط ريك وهو يتسلّل خارجاً من غرفة مايا ذات صباحٍ باكر. إن اعتقدا أنّهما كانا يخدعان أحداً، فهما لم يكونا كذلك أبداً.

في اليوم الأوّل من المداولات، بدا ريك مصدوماً حقاً لأنّه وجد نفسه على الجانب المعاكس من مايا بالنسبة للقضيّة. لاحظت تريشا جبهةً قطبية باردة تنزل لتستقرَّ بينهما. بالكاد تحدّثَ أحدهما إلى الآخر منذ ذلك الحين.

- «كيف حالكِ اليوم؟»، سأل ريك كاسراً حاجز الصمت.

ما الذي يمكن أن تقوله في فسحة الوقت التي يتيحها النزول في المصعد ومن شأنه أن يجيب بدقّةٍ على هذا السؤال؟ «متعبة».

أومأ ريك برأسه متعاطفاً. «آمل أنّنا سنتمكّن من العودة إلى بيوتنا قريباً».

- «كيف تعتقد أنَّ هذا سيحدث؟».

- «مايا سوف تتراجع».

شهدت تريشا طريقة ريك في توجيه كلّ جدله وحججه في غرفة المحلّفين إلى مايا. لاحظت كيف كان لا يزيح عينيه عنها. كان ذاك الفتى مغرماً، ويتصرف على الشاكلة التي يتصرّف بها الصبية المغرمون دائماً حين يتمّ تجاهلهم: يصبحون مهووسين، وغاضبين، وغافلين عن أيِّ أحدٍ آخر.

كانت مايا في تلك الأثناء تحرز تقدّماً. بالأمس فقط فازت بجاي إلى صفّها. فكلّما ركّز ريك عليها أكثر، ركّزتْ هي على الآخرين أكثر.

- «لا»، قالت تريشا حين فُتح بابا المصعد لدى وصوله إلى الردهة. «لن تتراجع. ليس قبل أن تتراجع أنت».

خرجت متّجهة نحو المطعم، جاهزة لتناول القهوة، وليومٍ طويل آخر لن تسمح فيه لنفسها أن تشعر بالضيق من أشخاص واهمين لدرجةٍ تمنعهم من رؤية ما هو ماثلٌ أمام أعينهم مباشرةً.

بدؤوا مداولاتهم كلَّ يومٍ بتصويتٍ جديد. كان من المفترض أنّه من واجب كاثي أن تمارس دور القائد، لكن وابتداءً من اليوم الثاني انتزعت مايا السيطرة على العملية. بصراحة، بدتْ كاثي وكأنَّ عبئاً أُزيح عن كاهلها. لكن في الآونة الأخيرة، وبينما كان الجميع يستنزفون بعضهم البعض، كانت كاثي تكتسب الطاقة. بدا أنَّها تملك من الاحتياطي ما لم تكن تريشا تتوقّعه. باتت تتحدّث بصوتٍ عالٍ الآن. بدا الأمر كما لو أنَّ كاثي وجدتْ نفسها لأوّل مرةٍ في حياتها بوضعٍ حيث هناك أحدٌ ما يصغي إليها. واكتشفتْ أنّها تستمتع بأن يكون صوتها مسموعاً.

في ذلك الصباح، بدت كاثي فخورةً وهي توزّع البطاقات والأقلام، ومن ثمَّ تولّي زمام الأمور أثناء طقوس قراءة الاثني عشر

حُكماً خاصّتهم. استقرّت النتيجة على تسعة أصواتٍ مقابل ثلاثة لصالح الإدانة.

- «لِمَ لا نتفحصُّ الرسائل النصّية مجدّداً؟»، اقترحتْ كاثي.

تجهّمتْ فران. من الواضح أنَّ قراءة تلك الرسائل بصوتٍ عالٍ لم يكن نشاطها المفضَّل في غرفة المحلّفين. شكّتْ تريشا في أن يكون النشاط المفضّل لأيِّ أحد.

أصبحتِ الرسائل ساحة المعركة الرئيسية لنقاشاتهم لأنّها كانت توفّر النافذة الوحيدة إلى الحالة الذهنية للمتَّهم. كان المدّعي قد وضع أمامهم تهمةً وحيدة: القتل العمد من الدرجة الأولى. فوفقاً لتعريف القانون الجنائي لولاية كاليفورنيا، المادة 187، والتي قرأها القاضي بصوتٍ عالٍ عدّة مرّات، فإنَّ القتل من الدرجة الأولى هو «القتل غير المشروع للإنسان، أو للجنين، مع سبق الإصرار والترصّد». كانت العبارة الأخيرة هي التي منحتْ لمايا الفجوة التي يمكن من خلالها نفث دخان شكوكها. في قانون العقوبات الجنائي لولاية كاليفورنيا، استهلك مصطلح «سبق الإصرار والترصّد» عدّة فقراتٍ لشرحه، لكنَّ الجوهر كان كالتّالي: لكي يصوّتوا بـ«مذنب»، كان عليهم الإيمان بأنَّ بوبي لم يقتل جيسيكا فحسب، بل إنّه كان قد خطّط لقتلها مسبقاً.

هكذا فازت مايا بجاي إلى صفّها. ففي رأيه، كان من المحتمل أن يكون بوبي قد قتل جيسيكا في موقف غلب عليه الانفعال اللحظي. ربّما كانت تنوي إخبار أحدٍ ما بما كان يدور بينهما؛ ربّما لم ترغب في الاستمرار في ذلك أكثر؛ أيّاً يكن. قالت مايا إنّه إن كان هذا ما يعتقده جاي، فعليه أن يصوّت بـ«غير مذنب». وعلى هذا الأساس، أدركوا أنَّ أصوات هيئة المحلّفين كانت مثل عائلات

تولستوي: كانت كلّ أصوات «مذنبٌ» على نفس الموجة من التفكير، لكن كان من الممكن لأصوات «غير مذنب» أن تختلف أسبابها وتصل للنتيجة نفسها رغم ذلك.

- «النقطة التي سوف تشدّدين عليها هي أنّنا لا نستطيع أن نجزم بشكلٍ قاطع أنّ بوبي وجيسيكا كانت تربطهما علاقة حميمة»، قال ريك.

- «هذا صحيح». كان على مايا أن تقف وتنحني فوق كومة الرسائل المطبوعة التي تُركت لهم على الطاولة. «لقد ارتديت ذلك الفستان في الفصل اليوم لتغيظيني فحسب».

تنهّدتْ فران بصوتٍ عالٍ. كان هذا الشيء برمّته يلقي بثقلٍ كبير عليها ويقتلها هي.

- «أعتقد أنَّ الرسائل الإباحية لا يجب أن تُقرأ على نحوٍ حرفي»، قال كال.

- «ما الهدف من هذا؟»، تدخّلت فران فجأة. «سواء كانا منخرطين بشيءٍ من ذاك القبيل أم لا... أليست هذه الرسائل قبيحةً بما يكفي؟».

- «لطرده من وظيفته؟ نعم. لإدانته بالقتل؟ لا أعتقد ذلك»، قالت مايا.

- «لكنَّ الخوف من فقدان وظيفته كان الدافع. والرسائل دليلٌ كبير على ذلك»، قال ريك.

- «هل تعتقد أنَّ بوبي كان سيقتل جيسيكا - الشابّة التي يهتمُّ لأمرها - لمجرّد التمسّك بوظيفته؟».

- «الشابّة؟»، قالت تريشا. أدركتْ على الفور أنَّ نبرة صوتها بدت أعنف ممّا كانت تنوي.

- «كانت في الخامسة عشرة. هل تفضّلين كلمة 'فتاة'؟»، قالت مايا.

- «كانت في الخامسة عشرة. أفضّل كلمة 'طفلة'»، قالت تريشا.

- «ابنتي في السابعة عشرة»، قالت كاثي. «ومن المستحيل تصوّر أنّها كبيرة كفاية لمثل هذا النوع من الأشياء».

- «أنا لا أقول إنَّ هذا صائب»، قالت مايا. «أنا فقط أقول إنَّه أيّاً كان ما حدث بين بوبي وجيسيكا، فربّما كان أكثر تعقيداً ممّا قد نعرفه».

رمقتْ مايا ريك بنظرةٍ سريعة. كان هذا كلُّ ما احتاجته تريشا لتفهم ما الذي كان يحدث هنا فعلاً.

كانت مايا تُجري إسقاطاً، أليس كذلك؟ كانت تعيش مع صديقها في العالم الحقيقي خارج هذه المحاكمة. أي أنّها عمليّاً متزوّجة. وقد كسر هذا الشيء بينها وبين ريك قواعدَ أكثر من تلك الخاصّة بالمحكمة فحسب. باتت تريشا متأكّدةً أنّها تعرف من أين تأتي عقلية «عِش ودع غيرك يعيش» الملحّة لدى مايا.

- «كلّنا خطّاؤون؟ مَن غير الرب قادرٌ على أن يقيس وزن خطايانا السرّية؟»، قالت تريشا ساخرة.

جفلتْ مايا، وكأنّها تعرَّضت للتجريم أو النقد علناً بسبب سرٍّ من غير الممكن أن تكون تريشا تعرف به. «أنا أقول إنّه من الصعب إلقاء نظرةٍ على شخص ما وادّعاء معرفة مَن يكون حقّاً».

لطالما كانت تريشا لا ترتاح للانفعال الغاضب، لكنّها وبكلِّ صدق لم تعد قادرةً على تحمّل دقيقة أخرى من هراء مايا المشبع بالنفاق.

- «ألا تعتقدين أنّكِ تعرفينني؟»، قالت تريشا.
- «حسنٌ، ربّما يجدر بنا أن نأخذ استراحة» قالت كاثي.
- «لا»، قالت تريشا. «لا يمكنني أن أستمرّ في الاستماع إلى هذا. إلى كلِّ هذه التوْرِيَات. مايا، هل تريدين أن تقولي ما الذي تعنيه حقّاً فحسب؟».
- «أنا... أنا لا... ما أعنيه؟».
- «أنتِ تعتقدين أنّه ينبغي بي أن أتعاطف مع بوبي نوك في كلِّ هذا. أنَّ كوننا سوداً هو أكثر سمةٍ مميّزة فينا. لا بأس يا مايا، هذا لا يجعل منكِ عنصرية. إنَّ هذا أكثر الأشياء جنوناً لدى البيض الطيّبين ذوي النوايا الحسنة، أليس كذلك؟ المدى الذي قد تذهبون إليه حتّى لا تبدوا عنصريين بأيِّ شكلٍ من الأشكال. يا إلهي! فبدلاً من أن تقولي 'بوبي رجل، وتريشا امرأة، وهذا يعني أنّه ليس لديهما الكثير من القواسم المشتركة'، أنتِ تقولين 'بوبي أسود وتريشا سوداء، لذا ينبغي بهذا أن يكون قاسمهما المشترك'. ما هي السمة البارزة؟ ما هو الجزء الذي يحدّد كينونة الكائن؟».
لم تعد مدركةً تماماً لما كانت تقوله. كانت محبَطةً للغاية.
- «جاي، أنتَ كوريّ»، تابعتْ تريشا.
- «نعم» أجاب جاي، غير واثقٍ إلى أين سيفضي هذا.
- «هل كونكَ كوريّاً هو أكثر ما يميّزك ويثير الاهتمام فيك؟».
عبس جاي.
التفتَ ريك إلى تريشا. «دعينا نحافظ على هدوئنا هنا».
رفضتْ أن تعيره انتباهاً. «جاي، أراهن أنَّ هناك آلاف الأشياء التي تحدث في حياتكَ أكثر إثارةً للاهتمام من كونكَ كوريّاً. لكنَّ هذا هو ما نتحدّثُ عنه الآن لأنَّ كلمة «كوريّ» المتفرّدة تلك تحوّلت

بطريقةٍ ما إلى جدار. إلى لوحةٍ جدارية! رسمٌ لشخصٍ يحجب رؤية شخصٍ آخر لك، جاي، الشخص الحقيقي الحيّ».

كانت الكلمات تتدفّق منها بقوّةٍ الآن، وتفيض قادمةً من مكان عميق ومنهَك.

- «ريك، أنتَ أسود. لذا قل لي: كم لدينا من القواسم المشتركة؟».

- «في هذه اللحظة، كلانا يعتقد أنَّ بوبي نوك مذنب»، قال ريك.

أومأت تريشا. «حسنٌ، هذا يمنحنا شيئاً لنتحدّث عنه».

- «أنا لا أعرف كيف يمكن لأيِّ شخصٍ أن ينظر إلى هذه القضيّة»، قالت مايا، «أو كيف يمكن أن ينظر إلى أيِّ **شيء**... إلّا عبر عدسة تجربته الخاصّة. هذا كلُّ ما أعنيه. أن لا أحد موضوعيّ بتجرّد هنا. لا أحد يستطيع النظر إلى الحقائق فقط دون سواها. لأنّنا لا نتجادل حول ما تعنيه الحقائق، بل نحن نتجادل حول **ماهيّة** الحقائق. أنتِ تقولين إنَّ الرسائل النصّية هي حقيقة معينة. وأنا أقول إنّها ليست كذلك. أنتِ تقولين إنَّ بقع الدم هي حقائق. وأنا أقول إنّي لا أعرف ما إذا كانت كذلك».

- «**من فضلكم، يا رفاق**».

كان ذلك صوت لِيلا. حين استدارت تريشا نحوها، رأتْ أنّها كانت على وشك البكاء.

- «لا بأس، يا حبيبتي»، قالت فران. «ربّما علينا أن نأخذ استراحة».

- «كلُّ مَن في هذه الغرفة هو شخصٌ صالح»، قالت لِيلا.

كان هذا تصريحاً لطيفاً وكريماً جعل تريشا تشعر بالحرج على

الفور. ومن النظرات التي علت الوجوه حول الطاولة، لم تعتقد تريشا أنّها كانت الطرف المذنب الوحيد.

لماذا كانت تصعّد من حدّة شجارها مع مايا؟ ما الذي كانت تحاول إثباته؟ ماذا أرادت من كلِّ ذلك؟ إذا ذهب بوبي نوك إلى السجن لبقيّة حياته - إذا عاش سنواته المتبقّية في عذابٍ مرير - فما الفائدة من ذلك؟

في النهاية، قد يكون كلُّ شيءٍ عبارة عن أداءٍ تمثيليّ. إذا صوَّتتْ بـ«غير مذنب»، فهي تؤدّي دور المرأة السوداء المتحدّية الذي كانوا جميعاً ينتظرونه. وإذا صوَّتت بـ«مذنب»، فهي تؤدّي تمرّداً على ذلك الدور نفسه. لم يكن هناك من مَخرج، أليس كذلك؟ إمّا أن تكون كما أرادوا لها أن تكون، أو لا تكون كذلك، لكن كلا الاحتمالين كانا يقبعان تحت ظلال توقّعاتهم.

كان أفضل جزءٍ في كونها مراهقةً موهوبة منخرطة في المسرح الموسيقي هو الحيوات التي كانت تستطيع عيشها. النبيلة الإنجليزية المتوفاة منذ قرون، الفتاة الأمريكية التي تسكن البراري. يمكنها أن تكون في يومٍ شخصاً، وشخصاً آخر في اليوم التالي؛ لم تكن حبيسة أيِّ شيءٍ سوى اللحظة نفسها. إذا كانت قد اعتقدتْ أنَّ انضمامها لهيئة المحلّفين هذه قد يحرِّرها على نحوٍ مماثل من أسر الصور النمطية، فهذا يعني أنّها كانت ساذجة مثل مايا، وأنه كان يُتلاعب بها بسهولة كتلك الفتاة الميتة المسكينة التي كان وجهها يشعُّ من كلِّ صورةٍ فوق الطاولة.

هل قتل بوبي نوك جيسيكا سيلفر؟ لم تكن تريشا **تعرف**، ليس على وجه اليقين، وليس دون وجود قدر من الشكّ. ربّما كان ذلك حادثاً كما اعتقدَ جاي. ربّما كانت جيسيكا قد هاجمت بوبي لسببٍ

ما فدافع عن نفسه في شجارٍ دامٍ حتّى الموت، مثلما اقترح واين على نحوٍ غير قابلٍ للتفسير. ربّما كانت حالة هياجٍ عنيفة وعفوية.

بعد أربعة أشهر في قاعة المحكمة، هل يمكنها بصدقٍ أن تقول إنّها تعرف على وجه اليقين أبسط شيءٍ عن أيٍّ من هؤلاء الأشخاص؟ بوبي أو جيسيكا أو لو أو إيلين أو أيٍّ من هذه الشخصيات الغريبة التي بجانبها؟ كانوا جميعاً ممثّلين يرتدون أزياءهم ويتصبّبون عرقاً تحت الأضواء الساخنة. اعتلوا الخشبة لبضعة مشاهد قصيرة مؤثّرة، قبل أن يرجعوا عائدين إلى الكواليس.

لكن لم يكن لدى أيٍّ منهم نصُّ المسرحية، ولا أحد كان يعرف سطور حواره، وكلّما طال هذا العرض أكثر، زاد عدد الحيوات التي ستهتز وتتزعزع بفعل قوى التخييل فيه.

فلتذهب إلى الجحيم إذاً العودة المحمومة من أجل الذروة الدرامية في الفصل الأخير. إلى الجحيم أيّاً كان ما سيفعله هذا الفصل بهم جميعاً. من الأفضل أن يخرج رجلٌ «مذنبٌ» حرّاً، أيّاً كان ما يعنيه ذلك، من أن تتظاهر تريشا للحظة إضافية أنّها شخصٌ قادرٌ على رؤية الحقيقة.

جلستْ منتصبة القامة على كرسيّها. وضعتْ يديها على الطاولة.

- «حسنٌ، حسنٌ»، قالت تريشا.

نظرتْ في عينيْ مايا نظرةً حادّة ومشحونة وهي تمنحها ما كانت تريده.

- «غير مذنب».

7

تسليم النفس

الآن

في الوقت الذي نجحت فيه مايا في الوصول إلى طرف المعسكر عبر الفوضى الآخذة في التضاؤل، كانت سيّارات المراسلين قد انطلقتْ مبتعدة بسرعةٍ كبيرة. انحسر وهج الأضواء الخلفية شيئاً فشيئاً خلف سحابة الغبار التي تركتْها السيارات وراءها.

كان إسماعيل هناك، والبندقية مخفضةٌ إلى جانبه.

- «لماذا يغادرون؟»، سألتْه.

- «انطلقتْ سيّارةٌ من الجانب الآخر للمخيم. أظنُّهم يحسبون أنّه صديقكِ»، قال إسماعيل.

- «اسمه بوبي».

- «نعم. . . لقد قتل فتاةً إذاً؟».

من أين قد تبدأ حتّى؟

- «لا أعتقد ذلك»، قالت مايا.

عثرتْ على سيّارتها وانطلقت في رحلة العودة الطويلة إلى لوس أنجلوس. كانت قد تواجدت قرب الكثير من البنادق المذخّرة في

اليوم الأخير كي تكون متعبة بما يكفي. إذ كانت تذرع الطريق، لاحت تلك الجبال السوداء المنقّطة بأضواء أشباه البلدات الغائرة في عمق منطقة إنلاند إمباير. تخيّلت مايا ما الذي كان قد جال في فكر المستوطنين الأوائل الذين أتوا إلى هذه الأرض حين أطّلوا من فوق هذه الجبال نفسها. كان من غير الممكن أن يعرفوا أنَّ هناك محيطاً في انتظارهم. هل سمحوا لأنفسهم بأن يحلموا أنّهم سيخرجون إلى الجهة الأخرى من السفح ليجدوا شيئاً بهذا الجمال؟

بعد ساعة، عبرت مايا فوق مسارات القطار غرب مونتيري بارك حيث أعلنت عربات شحن على امتداد كيلومترات اقترابها من المدينة. لطالما أشار الناس إلى لوس أنجلوس على أنّها مفترق طرق، مكانٌ يسافر منه الأشخاص والأشياء إلى كلِّ أنحاء العالم.

قال لها بوبي أنَّ 30 في المئة من لوس أنجلوس كانت عبارة عن طرق. هل كان هذا صحيحاً؟

رنَّ هاتفها في مكانٍ ما قريب من بويل هايتس. كان ذلك كريغ.

كيف لها أن تصف ما مرَّت به في إيست جيسوس؟

- «مرحباً»، قالت عبر الهاتف.

- «أنا لم أعد الشاب الذي كنتُ عليه»، قال كريغ.

- «حسنٌ...».

- «تخونني ذاكرتي من وقتٍ لآخر، لكنّي أحتفظ بهذه الذكرى المميّزة حول طلبي منكِ الالتزام بقاعدةٍ أساسية واحدة. هل تتذكّرين هذه القاعدة؟».

- «لا تفعلي أيَّ شيءٍ غبي».

- «ومع ذلك...».

كانت قد فعلت خلال الأيّام الماضية الكثير من الأشياء التي ما كان ليوافق عليها.

- «ماذا فعلتُ؟».

- «هناك مقطع فيديو لكِ على الإنترنت، في مكانٍ يدعى إيست جيسوس، تقفين فيه أمام تاجر مخدّرات مسلّح، وتدّعين أنّكِ قادرةٌ على التوسّط في صفقة مع بوبي نوك».

يا للمسيح! لقد حُمّل بهذه السرعة.

- «كان هذا سريعاً».

- «كان هذا غبيّاً».

- «لقد عثرتُ على بوبي».

- «هذا واضح».

- « هو لم يقتل ريك».

- «أنتِ لا تعرفين ذلك». كان يمكنها سماع نبرة الانزعاج في صوته.

أخبرت كريغ عن لقائها ببوبي، وعن الصور والأختام الرقمية التي قدّمتْ حجّة غيابه في مقتل ريك.

- «كلُّ ما فعلتِه إذاً هو استبعاد مشتبهٍ به محتمل؟»، قال لها حين انتهت.

كان عليها الاعتراف أنَّ هذا كان، من الناحية العملية، صحيحاً.

- «وصل تحليل الحمض النووي، سمعتُ للتوّ»، قال كريغ.

ترقّبتِ النتيجة التي كانت تخشى سماعها.

- «إنَّ حمضكِ النووي هو الحمض النووي الوحيد الموجود على ريك ليونارد أو حوله».

انتهى الأمر. كان هذا المسمار الأخير في نعشها.

كانت تعرف ما سيقوله ليشجّعها: إنَّ عدم وجود دليل ليس دليلاً على عدم وجوده. هذا لم يثبتُ أنَّها الوحيدة التي يمكن أن تكون قد قتلته، بل يعني فقط أنَّ الذي قتله لم يترك وراءه أيَّ آثار شعرٍ أو لعاب أو سوائل جسدية أخرى.

لم ترغب في سماع حديثه التشجيعيّ.

- «إذاً، ماذا سيحدث تالياً؟»، سألتْ رغم أنّها كانت تعرف الإجابة.

- «سوف تلقي شرطة لوس أنجلوس القبض عليكِ بتهمة القتل».

بعد ثلاثين دقيقة، وصلت مايا إلى منزل كريستال لتجد كريغ هناك بالفعل. كانت كريستال ترتدي بنطالاً رياضياً نظراً إلى أنَّ الساعة كانت قد تجاوزت الواحدة صباحاً. لم تشعر بالخجل من ارتداء شيءٍ كهذا أمام رئيسها في العمل، فهذا بيتها في النهاية.

ضمّتْ كريستال مايا في عناقٍ قويّ، وهمستْ في أذنها: «أنتِ لم تدخلي السجن بعد». عبّر كريغ عن قلقه بصورةٍ أقلّ وضوحاً، فاكتفى بإيماءةٍ بسيطة صامتة للترحيب بها.

كانت ممتنّةً لكليهما.

أعدّتْ كريستال شاي الزنجبيل الذي لم يشربه أحدٌ بينما كانوا جالسين يدرسون خياراتهم.

الخيار الأوّل كان الدفع بأنّ بيتر ويلكي أو واين راسل قد قتل ريك. كان لدى بيتر الدافع لكن موارد ضئيلة؛ ولدى واين الموارد

لكن دافع ضئيل. «اختاري السمَّ الذي يناسبكِ»، هكذا صاغ كريغ هذا الخيار.

كان الخيار الثاني هو أخذ **كلا** السمَّين، وإضافة سموم أخرى إليهما بمقدارٍ جيّد. «مايا لم تفعلها، لكن إليكم قائمةً بالأشخاص الذين يمكن أن يكونوا قد فعلوا». ولجعل هذه الحجّة أكثر فاعلية كان عليهم توسيع قائمة المشتبه بهم قدر الإمكان. الآن، وبعد أن رُفِع بوبي نوك على نحوٍ غير مفيدٍ من القائمة، كانوا يريدون ملأها بجميع المحلّفين الآخرين. قال ملفُّ جاي كيم إنّه كذب بشأن علاقته مع لو سيلفر، أليس كذلك؟ كان قد أسرف في الشرب ليلة الجريمة، صحيح؟ وفقاً للملفّات أيضاً، كان لدى كال بارو هو الآخر مواجهات غير معلنٍ عنها مع القانون. كان على مايا الإشارة إلى أنَّ الاقتراح القائل بقدرة كال ذي الثمانين عاماً على التغلب على ريك ذي الثمانية والثلاثين هو اقتراحٌ ضعيف. لكن بعدها أوضح كريغ أنَّ الهدف من الخيار الثاني لم يكن توجيه ضربةٍ قاضية ضدَّ أيِّ شخصٍ على وجه الخصوص، بل فقط جعل الساحة تزدحم بالمشتبه بهم.

ثمَّ كان هناك الخيار الثالث.

- «إليكِ ما أحبّه في حجّة الدفاع عن النفس»، قال كريغ. «إنّها تأخذ كلَّ أدلّتهم وتقلبها رأساً على عقب. يقولون إنَّ حمضكِ النووي فقط كان على الجثّة؟ رائع، نحن موافقون. هذا لأنَّ ريك قام بمهاجمتكِ أنتِ فقط. يقولون إنَّكِ أخفيتِ لسنواتٍ علاقةً حميمة مع ريك وكذبتِ على عائلتكِ وأصدقائك والمحكمة حتّى؟ نقول بالطبع، كان ريك عنيفاً ومتعسّفاً، ولم تتمكّني من الخروج من تلك العلاقة، كنتِ تشعرين بالخجل وما إلى ذلك. حتّى طبيعة جروح ريك: ضربةٌ

واحدة في مؤخّرة رأسه بطرف الطاولة؟ يبدو هذا بالتأكيد عراكاً جسدياً خرج عن السيطرة قليلاً. يمكننا شرح كلّ شيء».

- «باستثناء هويّة قاتل ريك الحقيقي»، قالت مايا.

نظر إليها كريغ وكأنّها كانت طفلة. «عملي ليس العثور على القاتل الحقيقي. عملي منعُ ولاية كاليفورنيا من إدانتكِ بارتكاب جريمة قتل».

نظرتْ مايا إلى كريستال طلباً للدعم، لكنّها لم تحصل على شيءٍ منه.

- «لقد تحدّثتُ إلى بن غاو منذ ساعة»، قال كريغ مشيراً إلى نائب المدّعي العام. «يريد تحديد موعدٍ لتسليم نفسك غداً عند العاشرة صباحاً».

شعرت مايا بالخدر في أطرافها. كانت قد التقت ببن غاو في المحكمة، لكنها لم تواجهه بشكلٍ مباشر، فلم تكن لديها أقدمية كافية في الشركة كي يحصل ذلك.

قد يكون الكثير من المدّعين العامّين أوغاداً، لكن ليس بن غاو. هي تتذكّره في الغالب على أنّه مهذّب، لطيف الكلام، ومجتهدٌ لأبعد حدّ.

لم تكن تحتاج أن يخبرها كريغ أنَّ الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تنجح بها حجة الدفاع عن النفس هي أن تصعد إلى المنصّة وتروي قصّة فظيعة وغير صحيحة. كان عليها أن تكذب تحت القسم بشأن أنَّ ريك هاجمها فقاومتْه. كان عليها أن ترتكب جريمة لتتجنّب العقوبة على جريمةٍ أخرى لم ترتكبها. كان عليها أن تقول إنَّ ريك كان «عنيفاً»، «وتنتابه نوبات غضب». هل هي قادرةٌ حقّاً على جعل نفسها تشهد على قصّةٍ كانت في آنٍ معاً غير صحيحة ووحشيةٍ بحقٍّ

ذكرى رجلٍ اهتمّتْ لأمره ذات يوم؟ ناهيك عن كون القصة مشحونةً بالعنصرية والتمييز على أساسٍ جنسي كان من المروّع مجرّد التفكير فيها؟

كانت ستحوّل نفسها إلى تلك المرأة البيضاء الحقيرة من رواية **أن تقتل طائراً بريئاً**، تلك التي ادّعتْ كذباً أنَّ رجلاً أسود اغتصبها فقط كي تفلت بفعلتها.

- «أنتَ كرجل أسود في لوس أنجلوس، ألا تعتقد أنَّ ادّعائي مهاجمة ريك لي هو... حسنٌ...»، قالت مايا لكريغ.
- «عنصريّ؟»، سأل كريغ.
- «في أقلِّ تقدير هو محاولةٌ للاستفادة من التحيّز العنصري لدى المحكمة».

رسم كريغ ملامحَ كما لو أنّه يعتب على القَدَر الذي وضعه في هذا الموقف. «كرجلٍ أسود في لوس أنجلوس، لقد رافعتُ في 41 قضيّة جنائية. تفاوضت على مئاتٍ من صفقات الإقرار بالذنب. رفعتُ ستَّ دعاوى قضائية ضدَّ شرطة لوس أنجلوس بشأن وحشية الشرطة، وربحتُ خمساً منها. كرجلٍ أسود في لوس أنجلوس، أنا على الأرجح أفضل محامي دفاع في المدينة. وكرجلٍ أسود في لوس أنجلوس، لا أريد لأيِّ أحدٍ أن يُسجَن من أجل جريمةٍ لم يرتكبها - خاصةً حين يتعلّق الأمر بموظّفتي، ونعم، صديقتي». تنهّد ثمَّ أكمل. «كرجلٍ أسود في لوس أنجلوس، هل تعرفين ما هو أكثر شيءٍ أريده؟ العدالة. لا أرى عدالةً في قضائك بقيّة حياتكِ خلف القضبان».

رمقت كريستال مايا بنظرةٍ مؤنِّبة: **أرأيتِ ما الذي يحدث حين تحاولين التجادل مع رئيسك؟**

- «لا أعرف إنْ كنتُ أستطيع فعل ذلك»، قالت مايا بضعف.

راقبتْهما يتبادلان النظرات. كان واضحاً أنّه سبق لهما النقاش في هذا من وراء ظهرها.

- «ليس عليكِ أن تقرّري الليلة»، قالت كريستال بهدوء. «خذي قسطاً من النوم. تحدّثي إلى عائلتك. إذا قمتِ بتسليم نفسك صباح الغد، فلن يكون عليك تسجيل الالتماس (مذنبٌ أم غير مذنب) إلى أن يتمَّ توجيه الاتّهام».

بعدما أكون أمضيتُ يوماً في السجن.

لا بدَّ أنَّ كريستال كانت تراهن على أنَّ قضاء يومٍ أو نحو ذلك في السجن من شأنه أن يليّن موقف مايا وصولاً إلى قبولها الدفع بحجّة الدفاع عن النفس. سوف تُمسخ جميع مبادئها وقناعاتها المتنوّرة إلى الشكل البدائي لغريزة البقاء. كم ستلبث حتى تنكسر؟

أدركت مايا أنّهما كانا يناوران معها كي يعالجا المسألة على طريقتهما.

كانت قد أمضت الكثير من الوقت في فعل هذا الهراء بالضبط مع موكّليها. كان المجرمون المذنبون من أصحاب السوابق مسألةً سهلة، إذ كانوا محترفين وعمليين، ولطالما عرفتْ أين تقف حين تتعامل معهم. كان الأبرياء هم المشكلة، أو المدنيون الذين كانوا قد اتّخذوا خطوةً متردّدة واحدة في حياة الجريمة ثمَّ وجدوا أنّهم لم يكونوا أهلاً لها. كانت مشاعر هؤلاء تتطلّبُ رعايةً متواصلة. كانت الابتسامات المطمْئِنة أمراً ضرورياً، كما احتاجت الأيدي أن تُمسَك وتُشَدّ أحياناً.

تحقّق كريغ من ساعته. «حسنٌ، سأحصل على قسطٍ من النوم أيضاً. أقترح أن تفعلي الشيء نفسه. تحدّثي إلى مَن ترغبين في التحدّث إليه، وسأعود إلى هنا بحلول الثامنة صباحاً لاصطحابك».

- «ستقوم بتسليمي؟».

اقترب منها كريغ وشدَّ على يدها. «بالطبع يا مايا».

بعد أن غادر كريغ وذهبت كريستال إلى الفراش، لم تعرف مايا ماذا تفعل بنفسها.

ماذا يفعل المرء قبل ذهابه إلى السجن؟

اتّصلت بوالدها. هناك فرق ساعة في التوقيت بين ألباكركي ولوس أنجلوس. سيكون نائماً على الأريكة في الغالب، فيما يتوهّج التلفاز في العتمة بالبرامج الليلية المتأخرة من قناة MSNBC.

كانت قد تعلّمتْ ومارست فنَّ عدم إقلاق والديها. كانت المحاكمة قاسيةً على والدها، وأكثر قسوة حتى على والدتها التي بدا لها الحفاظ على شكلٍ من الحياة الطبيعية أمراً حيوياً ومستحيلاً في آن. لم يكن مسموحاً لمايا بالطبع أن تتحدَّث معهما حول المحاكمة، وأيُّ حديثٍ آخر كان سيستمع إليه الحاجب ستيف. لذا فقد ملأ والداها فراغ الصمت عبر إطلاعها على مستجدّات حياتهما: كانت والدتها تكمل برنامج ماجستير في البستنة في جامعة نيو مكسيكو؛ وكان مهرجان الطماطم على الأبواب؛ والعمل على الجدار الصخري خلف المنزل كان يسير بشكلٍ جيّد.

لقد حاولا إبقاءها على الخطّ لكلِّ دقيقةٍ ممكنة.

كان عليهما أن يؤقلما نفسيهما على فكرة الحصول على معلومات من القنوات الإخبارية أكثر من تلك التي حصلوا عليها من مايا. علمتْ هذه الأخيرة في وقتٍ لاحق أنّهما كانا يقضيان ساعاتٍ كلّ يوم في مشاهدة قناة CNN. كانا ممتنّين لكونها تبثُّ بصورةٍ

حيّة، مهما كان الإحساس بالقرب منها - ذاك الإحساس الذي تمكّنت كلُّ تلك الكاميرات أو الرؤوس المتحدّثة من توفيره - هشّاً.

لكن بعد ذلك، صدر الحكم. وفي رفّة عين، دارت دائرة الأخبار ضدّها. كان حجم الشجب العام هائلاً بالنسبة لمستشارٍ ضريبي وربّة منزل بلا أدنى تحضير لتسليط الأضواء عليهما.

- «أبي»، قالت الآن حين رفع السمّاعة، «لا تفزع».

كانت بدايةً مروّعة.

- «ما الخطب حبيبتي؟»، قال وهو يستيقظ مترنّحاً. «دعيني أطفئ...».

أمكنها سماعه يعبث بجهاز التحكّم الخاص بالتلفزيون. «سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام. ثق بي. أنا ومحاميّ نهتمُّ بالأمر». لحظة صمتٍ ثقيلة. «لكن أنا على وشك أن أُعتقَل بتهمة القتل»، قالت مايا.

في العموم، كان يمكن للمحادثة التي تلت ذلك أن تكون أسوأ بكثير.

أغلقت بعد ذلك عينيها لبعض الوقت، فيما هي مستلقية بكامل ملابسها فوق سرير غرفة ضيوف كريستال. عرفت أنّها لن تتمكّن من النوم، إذ لم تستطع التوقف عن التفكير في النقطة التي سيتخلّى عنها الجميع فيها. والداها، أصدقاؤها، زملاؤها... كم سيستغرق منهم الأمر حتّى يقطعوا أيَّ صلةٍ لهم بها؟

تخيّلت بوبي نوك وهو يجري هارباً إلى الأبد عبر الصحراء القاحلة. وحيداً.

كان قد ارتكب شيئاً مروّعاً. كم ينبغي بجريمة المرء أن تكون

شنيعة حتّى يكون مسموحاً للجميع بالتّخلي عن أيِّ تعاطف تجاهه؟ ما الخطُّ الذي إن تجاوَزه المرء، فلن يتوقّع أنَّ أحداً قد يلحق به؟

كان التخلّي عن مايا جزئياً فحسب، إذ إنها قامت في نظر معظم الناس بإطلاق سراح رجلٍ مذنب. هل سيصبح هذا التخلّي كاملاً ونهائياً الآن، حيث إنّها في نظر ولاية كاليفورنيا قد أصبحتْ متّهمة على نحوٍ مقنعٍ؟

أعدّت كريستال كوكتيل العصائر الطازجة على الإفطار.

- «هل تريدين التحدّث في الأمر؟»، قالت وهي تقدّم لمايا كأساً كبيراً.

- «لا» قالت مايا، وأخذت رشفة. **موز، عصير برتقال، فراولة**. حاولت التلذذ بطعمٍ قد لا تجرّبه مجدّداً لفترةٍ طويلةٍ جدّاً.

- «حسنٌ إذاً». أمسكتْ كريستال بهاتفها، وكان هذا كلَّ شيء، إذ لم تقل كلمةً أخرى.

وصل كريغ في الوقت المحدّد كعادته. كانا صامتين معظم الوقت خلال الطريق. التوقّف، ثمَّ الانطلاق، ثمَّ التوقُّف مجدّداً خلال ساعة الذروة في لوس أنجلوس كان أسوأ من المعتاد. تحدَّث كريغ من حينٍ لآخر، سارداً التفاصيل التي تعرفها بالفعل عن المحقِّقين الذين سوف يعتقلونها، وعن السجن الذي ستقبع فيه، والإجراءات الروتينية لاستقبال السجناء.

كانت هي نفسها قد قدّمت شروحاً مماثلة، وكان المدّعى عليهم لا يعيرونها أيَّ اهتمام.

وصلتْ مع كريغ إلى مخفر القسم المركزي. كانت المحقّقة

ديزي، وشريكها المحقّق مارتينيز في انتظارهما في الزقاق المقابل للشارع السادس، فيما قدّم أربعة عناصر شرطة بملابس مدنية عرض عضلاتٍ سخيف. لم يتوقّع أحدٌ أن يتحوّل هذا إلى معركة.

تعرّفتْ مايا على نائب المدّعي العام بن غاو. كان مع رجال الشرطة، يراقب ويشرف بصبرٍ وهدوء.

ترجّل كريغ من السيّارة أوّلاً ثمَّ فتح الباب لمايا.

- «المرّة القادمة التي سأراكِ فيها، ستكون عند توجيه الاتّهام في المحكمة. لذا أرجو منكِ التفكير كيف تريدين أن نترافع»، قال لها بلطف.

لم تتخيّل أنّها ستكون قادرة على التفكير في الكثير من الأشياء الأخرى.

- «يمكننا الدخول إن أردتِ»، قالت المحقّقة ديزي. «في وسعنا دائماً التحدّث قبل أن نأخذكِ إلى السجن».

ضحك كريغ. لم تكن ضحكةً متصنّعة بل حقيقيةً وخارجةً من أعماقه.

- «أرجوكِ أيّتها المحقّقة»، أجابها.

ابتسمت ديزي. استحقَّ الأمر المحاولة. سحبت من جيبها زوجاً من قيود المعصم البلاستيكية.

سلّمتْ مايا هاتفها المحمول، ومحفظتها، ومفاتيحها إلى كريغ. من الأفضل أن تبقى معه بدلاً من أن تكون في حوزة إدارة الإصلاحيات.

أدارت ظهرها لديزي دون أن تنبس ببنت شفة، ومدّت ذراعيها إلى الخلف.

- «يمكنكِ إبقاءُ ذراعيكِ في الأمام إن كان هذا مريحاً أكثر لكِ»، قالت ديزي.

لم يكن الخطُّ الفاصل بين مستويين من العدالة الأمريكية أكثر وضوحاً بالنسبة لمايا ممّا كان عليه حين سألتْها شرطية كيف تريد أن يُقبَض عليها.

واجهتْ ديزي ومدّتْ يديها أمام جسدها. وضعتْ ديزي القيود على معصميها بحذرٍ، ثمَّ قامتْ بشدِّها. هي الآن مقيَّدة.

قالت المحقّقة ديزي عندئذٍ: «مايا سيل، أنتِ رهن الاعتقال بتهمة قتل ريك ليونارد».

ياسمين

15 أكتوبر، 2009

استمعت ياسمين صرّاف إلى المشاحنات الصاخبة من أعلى طراز التي دارت بين ريك ومايا. كان ذلك شيئاً مميّزاً بحقّ: استهزاؤهما الحاذق، تنصّلهما من أيِّ اشتباه في سوء النيّة، الطريقة التي انقضّا فيها بلا رحمة على كلِّ كلمةٍ لم يتمَّ انتقاؤها بعناية بغية إيقاع الآخر في فخِّ التناقض العرَضي.

الشيء الذي ما انفكّتْ ياسمين تفكّرُ فيه كان أنَّ **هذين الاثنين مثاليان أحدهما للآخر.**

كانت فران قد أخبرتها قبل أيّام فقط أنَّ ريك ومايا كانا على علاقة. لكنَّ فران لم تكن تعرف إن كانا يشكّلان «ثنائياً»، أو إن كانا يرغبان في ذلك، أو **ماهيّة** الأمر بالضبط. هل سيشكّلان توليفةً منسجمة؟ ربّما كانت ياسمين مجرّد رومانسيّةٍ ميؤوسٍ منها - هذا ما لطالما قاله زوجها ديفيد عنها - لكنّها كانت متيقنة حين كانت تشهد على تلك الشراسة في نقاشاتهما، أنّها كانت في حضرة حبٍّ من النوع الذي يدوم.

عليكَ أن تكون مهتمّاً حقّاً لأمر شخصٍ ما كي تتشاجر معه بهذه

الشراسة. عليكَ أن تكون مهتماً فعلاً برأيِ شخصٍ ما كي تشعر بالإهانة إلى هذا الحد لأنّه مخطئٌ.

تتحدّر ياسمين من سلالةٍ عريقة من المجادِلين. كان والداها أكبر مجادلَين رأتهما في حياتها. يهوديان فارسيان، فرّا من طهران بعد اندلاع الثورة. عندما كانت ياسمين صغيرة، كانت تعرف أنَّ اللعبة قد بدأت حين ينتقل والداها للتحدّث بالفارسية. كانت الإنجليزية مخصّصةً لمستلزمات البقالة ومواعيد الأطباء. أما الجدل، فكان يحدث بالفارسية. عادةً ما بدأتْ والدتها بتعليقٍ لاذع من قبيل «يعجبكَ هذا إذاً، العيش في القذارة؟»، قبل أن تصعّد الحالة الدرامية عبر مسخ الشخصية «أنتَ لا تحترم أحداً سوى نفسك!». كان والدها يحبُّ أن يطلق ضحكةً حادّة ثمَّ يقول شيئاً مثل - «ها! هذا ما تظنّينَه؟» - قبل أن يشرع في التباكي الساخر على نفسه، «ربّما كان يجدر بي البقاء في المتجر، حيث وبالحدِّ الأدنى هم يحبّون أن أكون موجوداً معهم!».

بعد المغادرة غاضبين نحو غرفتين منفصلتين، كانا يقضيان عدّة أيّام يتحدّثان أحدهما إلى الآخر من خلال طفليهما. كانت ياسمين وشقيقها داريوش ينقلان الرسائل بأمانة.

- «ياسمين، من فضلك أخبري والدكِ أنَّ عليه إغلاق النوافذ إن كان سيدخّن في الشرفة»، لسوف تقول والدتها.

- «داري»، لسوف يقول والدها، «أخبر والدتكَ أنّها تترك الملابس في المجفّفة لوقتٍ طويلٍ جدّاً».

كانت ياسمين تسمع والديها كلَّ بضعة أسابيع وهما يسامحان أحدهما الآخر خلف الأبواب المغلقة لغرفة نومهما. كان يمكنها سماع اعتذاراتهما العاطفية، تليها جولةٌ شغوفةٌ من - حسنٌ، كانت تحاول ألّا تفكّر في ذلك الجزء.

كانت المشاحنات الصاخبة مثل هوايةٍ تشاركاها، وقد أبقتهما معاً لخمسةٍ وثلاثين عاماً.

في المقابل، يتحدّر ديفيد، زوج ياسمين، من عائلةٍ من الجهة الشمالية الغربية(*) للمدينة. والداه المطلّقان لم يتحدّثا منذ عشرين عاماً، وكان ديفيد، حبيب أمّه المدلّل، قد قضى نصف حياته في العلاج النفسي. لذا كانا إذا دخلا في جدال وعلا صوتهما بدرجةٍ تكاد تكون غير ملحوظة، كان يقول شيئاً من قبيل «ياسمين، أنتِ لم تحظي أبداً بنموذج علاقة صحية بين بالغين فحسب».

كان أصغر خلاف كفيلاً بإبقاء ديفيد عابساً لأيّام. إذا ضايقته فحسب، كان يطلب تحديد موعدٍ لـ «اجتماعٍ عائلي». كانت «استراتيجيات المعالجة» عند ديفيد رومانسيةً بقدر بريدٍ إلكتروني داخلي.

ويُفترض بذلك أن يكون صحّياً؟

تأمّلتْ ياسمين في الطريقة التي يتجابه بها المحامون في المحكمة. كان يُطلق عليها اسم «المنظومة العدائية». يبذل المحامون من كلا الطرفين كلَّ ما في وسعهم للفوز، ما من قيودٍ أو قواعد للعب، وأيّاً كان ما تتمخّض عنه فوضى تكسير العظام هذه، فقد كان يُطلق عليها اسم العدالة.

بالنسبة إلى ياسمين، كان ذلك منطقياً ومفهوماً. وبدا منطقيّاً بالنسبة إلى ريك ومايا أيضاً.

كان كمُّ القواسم المشتركة بينهما شيئاً لطيفاً.

(*) Upper West Side: إشارة إلى المنطقة الراقية والثرية من لوس أنجلوس - المترجم.

دارت معركةُ اليوم حول صوت بيتر. كان قد عبّر عن بعض التردّد بشأن الرسائل النصّية، إذ قال: «أعني، لقد أرسلنا جميعاً لفتاةٍ ما رسالةً أو شيئاً لم يكن علينا إرساله، أليس كذلك؟ لن أرسل رجلاً للسجن بسبب ذلك». شعرتْ مايا أنَّ هناك مجالاً للانقضاض على صوته، فشنّت هجوماً مباشراً: «إذا كانت الرسائل النصّية غير ذات أهمّية، وأنا أتّفق معك أنّها كذلك، فماذا لدى الادّعاء إذاً؟». لكن بالطبع، ما كان ريك ليسمح لها أن تفوز ببيتر بهذه السهولة: «ماذا لديه؟ سجلات الهاتف المحمول، وأكاذيب بوبي، وآثار الحمض النووي».

بدا أنَّ هذه النقطة الأخيرة حول آثار الحمض النووي في سيّارة بوبي هي الأكثر أهمّية في نظر بيتر: «بالنسبة إليّ، لا شيء أكثر أهمّية من العِلْم». الأمر الذي عنى أنّهم كانوا جميعاً سيعودون بطريقة ما إلى بقع الدم للمرة الألف.

– «إذاً، كيف دخل دم جيسيكا إلى صندوق سيّارة بوبي؟»، قال ريك بصوتٍ عالٍ.

بدت مايا مستاءة. «لا يمكنهم إثبات أنّه دم جيسيكا. هل تذكر فنّية المختبر؟».

– «قالت إنّه دم جيسيكا».

– «قالت إنَّ نتيجة عيّنتها كانت إيجابية في مطابقتها لحمض جيسيكا النووي. لكنّها أكّدت أنَّ الشخص التابع لفريق التحاليل الجنائية والذي كان أوّل مَن أخذ العيّنات من السيارة قد فشل في اتّباع الإجراء المناسب».

– «'الإجراء المناسب'، هذا ماكرٌ حقّاً - إذا عبرتِ الشارع خلافاً للإشارة، فأنتِ لا تتبعين الإجراء المناسب. إذا وقّعتِ شيك

الإيجار بقلمٍ أحمر، فأنتِ لا تتبعين الإجراء المناسب. هناك الكثير جدّاً من الإجراءات بحيث لا يتبع المرء أحدها».

- «كلّي أملٌ إذا قتلكَ أحدهم يوماً، أنَّ جماعة الطبِّ الشرعي الذين سيقفون فوق جثّتكِ المدمّاة سيتذكّرون اتّباع الإجراء»، قالت مايا.

- «أقدّرُ لكِ ذلك»، قال ريك بنبرة تملؤها السخرية.

- «كفى الآن أنتما»، قال كال. «فلنأخذ نفساً».

- «قالت فنّية الطب الشرعي إنّها واثقةٌ من أنَّ الدم الموجود في صندوق السيّارة هو دم جيسيكا»، قال بيتر.

- «هذا صحيح»، أيّدتْه كارولينا.

- «لكنّها قالت أيضاً إنّها لا يمكن أن تكون متأكّدةً بنسبة مئةٍ في المئة»، ردّتْ تريشا.

دُهشت ياسمين من كون تريشا باتت تجادل لصالح الجانب «غير المذنب» الآن. لكن على الأقلّ، لم تكن تحاول أن تقول إنَّ بوبي بريءٌ بشكلٍ مؤكّد، بل كانت تعليقات تريشا تصبُّ كلّها في صالح مبدأ الشكّ.

- «فقط بعد أن صدّعتْ محاميةُ الدفاع رأسَها بالكثير من اللغط والثرثرة»، قال واين. كان قد أمضى فترة الصباح جالساً في مقعده المعتاد قرب النافذة، مغمض العينين. حين سُئل إن كان مستيقظاً، أومأ برأسه فحسب. كانت تلك أول كلماتٍ يتفوّه بها في ذلك اليوم، وقد فاجأت الجميع. «لا يمكنها الجزم بنسبة مئةٍ في المئة، لكنّها خبيرة وتعتقد أنَّ الدم كان لجيسيكا. أنا لا أفهم كيف يمكنكِ، بضميرٍ حيٍّ، الالتفاف على ذلك».

كانت هناك لحظة صمت، حيثُ أُخِذ الجميع بدخول واين المفاجئ على خط النقاش.

- «الأمر لا يتعلّق بما تعتقدُه، بل بما يمكنها إثباته»، قالت تريشا.

- «حسنٌ، لقد بدت بالتأكيد وكأنّها تعرف ما الذي تتحدّثُ عنه. إذا اعتقدت ذلك، فأنا أصدّقها».

- «لماذا؟»، قالت مايا بهدوء.

- «لأنّها بدت صادقة».

ميّزتْ ياسمين بريق ابتسامةٍ سريعة على وجه مايا. كانت والدة ياسمين ترسم نفس الوجه حين تصل بوالدها إلى المكان الذي تريده.

كرّرتْ مايا كلمات واين له. «'لأنّها بدت صادقة'».

- «هذا ما قلتُه».

- «ماذا في فنّية الطب الشرعي 'بدا صادقاً' لكَ، يا واين؟».

- «مايا»، قاطعها ريك. «المرأة عالِمة».

نظرت ياسمين إلى بيتر. كان هذا الأخير يميل بجسده مبتعداً عن واين، وكأنّه يحاول ألّا يقع في الحفرة التي فُتحت بينهما للتوّ.

- «دع واين يجيب»، قالت مايا.

- «لا أرى إلى أين تريدين الوصول»، قال واين.

- «أنتَ تعتقد أنَّ فنّية الطبِّ الشرعي أكثر موثوقية ومصداقية من بوبي نوك. وربّما تكون كذلك. لكن هذا ما يؤول إليه كلّ شيء في النهاية، أليس كذلك؟ الأمر كلّه منوط بمَن نصدّق»، قالت مايا لواين.

- «هناك الكثير من الأسباب التي تجعلنا نصدّق أو لا نصدّق أيّاً من هؤلاء الناس»، قال بيتر محاولاً إبعادهم عن هذه المياه العكرة، لكن ما كان هذا لينجح.

- «أنتَ على حقّ»، قالت مايا. «يمكننا أن نجلس هنا لعامٍ آخر

نتحدّث عن بقع الدم تلك. عن عدد جسيمات الحمض النووي التي كانت في أيٍّ واحدةٍ من العيّنات، وكم ساعةً بقيت هذه القارورة أو تلك دون رقابة على منضدة المختبر، لكن كلّ هذا الهراء لا يهمُّ أيّاً منا حقّاً. هذا لا يتعلّق بـ 'الحقائق'. هذا يتعلّق بالبشر. يتعلّق بشخصٍ محدّد. هل نصدّق بوبي نوك؟ أم نعتقد أنّه يكذب؟».

- «أعتقد أنَّ ذاك الغلام يبدو على نحوٍ مضمون مثل كاذبٍ لعين»، قال واين.

استطاعتْ ياسمين أن تستشعر الكيفية التي نزلت بها كلمة «غلام» بين جدران الغرفة. لم تصدّق أنَّ واين قد بلغ به الغيظ مبلغاً جعله يقول شيئاً مختلّاً بالكامل.

تنفّستْ تريشا مبتلعةً الهواء، كأنّها تلقّتْ ضربةً على بطنها.

أغمض بيتر عينيه، كما لو كان يشعر بالخزي من كونه في نفس الصفّ مع واين.

هبَّ ريك ليحاول إنقاذ الموقف. كان يعرف أنَّ زلّةَ زميله المفترَض جعلتْهُ هو أيضاً يبدو سيّئاً. «إن السبب في كون بوبي غير جديرٍ بالثقة هو أنّه كان قد كذب سابقاً، على رجال الشرطة، وعلى المدرسة، وعلى كلِّ شخصٍ يمكن أن يكون قد عرف بأمر علاقته غير اللائقة بإحدى طالباته». التفتَ ريك إلى واين، متّفقاً معه ومنتقداً إيّاه في الوقت ذاته. «لدينا أسباب وجيهة ومتينة لعدم تصديق بوبي».

إمّا أنَّ واين لم يكن يفهم الأمر، أو أنّه لم يكن يستسيغه. «لا أعرف، أعتقد أنَّ الغلام مجرّد قطعة خراء تافهة».

استطاعت ياسمين أن تلمس إحباط ريك. لقد خذل واين فريقهم. الضرر وقع وانتهى الأمر.

توجّهت مايا إلى نقطة الضعف مباشرةً. أشارت إلى واين بينما كانت تتحدّثُ إلى بيتر. «هذه هي حجّتكم. هذا إيجاز الموقف الذي يتّخذه فريقكم. يمكنكم أن تموّهوا الأمر كما شئتم، لكن هل هذا ما تريدون أن تقوله هذه الهيئة حين نصدر حكمنا؟».

- «لا تحوّلي بيتر إلى واين»، اعترض ريك.

لفت هذا انتباه واين بالتأكيد. «المعذرة؟».

- «أنا وبيتر لا نبرّر الأمر بنفس طريقتك»، قال ريك.

- «تظنُّ ذلك؟ ربّما أنا أقول ما تعرفه لكنّكَ لا تريد أن تقوله بصوتٍ عالٍ فحسب». انحنى واين إلى الأمام واضعاً مرفقيه على الطاولة. كان بإمكان ياسمين أن تشعر بالطاولة تتحرك تحت ثقل جسده الضخم. كان كعبه الأيمن ينقر الأرض، بوتيرة أسرع من العادة حتى. كانت ياسمين قلقةً من أنّه سينفجر، ربّما اليوم، ربّما في الغد، في وقتٍ قريب بكل تأكيد.

- «لا تخبرني أنّكَ تعرف ما الذي يدور في رأسي»، قال ريك.

- «لا تنعتني بالعنصري».

أيقظتْ كلمة «عنصري» **الجميع** بالتأكيد.

تجمّدتْ ملامح بيتر. سيخاف رجلٌ أبيض يعيش في كاليفورنيا مثله بشدّة من أن يكون في صفّ المتعصّبين، عرَضاً أم غير ذلك. رأت ياسمين الحسابات التي تدور في رأسه: **هل سيكون من العنصريّ أن أصوّت مثل واين، حتى لو فعلتُ ذلك لأسباب مختلفة؟**

- «لم ينعتكَ أحدٌ بالعنصريّ»، قال جاي لواين.

لكنَّ واين كان على وشك البكاء. كان مقتنعاً أنّه تعرَّض للإهانة، وعازماً على الردّ.

- «كان ريك يفكّرُ في ذلك»، قال واين وهو يميل أكثر فوق الطاولة باتّجاه ريك. «ألم تكن كذلك؟».

- «ما السرُّ في كلمة «عنصري» والذي يجعل الجميع منزعجين لهذه الدرجة؟». لم يكن ريك يتراجع هو الآخر. «قد تعتقد أنَّها الكلمة الأكثر عدائية في اللغة الإنجليزية بأكملها. وذلك شيءٌ مضحك، لأنَّني أضمن أنَّ في وسعي التفكير في واحدةٍ أسوأ».

حمداً لله أنّه أعفاهم منها.

- «هي ليست مبدّلاً في نظام برمجةٍ ثنائي، واحد أو صفر. 'هذا الشخص عنصري'، 'هذا الآخر ليس عنصرياً'. إنّها هيكلية وبنيةٌ متكاملة».

- «حسنٌ يا رجل»، قال واين هازئاً.

- «فكّر في التحيّز الجنسي. تبّاً، فكّر في الميول الجنسية. فكّر في المفهوم بحدِّ ذاته. تدور العنصرية حول الانحياز العِرقي. القول أنّكَ أصدرتَ حكماً على بوبي نوك لأنّه أسود لا يعني أنّكَ ابن عاهرةٍ فاشيٍّ ميؤوس منه، تجول في الأرجاء مع حبلٍ وقلنسوة(*). نحن نفكّر في «العنصريين» كما لو أنهم هؤلاء الآخرون - تلك الزمرة التافهة من الأوغاد الذين يقبعون في منزلةٍ أدنى من البشر. الأشرار في كل تلك الأفلام السخيفة مع منقذٍ أبيض رائع. حين يكون الأشرار واضحين ومعروفين، يمكننا عندئذٍ أن نأوي إلى فراشنا ليلاً مطمئنّين أنّنا لسنا منهم. لكن ماذا لو لم يكن الأمرُ بهذه البساطة؟ ماذا لو كان الأمر أكثر تعقيداً من **ها هم ذا بعض البيض**

(*) الحبل والقلنسوة: إشارة إلى عصابة كوكلوكس كلان العنصرية، والتي اشتهرت بلباسها وممارساتها الوحشية ضدَّ السود - المترجم.

الأبطال غير العنصريين وها هم ذا بعض البيض الأوغاد العنصريين؟ ماذا لو لم تكن الأسئلة الأكثر إلحاحاً بالنسبة إليّ تتعلّق بكم ترى نفسك «عنصرياً» أو بإمكانك إثبات أنّك لست كذلك. أنا لا أبالي البتّة إن كنتَ تعتقد أنّك على درجة واحد أو عشرة على سُلَّم كينزي للعنصرية. ما يهمّني هو ما ستفعله حيال ذلك».

بدا واين وكأنَّ هذا الخطاب بأكمله كان مسلّياً له على نحوٍ غريب. «أنا لا أعرف ما الذي تتحدّثُ عنه، لكنّكَ أنتَ من أثرتَ مسألة العنصرية».

كان بإمكان ياسمين رؤية أنَّ بيتر قد غيّر اصطفافه. كانت قد رأت مايا تفعل ذلك مع كارولينا، ثمَّ لِيلا، ثمَّ تريشا، والآن فعلته مع بيتر. راقبت ياسمين تلك الشابة الأصغر سنّاً تغوص في كرسيّها مع نظرة رضا تعلو وجهها.

كانت مايا تدرك أنَّ واين وريك يؤمنان بنفس الشيء، ولكن لأسبابٍ متضاربة. لقد شطرتِ اتحادهما إلى نصفين وجعلت بيتر يفرُّ هارباً. سيكون التصويت مع مايا أكثر أماناً له من أن يتلوَّث بالبقاء في صفّهما. كان واين وريك يتناقشان مع بعضهما الآن بدلاً من النقاش مع مايا. كان أحدهما سيغضب الآخر لدرجة أنّه سينتهي به المطاف إلى صفّ مايا هو الآخر.

مَن قتل جيسيكا سيلفر؟ لم تكن لياسمين أدنى فكرة.

لم يعد ذلك مهمّاً بعد الآن. سيكون من العبث الوقوف في طريق مايا. كانت ستتمكّنُ منهم واحداً تلو الآخر، وصولاً إلى النهاية التي تشهد سقوط الشخص الأخير: ريك.

19

أنا آسفٌ جدّاً

الآن

في العموم، لم يكن السجن بذاك السوء. كانت هناك الكثير من التغطية الإعلامية للقضيّة بحيث لن يخاطر نائب المدّعي العام غاو بوضع مايا مع سجينات أخريات. فإذا أُطلق سراحها وعليها ولو خدش واحد، فسوف يُغرق كريغ الولاية بطوفانٍ من الدعاوى المدنية. لذا فهي عوملت بشكلٍ جيّد، ما يعني في سجن مقاطعة لوس أنجلوس أنّها تُرِكتْ لوحدها إلى حدٍّ كبير.

نُقلت إلى زنزانة حجز لها وحدها، وبعدها ببضع ساعات أُبلِغت أنَّ توجيه الاتّهام لها لن يتمَّ حتّى صباح اليوم التالي. كان كريغ قد حضّرها لذلك، رغم أنّها توقّعتْهُ بنفسها. يريد نائب المدّعي العام غاو أن يكون قادراً على القول إنّها قضتْ ليلةً خلف القضبان على الأقل، في حال قرّر القاضي تحديد كفالةٍ لإطلاق السراح تحت المحاكمة. يمكنه بهذه الطريقة أن يحظى بدورتين: اعتقالها اليوم، وتوجيه الاتّهام غداً.

استلقتْ فوق المقعد الصلب، والذي كان يشكّل الأثاث الحقيقيَّ الوحيد في الزنزانة، ما لم يحسب المرء المرحاض الذي

بلا غطاء. كان لديها الكثير من الوقت للتفكير، بينما تنزاح الظهيرة ليحلّ محلّها المساء، ويتبخرُّ المساء ليصبح ليلاً. كان هذا أسوأ ما في فترة سجنها القصيرة. هي لم تكن مكشوفة على أفكار أحدٍ عدا أفكارها. وهذه الأخيرة كانت أكثر ما أرادت الابتعاد عنه.

بعد وجبة إفطار من مسحوق البيض والبطاطا المقليّة، قامت إدارة الإصلاحيات بنقلها إلى قاعة المحكمة، حيث انتقلت المسؤولية من دائرة إلى أخرى، ومن المدينة إلى الولاية. إذا تمَّ طعنها في ردهة المحكمة، فستكون تلك أزمةً لمجموعة مختلفة من المحامين.

بعد رحلةٍ قصيرة في سيارة الشرطة، وصلت إلى مركز كلارا شورتريدج فولتز للعدالة الجنائية. اقتيدتْ إلى الداخل مكبّلة نزولاً عبر الردهة حيث حلّت ذات يومٍ مع ريك الكلمات المتقاطعة. ومرّت قرب الباب الخلفي المؤدّي إلى قاعة المحكمة حيث برّأت بوبي نوك ذات يوم. كان بإمكانها سماع وقع خطواتها فوق بلاط الأرضية خلف قاعةٍ أخرى حيث فازت قبل بضع سنوات ببراءة مراهقة كانت قد قتلتْ عمّها الفاجر. فكّرتْ مايا في كلِّ الأدوار المتباينة التي لعبتها في هذا المبنى، فشعرت وكأنَّ هذا المكان كان وجهتها القدرية مهما كانت المنعرجات التي أخذتْها حياتها.

وُضعتْ مجدّداً في زنزانة حجز، حيث كانت مجدّداً النزيلة الوحيدة. كانت المحكمة والسجن يعاملانها مثل زهرةٍ نادرة. تساءلت قبل ليلتين عمّا إذا كانت هذه التجربة ستكشف عن جرأة نظام العدالة الجنائي من منظور شخصٍ متّهم. شعرتْ بخيبة أمل حين اكتشفت أنَّ ذلك لن يحدث. كانت مايا مميَّزة، ومحميّةً بامتيازاتٍ غير معلنة، حتّى هنا.

لو كان جميع المتّهمين يحظون بمثل هذا الاهتمام فحسب، لو أنَّ بوبي نوك قد حظي بمثل هذا الاهتمام فحسب.

ستكون جلسة استماعها أولى جلسات اليوم للقاضية أنيتا فونتين.

كان والدا مايا في القاعة. كانت ستجد صعوبةً في التعرف إلى والدتها لو لم تكن جالسةً بجانب والدها، صخرة ثابتة في سترةٍ زرقاء. والدتها في العادة هي شخصٌ مفعمٌ بالحماسة، تضجُّ بالألوان والمجوهرات البرّاقة، كوّنتْ علاقة صداقة مع كلّ نادلٍ التقتْ به، واستنبطت بطريقةٍ ما قصّة حياة كلّ صاحب متجرٍ اشترت منه شيئاً. لكنَّ شعرها كان أشعثَ في هذا الصباح، وعيناها متورّمتين لكثرة البكاء، وكلُّ ملامحها غائرةً عميقاً في وجهها.

رفع والدها يده لدى دخولها القاعة.

بذلتْ كلَّ ما في وسعها لتبتسم لهما، لتطمئنهما في صمتٍ أنَّ هذه العملية برمّتها كانت مجرّد إجراءٍ روتينيّ.

على أحد المقاعد في الجهة الأخرى من الممرّ، كان هناك شخصان افترضتْ أنّهما والدا ريك. بدَيا في حالةٍ أسوأ من والدَي مايا. تذكّرتْ أنّهما كانا قد انفصلا منذ سنوات، لكنّهما جلسا سويّاً رغم ذلك. كما كانت هناك امرأةٌ جلستْ إلى جانب والد ريك من الجهة الأخرى، خمّنتْ مايا أنّها زوجته الجديدة.

هل كانوا قد رتّبوا جنازةً لريك خلال الأيّام الماضية؟ لم تكن حتّى تعرف بشأن ذلك، إذ كانت مشغولةً للغاية في محاولتها للتأكّد أنَّ الأمر لن ينتهي بها في المكان الذي هي الآن فيه بالضبط.

حدَجها والدا ريك بنظرةٍ باردةٍ وقاسية، لكنّها نظرةٌ تحبس شيئاً

خلفها، كما لو أنّهما لا يريدان السماح لها أن ترى فداحة حزنهما. بغضّ النظر عمّا ستخلص إليه المحكمة، فقد كانت مايا متأكّدةً أنّهما سيكرهانها لبقيّة حياتهما.

كانت القاعة نصف ممتلئة بالصحافة وبعض المحامين المساعدين من شركتها.

كان كريغ ينتظرها لوحده عند طاولة الدفاع. على الجانب الآخر منه، جلس نائب المدَّعي العام غاو مع اثنين من المحامين المبتدئين من مكتبه.

جلستْ مايا بجانب كريغ. كانت خدرةً لدرجة أنّها كادت لا تلاحظ أنَّ الحاجب قد فكَّ قيودها.

- «هل أنتِ بخير؟»، همس كريغ.

- «نعم»، قالت وهي تمطُّط رسغيها.

- «هلّا تقف المتّهمة رجاءً»، قالت القاضية فونتين. «مايا لويز سيل، لقد وُجِّهتْ إليكِ تهمة القتل من الدرجة الأولى. تهمة القتل من الدرجة الثانية. تهمة الاعتداء من الدرجة الأولى. وتهمة الخطف. كيف تردّين على هذه التهم؟».

حاول محامو الادّعاء في قضيّة بوبي نوك إطلاق رصاصة الكلّ أو لا شيء. تعرف مايا الآن أنّها كانت خطوةً محفوفةً بالمخاطر، وهي خطوةٌ نادرة نجمت عن ثقةٍ مفرطة، وكانت النتيجة أنّهم خسروا. وما كان غاو ليرتكب الخطأ نفسه. كان سيعتمد مقاربة رصاصة الخُردق: أطلق عليها مجموعةً من الحبيبات الصغيرة، ليرى أيّها ستصيب شرياناً. كان في الواقع سيجادل في نظرياتٍ متعدّدة للجريمة في وقتٍ واحد. إذا اعتقدت هيئة المحلّفين أنّها كانت قد خطّطت مسبقاً لقتل ريك، يمكنهم عندئذٍ الحصول على إدانةٍ بالقتل

من الدرجة الأولى. وإذا توصّلوا لاعتقادٍ أنَّ ما حدث كان نتيجةَ انفعالٍ وليد اللحظة، فيمكنهم الحصول على إدانةٍ بالقتل من الدرجة الثانية. وإذا اعتقدوا أنَّ مايا لم تكن تنوي قتل ريك، بل كانت تقصد فقط ضربه على نحوٍ متهوِّر، وأنَّ موته كان مجرّد حادثٍ يمكن تفاديه، فيمكنهم الحصول على إدانةٍ بالاعتداء من الدرجة الأولى.

تهمة الاختطاف كانت مجرّد هراء. إذا اعتقدتْ هيئة المحلّفين أنَّ مايا احتجزتْ ريك رغماً عنه في غرفتها ولو لثانيةٍ واحدة تحت التهديد بالقوّة، فسيكون ذلك اختطافاً من وجهة نظرٍ قانونية. لم يكن هناك احتمال أن يقتنع أيُّ شخصٍ أنَّ مايا قد «اختطفتْ» ريك، لكنَّ هذه التهمة أعطتْ للمحلّفين فسحةً للمناورة. إذا كان هناك من بين المحلّفين معترضٌ واحدٌ يطالب بالتبرئة - شخصٌ مثلها على سبيل المثال - يمكن عندئذٍ أن توفِّر تهمة الخطف حلّاً وسطاً للمجموعة.

- «كيف تردّين على التهم؟»، سألت القاضية فونتين مرّةً أخرى.

انحنى كريغ وهمس: «ماذا سيكون إذاً: دجاجٌ أم سمك(*)؟».

كانت مايا ممتنّة لمحاولة كريغ الظهور بمظهر العفوي والمسترخي. بالنسبة له، لم يكن القرار الذي عليهما اتّخاذه متعلّقاً بالأخلاق أو الضمير. لقد كان مسألة استراتيجية صرفة.

لو كان كريغ شخصاً من دون مبادئ، لكان من الأسهل على مايا الاختيار. لكنّه كان عكس ذلك تماماً: كان مبدؤه هو أن يؤدّي عمله اللعين على أكمل وجه. لا يمكن أن يكون هناك التزامٌ أقوى

(*) دجاجٌ أم سمك: مصطلحٌ بمعنى: هل نكون شجعاناً لكن حمقى إذ نسبح عكس التيار (سمك)، أم جبناء لكن عاقلين عبر سلوك الدرب الآمنة (دجاج) - المترجم.

من التزامه بدفع نظام العدالة ليعمل على نحوٍ صحيح. كان تصميمه نابعاً من مفهومٍ أفلاطوني في محاضرةٍ من السنة الأولى في كلية الحقوق كانت نصف مستيقظةً خلالها: في نظام الخصومة، من واجب كلا الخصمين بذل كلّ ما في وسعهما للفوز. دع النظام يقلق بشأن تصنيع الحقيقة.

رغم ذلك، كان آخر شيءٍ اعتقدتُ أن أيَّ أحدٍ سيحصل عليه في غرفةٍ مليئةٍ بالمحامين هو الحقيقة. لا أحد كان هنا من أجل العدالة.

لمستْ مايا يد كريغ. «لا يمكنني الصعود إلى هناك والكذب».

وضع كريغ يده الأخرى فوق يدها. «تعرفين أنّكِ محامية، أليس كذلك؟».

رأت في عينيه قلقاً حقيقياً. «أنا آسفةٌ حقّاً».

تكلّمت القاضية فونتين: «أيّها المستشار، أحتاج إلى ردٍّ على التهم... الآن».

- «نعم، حضرتكِ». ضغط كريغ على أصابع مايا، ثم همس: «في رأيي المهنيّ، أنتِ ترتكبين خطأً فادحاً. أناشدكِ أن تعيدي النظر في ذلك. أيُّ شيءٍ سأقوله اليوم سوف يُنشر في الصحافة، وسيبدأ على الفور في تشكيل آراء المحلّفين المحتملين. لا يمكننا لاحقاً أن نتراجع عمّا سنقوله الآن. نختار قصّةً الآن، ولا نتذبذب حيالها البتّة، إلى أن تتمَّ تبرئتكِ. أرجوكِ، دعيني أجعل تلك القصّة دفاعاً عن النفس».

ضغطتْ مايا على أصابع كريغ. «أشكرك. أنتَ على حقٍّ تماماً. لكنّني لم أقتل ريك ليونارد».

انكمش كريغ. الآن، وبعد أن قالت له هذه الكلمات، بات

ممنوعاً قانوناً من الدفع بحجّة الدفاع عن النفس. «اللعنة، يا مايا».

خلال رفّة عين، كان يقف أمام القاضية. «حضرتكِ، أعرف - كما يعرف العالم بأسره - أنَّ موكّلتي بريئة. وهي تدفع بأنّها غير مذنبةٍ في جميع التهم الموجّهة إليها».

سمعتْ مايا الهمهمات في أرجاء القاعة. نظرتْ إلى النائب غاو، الذي بقي وجهه جامداً مثل صخرة.

- «تمَّ تسجيل الدفع بـ «غير مذنب». بالنسبة للكفالة، بمَ توصي الولاية؟»، قالت القاضية فونتين.

- «حضرتكِ، الولاية لا توصي بمنح كفالة للمدّعى عليها».

كانت هناك المزيد من الهمهمات، وكانت مايا متأكّدةً أنّها سمعتْ والدتها تبكي.

تابع غاو: «لدى المدَّعى عليها الوسائل والموارد، ومن الواضح أنّ خطر فرارها واردٌ. كما أنّها زميلةٌ معروفة لبوبي نوك، وهو الآخر مجرمٌ مدان، وفارٌّ من وجه العدالة. نعتقد اعتقاداً راسخاً أنّه إذا منحت هذه المحكمة كفالةً للآنسة سيل، وبغض النظر عن المبلغ، فسيكون ذلك آخر ما ستراه المحكمة منها».

استوعبتِ القاضية فونتين ذلك. «وأنتَ سيّد روجرز؟».

أجاب كريغ ملتفتاً إلى غاو. «كيف تجرؤ؟ حضرتكِ، لن أزعجكِ حتّى بالإشارة إلى أنَّ موكّلتي كانت مواطنةً نزيهة ومحترمة لعقدٍ من الزمان. لن أضيّع وقتكِ في مناقشة مكانتها ضمن مجتمع القانونيين كعضوٍ معتمد في اتّحاد نقابات المحامين الأمريكيّة عن ولاية كاليفورنيا، وهي التي أقسمت على أداء واجبها ليس فقط تجاه موكّليها، بل تجاه هذه المحكمة بالذات. لستُ مضطّراً، لحسن

الحظّ، أن أتطرّق إلى سجلّها الجنائي، لأنّه خالٍ تماماً. بدلاً من كلّ ذلك، هذا ما سأقوله لكم: قبل عشر سنوات، دعمت موكّلتي مجتمعنا عبر خدمتها في هيئة محلّفين. في هذا المبنى، فعلتْ موكّلتي ما تسأل مواطنينا فعله بالضبط. وهي الآن هنا، على هذا الكرسيّ. إنَّ شهرتها الناجمة عن خدمتها السابقة في الهيئة، تجعل حبسها مسألةً خطيرة. اسمحوا لي أن أذكّركم بأنَّ مخالفات الولاية وفشلها الإداري هي التي انتهكت خصوصيتها في المقام الأوّل. وإذا حدث أيُّ شيءٍ لموكّلتي أثناء وجودها تحت رعاية الولاية التي خانتها عبر فضح خصوصيتها ذات مرّة، فلن يكون إهمال الولاية عبر إرسال مثل هذه المواطنة المشهورة إلى مؤسسة سكّانها سيّئو السمعة؛ لن يكون ذلك أرضيةً صلبة لرفع دعوى قضائية فحسب، بل سيكون سبباً في الإحجام عن هذا النوع من المشاركة المدنية والتي تعد عصب حياة هذه المحكمة. ستكون هناك فئةٌ كاملة من المحلّفين والمتّهمين، وحتّى محاميّ الادّعاء، الذين سيتعرضون لضررٍ لا يمكن إصلاحه نتيجةً لقرارٍ مثل هذا. لن تكون موكّلتي مَن ستتحمَّل العبء الأكبر - بل سيتحمّله نظام عدالةٍ قد يصبح عاجزاً عن العمل نتيجةَ حكمٍ كارثيٍّ واحد».

أعقبَ ذلك لحظة صمتٍ طويلة.

ربّما كان يجدر بغاو أن يقول شيئاً، حتّى إن كان لمجرّد أن يظهر بأيِّ مظهرٍ غير أنّه تمّت الإطاحة به توّاً. لكنّه لم يتفوّه بكلمة.

- «تُحدّد الكفالة بمبلغ مليون دولار»، قالت القاضية فونتين.

- «حسنٌ جدّاً، حضرتك». نظر كريغ إلى الحاجب. «لديَّ شيكٌ جاهز. سأسلّمه لكَ متى ما كنتَ جاهزاً».

ضربت القاضية بمطرقتها لإسكات الثرثرة المتزايدة في القاعة.

جلس كريغ، مال نحو مايا ليهمس في أذنها: «أنتِ الزعيم».

أُطلِق سراح مايا بعد أقل من ساعة. استلمها كريغ من الحجز، وقادها خارجاً نحو سيّارة مركونة بشكلٍ مخالف في شارع هيل. ساعدها على الركوب في الخلف، حيث كان والداها ينتظران.

كان هذا بالتأكيد الجزء الأصعب. كانت والدتها تبكي، وحين وضعت ذراعيها حول مايا، بدا أنَّ والدها لا يستطيع تمالك نفسه أيضاً. حضَنها كلاهما في صمت. جلس كريغ على بعد بضع بوصات يتصفّح بأدب رسائله الإلكترونية على هاتفه.

- «أمّي، أبي. أنا بخير. حقّاً. كل شيءٍ سيكون على ما يرام»، قالت مايا.

هل هي تعتقد ذلك حقّاً؟ سيكون عليها أن تحاول.

- «لا بأس». كان هذا كلُّ ما استطاع والدها قوله. «لا بأس».

- «سوف أدفع لها الكفالة المالية. سأرهن...». إنَّ اضطرار والديها للحضور هذا الصباح مع شيكٍ نقدي بقيمة 10 في المئة من السند البالغ مليون دولار كان فكرةً مروِّعةً بحقّ. شعرتْ مايا بالخجل حيث أنّه بعد كلِّ ما أنجزته في حياتها، كان لا يزال على والديها دفع كفالةٍ لإخراجها من السجن.

- «لنأخذكِ إلى البيت»، قال والدها.

- «لا أوصي بالعودة إلى هناك»، اقترح كريغ. «ستحصل الصحافة على عنوان منزلها في النهاية، إن لم تكن قد حصلت عليه بالفعل. أفضّل أن تمكثوا أنتم الثلاثة في مكانٍ ذي خصوصية».

- «حسنٌ، هذا ذكيّ»، قال والد مايا.

- «لِمَ لا تأخذون بيتي في ماليبو هذا الأسبوع؟ زوجتي في نيويورك، لن يكون أحدٌ هناك»، قال كريغ.

- «ماليبو»، قال والد مايا، كما لو كان يدوّر الفكرة في دماغه.

أومأت مايا برأسها لكريغ. «شكراً لك».

- «ستكون ماليبو خياراً جيّداً. آسفٌ فقط على الازدحام المروري»، قال كريغ.

كان منزل كريغ عبارةً عن ثلاثة طوابق مدمجة تطلُّ على الشارع الرئيسي في ماليبو. كان التصميم باعثاً على الراحة والدفء أكثر ممّا تخيّلت مايا: الكثير من الخشب، والقليل من الزجاج، وعلى الجدران تذكارات شخصية مؤطّرة أكثر من الأعمال الفنية التجريدية الكبيرة. لكن حين وقفتْ في فناء الطابق الأوّل، لم تستطع رؤية شيءٍ عدا المحيط.

- «هل دائماً ما يكون كريغ هكذا في المحكمة؟»، قال والد مايا وهو يقف بجانبها عند السور. كان كريغ قد بقي في لوس أنجلوس؛ ذهب إلى منزله في هانكوك بارك والذي يقضي فيه أيّام العمل خلال الأسبوع.

- «في الواقع لم أره أبداً في المحكمة. هو يدير الشركة، وقد وظّفني لدى تخرّجي من كلية الحقوق».

- «يبدو شخصاً صالحاً».

تذكَّرتْ مايا حين كانت في الثانوية كيف استعارت ذات مرّة سيارة والدها، ثمَّ تركت صديقتُها عِقب سيجارة على لوحة القيادة، الأمر الذي أوقعها في مشكلةٍ كبيرة مع والديها... إلى أن وشى بها أحدهم بعد أسبوعين بشأن وجود حشيشةٍ في خزانتها. حين فتّشوا خزانتها، وجدوا بضع وريقاتٍ مفتّتة. استدعت المديرة والدها الذي انحاز إلى صفّ ابنته بالكامل، مهدِّداً بمقاضاة المدرسة إذا أنزلوا بها عقوبة دون دليلٍ ذي معنى. حتّى أنّه ألغى حظر التجوّل الذي كان

عقوبةً على غلطتها الأولى. يمكن لوالدها أن يكون صارماً، لكنّ كلَّ اهتمامه يصبح متمحوراً حول حمايتها بمجرّد شعوره بتعرّضها للتهديد من شخصٍ آخر.

لم تكن متأكّدةً من كيفية قول الشيء الذي تحتاج إلى قوله الآن. ظنّتْ أنَّ والدها سيشعر بالإهانة، لكن وفي نفس الوقت، إذا لم تتكلّم، فهل سيظل جزءٌ منه يتساءل دائماً حول جواب سؤالٍ لم يكن لديه الشجاعة ليطرحه؟

- «أبي»، بدأتْ بتردّد، «انظر، فقط كي تعرف...».

- «ماذا؟».

- «أنا لم أفعل ذلك».

انتفضَ، وكأنّه أصيب بالفزع. «حبيبتي... أنا... أوه... حبيبتي».

- «ما كنتَ لتفكّر بذلك أبداً، أعرف هذا. لكنّني أخبركَ فحسب، بشكلٍ مجرّد وبسيط. أنا لم أقتل أحداً».

- «تعلمين أنّه حتّى لو فعلتِ، فسأظلُّ أحبّكِ»، قال وهو يتمسّك بالسور.

لم تكن متأكّدة إن كانت قد شعرت بالإهانة أو بالتأثر. «أعلم ذلك».

- «سوف تفهمين حين يصبح لديكِ أطفال. لا يهمُّ ما هو ذنبهم، أنتِ تحمينهم فحسب».

- «أبي... أنا أقول لك، لم أفعل ذلك».

أخذ نفساً. «حسنٌ، في هذه الحالة، نحنُ عالقون حقّاً في كومةٍ من المصائب، أليس كذلك؟».

كانت تلك الليلة أليفةً على نحوٍ سريالي. قام الثلاثة بإعداد العشاء معاً. ذهبت والدة مايا لشراء البقالة وأعطتهما التوجيهات حول تمليح أسماك البرانزينو الطازجة، وتولّى الوالد جهود التنظيف. سكبتْ مايا الكوكتيلات الكحولية من مخبأ كريغ المجهَّز جيّداً. شاهدوا فيلماً على الشاشة الضخمة المعلّقة على الحائط. كان الأمر مثل عطلة عيد الشكر، أو أحد الأيام من عطلة الميلاد حين تقضي إجازتها في منزل والديها.

لم يقولوا كلمةً أخرى عن جريمة القتل.

في الصباح التالي، استيقظت مايا لتجد والدها جالساً أمام التلفزيون ينهي الفيلم الذي كان قد غفا في منتصفه الليلة الماضية. كان هناك انقلابٌ دراماتيكي للأحداث في النهاية، لم يرد والدها أن يفوّته.

كانت تحاول أن تحلَّ لغز تشغيل آلة القهوة الخاصّة بكريغ حين سمعت رنين هاتف. استغرق الأمر منها بعض الوقت لتدرك أنَّ ذلك كان هاتف المنزل الثابت. لم تكن تعرف حتّى أنَّ هناك واحداً.

عثرت عليه بعد خمس رنّات عند ركن الإفطار.

- «مرحباً؟ هذا منزل كريغ روجرز»، قالت مايا.

- «معكِ كريغ. شغّلي التلفاز».

كانت تسمع أصوات الفيلم من الغرفة المجاورة. «والدي يشاهد...».

- «الأخبار من فضلك».

أخذت مايا الهاتف إلى الغرفة المجاورة وأمسكتْ بجهاز التحكّم الذي كان بجانب والدها.

كان على وشك الاعتراض، لكنّه رأى بعد ذلك التعبير على وجهها.

- «أيُّ قناةٍ إخبارية؟»، قالت مايا على الهاتف.

- «إنها جميعها تعرض الشيء نفسه».

قلّبت مايا المحطّات وصولاً إلى CNN. احتلَّ شريط الخبر العاجل الثلث السفلي من الشاشة بالكامل: **موت بوبي نوك فيما يبدو أنّها عمليّة انتحار.**

شهق والدها.

- «ماذا يجري بحقِّ الجحيم؟»، قالت مايا.

- «عثرت الشرطة على جثّته داخل نُزلٍ في تكساس»، قال كريغ. «فوكس نيوز وCNN تقولان إنّه ترك رسالة، لكن لم تؤكد MSNBC الخبر».

كانت تملأ الشاشة لقطةٌ مأخوذة على عجل لغرفة نزل قذرة. سريرٌ قديم فوقه بطّانية مطبوعةٌ بأزهار باهتة وطاولة قهوة خشبية. على تلك الطاولة كانت هناك ورقةٌ بيضاء وقلادةٌ فضّية.

حتّى في هذه اللقطة السيّئة، كانت قلادة جيسيكا سيلفر تلمع بوضوح.

تعرّفت عليها مايا في الحال. حاولت ألّا تصرخ وهي تصارع لفهم ما قد يعنيه ذلك.

- «هل هذه...»، قالت والدة مايا. «هل هذه قلادة جيسيكا سيلفر؟».

كانت مايا ستميّز هذه القلادة في أيِّ مكان. لقد حدّقت لساعاتٍ طويلة في تلك الصورة الأخيرة الغامضة التي التقطتْها الكاميرات الأمنية لجيسيكا خارج مدرستها. تعرف مايا بالضبط ماذا

كانت ترتدي جيسيكا قبل ساعاتٍ من وفاتها. الزيّ المدرسيّ الكحلي، الحذاء الرياضيّ الأبيض، القلادة اللامعة المصنوعة من فضّة حقيقية.

ملأ النص المكتوب في الورقة الشاشة:

أنا آسفٌ جدّاً، مكتوبٌ بخطّ اليد بواسطة قلمٍ أزرق.

أُصيبت مايا بالدوار.

- «لكنّه لم يفعل ذلك»، قالت مايا لكريغ بوهن. «هو أخبرني... في الصحراء... وكان يقول الحقيقة...».

كانت مايا متأكّدةً تماماً.

- «لقد كنتِ ثابتةً على موقفكِ حيال هذه النقطة. لا يبدو أن رجال الشرطة قد فحصوا القلادة بعد، بحثاً عن حمض جيسيكا سيلفر النووي».

- «إنّها قلادتها»، اعترفت مايا.

تذكّرت تلك الحقيبة القماشية التي رأت بوبي يأخذها معه. فكّرت في التذكارات القليلة التي كان يحشرها في الحقيبة. هل يمكن أنَّ القلادة كانت منها؟

حاولت جاهدة أن تجعل هذا الكشف يتوافق مع نظرتها إلى كلِّ شيء. لا شيء منطقي.

- «دعينا نأمل ألّا تكون تلك قلادة جيسيكا. لأنّه إذا كان الأمر كذلك، فيمكن للمدّعي العام أن يثبت أنَّ ريك ليونارد كان على علمٍ بأمرها... فيصبح دافعكِ لقتله واضحاً تماماً».

فران

16 أكتوبر، 2009

كانت فران غولدنبرغ تستعدُّ للنوم حين سمعتْ صوتاً غريباً من جهة الحمّام. كانت قد أصبحت معتادة على ضوضاء الليل في فندق أومني. لكنَّ هذه الضوضاء جديدة من نوعها.

كانت نوعاً من التنهّد أو الحشرجة غير الواضحة وغير المنتظمة، لكنّه صوتٌ بشريّ.

ضغطتْ بأذنها على جدار الحمّام، حيث جدار حمّام واين في الجهة الأخرى. كانت تستطيع سماعه وهو يستحمّ في بعض الأحيان. كرهتِ التفكير في أنّه يستطيع سماعها بالمثل.

بدا الأمر وكأنّه يتقيّأ.

- «واين؟». نقرت بأصابعها على الحائط. «هل أنتَ بخير؟».

لا جواب. تنهُّدٌ فقط.

- «واين؟».

لا جواب مجدّداً.

شعرت بالقلق. لبستْ نعالها وخرجتْ إلى الردهة. كان الطابق الثاني عشر في هذه الساعة هادئاً على نحوٍ مخيف.

توجّهت إلى باب غرفة واين، وطرقت مجدّداً.

أين كان غلين، الحارس الليلي الذي كان متواجداً قرب المصعد على مدى الساعة؟ نزلتْ فران إلى البهو لتجد على كرسيِّ غلين حارساً غريباً، ليس واحداً استطاعت التعرّف عليه. كان هذا الحارس البديل نائماً بعمق. هل توقظه؟ وماذا ستقول - إنّها سمعتْ أصواتاً غريبة قادمة من غرفة واين؟ ستبدو مجنونة، أو فضولية، أو مصابةً بجنون الارتياب، أو كلّ ذلك معاً. ماذا لو واجهت مشكلةً بسبب خروجها من غرفتها في تلك الساعة المتأخرة؟

ربّما تكون فران قد اعترفت لاحقاً أنّها كانت أكثر من متوتّرةٍ قليلاً حين أخذت بطاقة المفتاح الإلكتروني الخاصّة بالحارس عن الطاولة القابلة للطيِّ بجوار كرسيّه. لم تكن بطبيعتها شخصاً يخالف القواعد. واين ومايا - هذان كانا كذلك. ربّما أخذت تتأثر بهما نظراً لأنّها عالقةٌ هنا معهما منذ بعض الوقت.

عادت إلى غرفة واين، مرّرت البطاقة عبر القفل، وفتحت الباب.

- «واين؟».

كانت الأضواء مضاءة في الداخل، وباب الحمّام مفتوح.

سمعتْ صوت الحشرجة مجدّداً.

اقتربتْ من الحمّام.

كان واين مستلقياً على الأرض في وضع الجنين. قيءٌ وبصاق على وجهه، وذقنه، وعلى البلاط البارد.

جثتْ فران بقربه. كان ينازع للتقيّؤ عبر نوبات تشنّجية عنيفة. لم تخرج كمّية كبيرة من السوائل، دفق صغير من الصفراء فحسب.

- «واين»، قالت فران. «واين».

كانت عيناه مفتوحتين، الحمد لله.

- «فران؟»، تمتم بصعوبة.

- «ماذا حدث؟ هل أنتَ بخير؟».

رأت عندها زجاجة الدواء الفارغة على الأرض أسفل المغسلة. رفعت رأس واين بإحدى يديها، ومدّت الأخرى لتحضر الزجاجة.

لم تتعرّف على اسم الدواء. هل كانت هذه حبوباً منوّمة؟

- «فران؟». كان صوته ضعيفاً، لكنّه كان يتحدّث على الأقل.

- «نعم يا عزيزي، أنا هنا»، قالت له.

لم تكن فران موجودة عندما مات ابنها الأكبر، جوش. لقد كان على الجهة الأخرى من الكوكب. في تلك المرحلة، لم يكن لديها حتّى رقم هاتفٍ له منذ شهور. اكتشفتْ في النهاية أنّه كان في تايلاند. ذهب إلى هناك ليشرب، ويتعاطى المخدّرات، ويفعل أيَّ شيءٍ ليدمِّر نفسه. علمتْ أنّ هناك اسماً حتّى للأشخاص الذين بات جوش منهم: **الجاهز للموت**. كان قد سافر إلى بلدٍ رخيص بسعر صرفٍ جيّد كي يدفن نفسه حيّاً، إلى أن توقّف قلبه في نهاية الأمر.

هل بدت غرفة الفندق حيث عثرت عليه الشرطة التايلاندية هكذا؟ هل مات جوش مستلقياً على الأرض فوق بلاطٍ بارد؟

ذهب ابنها الأصغر، إيثان، لاستعادة الجثمان.

- «واين، عزيزي... هل تناولتَ كلَّ هذه الحبوب؟».

أومأ برأسه، بدا محرجاً. «لقد كان ذلك خطأً، حاولت أن أخرج كلَّ شيء»، همس بصعوبة.

- «التقيّؤ جيّد. لقد أخرجت الحبوب من معدتك، سوف تكون على ما يرام». كانت تحاول أن تقنع نفسها بذلك.

كان يبكي. ربّما كانت الدموع آخر ما تبقّى لديه ليلفظه خارجاً.

حاولت الوقوف فيما كانت تعيد رأسه إلى الأرض.

- «لا، أرجوكِ»، توسّل إليها.

- «أحتاج للتأكد أنَّكَ في أمان».

- «لا تخبري أحداً».

أخذتْ نفساً. «واين، لا بدَّ أن أحضر طبيباً».

- «أرجوكِ، أرجوكِ، أرجوكِ».

كان حجمه ضعف حجمها تقريباً، لكنّها لم تصدّق كم بدا صغيراً وهو متكوِّرٌ على الأرض هكذا.

- «لقد أخرجتُ كلَّ شيء، كلُّه ذهب»، ناشدها.

كانت فران قد تلقّت تدريباً كافياً على الإسعافات الأوّلية من رحلات التخييم المدرسية لأبنائها كي تعرف أنَّ كلَّ ما سيفعله المستشفى هو غسيل معدة واين. ولم يتبقَّ شيءٌ هناك لغسله.

ملأت كوب ماءٍ من المغسلة، وجثت بقربه مجدّداً.

- «سنعقد صفقةً صغيرة»، قالت له. «ستشرب هذا الماء، ثمَّ سنتأكّد أن تتقيّأه بالكامل. ثمَّ نعيد الكرَّة أكثر من مرّة إلى أن نتأكّد أنّه لم يتبقَّ أيُّ شيءٍ في معدتك. ثمَّ ستشرب كمّيةً أكبر من الماء، وسنبقى مستيقظين طوال الليل، حتّى أتأكّد أنّكَ بخير». جعلتْه يشرب أولى رشفاته من الماء. «ثم في الصباح، يمكننا أن نتحدّث حول الخطوات التالية».

نظر إليها، وكان هذا أوّل تواصلٍ بصريّ معها.

- «يجب أن أخرج من هنا»، همس بين رشفةٍ وأخرى.

- «من الحمّام؟».

- «لا... من هنا... لا أعتقد أنّني أستطيع تحمّل هذا أكثر».

أمسكتْه فران بإحكام، أمسكته على النحو الذي لم تتمكّن أبداً من أن تمسك به جوش. وضعت رأس واين في حجرها ومرّرتْ يديها في شعره الأشقر الناعم. متى كانت آخر مرّة وضع جوش رأسه في حضنها هكذا؟ هل سمح لها يوماً بمداعبة شعره؟ في كلِّ مرّة أخبرتْه كم تحبُّه كان يستدير مبتعداً. أبسط وأكثر أشكال العاطفة بدائيةً ومباشرةً كانت أكثر مما استطاع تحمّله الصبي - ثمَّ الرجل - الذي لطالما اعتقد أنّه لا يستحقّها.

مالت للخلف لتستند على الجدار، ثمَّ أغمضت عينيها. لم تكن ستنام بالطبع.

- «يجب أن نخرج من هنا»، تمتم واين مجدّداً.

نعم، علينا ذلك. فكّرتْ فران.

في الصباح التالي، أخذت فران بطاقتها وقلمها، وللمرّة الأولى كتبت «غير مذنب».

كانت هناك الآن عشرة أصوات «غير مذنب»، وصوتان «مذنب». فقط جاي وريك كانا قد بقيا في المعسكر الأخير.

- «ماذا حدث؟»، سأل ريك كلّاً من فران وواين. كانا في الأمس فقط في صفّه.

هزَّ واين كتفيه فحسب. «هذا هو تصويتي».

بحثت فران عن صورة جيسيكا سيلفر. آخر صورةٍ أُخِذت لها في المدرسة، وهي ترتدي الزيّ الرسمي والقلادة الفضّية.

رفعتْها فران كي يراها الجميع. «يمكننا الجدل في هذا طوال

اليوم. وقد فعلنا ذلك لأيّام عديدة. لكنَّ المسألة في النهاية هي أنّنا لا نعرف. نحن لا نعرف شيئاً عن بوبي. لا نعرف شيئاً عن جيسيكا. لا نعرف ما الذي كان يدور في رأسها حقّاً، أو في رأسه، وما الذي كانت تخفيه عن والديها أو عن أيِّ شخصٍ آخر... وهذا هو بيت القصيد».

لمستْ فران طرف الصورة بإبهامها، وكأنّها تداعب وجه الفتاة. «تستحق جيسيكا سيلفر الأفضل منّا. تستحقُّ أن يعرف العالم على وجه اليقين مَن قتلها. إذا قمنا بإدانة بوبي نوك، فسينتهي التحقيق. والشرطة ستنفض يدها من الأمر. وكلُّ هذه الكاميرات التي تحتشد في الخارج كلَّ صباح سوف تبدأ في البحث عن الضحيّة التالية، اللغز الكبير التالي... لكنَّ جيسيكا تستحقُّ ما هو أفضل من ذلك. هي تستحقُّ ما هو أفضل من أن ينتهي كل هذا هنا في هذه الغرفة، معنا نحن الاثنا عشر المتعبون الذين لا نملك سوى أفضل تخمين للأمر. أنا لا أستطيع أن أتحدّث نيابةً عن واين، لكنّني سأصوِّتُ بـ«غير مذنب» لأنّنا لا نعرف، وجلُّ ما أتمنّاه أنّنا يوماً ما، سوف نعرف».

21

أحدثُ الأخبار البغيضة لهذا الأسبوع

الآن

جلست مايا ووالداها يقلّبون المحطّات الإخبارية وشاشات الهواتف الذكية بحثاً عن آخر المستجدّات. تناوبوا على قراءة التقارير الجديدة من تويتر وفيسبوك وكلِّ موقعٍ «إخباري» ممكن. كان كلُّ تحديثٍ للأخبار محيّراً أو يتعارض تماماً مع التحديث السابق. ماذا ستصدّق؟ قرأ والد مايا عن تويتر بصوتٍ عالٍ أيَّ شيء كان يبدأ بكلمة «مؤكّد»، فيما كانت والدتها تستقي الأخبار من الوسائل التقليدية الراسخة - **نيويورك تايمز**، **واشنطن بوست**، CNN، وصحيفة ألباكركي المحلّية. لكنَّ هذه المواقع لا تُحدَّث إلّا كل نصف ساعة.

نشر أحد أصدقاء والدة مايا على فيسبوك صوراً للنُزل الذي عُثر فيه على بوبي. لكنَّ صحافيّاً كذَّب تلك الصور بعد عشرين دقيقة بحسب ما رأى والد مايا على حسابه في تويتر. من الواضح أنّها كانت صورة لنُزلٍ يحمل اسماً مشابهاً، حيث كان شخص آخر قد انتحر قبل أربع سنوات.

نشرت صحيفة **ديلي ميل** البريطانية بكفاءةٍ مذهلة - نظراً لبعدها الجغرافي عن موقع الحدث - اقتباساتٍ عن شاهد عيان في الفندق. قال الشاهد إنَّ بوبي نوك قتل نزيلاً آخر كان قد تعرّف عليه قبل أن يُقدِم على شنق نفسه. كان تصديق هذا الخبر حتّى أكثر صعوبة على مايا، لكنّها بدأت تعطيه وزناً حين تمَّ تأكيده عبر حسابٍ تابع لوكالة أسوشيتد برس على تويتر. لكنَّ أيّاً من القنوات الفضائية لم تأتِ على ذكر ذلك.

بعد مرور تسعين دقيقة، اعترفت الأسوشيتد برس أنّها أكّدت قصّة **ديلي ميل** استناداً إلى شاهد العيان نفسه. بعد خمس وثلاثين دقيقة من ذلك، حدّدتْ صحيفة **دالاس مورنينغ نيوز** «شاهد العيان» هذا على أنّه محتالٌ معروف. في غضون ساعة، كانت قصة **ديلي ميل** قد اختفت عن الإنترنت، وكأنّها لم تكن موجودة، وتمَّ حذف كلِّ التغريدات بهذا الشأن، كما أعلنت أسوشيتد برس أنَّ المقالة قد سُحبت.

مضت الساعات. كانت المعلومات تتوارد تباعاً («كتب بوبي نوك رسالة انتحارٍ من 45 صفحة»). ثم معلومةٌ نقيضة («تحديث: بوبي نوك لم يكتب رسالة انتحار»). استُخلِصتِ التداعيات السياسية من الحقائق الشحيحة مثل قطراتٍ سُحبت من قاع بئر جفّت منذ زمن بعيد («إنَّ رسالة انتحار بوبي نوك الموجّهة إلى حركة «حياة السود مهمة» تُثبت عدم صواب سياسات الهويّة(*)»). بعد مرور خمس ساعات، لم يكن يمكن لمايا، أو لوالديها، أو لأيِّ أحدٍ، أن يدّعوا

(*) سياسات الهويّة: هي السياسات التي تتشكّل بموجبها أحلاف على أساسٍ عرقيٍّ أو دينيٍّ أو إثنيٍّ - المترجم.

على نحوٍ منطقي أنّهم باتوا أكثر اطلاعاً ممّا لو قضوا هذا الوقت نائمين فحسب.

قرب فترة العصر، عقد المأمور المحلّي في بروارد، بتكساس، مؤتمراً صحفياً عرض خلاله ما كان يعرفه بالفعل أي شخصٍ كان يتابع القصّة.

كان مراسلو صحف الفضائح الأسترالية قد تعقّبوا بوبي نوك إلى النُّزل. حين لم يحصلوا على ردٍّ بعد أن قرعوا على الباب، استطاع المراسلون إقناع الموظّف بفتح باب الغرفة، حيثُ وجدوا بوبي معلّقاً من مروحة السقف. عثرت الشرطة على رسالة انتحار فوق طاولة القهوة، على بعد بضع بوصات من قدميه. كان خطُّ اليد في الرسالة مطابقاً للخط في الاستمارة التي ملأها بوبي في مكتب الاستقبال عندما سجّل دخوله إلى الفندق باسم كريس رومل.

في الواقع، كان ما قالته رسالة الانتحار ببساطة: «أنا آسفٌ جدّاً».

كما أكّد المأمور أنّه بجانب الجثة كانت هناك قلادة فضّية، وأشار إلى أنَّ صور القلادة كانت قد تسرّبت إلى الصحافة.

كان لدى المأمور معلومة جديدة واحدة ليقولها: تم انتزاع بضع شعيرات شقراء من مشبك القلادة، وكان اختبار الحمض النووي جارياً. لكنَّ عينه تخبره - بحسب تعبيره - أنَّ لون تلك الشعيرات مطابقٌ للون شعر جيسيكا سيلفر.

جيسيكا. ريك. بوبي.

شاهدتْ مايا غروب الشمس في أفق المحيط البعيد، فيما كان الأموات الثلاثة يتداخلون ويتشابكون بسرعة داخل رأسها. أدّى مقتل

جيسيكا سيلفر إلى بدء سلسلةٍ من الأحداث التي أدّت إلى مقتل ريك ليونارد. وأدّى مقتل ريك ليونارد إلى انتحار بوبي نوك. كانت مايا قد حاربت من أجل إحلال نوعٍ من العدالة، أو الحقيقة، لكن لم ينجم عن ذلك سوى إزهاق المزيد من الأرواح. وسرعان ما ستدور دائرة الموت والهلاك هذه ساعيةً للنيل منها هي أيضاً.

ما زالت مايا غير مصدِّقةٍ أنَّ بوبي قتل جيسيكا، لكنّها استطاعت أن تتخيّله وقد تمكّن منه اليأس والوحدة لدرجة أنّه قتل نفسه. حاولت مرّةً بعد مرّة أن تبحث عن أيِّ تفسيرٍ آخر لموته. ومرّةً بعد مرّة ما انفكّت أفكارها تعود بها إلى لو سيلفر.

إن كان لو قد قتل جيسيكا، كما كان بوبي يشتبه، ومن ثمَّ أخذ القلادة من جثّتها... واحتفظ بها لعشر سنوات... والآن فقط زرعها حيث كان بوبي... بعد أن قتله وجعل الأمر يبدو بطريقةٍ ما وكأنّه انتحار...

لكن ها هنا يتداعى البناء المنطقي. لمَ قد يحتفظ لو بالقلادة؟ حتّى لو كان قد أخذ قلادة ابنته بعد قتلها لسببٍ لا يمكن تفسيره، فلمَاذا لم يُلصِق دليلاً مثل هذا ببوبي قبل عقدٍ من الزمان؟ ألن تكون القلادة دليلاً أكثر إدانة حين كان بوبي خاضعاً للتحقيق لأوّل مرّة؟ إذا كان لو - أو أيُّ شخصٍ آخر - يحاول إلصاق تهمة القتل ببوبي، فقد فعل ذلك بطريقةٍ سيّئة للغاية، ناهيك عن التوقيت الرديء.

حاولت مايا استحضار نوعٍ من نظرية المؤامرة الكبرى يمكن لها أن تفسّر حالة اللا منطق الباعثة على الإحباط. لكنَّ كلَّ سيناريو كان «القاتل الحقيقي» يحاول فيه إلصاق التهمة ببوبي بدا ساذجاً على نحوٍ كبير.

اتّصلتْ مايا بكريغ بشكل متكرر في الأيّام التي أعقبت وفاة

بوبي، وأغرقتْه بنظريّاتها ذات الحبكة المعقّدة. كان صبوراً جدّاً، خاصّةً أنّه لم يكن مهتمّاً أبداً في معرفة مَن قتل جيسيكا سيلفر.

- «ماذا عن دليل ريك الغامض الجديد ضد بوبي؟ ما زلنا لا نعرف ماذا كان»، سألتْه مايا.

- «ما لم يكن الدليل هو القلادة نفسها. إن كان ريك قد اكتشف بطريقةٍ ما أنّها لا تزال بحوزة بوبي، ثمَّ واجهه بأمرها في ميراكل، أو حاول سرقتها، وهذا ما جعل بوبي يهرب...».

- «لماذا إذاً لم يخبرني ريك بذلك فحسب؟ لمَ كلُّ هذه السرّية؟».

- «ليست لديَّ فكرة. ربّما كان لدى ريك خطّةٌ ما في جعبته؟».

- «لا شيء من ذلك يفسّر ما حدث لريك في غرفتي بالفندق».

- «ما لم تقتليه أنتِ في شجار. لأنَّ هذه النظرية تشرح كلَّ شيء»، ردّ كريغ بلطف.

أرادت أن تصرخ: **لكنّني أعرف أنّي لم أقتله**، لكنها اختارت أن تعفي كريغ من أيِّ احتجاجٍ جديد على مسألةِ براءتها.

فكّرت في تجّار المخدّرات المسلّحين بالبنادق الذين قابلتهم في إيست جيسوس. والمعتدين الجنسيين الذين قابلتْهم في ميراكل. هل كان أيٌّ منهم مستعدّاً لقتل ريك نيابةً عن بوبي؟ من المؤكّد أنَّ أيّاً منهم كان قادراً على فعل ما يعجز عنه بوبي: التسلّل إلى فندق أومني دون أن يُكشَف أمره. ولكن كيف كان يُفتَرض بمايا أن تُثبت ذلك في المحكمة؟

ذات مرَّة، وظّفتْ مايا طبيبةً نفسية كي تقيّم أحد موكّليها. كانت رائعةً على منصّة الشهود. تحدّثت بإسهاب عن «دورات العنف» التي

كان فيها موكّل مايا الضحية والمرتكب في الآن نفسه، مثل المدّ والجزر: لا مفرَّ منهما مثل جاذبية قمرٍ مكتمل.

في نظر مايا، بدت هذه «الدورات» مثل الصحاري فقط. هي لم تكن تؤمن بالكارما. العنف بالنسبة لها كان مرضاً وعدوى. كلُّ مَن اقترب منه أصيب به. الناجون منه، والمتفرّجون عليه، ساعدوا جميعاً على جلب المزيد من العنف إلى هذا العالم.

شعرت مايا بالغباء. يمكنها أن تلوم شرور العالم كما تشاء. ولكن إذا كانت أحدث الأخبار البغيضة لهذا الأسبوع صحيحة، فسيكون لزاماً عليها في النهاية أن تعترف أمام نفسها والآخرين بأنَّ كلَّ هذه الكوارث الأخيرة - مقتل ريك ليونارد، وانتحار بوبي نوك، وملاحقتها القضائية القادمة - حدثت لأنّها قبل عشر سنوات، كانت مخطئة.

بقيت مايا في ماليبو تحت العيون المترقّبة لوالديها القلقين. أمضوا معظم الوقت جالسين على أرائك غرفة المعيشة أو حول طاولة المطبخ، محاولين ألّا يقعوا فريسة الهوس بالسيل المستمرّ للأخبار والإشاعات.

انقلبت حياة عائلة بوبي نوك إلى جحيمٍ مجدّداً. كان الجميع يلاحقون والديه للحصول على ردِّ فعلهما حيال انتحار ولدهما. عومِلا مثل مجرمَين، حتّى أنَّ والد بوبي اعتذر إلى لو سيلفر. قال أمام الكاميرا إنّه وبينما كان دائماً يصدِّق ابنه قبلاً، فلا مفرَّ من الحقيقة الآن. كان آسفاً جدّاً لأنَّ ولده قتل طفلة شخصٍ آخر.

اتَّصلتْ مايا بلو سيلفر في صباح اليوم التالي لانتحار بوبي. ردّت نفس المرأة التي ردّت في المرّة السابقة، وقالت إنَّ لو سيعاود

الاتّصال بها. لكنّه لم يفعل. اتّصلت مايا مجدّداً في اليوم التالي، واليوم الذي تلاه، لكنَّ المرأة كرّرت فحسب أنَّ لو سيعاود الاتّصال بها بأسرع وقتٍ ممكن.

كان على مايا أن تقبل حقيقة أنّها أدّت الغرض الذي كان مطلوباً منها، وانتهى الأمر. هل أخبر لو المراسلين أن يلحقوا بها إلى إيست جيسوس؟ هذا وارد. لكن حتّى لو لم يفعل ذلك، فقد كان يعلم أنَّ إرسالها إلى بوبي نوك سوف يحرّض على نحوٍ مؤكّد نوعاً من ردِّ الفعل - من مايا، أو من بوبي، أو من أعين الفضوليين. أراد لو إنزال عقابٍ ببوبي بطريقةٍ أو بأخرى، وكان استخدام مايا كمحفِّز طريقةً أخرى لإلحاق الألم. لقد نجحت خطّة لو على نحوٍ أفضل ممّا كان يأمل: بوبي ميتٌ الآن. لن يكون لمايا أيّة فائدة في المستقبل.

هل أساء لو معاملة جيسيكا، كما ادّعى بوبي؟ حتّى لو كان بوبي قد قتلها، يمكن أنّه كان يقول الحقيقة بهذا الشأن. ربّما أساء لو معاملة جيسيكا ثمَّ قام بوبي بقتلها. أو ربّما كان بوبي منخرطاً في علاقةٍ غير لائقةٍ معها فقتلها لو بسبب ذلك.

عقد لو مؤتمراً صحفياً بعد يومين من انتحار بوبي. تابعت مايا ووالداها المؤتمر من غرفة المعيشة في منزل كريغ. كان صوت المحيط يتناهى إليهم عبر النوافذ المفتوحة.

وقف لو بجانب تيد مورنينغستار، المتقاعد الآن، على منصّةٍ وُضعت عند الدرجات الأمامية لقصر العدل. تناوب الرجلان على تهنئة بعضهما على هذا الإثبات لوجهة نظرهما، وعلى هذه العدالة المتأخرة.

بدا لو أطول على التلفاز، ويكاد يكون وسيماً. أو ربّما لم تكن معتادة على رؤيته يبتسم فحسب.

كانت مايا قد شاهدت مورنينغستار عدّة مرّات منذ المحاكمة في مقابلات تلفزيونية، قدّم خلالها شروحات قانونية توضّح بالتفصيل كل الوسائل التي استخدم بها محامو الدفاع الأذكياء «ورقة العِرق[*]» لكسب التعاطف مع موكّليهم. تتذكّرُ مايا أنّه كان قد كتب روايةً غامضة في مرحلةٍ ما - نسخةٌ خيالية فضفاضة من جريمة قتل جيسيكا سيلفر كان هو البطل فيها. صوّر نفسه أقرب إلى ديرتي هاري، رجلٌ نزيه ومباشر، كارهٌ جدّاً لـ «محتالي العِرق». فكّرتْ مايا آنذاك كم كان ذلك منحرفاً، الطريقة التي سمح بها موت الفتاة للكثيرين منهم أن يعيشوا أوهامهم البطولية. لطالما أراد مورنينغستار أن يكون كلينت إيستوود[**]. ربّما أرادت غيبسون أن تكون جوني كوكران[***]. فكّرت مايا أنّها أشبه بهنري فوندا من فيلم **اثنا عشر رجلاً غاضباً**. المحلّفة الوحيدة التي كانت شجاعةً بما يكفي لتقول الحقيقة لأقرانها القساة العاجزين عن رؤياها.

ميّزت مايا وجهاً متيقّظاً بين صفوف موظفّي الخدمات المدنية يقف في خلفية الصورة: بدا نائب المدّعي العام بن غاو جاهزاً، بل وقادراً على الاستمرار في عملية تنظيف هذه الفوضى الرهيبة. كان وجوده في المؤتمر يشير إلى أنّه وبالرغم من أنَّ بوبي نوك كان قد

(*) ورقة العِرق: إنَّ لعب ورقة العِرق هو مصطلح يشير إلى استغلالٍ سيّئ النية للمواقف العنصرية أو المناهضة للعنصرية بين الجمهور المعني بهدف الفوز بأفضلية في موقفٍ ما - المترجم.

(**) كلينت إيستوود: ممثّل أمريكي شهير، كانت سلسلة أفلام ديرتي هاري السبب الرئيسي في انطلاقته وشهرته الكبيرة - المترجم.

(***) جوني كوكران: محامٍ مشهور، برّأ أوجيه سيمبسون في قضية مقتل زوجته - المترجم.

أفلت، بضربة حظ، من أن تُطبَّق عليه العدالة الكاملة جزاء جرائمه، فإنَّ مايا لن تكون محظوظة مثله. إذا ظنّتْ أنّهم قد طاردوا بوبي حتّى أقاصي الأرض، فلتنتظر فقط حتى ينتهي بن غاو منها.

كانت مع لو سيلفر على المنصّة زوجته إيلين. بدت مشدوهةً وغير قابلةٍ للقراءة بقدر ما كان زوجها متحمّساً. مالت مايا مقتربةً أكثر من الشاشة. إذا كان بوبي صادقاً بشأن إساءة المعاملة، فإنَّ إيلين كانت قد عانت كثيراً، كما أنّها تستّرت على سلوكٍ فظيع. ما الذي كان يدور وراء تلك الخطوط الخاملة لوجهها المرتّب بعناية؟

كانت هناك مسحةٌ مأتمية في انفعال لو الواضح عند إدلائه بتعليق في شكلِ اعتراف: «أنا مرتاحٌ لكوني قادراً على قول إنَّ العدالة قد تحقّقت»، قال أمام الكاميرات.

مَن يستطيع لومه؟ على مدى عقدٍ من الزمان، كان كلُّ ما سعى إليه هو العدالة التي قال أشخاصٌ مثل مايا إنّه من غير الممكن تحقيقها. لقد ثابر دون أن ينال اليأس منه، رغم كلّ المشكّكين، ورغم المرور المرهق للزمن.

طلب أحد المراسلين من لو التعليق على هيئة المحلّفين التي برّأت بوبي. جفل بن غاو في خلفية الصورة.

استجمع لو قواه قبل أن يردّ. «أنا لا ألوم هيئة المحلّفين. لقد خُدِعوا ببوبي نوك، كما حدث مع الكثيرين. لقد ارتكبوا خطأً، لكنّي أعتقد أنَّه كان خطأً نزيهاً».

سأل مراسلٌ آخر: «هل تعتقد أنَّ مايا سيل قتلت ريك ليونارد؟».

ملأت صورُ وجهها الشاشةَ.

- «أعتقد أنَّ الأمر متروكٌ لهيئة محلّفين جديدة كي تقرّر بهذا الشأن». هزَّ لو رأسه كما لو أنّه يأسف على تقلّبات القدر. «أتمنّى لو

كانوا قادرين على الاعتراف بخطئهم. مايا سيل... حسنٌ، يمكنكم أن تروا ماذا يحدث عندما يبالغ شخصٌ ما في تعنّته ويكون عاجزاً عن الاعتراف بأنّه كان مخطئاً».

طرح عليه المراسلون المزيد من الأسئلة، لكنَّ لو ما كان ليعلِّق أكثر على ما وصفه بـ «تحقيقٍ جنائي لستُ على درايةٍ به».

عرضوا لقطاتٍ لمايا أُخذت في إيست جيسوس. بدتْ وكأنّها شريكة بوبي. الكيفية التي سُلِّطت فيها أضواء الكاميرات على عينيها في ليل الصحراء الكالح جعلتْها تبدو ممسوسة. «منذ متى كانت تعرف أين هو؟»، سأل المذيع حين انتهى المؤتمر الصحفي وعاد البثُّ إلى الإستديو. «منذ متى كانت تحميه؟».

- «اللعنة»، قال والدها بجانبها على الأريكة. وضعت أمّها يدها على ركبته في محاولةٍ لتهدئته.

- «أبي، لا بأس»، قالت مايا.

- «لا يمكنهم أن يقولوا مثل هذه الأشياء عنك».

كانت أذكى من أن تطفئ التلفاز. لا فائدة من إخفاء هذا عنه. مهما حدث، فسوف يجلس مثل شخصٍ مخدَّر يشاهد إعادات هذه البرامج طوال الليل.

- «مَن يهتمُّ بما يقولونه عنّي؟»، قالت له.

نظر إليها وكأنّها كانت حقّاً تلك المعتوهة التي جعلوها تبدو عليها. «أنا أهتمّ».

وكاد ذلك أن يكسر قلبها مجدّداً.

اكتشفت مايا أنَّ كونها منبوذة كان أسهل في المرّة الثانية. كانت قد حصلت على خبرة كبيرة في تجاهل التعليقات، وكلٍّ

آثارها السيّئة. ألقى كوميديٌّ في أحد البرامج الليلية المتأخرة نكتةً حول «سلطة بوبي نوك على الفتيات البيض»، واضطر لاحقاً للاعتذار عنها علناً. لم يكن الجمهور قد عرف عن علاقة مايا بريك حتى الآن، الأمر الذي أعفاها من إذلالٍ إضافي. لكنَّ معظم المعلّقين والمحلّلين على شاشات التلفزيون كانوا يعتقدون أنّها قتلته. «هل درَّب بوبي نوك محلّفاً كي يقتل من أجله؟». كان هذا الأكثر غرابة من بين سيلٍ من العناوين الرئيسية. الجميع ربّتوا على أنفسهم لأنّهم كانوا على حقّ بشأن بوبي من قبل. منح ذلك قناعتهم بأنَّ مايا مذنبة زخماً قوياً الآن. لكنَّ القدرة على توقّع حججهم قلّلت من حدّة الألم الناجم عن ذلك.

هذه المرّة، كانت مايا أذكى من أن تشعر بالامتنان تجاه المدافعين عنها بشكل عرَضي. حتّى أولئك الذين زعموا أنّهم يقفون في صفّها الآن - أولئك المراسلون الجريؤون وبعض القانونيين المتحمّسين - سوف يلقون بها تحت عجلات الحافلة عند أول فرصة يستطيعون فيها بطريقةٍ ما أن يكونوا مؤيّدي الحزبين في آرائهم. كانت مكبّرات الصوت محجوزةً لأولئك الذين انفصلوا عن «الجانب» الذين ينتمون إليه انفصالاً يكفي فقط ليظهروا بمظهر مناصري الحقّ، مثل عضو الحزب الجمهوري المؤيّد للسيطرة على السلاح، أو عضو الحزب الديمقراطي الذي يريد إلغاء ضريبة العقارات(*). كانت بعض الأهداف سهلة الإصابة لدرجة أنّه كان على الجميع أن يطلقوا عليها.

(*) الموقف المعروف والتاريخي للحزب الجمهوري هو دعم حق الأفراد في امتلاك السلاح ومقاومة كل مشاريع القوانين الداعية للسيطرة عليه، وفي المقابل يُعرف عن الحزب الديمقراطي دعمه لفرض ضرائب أعلى على الأغنياء - المترجم.

«يمكننا أن نتَّفق جميعاً بالتأكيد...». وبالتأكيد، فإنَّ ما يمكن أن يتّفقوا عليه جميعاً هو أنَّ مايا كانت قد تحايلت على العدالة عند كلِّ منعطف.

وجدت نفسها تتذكّر بحنينٍ ساذج كلَّ الاتّهامات التي وجّهها ريك لها علناً قبل عشر سنوات. لقد تسبَّبت لها تلك الاتّهامات بجروح عميقة آنذاك. لكن لكمْ بدت كلُّ اتّهاماته الآن طريفةً ومعقولة مقارنةً بهذا الجنون الحالي. أدركتْ أنَّ أكثر ما كانت تريد قوله لريك، لو أنّه كان هنا ليسمعها، هو «أنا أسامحكَ».

هل كان سيهتمّ؟ ما كانت لتعرف أبداً. لكنّها كانت الحقيقة.

كانت ستنجح في تجاوز هذه المرحلة مسلَّحةً بالصلابة الواقعية التي اكتسبتْها بالتجربة. كانت تعرف ما يقوله الناس عنها ولماذا، وكان لديها من المخاوف ما هو أكثر إلحاحاً. كان عليها أن تُبقي نفسها خارج أسوار السجن.

في اليوم الرابع بعد وفاة بوبي، وبمجرّد أن بدأتْ دورة الأخبار في التبدّل، عادت مايا إلى لوس أنجلوس.

عادتْ إلى مكاتب شركة المحاماة التي تعمل بها، لكن كموكِّلة.

كان الجميع مهذَّبين على نحوٍ مؤلم حيال ذلك. استقبلتْها كريستال بعناقٍ دافئ. كان عليهم «إحضار» مايا الآن، فهي لم تكن حرّةً في التجوّل بين المكاتب والقاعات.

- «هذا غريبٌ للغاية»، قالت كريستال وهي تحتضنها.

- «أنتِ تقولين لي ذلك؟».

هل لا تزال مايا تعمل هنا من الناحية التقنية؟ أمكنها فقط أن

تسأل نفسها هذا السؤال بينما كانت تلحق بكريستال إلى مكتب كريغ. اعتُرض طريقهما مراراً لأجل عناقات من الزملاء وبعض كلمات التشجيع. حالياً هي تعتبر في إجازة، لكن قريباً، ومع مرور الأسابيع، سوف تحتاج إلى إجراء حديثٍ صريح مع قسم الموارد البشرية. كانت قد أُجريَت عملية إعادة تكليف لقضاياها ذات المواعيد القريبة، على أن تنتظر القضايا الأبعد أجلاً إلى أن يُعرف كم سيستمرُّ غياب مايا.

كان كريغ في انتظارها متكئاً على طرف مكتبه الخشبيّ.

- «مرحباً»، قال لها.

- «مرحباً»، قالت مايا.

نظرتْ كريستال إليهما كلٌّ بدوره. «احرصْ أن لا تذهب إلى السجن فحسب، اتّفقنا؟»، قالت لكريغ. ثمَّ غادرت، وأغلقت الباب خلفها.

- «إذاً نحن ندفع ببراءتكِ، بعكس ما كنتُ أفضِّل. وهو ما يعني أنَّ لدينا الكثير من العمل. الأمر الأكثر إلحاحاً الآن هو: مَن قتل ريك ليونارد؟»، قال كريغ لدى جلوس مايا.

كانت تعرف أنَّ هذا السؤال قادم. «أريد أن ألعب ورقة تعدّد الاحتمالات».

- «إذاً سنجادل بأنّه كان بيتر ويلكي؟ و/ أو واين راسل؟ و/ أو البقيّة؟ لقد حصلتُ على الملفّات التي أرسلتِها. إنّها... يا للهول!».

- «أعرف». إنَّ من بين أكثر المفارقات جنوناً في تلك اللحظة أنَّ ريك كان قد زوَّدهم بأفضل مجموعةٍ من الأدلّة، والتي ربّما بواسطتها تتمُّ تبرئة مايا من جريمة قتله.

واصلت مايا: «بالإضافة إلى أيٍّ من أصدقاء بوبي نوك في ميراكل أو إيست جيسوس. أنا واثقةٌ أنّه يمكن لمايك ومايك أن يعثرا على بعضٍ منهم مع إدانات سابقة بالاعتداء وحجج غيابٍ واهية».

بدا كريغ راضياً. «سأجعلهما يعملان على ذلك في الحال».

- «هل من جديد حول واين؟»، سألت مايا.

- «لا شيء حتّى الآن». هزَّ كريغ كتفيه. «لقد مرَّ أسبوعٌ فحسب».

فكّرتْ مايا في تلك الأشياء السيّئة بشأن واين المذكورة في ملفه، لم تكن بالتأكيد جديرةً بالثناء، لكنّها بالكاد بدت سيّئةً لدرجة القتل.

ومع ذلك، حتّى لو كان ملفُّ ريك بشأنه هزيلاً، فإنَّ التضليل الذي مارسه واين بشأن مكان وجوده ليلة الجريمة جعل منه مشتبهاً به واعداً. «لقد بقي على اتّصالٍ بفران غولدنبرغ بعد المحاكمة. هي أخبرتني بذلك حين كنّا في الفندق تلك الليلة».

لم يبدُ كريغ متأثّراً.

- «ربّما هي تعرف شيئاً حول أين هو الآن»، أضافت مايا.

أخذ كريغ هذا بعين الاعتبار. «سوف أرسل مايك».

- «سأذهب بنفسي».

- «إنَّ فران هي في نفس الوقت شاهدٌ محتمل ضدّكِ ومشتبهٌ به بديل محتمل. لا أريدكِ أن تتحدّثي إليها».

رفعت مايا حاجبها. «هل سبق لمايك أو مايك التحدّث إليها؟ أقصد بعد جريمة القتل مباشرة؟».

- «نعم».

- «ماذا أخبرتهم فران؟».
- «لا شيء».
تركت مايا لإجابة كريغ أن تأخذ مكانها كإثباتٍ لوجهة نظرها.
عقد كريغ ذراعيه على صدره. «حسنٌ، لا بأس».
استدارت مايا كي تغادر.
- «أرجوكِ لا تجعلي وظيفتي أصعب ممّا قد سبق وجعلتِها بالفعل».
ابتسمتْ مايا. «اعتقدتُ أنّكَ أفضل محامي دفاعٍ جنائيّ في لوس أنجلوس».
كانت تغلق الباب خلفها عندما سمعتْه يصيح، «وإيّاكِ أن تجرئي على نسيان ذلك!».

لا تزال فران غولدنبرغ تعيش في لوس فيليز، في منزلٍ من طابق واحد في شارع تريسي، وهو شارعٌ هادئ متفرّعٌ عن جادّة ضخمة، يمتدُّ لنحو نصف ميل ثمَّ يتلاشى داخل شارعٍ رئيسي آخر. كان المنزل المزروع فوق بضع درجاتٍ من الطوب الأحمر معتماً حين قرعت مايا الباب في وقتٍ مبكّر من فترة بعد الظهر. لم يجب أحد.

وهي تنتظر داخل السيّارة، تأمّلت مايا في تحفّظها الرئيسي بشأن النظرية القائلة بأنَّ واين قتل ريك: **لماذا؟**

هل لذلك علاقةٌ بالدليل الذي وجده ريك ضدَّ بوبي؟ لكن فيمَ قد يهمُّ ذلك واين؟ هو لم يعلّق على القضيّة علناً منذ سنوات. ألم يذهب إلى كولورادو ليبتعد عن الأمر برمّته؟

أو هل دخل واين غرفة مايا في تلك الليلة على أمل أن يقتلها هي، لكنّه وجد ريك بدلاً من ذلك؟ بعد أن جعلتْه مايا يمرُّ بكلِّ ما

مرَّ به، كان يمكنها تخيُّل أنَّ واين يرغب في قتلها. لكن أن يحاول ذلك فعلاً؟ ومن ثمَّ حينَ فُتِح باب غرفتها وكان ريك هناك، لماذا قد يُقدِم واين على قتل ريك بدلاً منها؟

بعد أن أمضت أكثر من ساعة مع هذه الأفكار المواربة، لمحتْ مايا أخيراً المرأة التي قد تكون لديها بعض الإجابات على الأقل. كانت فران غولدنبرغ قادمةً من بعيد على طول شارع تريسي. شعرها القصير مدسوسٌ خلف أذن واحدة، وتضع نظّارات سوداء سميكةً وأنيقة. لو لم يكن شعرها أبيضَ على نحوٍ طبيعي، لَظنَّتْ مايا أنّها تلميذةٌ في المدرسة. كانت ذراعاها مثقلتين ببضعة صناديق زهور.

ترجّلت مايا من سيّارتها.

- «مرحباً، ما هذه؟»، قالت لها.

- «صبّاريّات صغيرة»، ردّت فران.

- «هل تحتاجين مساعدة؟».

- «ما الذي تفعلينه هنا؟».

- «هل رأيتِ الأخبار؟».

- «هناك الكثير من الأخبار هذه الأيام، كلَّ يوم».

- «هل يمكننا الدخول؟».

ناولت فران إحدى صناديق الزهور إلى مايا، وقادت الطريق صعوداً نحو المنزل. لاحظت مايا بينما كانت فران تأخذها إلى المطبخ أزهاراً مقطوفةً حديثاً تملأ المنزل المصمَّم على الطراز الإسباني. كانت سطوح السيراميك البيضاء في المطابخ رائجةً ذات يوم، ثمَّ لم تعد كذلك، والآن عادت رائجةً مجدّداً.

- «لم أكن أعلم أنَّ لكِ مثل هذه اليد الخضراء»، قالت مايا.

- «بفضل التقاعد».

- «لطالما رغبتُ في أن أتعلّم أمور البستنة. أمّي تحبّها».

- «ما الذي منعكِ؟».

- «الوقت على ما أظنّ».

صبّت فران لنفسها كأساً من الماء، ولم تعرض واحداً على مايا. «هناك الكثير منه، أكثر ممّا تظنّين».

كان هناك صوت صرير صادر عن حركة فوق ألواح الأرضية الخشبية في العلّية. «الديكِ ضيوفٌ في المنزل؟».

- «إنّه ابني»، قالت فران. «لقد جاء إلى المدينة بعد... ما حدث الأسبوع الماضي».

- «والداي هنا أيضاً. إنّهما يدفعانني للجنون نوعاً ما».

- «هل تتماسكين جيّداً؟».

لو أنّها كانت ميّالة إلى الإجابة بصدق، لَقالت إنّها خائفة من أن تقضي بقيّة حياتها في السجن.

لكنّها سألتْ بدلاً من ذلك: «هل سمعتِ أنّ واين مفقود؟».

التقطتْ فران بتلةً ساقطة من إحدى الزهور.

- «وأنّه كان في لوس أنجلوس ليلة الجريمة؟ هل لديكِ فكرةٌ أين هو؟ ولماذا كان في لوس أنجلوس تلك الليلة بعد أن أخبر الجميع أنّه لن يحضر؟».

ألقتْ فران البتلة الميّتة في سلّة المهملات. «نحن لم نبقَ على تواصلٍ حقّاً».

- «بدوتما مقرّبين جدّاً، بحلول النهاية».

- «نهاية المحاكمة؟». بدت فران مرتابة. «كان يمرُّ بوقتٍ

عصيب. كنّا جميعاً كذلك. . . حين أمرُّ بوقتٍ عصيب، أحبُّ أن أقدّم المساعدة. قال لي أبنائي ذات مرّة إنَّ مساعدتي عبارة عن إكراه».

فهمت مايا هذا الشعور.

عاد صوت الصرير. بدت فران غاضبة. «هلّا تعذرينني؟ يجب أن أتأكّد أنّه لا يحتاج شيئاً».

غادرت وسمعتْ مايا وقع خطواتها على السلّم الداخلي للمنزل. ثمَّ عمَّ الصمت.

نظرت مايا من النوافذ إلى حديقة وردٍ صغيرة في الخلف. كان الممرُّ الخارجي يلتف حول المنزل مؤدّياً إلى ما كان على الأرجح المرأب، وقد يكون الآن مخزناً للأدوات. رُكِنتْ أمام السقيفة شاحنةٌ حمراء ضخمة.

فورد F-150.

سحبتْ هاتفها بسرعة وفتحت صورة لوحة أرقام سيّارة واين راسل الحمراء من طراز فورد F-150. كانت الأرقام متطابقة.

كان واين راسل هنا.

أسرعتْ مايا من المطبخ إلى غرفة المعيشة.

- «مايا؟». كانت فران تنزل السلالم. «هل من مشكلة؟».

نظرت مايا أعلى السلالم وراء فران - كانت مذعورةً من الكذّاب المضطّرب نفسياً الذي في السقيفة.

كان أوّل ما خطر لها هو أن تهرب - لكن ستفهم فران عندئذٍ ما الذي حدث. سوف تخبر واين، وإلى أن تكون مايا قد اتّصلت

بالشرطة ووصلتْ إلى هنا بالفعل، سيكون واين قد رحل. لن يكون لدى مايا دليلٌ أنّه كان هنا أبداً.

- «لا، لا» قالت لفران، وأشارت إلى إناءٍ من الزهور المقطوفة حديثاً في غرفة المعيشة. «كنتُ أتأمّل الزهور فحسب».

من الواضح أنَّ فران كانت تشعر بالفخر حيال زهورها. «من الصعب جعل الأشياء تنمو في التربة هنا».

- «أخبرني أحدهم ذات مرّة أنّه لم يكن من المفترض أن توجد حياةٌ هنا. كان شيئاً ما عن الصحراء». كانت مايا تعرف أنّه ينبغي بها الخروج من هناك. لكنّها إن خرجت، فربّما يكون ذلك بمثابة الركض مباشرةً للوقوع في أحضان حكمٍ بالسجن المؤبّد. إن تمكّنتْ من العودة إلى المطبخ، فسيمكنها التقاط صورةٍ للشاحنة. من شأن هذا أن يعطيها شيئاً لتستخدمه على الأقل.

- «ريك هو مَن أخبرني بذلك»، أضافت مايا.

نزلتْ فران آخر خطوة على السلالم. «لا بدَّ أنّه شيءٌ صعبٌ للغاية، أن يعتقد الجميع أنّكِ قتلتِه».

- «**هل تعتقدين أنّي قتلتُه؟**».

- «بالطبع لا»، ردّت فران وكأنّه سؤالٌ جنونيّ. كأنَّ هذا لم يكن رأي نصف المدينة.

عاد صوت الصرير مجدّداً.

- «هل كلُّ شيءٍ على ما يرام في الأعلى مع ابنك؟»، قالت مايا.

ذهبتْ عينا فران إلى السقف. «ثانية واحدة».

هرعت مايا مسرعةً إلى المطبخ في الثانية التي غابت بها فران

عن الأنظار. أخرجت هاتفها، ووجّهت الكاميرا إلى الخارج عبر النافذة، والتقطت صورةً للشاحنة. تحقّقتْ منها: كانت أرقام لوحة التسجيل مقروءة. حان وقت الذهاب.

استدارت بسرعة لتغادر.

كان واين راسل يقف في المدخل.

كان يرتدي بنطال جينز أزرق اللون، وقميصاً أسود، وحذاءً ثقيلاً. كان قميصه فضفاضاً، لكن عضلاته كانت ظاهرة مع ذلك. لقد نسيتْ مايا كم كان واين ضخماً.

شعرت بساقيها من الخلف تصطدمان بالخزانة.

- «مايا، أنا لن أؤذيكِ»، قال واين.

كان يمكنها أن ترى فران واقفةً خلفه مذعورة. «لن يفعل، حقّاً».

بنقرتين من إبهامها طلبتْ مايا آخر رقمٍ كانت قد اتّصلتْ به.

كان هاتف كريستال يرنُّ في مكانٍ ما.

كان بإمكان مايا سماع نغمة الرنين. **أجيبي بالله عليكِ!**

- «في اللحظة التي يتمُّ فيه هذا الاتّصال»، قالت مايا، «سيكونون قادرين على تحديد موقع هاتفي بدقّة وصولاً إلى هذا المطبخ. سيعرفون بالضبط من أين تجري المكالمة. تكنولوجيا الهواتف الخلوية الآن أفضل بكثير ممّا كانت عليه قبل عشر سنوات. إذا فعلتَ بي ما فعلتَه بريك، فليس هناك من طريقة تفلت بها من العقاب».

لم يكن هذا صحيحاً تماماً، لكنَّ مايا لم تعتقد أنَّ واين وفران سيعرفان ذلك.

كانت لا تزال تسمع رنيناً فحسب على الجهة الأخرى من الخط.

- «أنا لم أقتل ريك»، قال واين.

- «مرحباً بكَ في النادي اللعين».

خطا باتّجاه المطبخ. كان لا يزال بعيداً بضعة أقدام، لكن بدا وكأنَّ ظلَّ هيكله الضخم يخيّم فوقها. «عليكِ تركُ الهاتف. لا أريد لرجال الشرطة أن...».

وضعت فران يدها على كتفه. «ما الذي لا تريد أن يفعله رجال الشرطة؟ ربّما حان الوقت للتحدّث مع رجال الشرطة».

- «سوف ينالون منّي بسبب ما حدث لريك».

سمعتْ مايا رسالة المجيب الصوتي لكريستال. «هذه كريس، اتركوا رسالةً رجاءً...».

قالت فران: «إذا لم تتحدَّث، فماذا سيفعلون بها؟».

وضعتْ مايا الهاتف على أذنها. «معكِ مايا. أنا في منزل فران غولدنبرغ و...».

كان هناك خوف في عينيّ واين، لكن كان هناك قلقٌ حقيقيّ أيضاً. «هل حقّاً سيزجّون بكِ في السجن؟».

أومأت مايا برأسها. «لقد زجّوا بي بالفعل. أنا خارج السجن بموجب كفالة الآن».

- «اتركي الهاتف، وسوف نخبركِ بكلِّ ما نعرفه»، قالت فران.

نظرت مايا إليهما جيئةً وذهاباً. لقد بدا واين بطريقةٍ ما خائفاً على مايا أكثر من خوفه على نفسه.

لم تصدّق ما كانت على وشك القيام به.

- «سأعاود الاتّصال بكِ» قالت، وأغلقتِ الهاتف.

كانت تضع حياتها بين يدي هذين الشخصين. «حسنٌ. والآن، مَن قتل ريك ليونارد؟».

استند واين على المدخل. زفرتْ فران.

- «ما يثير حنقي هو أنّنا لا نعرف حتّى»، قالت فران.

بعد بضع دقائق، كان ثلاثتهم في غرفة المعيشة. عبقتْ رائحةٌ طيّبة من إناء الزهور بينما كانت فران تحكي لها كلَّ شيء.

كان واين قد غيَّر رأيه بشأن حضور لمِّ الشمل حوالي الساعة الحادية عشرة. بدا له التفكير في اجتماعهم جميعاً بدونه أصعب من التفكير في الاضطرار إلى اللقاء بهم مجدّداً. لذا ركب شاحنته، ملأ الخزّان بالوقود، وانطلق على الطريق. لكن الوقت كان قد تأخّر حين وصل إلى وسط مدينة لوس أنجلوس. وبينما كان يركن الشاحنة خارج فندق أومني...

كانت الشرطة تملأ المكان. كان قد وقع أمرٌ سيّئٌ هناك.

قال واين مخاطباً مايا: «لقد رأيتكِ. رأيتُ رجال الشرطة يقتادونكِ بعيداً».

قالت فران: «عندها رأيتُه، بعد أن قبضوا عليكِ».

أوضحتْ فران أنَّ الشرطة أيقظت الجميع، وأرسلتْهم إلى منازلهم. رأت عندئذٍ واين داخل شاحنته، جالساً في مقعد السائق.

- «لو رأتْه الشرطة، كان سيبدو كاذباً»، قالت فران.

- «لقد كذب بالفعل»، قالت مايا.

هزَّ واين كتفيه.

- «لذا أحضرتُه معي إلى هنا»، قالت فران. «كانت الخطّة في البداية هي معرفة ما قد حدث فحسب. لكنَّ أحداً لم يكن يتحدَّثُ

إلى الشرطة، ولم تقل الشرطة أيَّ شيءٍ لنا - كيف مات ريك، وما إذا كان قد قُتِل. لم نعرف حتّى بأمر كاميرا المرور إلا بعد يومين».

- «اليومين اللذَين اشتبهوا خلالهما بي في جريمة القتل».

- «حسنٌ، فكّري في الأمر من منظورنا»، قالت فران.

- «أحاول ذلك».

- «من منظورنا، من الممكن أنّكِ قتلتِه».

التفتت مايا نحو واين. **يمكن لأيِّ شخصٍ أن يقتل أيَّ شخص، أليس كذلك؟**

- «لقد رأيتكِ أنتِ وريك وقتها. كان خارجاً من غرفتكِ ذات صباح»، قال واين.

- «أعرف ذلك».

- «فكّرتُ أنّه. . . لا أعرف».

- «افهمي، لم يقم واين بأيّ شيء خاطئ. إنّه شخصٌ طيّب»، قالت فران.

كانت مايا لِتضحك لو لم يكن الوضع برمّته بهذه القسوة. كم مرّةً في حياتها بُرِّر سلوكٌ مروّع لأنَّ أحداً ما كان «شخصاً طيّباً»! وماذا عن حجم الفظائع التي كانت قد اطّلعتْ عليها وارتكبها أشخاصٌ «يبذلون ما في وسعهم فحسب». لطالما سمعتْ ذلك من موكِّلين غير هيّابين وعائلاتهم الغاضبة. سمعتْه من مدّعين عامّين متحمّسين كانت «أيديهم مقيّدة» فيما هم يتبعون أكثر تفسيرات القانون وحشية. سمعتْه من زملائها المحلّفين. والأسوأ من كلّ ذلك أنّها شغّلت التلفاز لتسمع الناس يقولون هذا الكلام عنها.

لم تعد مايا تكنُّ تعاطفاً للأشخاص الذين يفترض أنّهم

«طيّبون»، والذين أفضت قراراتهم السيّئة مرّةً بعد أخرى إلى تعاسة الآخرين.

- «إذاً، كلاكما تقولان لي إنّه لا علاقة لكما بموت ريك، ولا فكرة لديكما على الإطلاق مَن الذي فعل ذلك؟»، قالت مايا.

لم يردَّ أيٌّ منهما بكلمة. جلسا ثابتين، صلبين، مثل حجرين جاهزين للغرق معاً.

آمنتْ فران بصدق أنْ ما من لومٍ يقع على واين، أو عليها بسبب كذبها لتغطّي عليه، إذ اعتقدتْ أنّها كذبةٌ مبرَّرة تماماً. كان كلاهما يعتقد بصدق أنّهما كانا يفعلان الشيء الصحيح.

كانت مايا تتميّز غيظاً. هي لم تكن تختلف عن فران في شيء، أليس كذلك؟ ألم تتستّر على قاتلٍ كانت وحدها فقط تصدّقه؟ الآن فقط باتت أذكى.

- «هل تريدين منّي أن أذهب إلى الشرطة؟ سأفعل، إن كان هذا سيساعدكِ»، قال واين.

المفارقة الرهيبة كانت أنَّ ذلك ما كان ليساعدها. كانت قصّة واين يمكن أن تبرِّئه على نحوٍ فضفاض. إنَّ تركه مفقوداً سيكون أكثر إدانة، وبالتالي أكثر فائدةً لدفاعها. لذا، وبصورةٍ محبطةٍ جداً، فقد كان اختفاؤه طوال هذا الوقت أفضل بكثير لقضيّتها.

- «هل تريد مساعدتي؟»، سألت مايا. «ساعدني إذاً في العثور على قاتل ريك».

اتفقوا على إعادة البحث والتدقيق. كانوا سيتحدّثون إلى جميع المحلّفين من جديد، لرؤية ما المعلومات الجديدة التي يمكن

استخلاصها في ضوء أحداث الأسبوع الماضي. أطلعت مايا كلّاً من واين وفران على ما لديها ضدَّ بيتر. صُدِمت فران. تطوّع واين أن يبرّح كومة القذارة تلك ضرباً. كانت مايا لِتسمح له بفعل ذلك لو لم يكن من شأنه أن يعقِّد دعواها القضائية نيابةً عن مارغريتا.

عندما قامت بزيارة جاي، كانت تريشا هناك. الآن وبعد أن عادت تريشا في الغالب إلى هيوستن، سيحاول واين مع جاي مجدّداً.

ستتحدّثُ فران إلى ياسمين وكاثي، اللتان لم تكن لدى مايا فرصةٌ لاستجوابهما. سيكون حظّ فران أفضل بلا شكّ.

سترجع مايا إلى الأماكن التي سبق أن كانت فيها على أملٍ أنَّ شيئاً ما، بطريقةٍ ما، سوف يتفكّك.

كانت عينا لِيلا روزاليس حمراوين حين فتحتْ باب منزلها الأمامي. بدا أنّها تحاول على نحوٍ سيئ إخفاء حقيقة أنّها كانت تبكي للتوّ. «مايا، مرحباً... آسفة، هذا ليس وقتاً مناسباً».

«حاولتُ أن أتّصل، ثمَّ أدركتُ أنّني كنتُ في الجوار. يمكنني أن أعود لاحقاً»، قالت مايا وهي تشعر بالحرج.

- «أوه لا، يا إلهي ما مشكلتي؟». موّهتْ لِيلا مسحةً لعينيها عبر التظاهر أنّها تقوم بحكِّ أنفها. «أنا سعيدةٌ لأنّكِ لستِ في السجن. لا بدَّ أنّكِ تمرّين بـ... لا أستطيع أن أتخيل. تفضّلي بالدخول».

قادت مايا إلى غرفة المعيشة، حيث كان والدها يقف مشابكاً ذراعيه. نظرَ إلى مايا بسخطٍ لمقاطعتها الجدال الذي من الواضح أنّهما كانا يخوضانه توّاً. لا بدَّ أنَّ الأسبوع المنصرم لم يكن سهلاً

عليهما أيضاً. تبادلت ليلا معه بالإسبانية بضع جملٍ يشوبها التوتر كانت نتيجتها مغادرته للمكان.

التفتت لِيلا إلى مايا بعد انصرافه. «عليّ حقّاً أن أحصل على منزلي الخاص».

- «في كلِّ مرّةٍ أتحدث فيها مع والدي، أشعر وكأنّه يتنقل جيئة وذهاباً بين الرغبة في إنقاذي والرغبة في خنقي».

- «صحيح».

سُمِع من الجهة الخلفية للمنزل ما بدا أنّه صوتُ بكاء آرون.

تنهّدت لِيلا بضجر. «انتظري هنا دقيقة».

أخذت مايا تتجول في النصف الأمامي من المنزل الصغير بينما ذهبت لِيلا إلى آرون. كان المطبخ نظيفاً، وزجاجات البيرة الفارغة مستقرّة داخل صندوق قرب المغسلة تنتظر دورها للوصول إلى سلّة إعادة التدوير. أكواب الشرب والملاعق ذات الأطراف المطّاطية تجفُّ فوق الرف. فكّرتْ مايا أنّه كان ينبغي بها إحضارُ بعضٍ من زهور فران كهديّة.

هل كان من التهذيب إحضار الزهور إلى منزل أحدٍ ما بينما أنتَ تحقّق في جريمة قتل؟

كانت الثلّاجة مزيّنة برسومات آرون. تنوّعتْ بين رسومات التلوين وأقلام التحديد ورسمٍ حرّ بالأصابع. الحيوانات بأنواعها: أسدٌ أصفر كبير. دبٌّ كان لسببٍ ما أرجوانياً لامعاً. وحتّى تمساحٌ أحمر غاضب...

شعرتْ مايا بإحساسٍ مألوف بالبرد. لا بدَّ أنّها كانت مستنزَفةً تماماً. بدا التمساح مثل ذاك الذي كان في خيمة بوبي نوك بالضبط.

الأسنان الكبيرة النهّاشة، الحراشف الحمراء، العينان الدقيقتان كرأس الدبّوس. . .

كان هذا جنونياً. كيف يمكن أن يكون لدى بوبي رسمٌ من صُنع ابن لِيلا؟

دخلت لِيلا إلى المطبخ.

أشارت مايا إلى الثلّاجة. «لماذا كان لدى بوبي نوك رسمٌ لوَّنَهُ ابنكِ؟».

تجمّدت لِيلا في مكانها.

- «مايا، أريد منكِ ألّا تفعلي أيَّ شيءٍ مجنون الآن، اتَّفقنا؟»، قالت لِيلا.

لِيلا

19 أكتوبر، 2009

لم تستطع لِيلا روزاليس أن ترفع عينيها عن بوبي نوك. جلس إلى طاولة المدَّعى عليه يحدِّق في ذلك الفراغ المبهم الذي ما فتئ يحدِّق فيه طوال الأشهر الخمسة الماضية. جلستْ لِيلا في الصفِّ الثاني من مقصورة هيئة المحلّفين - نفس الموقع الذي شاهدت منه المحاكمة بأكملها - وهي تطلُّ من فوق كتف فران. كانت قد أمضت عدداً لا يُحصى من الساعات على هذه الشاكلة، تتخيّلُ ما الذي كان يدور في رأسه، ما الذي كان يفكّر به حيال هؤلاء المحامين، والقاضي، وهذه الإجراءات برمّتها...

كانت تعرف الكثير عنه، ولكن ما الذي كان يعرفه عنها؟

كان اسمها متداولاً في الأخبار، لكن هل يُسمح له بمشاهدة الأخبار؟ قد يكون لا يعرف اسمها حتّى بعد كلِّ هذا الوقت.

- «هل توصَّلت هيئة المحلّفين إلى حُكم؟»، سأل القاضي.

وقفتْ كاثي. مطّتْ لِيلا رقبتها لترى وجه بوبي على نحوٍ أفضل.

- «نعم، حضرتك»، قالت كاثي.

- «من فضلكِ سلّمي حُكمكم إلى الحاجب».

سلّمت كاثي الورقة إلى الحاجب ستيف. كانوا قد قاموا بملئها وطيّها في غرفة المحلّفين. وقّع كلٌّ منهم اسمه أسفلها.

حمل الحاجب ستيف الورقة إلى القاضي. أبقت لِيلا عينيها طوال الوقت على بوبي الذي حتّى الآن، وفي لحظةٍ مثل هذه، لم يتفاعل بأيِّ طريقةٍ يمكن أن تميّزها. لم تتغيّر ملامح القاضي أيضاً. الأرجح أنَّ القدرة على الاحتفاظ بوجه لاعب بوكر بارع كانت من متطلّبات وظيفته.

والدة بوبي ووالده لم يحاولا حتى أن يضبطا نفسيهما. كان هذا منطقياً في نظر لِيلا. بدا أنّهما الوحيدان اللذان يتصرفان مثل بشرٍ حقيقيين. كانت أمّه تبكي، وأبوه يلفّها بذراعه. كانا مركّزَين بالكامل على بوبي، رغم أنّه لم يبدُ منتبهاً لوجودهما في الأساس.

فكّرتْ لِيلا أنّها لا تستطيع لوم إيلين سيلفر على تلك النظرة الجوفاء، الخالية من التعبير على وجهها. لقد فقدت تلك المرأة طفلتها الوحيدة، فكان يحقُّ لها بعد مأساةٍ كهذه أن تلبس أيَّ وجهٍ تختاره.

جلس لو سيلفر بجانب زوجته. لم تكن لِيلا قد رأتْ لو منذ اللحظة التي قضى بها شخصياً على قضيّة الادّعاء. بقدر ما كان الذي فعله سيّئاً، كانت لا تزال تأسف بشدّة على حاله، على كلِّ ما مرَّ به.

قرأ القاضي الحكم في صمت، ثمَّ طوى الورقة مجدّداً، وأعادها إلى الحاجب الذي سلّمها إلى كاثي.

- «هلّا تقرأ ممثّلة الهيئة الحكم بصوتٍ عال؟»، قال القاضي.

كانت يدا كاثي ترتعشان وهي تفتح الورقة. نظرتْ نحو اليمين، ثمَّ نحو اليسار، وكأنّها تثبّت مع الآخرين مرّةً أخيرة أنّهم متّحدون

جميعاً في قرارهم هذا. «في تهمة القتل العمد من الدرجة الأولى، نحن هيئة المحلّفين نجد أنَّ المتَّهم روبرت نوك غير مذنب»، قالت كاثي.

كانت قاعة المحكمة هادئةً على نحوٍ مخيف. لم يتزحزح المدّعي العام قيد أنملة. بدا بوبي مذهولاً فحسب. ثمَّ أعطى أخيراً إشارة حياة حين جفل لمّا وضعت محاميته يدها على كتفه. انحنت غيبسون نحوه وهمستْ شيئاً في أذنه، تمنَّتْ لِيلا لو كان في وسعها أن تسمع ما هو.

ثمَّ صرختْ إيلين سيلفر. صرخةُ ألمٍ واحدة. كان ذلك الصوت الوحيد الذي سمعتْهُ لِيلا.

فعل لو سيلفر الشيء الأغرب. ابتسمَ. كانت ابتسامةً مريرة، وانتقامية. كما لو أنّه كان مستعدّاً للأسوأ، وقد منحه الحُكم ما كان مستعدّاً له بالضبط.

أرادت لِيلا أن تقول لعائلة سيلفر إنّها حزينةٌ جدّاً لما حدث لهما، لكنَّ هذا الحكم كان الأنسب. لم يبدُ شيءٌ من هذا كما تخيّلتْه، كانت تعرف أنّه لن يكون هناك تصفيق، كما في نهاية فيلم، لكنّها ظنَّت أنّه سيكون هناك نوعٌ من الإشارة الدالّة على أنَّ عملاً جيّداً قد تمَّ إنجازه. حين تُبلي حسناً في المدرسة، يعطيكَ المعلّم درجةَ ممتاز. لكن ماذا عن هنا؟ بعد كلِّ ما قدَّمتْهُ هي والآخرين - كلِّ العمل الشاق الذي قاموا به للفوز بحرّية بوبي نوك - هل كان هذا كلُّ شيء؟ دمعةٌ، وصرخة، وبعض السعال. حتّى أنَّ الذي لم يُقل، كلّ الأشياء المسكوت عنها بدتْ الآن أكثر من ذي قبل.

أرادت ليلا أن تصرخ أيضاً. لمَ لا يبدو هذا مثل انتصار؟

قال القاضي: «هذا يُنهي قضيّة الشعب ضدَّ روبرت نوك.

سيّداتي وسادتي أعضاء هيئة المحلّفين، لقد انتهتْ خدمتكم. سوف يقوم الحاجب بإعادتكم إلى غرفكم للقيام ببعض الأعمال الورقية الأخيرة. ومن ثمَّ سيُفرَج عنكم».

بدت الطريقة التي قال بها «يُفرَج عنكم» وكأنّهم كانوا مجموعة من الحيوانات المحبوسة التي على وشك أن تُرمى في الأدغال بعدما أصبحت ضعيفةً وسمينة في الأسر.

- «تتقدّم لكم هذه المحكمة بالشكر الجزيل على تأديتكم لخدمة تفوق ما هو مطلوبٌ من أيٍّ مواطن. نحن نعلم كم قدّمتم لنظام العدالة، ونحن ممتنّون لكم».

لم يبدُ القاضي ممتنّاً. لقد بدا غاضباً.

كان المحلَّفون الآخرون قد نهضوا واقفين قبل أن تدرك لِيلا ذلك. تشكّل مضيق بجانبها بينما بدأت المجموعة في الخروج من المقصورة. كان طيف واين الضخم يخيّم فوقها، فيما هو ينظر إلى الأسفل بترقّب. **حان وقت الذهاب.**

شعرت لِيلا بالسخافة. لم تكن قاعة المحكمة بالطبع المكان المناسب للانفعالات البهيجة. كان عليها الانتظار حتّى تعود إلى المنزل، حيث سيكون والدها ووالدتها فخورين بها حقّاً لإنقاذها حياة رجل. كما ستكون أختها فخورةً كذلك. ربّما ستأتي حتّى بنات عمومتها مع أطفالهن الصغار لرؤيتها.

كانت ستحظى بالاحتفاء الذي تستحقه عند عودتها إلى المنزل. ستعود كبطلة.

عاد بها زوجٌ من ضبّاط الشرطة إلى جنوب لوس أنجلوس، حيث المنزل الذي عاشت فيه طوال حياتها. لكنّهم صادفوا اختناقاً

مرورياً قبل بضعة شوارع من وصولهم. لا تتذكّر لِيلا أنَّ هذه الشوارع كانت مكتظَّةً يوماً على هذا النحو. عرفت سبب هذا حين انعطفوا نحو حيّها: كانت جمهرة الصحافيين خارج منزل والديها بحجم تلك التي رأتْها خارج المحكمة تقريباً. أشعل الشرطيّان أضواء سيّارتهما وصفّارتها لتفريق الحشد، ثمَّ تقدّما عبر الممرّ، ورَكَنا خلف سيارة والدها القديمة من طراز فورد.

فتح والدها الباب الأمامي فومضت أضواء عشرات الكاميرات. كان متأنّقاً كما لو أنَّ هذه مناسبةٌ خاصة. حين رأى وجهها، بدا وكأنّه على وشك البكاء. مدَّتْ لِيلا يدها نحو مقبض الباب، ثمَّ تذكَّرتْ أنَّ أبواب سيّارة الشرطة لا تُفتَح من الداخل.

نزل الضابطان وقاما بفتح الباب لها.

كانت لا تزال في حالة صدمة بينما كان والدها يلفّها بذراعيه ويقول لها بالإسبانية: «أحبّكِ، حبيبتي».

حافظ الصحافيون على المسافة الفاصلة فيما كان يُدخلها إلى المنزل وذراعاه القويّتان تلفّانها.

كانت أمّها في الداخل مع شقيقتها، وبنات العم واثنين من أطفالهنّ. أخذوها جميعاً في عناقٍ جماعي كبير. أدركتْ لِيلا أنّها كانت تبكي.

أخيراً، لقد كانت في البيت.

لا تتذكّر لِيلا متى شعرتْ أنَّ والديها كانا فخورين بها من قبل. هي لم تنضمَّ يوماً إلى أحد الفرق في الثانوية، كحال شقيقها. لم تجرِ في مضمار سباق كما كان يفعل بعضٌ من أبناء عمومتها. كانت تعرف أنَّ والديها يحبّانها، وأنّهما سيفعلان أيَّ شيءٍ لأجلها، لكنّها لم تشعر يوماً أنّها فعلت أيَّ شيءٍ قد يجعلهما فخورين.

حتّى الآن.

ماذا فعلتِ؟

كانت هذه أمّها.

كانت لِيلا في حيرةٍ من أمرها. بدتْ والدتها تماماً كما كانت تبدو حين تتأخر لِيلا خارج المنزل بعد الساعة المحدّدة للعودة، وتضبطها وهي تحاول التسلّل إلى الداخل. عندها تكون أمّها نصف مرتاحة لأنَّ ابنتها كانت بأمان، ونصف غاضبةٍ منها لأنّها أفزعتْها. أدركتْ لِيلا أنَّ هناك خطباً ما بينما كانت تحاول من خلال دموعها استيعاب التعابير على وجوه عائلتها. ذاك الذي على وجوههم لم يكن فخراً - لقد كان قلقاً.

- «لا بأس»، قال والدها محاولاً تهدئة العائلة. «دعيها وشأنها».

تمسّكتْ يداه القويّتان بكتفيها. «حبيبتي، سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام».

بدا الرجل وكأنّه يحاول طمأنة نفسه.

لطالما كان سيّئاً في الكذب.

طُرِدَت من مدرسة التجميل.

ظهر عددٌ قليلٌ فقط من المراسلين هناك، ضايقوا زميلاتها بالسؤال عنها: أيّ نوعٍ من الطلاب كانت، وما إذا كان لديها أيُّ اتّصال غير اعتيادي مع مدرّسيها، وأسئلة أخرى لا معنى لها. لكن المديرة قالت إنَّ وجودها كان مصدر إلهاء: «علينا أن نأخذ جميع طلّابنا بعين الاعتبار».

كانت لِيلا غاضبة. هي لم تخرق أيّة قواعد، ولم ترتكب أيَّ خطأً. كيف كان من العدل أن تُعاقب بهذا الشكل؟ ماذا كان يُفترض بها أن تفعل؟

كان العثور على وظيفة أشبه بمزحة. لقد كان اسمها مألوفاً كفاية بحيث أنّه لم يتسبّب في تشغيل صفّارات الإنذار على الفور، لكنَّ جميع أرباب العمل المحتملين كانوا سرعان ما يكتشفون مَن تكون. لدى ملئها استمارات التوظيف الأولى، كانت غبيّةً بما يكفي كي تضع «نظام المحاكم في ولاية كاليفورنيا» كربِّ عملها السابق. (كانوا قد دفعوا لها 1436 دولاراً مقابل خدمتها لخمسة أشهر في هيئة المحلّفين، أنفقها والدها لسداد ديون بطاقته الائتمانية). ولكن حتّى عندما توقّفت عن تدوين تلك المعلومة، كان عليها أن تشرح سبب انسحابها من مدرسة التجميل - وبمجرّد أن تقول «خدمة هيئة المحلّفين» فإنَّ كلَّ ما كان يتطلّبه الأمر ممَّن يجري المقابلة معها هو بحثٌ سريع على غوغل حتّى يفهم الأمر على حقيقته. تمَّ رفضها في Payless، وTrader Joe's... رُفضت حتى للعمل في مثلّجات Cold Stone(*). لقد عملت هناك حين كانت لا تزال في الثانوية، والآن، وهي في التاسعة عشرة، باتت عاجزة عن الحصول على الوظيفة التي شغلتْها حين كانت في الخامسة عشرة.

بدأت تنام لوقتٍ متأخر أكثر فأكثر كلَّ صباح. حاولت أن تجعل من نفسها مفيدةً داخل المنزل، لكن بدا أنّه في كل مرّة وضعت فيها الأطباق في واحدٍ من الأدراج، كانت والدتها تخبرها أنَّ هذا ليس

(*) Payless، Trader Joe's، Cold Stone: سلاسل متاجر ألعاب وبقالة ومثلّجات - المترجم.

مكانها. لم يكن أيُّ شيءٍ تفعله صحيحاً. كانت متعَبة أكثر من أي وقت مضى. تمنّت لو تستطيع أن تتكوَّر تحت ملاءات طفولتها فحسب، وتنام إلى الأبد تحت تلك الفراشات.

كان قد مضى أسبوعان على عودة لِيلا إلى المنزل عندما قام أحمقُ ما بقذف حجر عبر نافذة غرفة المعيشة. لم تذعر لِيلا، لكنَّ والدتها أُصيبت بالهلع. في الأسبوع التالي، أُلقيت لفافة ورق حمّام فوق السطح. لا بدَّ أنَّ ذلك كان من عمل بعض أطفال الحيّ، لكنَّ والدتها تعاملت مع الأمر كما لو أنَّهم يتعرّضون للغزو. ألم يسبق لأصدقاء أخيها الحمقى أن فعلوا نفس الشيء حين كانوا أصغر سنّاً؟

لاحظت لِيلا أنَّ والدها بدأ يشرب أكثر. كانت في المناسبات القليلة التي تقوم فيها بإخراج القمامة تسمع قرقعة زجاجات البيرة أسفل الأكياس. كان والدها يكوِّم باقي نفايات العائلة فوق تلك الزجاجات. لم تكن بضع زجاجات بيرة لِتشكّل مصدر قلق، لكنَّ إخفاءها هكذا كان شيئاً آخر تماماً.

كان والدها صاحياً حين شرح لمَ اعتُبر الحُكم بمثابة الصدمة للجميع في الخارج. أخبرها عن الإدانة السابقة بحقِّ بوبي بتهمة الاعتداء. يبدو أنَّ ذلك كان منتشراً في جميع نشرات الأخبار إلّا أنَّ أحداً لم يخبر المحلّفين به. أو أنّه - بحسب ما فكّرتْ لِيلا - كان منتشراً في جميع نشرات الأخبار لأنَّ أحداً لم يخبر المحلّفين به. فيمَ يهمُّ ذلك على أيِّ حال؟ لماذا تعامل الجميع بعقليّة أنّه ولمجرّد كون بوبي قد خاض شجاراً في الثانوية فلا بدَّ أنّه قام بقتل فتاةٍ مراهقة؟ لقد أخذوا هذه الواقعة الصغيرة وجعلوا منها قنبلة هائلة. تصرفوا كما لو أنّهم يعرفونه حقّاً.

كانت هي مَن أمضتْ كلَّ تلك الأشهر معه في قاعة المحكمة،

هي التي دخلت إلى رأسه وسبرت أغوارها. كانت تعلم علم اليقين أنّه شخص صالح.

شاهدت أصدقاءه القدامى يتحدّثون على الشاشة عن شخصيّته النزيهة. ورأت طلّابه السابقين يصفون كم كان لطيفاً ومتفهّماً. شعرتْ عندئذٍ بأنّها كانت على حق وليست مُلامةً على أيِّ شيء. كما شعرت لدى سماعها ما قاله كلّ أولئك الأشخاص أنَّ المعلومات التي أُخفيت عنها خلال المحاكمة كانت أكثر من تلك التي كُشِفَت لها.

شاهدت ريك يتحدّث على التلفاز أيضاً. شاهدته يعتذر عن القرار الذي كانوا جميعاً قد اتّخذوه، معاً. شاهدتْه وهو يقول أشياء فظيعة عن المحلّفين الآخرين محتفظاً بأسوأ إهاناته لمايا المسكينة.

لم تكن مقابلات جاي بنفس الحِدَّة والأذى، رغم أنَّه كان قد غيَّر اصطفافه بنفس سرعة ريك. لم تتحدَّث تريشا علناً إلّا في مناسبات قليلة، لكنَّ القليل الذي قالته بدا أنّه وضعها في صفّ ريك.

جعلتْها رؤية المحلّفين الآخرين على التلفاز تشعر بالحنين على نحوٍ غريب. لا أحد هنا في العالم الحقيقي يفهم ما قد مرّتْ به. أولئك الأحد عشر شخصاً هم فقط يفهمون، مهما بلغت شدّة كرههم لبعضهم البعض.

اتَّصلتْ بياسمين. سيكون بإمكانها أخيراً التحدّث إلى شخصٍ يمرُّ بما كانت تمرُّ به. أرادت لِيلا أن تلتقيا في مكانٍ هادئ، لكنَّ ياسمين كانت في كلِّ مرة تعيد بطريقة ما جدولة خططهما إلى وقتٍ متأخر من الليل. كما لو أنَّ كلّ ما كانت تريده ياسمين هو الخروج من المنزل والذهاب إلى الرقص. كانتا تتأنّقان وتخرجان لاحتساء

الكوكتيلات الكحولية في أماكن صاخبة مجهّزة بحلبات رقص. ثمَّ حين تثملان ويبدأ الرجال في مغازلتهما، كانتا تختفيان.

كانت ياسمين قد اكتفت من الحديث عن بوبي نوك، فيما شعرت لِيلا أنّه لم تُتَح لها الفرصة للبدء حتّى.

أخذ خروجهما معاً يصبح أندر فأندر. أكثر ما أرادته لِيلا هو شخصٌ كان موجوداً هناك. شخصٌ يمكن أن تستعيد معه الذكريات عن الحاجب ستيف دون الحاجة إلى شرح هويّته، أو كم كان غريباً أنّهم قضوا الكثير من الوقت معه رغم أنّه لم يكن واحداً منهم.

التقتْ بفران غولدنبرغ لتناول القهوة ذات مرّة. لكنَّ فران لم تفهم ماذا خسرتْ لِيلا حين طُردت من مدرسة التجميل. حاولت لِيلا أن تشرح كم تشتاق لتصفيف الشعر، وللعمل مع نساءٍ مختلفات، وسماع قصصهن، لكنَّ فران هزّتْ رأسها مثلما فعلتْ بنات عمّها. وكأنّها كانت تحاول أن تبدو مهذبةً فحسب.

- «حسنٌ يا عزيزتي، هل فكّرتِ فيما قد ترغبين في فعله بدلاً من ذلك؟ أنتِ شابّةٌ صغيرة. يمكنكِ أن تذهبي إلى حيث تريدين، وأن تفعلي أيَّ شيءٍ تشائين. ما الشيء الذي لطالما حلمتِ بفعله، لكن الفرصة لم تُتح لك قط؟»، قالت فران.

إلى أين قد تذهب لِيلا؟ كلُّ مَن تعرفهم كانوا هنا.

لم تتَّصل بفران مجدّداً.

كانت تعاني صعوبةً في النوم؛ تبقى مستيقظةً طوال الليل ثمَّ تنام طوال فترة الصباح. كانت طاقتها شبه معدومة، وتكاد لا تستطيع جرَّ نفسها من غرفة لأخرى. ما خطبها؟

كانت قد شاهدتْ برنامجاً ذات مرّة عن رجلٍ لديه طفيلي في

معدته، وقد ظلَّ نائماً طوال الوقت بسبب ذلك. بحثت في غوغل عن «طفيلي»، لكن بدا أنَّ كلَّ الأعراض الأخرى لم تكن مطابقة.

كانت بالطبع تفكّر في بوبي نوك. عرضتْ نشرات الأخبار طوال الوقت آخر المستجدّات المتعلّقة به. علمتْ لِيلا أنَّ الشرطة وجّهت إليه تهماً تتعلّق بنشر مواد إباحية عن الأطفال. اعتقد حتّى أولئك الأشخاص على التلفاز والذين كانوا يكرهون بوبي أنَّ هذا مبالغٌ فيه.

ذكّرت نفسها عندما كانت تشعر بالأسف على حالها أنَّ حال بوبي كان أسوأ بكثير. لقد اتُّهم زوراً بارتكاب جريمةٍ مروِّعة، وسُجن لعامٍ كامل، ولا يزال بعد كل هذا مطارَداً.

أرادت أن تتواصل معه. ثمَّ خطر ببالها: لمَ لا تكتب رسالةً إلى بوبي؟ لمَ لا تخبره أنّها لا تستطيع تصوّر ما كان يمرُّ به، لكنّها كانت تدعمه تماماً؟

هي تعرف أنّها لو كانت في مكانه، لَقدَّرت عالياً رسالة دعم.

كتبتْ له. «عزيزي بوبي نوك. اسمي لِيلا روزاليس، وكنتُ أحد المحلّفين في محاكمتك. المحلّفة 429. أعلم أنّنا اتّخذنا القرار الصحيح بغض النظر عمّا يقوله أيُّ شخص». ثم أكملت لتخبره عن نفسها قليلاً. عن حياتها قبل المحاكمة؛ عن حياتها الآن؛ عن كم كانت تفتقد عائلتها من قبل ولكنّهم الآن يجعلونها تشعر بالوحدة أكثر فحسب.

قبل أن تدرك ذلك، كانت قد كتبت له خمس صفحات. فكّرت أنَّ هذه الرسالة كانت ربّما أطول شيءٍ كتبتْه منذ المدرسة الثانوية!

أرسلت الرسالة إلى عنوان محاميه. شعرت بتحسّن كبير لمجرّد إرسالها، إذ استطاعت إزاحة ذاك الثقل عن صدرها، وحتّى لو لم

يستلم الرسالة أبداً، وهو ما قد يحدث على الأرجح، فقد كانت فخورةً بنفسها لأنّها كتبتْها.

لم تتوقّع أن تتلقّى ردّاً على رسالتها.

لكنَّ بوبي كتبَ لها بعد ثلاثة أسابيع: «عزيزتي لِيلا، لا يسعني أن أصف لكِ كم أثَّرت بي رسالتكِ. طوال تلك الأشهر في قاعة المحكمة، لطالما تساءلتُ ما الذي تفكّرين به، أنتِ والآخرون جميعهم. لم أستطع أبداً أن أتبيَّن الفكرة التي شكّلتموها عنّي. أشكركِ لأنّكِ صدقتني، آنذاك. وأشكركِ لأنّكِ ما زلتِ تصدقينني الآن. لا يسعني إلّا أن أتخيّل كم كان قاسياً عليكِ أن تتشبّثي بموقفكِ المؤيّد لي هناك في الخارج. أيّاً كان ما أستحقّه جزاء ما فعلتُه، أنا أعرف أنَّكِ لا تستحقّين أيّاً من هذا.

أشكركِ أيضاً على مشاركتكِ كثيراً من جوانب حياتكِ معي. تبدين شخصاً محترماً ونزيهاً للغاية. أتمنّى فقط لو استطعتُ التعرّف عليكِ في ظروفٍ مختلفة.

المخلص لك، بوبي نوك».

وتحت اسمه كان هناك عنوان بريدٍ إلكتروني.

فكّرت لِيلا وهي تقرأ الرسالة للمرّة الثالثة: **أخيراً، شخصٌ يفهم**.

أرسلت له رسالةً إلكترونية في تلك الليلة.

23

حُكمٌ ثانٍ

الآن

- «روبرت نوك هو والد ابنك».
- «صَه. عليكِ حقّاً أن تهدئي وتخفضي صوتكِ، اتّفقنا؟».
كانت لِيلا لا تزال متسمّرةً في مكانها. «لا يمكنكِ أن تدعي آرون يسمعنا».

تشابكتْ في رأس مايا التفاصيل المروّعة لجريمتين يفصل بينهما عقدٌ من الزمان. «هذا ما اكتشفه ريك حول بوبي. ولهذا السبب لم يخبرني، ولم يخبر لو سيلفر أو أيَّ شخصٍ آخر. هو لم يعثر على القلادة. هو لم يكتشف شيئاً يخصُّ بوبي وجيسيكا. لقد اكتشف شيئاً يخصّكِ أنتِ وبوبي».

- «لقد كذب ريك! هو لم يكتشف أيَّ شيءٍ يثبت أنَّ بوبي كان قاتلاً».
- «اكتشف ريك أنّكِ بعد المحاكمة كنتِ على علاقةٍ ببوبي، وأنّكِ أنجبتِ ولداً. وأنّكِ أبقيتِ الأمرَ سرّاً».
- «والدي جعلنا نبقيه سرّاً. لقد غضب أيّما غضب حين أخبرتُه

أنّني حامل، وأنّني كنتُ أقابل بوبي. أراد أن يتسنّى لآرون أن يكبر بسلام، بصورةٍ طبيعية، دون أن يضلَّ مُلاحقاً بظلٍّ والده القاتل طوال حياته، دون أن يعامله أحدٌ بالطريقة التي عامل بها الجميع بوبي».

- «لكنَّ ريك كان سـ...». أخيراً، تكشَّفتْ خطّة ريك البارعة، خطة الكلّ أو اللاشيء. «اللعنة. كان ريك يحاول استخدام هذه المعلومة لابتزاز بوبي كي يعترف بقتل جيسيكا، أليس كذلك؟».

- «ذهب ريك إلى بوبي في مدينة الوحوش الرهيبة تلك. هدّد بوبي. قال له إنّه سيخبر الجميع بما حدث بيننا. كان سيدمّر حياة آرون، ما لم يعترف بوبي بشيءٍ لم يفعله».

كانت مايا متشكّكة. «هل ما زلتِ مقتنعة أنَّ بوبي بريء؟».

- «كان بوبي إنساناً طيّباً»، قالت لِيلا. «كلانا نعرف ذلك. أيّاً كان ما حدث مع جيسيكا... أيّاً كان ما قال إنّه آسفٌ عليه في تلك الورقة...».

- «كانت لديه القلادة».

- «كان عصيّاً على الفهم».

قبل بضعة أيّامٍ فقط، كانت لِيلا قد علمت أيضاً أنَّ والد طفلها، الرجل الذي أحبَّتْه، كان قاتلاً. كلمة «عصيٌّ على الفهم» ما كانت لِتفيَ الحالة حقّها.

رفضتْ لِيلا تصديق ذلك. لقد أقنعتْها مايا بشدّة قبل عشر سنوات.

- «كنّا مخطئين»، قالت مايا. «لم أُرد تصديق ذلك أيضاً. ما زلتُ لا أريد تصديقه. أحاول باستمرارٍ البحث عن تفسير آخر، لكنّي... كنتُ مخطئةً بشأنه طوال الوقت. بوبي قتل جيسيكا».

هي لم تلفظ هذه الكلمات أبداً من قبل. كان لها أثرٌ شديد المرارة على لسانها.

- «لا، لم يفعل»، همست لِيلا وهي تصارع لتبقى متماسكة.

- «كان لا يزال لديكما وسيلةٌ ما للتواصل دون أن يعرف أحدٌ بذلك. هو أخبركِ أنَّ ريك كان قد هدَّده»، قالت مايا.

أومأت لِيلا برأسها. «كان لدى بوبي خياران. أن يعترف، أو أن يتفرّج على ريك وهو يدمّر حياة آرون. لذا فقد فعل بوبي الشيء الوحيد الذي يستطيع فعله - الشيء الوحيد النزيه. لقد هرب، توارى عن الأنظار. ذلك هو الإنسان الذي كان بوبي عليه. لم يُرِد أن يتسبّب في المزيد من الأذى - لي أو لآرون أو لأيِّ أحد. لم يخبرني حتّى إلى أين كان ذاهباً. كنتُ مذعورة... كتبتُ له رسالةً. لكن إلى أين كان يُفترَض بي أن أرسلها؟». كانت أصابعها ترتجف فيما كانت تُبعد شعرها الطويل عن وجهها.

كذب بوبي على مايا في إيست جيسوس بشأن ما قاله ريك له. كذب بوبي من أجل مصلحة الابن الذي لم يُسمح له برؤيته مطلقاً، الطفل الذي كان الرسم الملوّن للتمساح خاصّته هو صلة بوبي الوحيدة بحياةٍ لم تعد له.

بدأت قطع الأحجية التي انتهت بموت ريك في التماسك.

كان ريك يذرع غرفة مايا وهو يستشيط غضباً. سمع طرقاً على الباب. افترضَ بطبيعة الحال أنَّ مايا عادت لتستأنف الشجار. لكنّه فتح الباب ليجد لِيلا واقفةً في الردهة.

- «كان سيسمح ريك لكِ بالدخول»، قالت مايا.

- «لقد ذهبتُ إلى غرفتكِ، ليس إلى غرفته. كنتُ أبحثُ عنكِ أنتِ».

- «عنّي أنا؟».

- «نعم، أردتُ أن أخبركِ بما كان يحدث. لأنّني كنتُ في حاجةٍ لمساعدتكِ، فأنا أثق بكِ».

أغلقت لِيلا يديها المرتجفتين إلى قبضتين مشدودتين.

- «لا يبدو الأمر كذلك».

- «ظننتُ أنّه إن كان هناك أحدٌ قادرٌ على مساعدتي فسيكون أنتِ. لذا أحضرتُ آرون إلى الفندق. كي تريه، كي تفهمي».

- «لكنّكِ وجدتِ ريك بدلاً منّي».

- «لقد كان ذلك حادثاً عرضياً!»، ناشدتْ لِيلا وهي على وشك البكاء. «في البداية، كنتُ خائفةً لدى رؤيتِه في غرفتك. ربّما يكون فعل شيئاً بكِ! ثمَّ قال لي إنّه يجدر بي الدخول. ظللتُ أنظر في الأرجاء - أين كنتِ؟ ماذا حدث لكِ؟ أخبرني أنّكِ لا تعرفين شيئاً. لم يكن قد أخبر أحداً بما يعرفه - ولن يفعل إذا قال بوبي «الحقيقة». والوقت كاد ينفذ لفعل ذلك؛ كان سيخرج للتحدّث إلى الكاميرا في الصباح. توسّلتُ إليه. مايا، لقد **توسّلتُ** إليه. «لا تدمّر حياة ابني. آرون لم يؤذِ أحداً. آرون يستحقُّ أن يحظى بحياة». لكنّه رفض، قال لي «أدمِّر حياة آرون؟ كما دمَّر بوبي حياتنا؟». لم أرَ في حياتي شخصاً يكره شخصاً آخر كما كان ريك يكره بوبي... بدا الأمر وكأنَّ ريك كان يكره المهووس غريب الأطوار الذي أمسى عليه، وينحي باللائمة على بوبي في جعله على هذه الحال. بدأنا نتجادل. كان يصرخ في وجهي، دفعتُه، فدفعني، دفعتُه مرَّةً أخرى فسقط... ربّاه، لقد كان حادثاً يا مايا. عليكِ أن تصدّقيني، لقد كان حادثاً».

كم تمنّت مايا أن تكون لِيلا تكذب عليها. أرادت أن تتعمّق أكثر وصولاً إلى حقيقة ما حدث، حيث ستعثر هناك على الشيطان بنفسه. لكنَّ كلَّ ما وجدتْه كان شابّةً مرعوبة في أمسِّ الحاجة لحماية طفلها.

- «لقد تركتِه هناك»، قالت مايا. «تركتِه لأجده أنا هناك».

- «لم أظنَّ أبداً أنّهم سوف يعتقلونكِ. لم أكن أعرف بشأنكما، ما كان يحدث بينكما في ذلك الوقت. علمتُ بذلك هذا الأسبوع فقط. حين مات ريك - لقد مات خلال ثانية، لم أكن أعرف أنَّ ضربةً واحدة على الرأس يمكن أن تتسبّب بالموت هكذا - فكّرتُ أنَّ... لا أعرف بمَ فكّرت. إذا بقيتُ، فسيكتشف رجال الشرطة أمر آرون. وإذا غادرتُ، ظننتُ أنّهم سيرون الأمر على حقيقته كما كان؛ مجرّد حادث عرضي. اعتقدتُ أنَّ بوسعكِ التعامل مع تلك الفوضى. هذا هو أكثر ما أتذكّره عنكِ: أيّاً يكن ما حدث، أنتِ قادرةٌ على التعامل معه».

لو أنّني كنتُ فعلاً كذلك، فكّرت مايا.

بدأت ليلا في البكاء. حاولت كبح تلك الدموع، لكنَّ مقاومتها العسيرة للحفاظ على تماسكها وصلت إلى حدٍّ لم تعد تستطيع تحمّله.

بدافعٍ من الغريزة أو الأخلاق الإنسانية البسيطة، وضعت مايا ذراعيها حول لِيلا وشدّتْها إليها.

شعرتْ مايا بالشابّة تستسلم، وتضع نفسها بين يديّ مايا. كانت تؤمن بحقّ أنَّ في وسع مايا التعامل مع أيِّ شيء، لذا كان عليها أن تكون كذلك.

سمعتْ مايا وقع خطىً ناعمة. كان آرون يدخل المطبخ على

أطراف أصابعه. لا بدَّ أنَّه سمع والدته تبكي. حين رأى عناقهما، انضمَّ إليهما. لفَّ إحدى ذراعيه حول ساق لِيلا، والأخرى حول ساق مايا. وقف الثلاثة هناك - مايا التي كانت تحاول حلَّ لغز هذه الجريمة؛ ولِيلا التي ارتكبتْها؛ وآرون الذي سيكون أكثر مَن يعاني من عواقب كلِّ ذلك.

بعد مرور بعض الوقت، جلست مايا ولِيلا إلى طاولة الإفطار الصغيرة. كانت لِيلا تنزع الطلاء الباهت عن أظافرها بعصبيّة. عاد آرون إلى غرفته بعد أن اطمأن أنَّ والدته كانت على ما يرام.

- «ماذا ستفعلين؟»، سألتْ لِيلا.

فكّرتْ مايا في ذاتها القديمة. تلك الفتاة البريئة التي دخلت المحكمة لأوّل مرّة مع زرّ H-O-P-E على حقيبة ظهرها. تلك المغفّلة التي آمنت أنَّ كلَّ شيء ممكن، تلك التي التقت بأحد عشر غريباً في غرفة المحلّفين واعتقدتْ أنَّ أيّاً منهم قد يخرج من هناك حيّاً.

- «ماذا أصابنا؟»، سألتْ مايا. ثمَّ فكّرت كم كان غريباً هذا الذي قالته.

لكن بدا أنَّ لِيلا فهمتْ ما كانت تعنيه.

- «إنّها لعنة هذا المكان»، قالت لِيلا.

نظرت مايا حولها. هما امرأتان لم يكن من المفترض أن تجمعهما غرفةٌ واحدة؛ امرأتان ما كانتا لتجتمعا معاً. ومع ذلك، فقد كانتا معاً الآن، لتتّخذا قراراً مستحيلاً من داخل هذا المطبخ الضيّق؛ داخل هذا الحيِّ المنسيّ؛ داخل هذه المدينة المزدهرة؛ داخل عالمٍ كبير لن يهمّه من أمرهما شيء سوى أضواء الفضيحة البرّاقة.

- «ماذا سنفعل بشأن آرون؟»، قالت لِيلا.

كانت حالةً من الفوضى العارمة. كان بإمكان مايا أن تخبر الشرطة بأنَّ لِيلا قتلت ريك - لكنَّ لِيلا سوف تنكر ذلك. لم تُرد لِيلا أن تذهب مايا إلى السجن، هذا أكيد، لكن إذا اضطُرَّت للاختيار بين مايا وابنها... سيكون من الصعب على مايا أن تلومها على ذاك الخيار.

ما الأدّلة التي كانت بحوزة مايا حقّاً؟ رسْما تمساحٍ ملوَّنان؟ لم تكن تعرف حتَّى ما إذا كان قد عُثر على الرسم الذي بحوزة بوبي في غرفة النُزل. إذا استطاعت مايا أن تطلب من المحكمة إجراء اختبار حمض نووي - وهو أمرٌ غير مرجّح - يمكنها عندئذٍ إثبات أنَّ آرون كان ابن بوبي. لكن ماذا سيكون تأثير ذلك على التّهم الموجَّهة لمايا؟

إذا كانت الآنسة سيل المحترفة ستنظر في القضيّة، فسوف يتعيَّن عليها الاعتراف أنَّ الاستراتيجية الدفاعية التي اعتمدتْها كانت في الواقع أقوى من الجدل بشأن حقيقة ما جرى. إذا دفعتْ بتعدّد الاحتمالات - «يمكن أن يكون أيٌّ من هؤلاء القوم قد فعل ذلك» - يمكنها عندئذٍ استخدام الملفّات، اعتداء بيتر، تناقضات واين، ومَن يدري كم شيئاً آخر يمكن استخدامه. كان هناك الكثير من الأدلّة المحتملة التي يمكن الاستفادة منها. أمّا الحقيقة، فكحالها دائماً، هي ليست دفاعاً، وليست خلاصاً. الحقيقة لم تساعد أحداً يوماً.

دخلت في رأس مايا فكرة حمقاء لدرجة أنّها كادت تضحك. لكن كلّما فكَّرت بها أكثر، بدتْ أنها الشيء الصائب الوحيد.

إذا كانوا يريدون العدالة، أو الإنصاف، أو أيَّ نوعٍ من المخرَجات المعقولة على المستوى الأخلاقي في نهاية درب الموت هذا... سيتعيّن عليهم صنع ذلك بأنفسهم.

- «لديَّ فكرة»، قالت مايا. «لكنّها محضُ جنونٍ لعين».

تطلَّبَ الأمر ثماني مكالماتٍ هاتفية فقط للاتّصال بأعضاء هيئة المحلّفين الذين ما زالوا على قيد الحياة. أخبرتْهم ببساطة أنّه تمَّ الكشف عن هوية قاتل ريك، وأنّها تأمل أن يجتمعوا مجدّداً كي يقرّروا ما يجب فعله حيال ذلك.

توقَّعت مايا بعض الصدِّ والردود السلبية. لمَ قد يثق واين بأنَّ مايا لن ترميه تحت عجلات الحافلة؟ لم قد ترغب تريشا - التي كانت قد عادت إلى هيوستن - أن يكون لها علاقةٌ بأيٍّ من هذا مجدّداً؟

- «سيفعل واين ما هو أفضل للجميع، أيّاً كان. وأنا كذلك الأمر»، أكَّدتْ فران لمايا.

قالت تريشا إنّها ستأتي لأنَّها إن لم تفعل، فسوف تتنمَّر مايا على الجميع للوصول إلى قرارٍ بدونها.

قال جاي إنّه يحتاج إلى سماع الأدلّة بنفسه.

بدا كال منبهراً بمايا لكونها تمكّنت من حلِّ اللغز.

قالت كاثي إنّه إذا كانت فران ذاهبة، فهي أيضاً ستذهب.

قالت ياسمين أنّه إذا كان **الجميع** ذاهبين، فلن تكون الوحيدة التي ستتخلّف عن الحضور.

وقال بيتر إنّه سيفعل أيَّ شيءٍ لعين تريد منه مايا أن يفعله.

اجتمعوا بعد يومين في غرفة معيشة كال. اختير منزل كال لاتّساعه وحياديّته معاً: كانت هذه أكثر ساحة لعبٍ منصفة يمكن أن يجدوها نظراً للسرّية المطلوبة.

جلست فران وواين بجانب ياسمين على أريكةٍ وثيرة.
انحشرت تريشا مع كال وجاي في واحدةٍ أصغر.
سحبت لِيلا وكاثي كرسيّين من غرفة الطعام. بدتْ لِيلا وكأنّها لم تنم منذ أسابيع.

جلس بيتر لوحده على كرسيٍّ هزّاز أحضره كال من غرفة نومه. كان الكرسي يتحرّك جيئةً وذهاباً فيما قدمه تنقر على الأرض بعصبية.

وقفت مايا ووجَّهت حديثها إلى شبه الدائرة تلك كما لو كانت داخل قاعة محكمة.

- «نحن جميعاً هنا لأنّني أعرف كيف مات ريك. إذا كان أحدٌ لا يريد أن يعرف، فهذه هي فرصته الأخيرة للمغادرة. لكن إذا بقيتم، فأنا أطلب منكم وعداً: أن تبقوا حتّى النهاية. أن تبقوا حتّى نتوصل كمجموعة إلى اتّفاقٍ حول عقوبة القاتل. لقد اتّخذنا قبل عشر سنوات قراراً معاً، ربّما أخطأنا به، لكنّنا كنّا متّحدين. لدينا قرارٌ آخر لنتّخذه اليوم. ولا أعتقد أنّه من الصواب أن يفعل أيٌّ منّا ذلك بمفرده. لذا، إن كان هناك مَن هو ليس مستعدّاً لهذا الالتزام، فليغادر رجاءً. لا شيء يحدث في هذه الغرفة اليوم سيحتاج منه أن يقلق بشأنه بعد ذلك».

نظرتْ مايا في أعينهم واحداً تلو الآخر.
لم يتحرّك أحدٌ قيد أنملة.
- «لِيلا، هل تودّين إخبار الجميع بما حدث؟»، قالت مايا.
لم يستغرق الأمر منهم طويلاً كي يدركوا إلى أين تتّجه الأمور. كانت قصّة لِيلا متطابقةً إلى حدٍّ بعيد مع تلك التي أخبرتْها لمايا. لم تقم بتجميلها، ولم تقلّل من دورها في دفع ريك إلى حتفه.

إذ استوعبت المجموعة هذه القصة، توجّهت مايا إليهم بالكلام

مجدّداً، وزوّدتُهم ببقيّة المعلومات التي يحتاجونها لاتّخاذ قرار. أخبرتُهم عن ظهور واين المفاجئ خارج الفندق في تلك الليلة، وكيف كذبت فران لتغطّي عليه.

ثمَّ أخبرتهم بشأن بيتر.

بدا بيتر وكأنّه يريد أن يغرق مختفياً في كرسيّه بينما كانت مايا تصف ما تعرفه عن اعتدائه على مارغريتا.

على عكس لِيلا، بذل بيتر جهداً في محاولة الدفاع عن نفسه. قال متوسّلاً: «يجب أن تفهموا، لم تكن حالتي الذهنية على ما يرام... كنّا جميعاً نفقد صوابنا كما تتذكّرون، وكنتُ في ذلك الوقت متأثراً بتجاربي عبر الإنترنت ــــ».

- «اخرس تماماً»، قالت مايا، فامتثل لها.

- «السؤال المطروح أمامنا هو: ما الذي يجب أن يحدث الآن؟ أستطيع القول إنَّ هناك خيارين فقط».

أوضحتْ أنَّ الخيار الأوّل هو أن تعلن الحقيقة على الملأ. الحقيقة الكاملة طبعاً. سوف يرمون النرد، وستكون النتيجة رهناً بالشرطة التي لا يمكن التنبّؤ بسلوكها، ووسائل الإعلام عديمة المبادئ، والمحاكم غير الموثوقة. كانت النتيجة الأكثر ترجيحاً هي أنَّ آرون سيعيش حياته كابنٍ لقاتلٍ مشهور وإحدى معجباته، ومن الوارد أنّه سيكبر يتيماً؛ إذ سوف تُتَّهم لِيلا بجريمةٍ سوف تنكرها مع قدرٍ من المصداقية؛ لن يواجه بيتر أيَّ تهم جنائية، ومن المحتمل أيضاً أن يربح الدعوى المدنية من طرف مارغريتا التي قد يتسرَّب اسمها إلى الصحافة؛ وأخيراً وليس آخراً، قد يبقى مصير مايا هو السجن بسبب جريمةٍ لم ترتكبها.

لم يكن على مايا أن تبذل جهداً كبيراً لتستحضر لهم صورة اثني

عشر شخصاً مثلهم تماماً - أو ربّما ليسوا مثلهم في شيء - والذين ستقوم المحكمة بتجميعهم معاً للتعامل مع كلّ هذا واستخلاص النتائج منه. كانت تعرف جيّداً كيف سيكون حال هؤلاء المحلّفين الجدد، المسلّحون بأفضل النوايا للوصول إلى الحقيقة، قد يعتقدون حتّى أنَّ في وسعهم العثور عليها.

كان الأمل معقوداً - كما فكّرت مايا - على ألّا ينتهي الأمر بأحدهم أن يقتل الآخر، فهي لم تكن متأكدة من ذلك بالنظر إلى تجربتها في هذا المجال.

أو كان هناك الخيار الثاني. كان هذا الخيار أكثر تعقيداً، ويتطلّب مشاركة جميع الحاضرين. «في الخيار الثاني، نقرّر أن نتخطّى الحقيقة. ونمضي مباشرةً نحو العدالة. أو أقرب شيءٍ إلى العدالة يمكننا تدبّره»، اقترحتْ مايا.

- «العدالة لمن؟ لريك؟ لكِ؟ لطفل ليلا؟».

- «هذا هو بالضبط ما يمكننا أن نقرّره»، قالت مايا. «في الخيار الثاني، قلّةٌ منكم فقط أعطوني حجّة غياب ليلة الجريمة. لا يهمُّ مَن، المهمّ أن نخرج بقصّة متماسكةٍ بما يكفي لجعل الادّعاء يُسقط القضيّة».

- «أن نتأكّد من أنّكِ لن تذهبي إلى السجن، وكذلك لِيلا، أو أيّ شخصٍ آخر»، قال كال.

- «كيف؟»، قالت ياسمين.

كان بإمكانها رؤية عقل كال وهو يعمل ويبني شيئاً متردّداً وضبابيّاً. «ربّما كانت مايا مع جاي وتريشا حين وقعتْ جريمة القتل، لكنّهما لم يخبرا الشرطة بذلك لأنّهما كانا لا يزالان غاضبين من مايا بسبب الحكم الأصليّ».

- «هل سيصدّق أحدٌ ذلك؟»، قالت تريشا.

- «الأمر أشبه بقصّة **شاهِدٌ على المحاكمة**»، قال كال، «حيث كانت حجة غياب الزوجة أكثر تصديقاً لأنّها أعطتها على مضض». ثمَّ قال بعد أن رأى وجوههم الخالية من التعبير: «أجاثا كريستي؟ صنعوا فيلمين أو ثلاثة من هذه القصّة».

لم يستجب أحد.

تابع كال: «اسمعوا، أنا أطرح الأفكار بصوتٍ عالٍ فحسب».

- «الفكرة هي أنّه بوسعنا الخروج بشيءٍ ما»، قالت فران.

قالت مايا: «بيتر هو التالي. إنَّ الحقيقة التي لا مفرَّ منها هي أنّه لا توجد طريقة لوضعكَ في السجن. لذا سنكتفي بالتعويضات التي يمكننا تحصيلها. لقد ناقشتُ هذا مع مارغريتا، وأكثر ما تريده هو الحفاظ على سريّة هويّتها - لقد رأتْ ما يفعله كشف الأسماء بأناسٍ مثلنا - ومن ثمَّ الخروج من ذلك الفندق اللعين. إذاً يا بيتر، في الخيار الثاني، سوف تعطي لمارغريتا الكثير من المال. وأعني **الكثير** من المال حقّاً، بما يكفي كي تتقاعد من عملها الطويل في فندق أومني، وكي يذهب طفلاها إلى مدرسةٍ خاصة».

حاول بيتر الاعتراض. «لا أعرف كم تعتقدين أنّي أملك من المال، لكنَّ استثماراتي في الحشيشة غير سهلة التسييل ——».

- «لا أبالي بذلك البتّة»، قالت مايا. «سوف تتدبّر الأمر. ثمَّ ستتدبّر كيف ستفعل الشيء نفسه مع آرون. لِيلا سوف تربّي ابنها، ولن يكون في حاجة إلى شيء».

كان يمكنها رؤيتهم جميعاً يمعنون التفكير في كلِّ هذا. في الخيّار الثاني، سيكونون القاضي، والمحلّفين، والجلّاد، وأيَّ شيءٍ آخر قد يتطلّبه إحلال العدالة.

- «إذا قمنا بالأمر على هذا النحو، فمسألة موت ريك لن تُحلّ أبداً»، قالت ياسمين.

- «بالنسبة للجمهور سوف تكون قد حُلَّتْ. وأيُّ قرارٍ سوف نتّخذه يجب أن يكون بالإجماع طبعاً، لأنّه إذا انهار أيٌّ منّا، فسنكون جميعاً في ورطة كبيرة».

- «إنّها جريمة»، قال جاي. «'مساعدة وتحريض'، هكذا يسمّونها، أليس كذلك؟».

- «'شريكٌ لاحق'. ونعم، إنّها جريمة»، قالت مايا.

- «أنتِ تقولين إذاً إنَّ علينا جميعاً أن نرتكب جريمة كي ننقذ لِيلا؟»، قالت تريشا.

- «أنا لا أقول لأحد ما علينا فعله. إنّه خياركِ، أنا أسأل ما الذي تعتقدين أنّه يجب أن يحدث الآن»، قالت مايا.

قال كال: «إذا دخلت لِيلا السجن - حسنٌ، ماذا عن طفلها المسكين؟».

- «طفلُ بوبي نوك»، قالت فران.

تلفَّظ واين بكلماته الأولى في ذلك اليوم. «ليس ذنب الطفل هويّة والده».

كان من الصعب أن يجادل أحدٌ في ذلك.

تردّدت لِيلا، ثمَّ بدا أنّها قرَّرت عدم الدفاع عن سمعة والد طفلها. لم يكن هذا الزمان أو المكان المناسبين لذلك.

بدلاً من ذلك، قالت لهم: «لا يمكن لأحدٍ آخر أن يقرّر. يجب أن نقرّر نحن». وقفت لِيلا. «أعني، أنتم».

أوضحت للجميع أنّها لن تصوِّت. ستترك لهم أن يقرّروا ما يجب أن يحدث لها.

فهمت مايا ما كانت تقصده، كما بدا أنَّ الآخرين فهموا أيضاً.

بعد كلٍّ ما مرّوا به، على المستوى الفرديّ والجماعيّ، عرفوا أنّهم لا يستطيعون وضع مصيرها في أيدي النظام. في أيدي غرباء. في أيدي أشخاصٍ مثلهم.

بعد أن غادرت لِيلا، نهضت كاثي، وكأنَّ الوقت حان كي تتولّى مسؤولياتها رسميّاً. من الواضح أنَّ شكّها المعطّل بذاتها الذي اعتراها في غرفة المحلّفين قبل عشر سنوات لم يعاودها أبداً.

- «كال، هل لديك أوراق، أقلام، قرطاسية؟»، قالت كاثي.

أرشدها إلى درج المطبخ، فعادت ومعها مجموعة بطاقات وعلبة أقلام.

- «تصويتٌ أوّلي، لنعرف أين نحن واقفون»، قالت كاثي.

لم يعترض أحد.

وزّعتِ البطاقات.

عندها، ولأوّلِ مرّة منذ عشر سنوات، أجروا تصويتاً.

24

كارولينا

2 يونيو، 2009

لثلاثين عاماً، امتلكتْ ألانا، أختُ كارولينا كانسيو، وأدارت، وعاشت في متجر **بيت أوراق الحظ**، وهو متجر عِرافةٍ صغير على شارع سنست. كان زوج ألانا الذي توفّي منذ زمنٍ بعيد قد طلاه من الخارج بالأسود بالكامل. ذلك الرجل عديم القيمة كان سكراناً لدرجة أنَّ الحروف البيضاء التي وضعها فوق المدخل بدت معوَّجةً. طوال هذا الوقت، وبعد خمسة عشر عاماً من الليلة التي كان فيها ثملاً لدرجة أنّه سقط من فوق جسر شكسبير ومات، كانت الحروف لا تزال على حالها دون إصلاح. الأمر الذي قد يخبرنا شيئاً عن ألانا.

شيء آخر عن ألانا: هي لم تصدّق الهراء الخرافي الذي كانت تبيعه في متجرها. كانت كاثوليكية، كحال شقيقتها كارولينا. كانتا قد نشأتا وترعرتا في دورانغو، ثم جاءتا إلى لوس أنجلوس في سنٍّ مبكّرة بما يكفي لتتعلّما اللغة الإنجليزية بسرعة. كانت ألانا تصلّي لمريم العذراء بجوار كارولينا، وكانت تلقي قطع النصف بيزو المعدنية في النافورة قرب الكاتدرائية. لم تكن ألانا امرأةً ملحدة. لم تكن مثل كلِّ أولئك البيض الذين كانوا يدخلون مترنّحين إلى بيت

أوراق الحظ، ويضحكون كما لو أنَّ كلَّ ذلك عبارة عن نكتة، لكنّهم في حقيقة الأمر لا يريدون شيئاً أكثر من الاعتقاد بأنَّ مستقبلهم قابلٌ للقراءة. كان الجميع بحاجة أن يؤمنوا بشيءٍ ما، وكانت كارولينا تعرف ذلك. لذا فأختها ربّما لم تكن تستغلُّ أولئك البيض، حين كانوا يطرقون بابها في الساعة العاشرة والحادية عشرة ليلاً، ويدفعون خمسة وأربعين دولاراً لقاء قراءة أوراق الحظ على ضوء الشموع، فقد حصل الزبائن دائماً على ما جاؤوا من أجله.

كانت ألانا ستقول: «لقد قابلت بالفعل حبَّ حياتك. أنتَ فقط لا تعرف ذلك بعد».

لطالما أعطاهم هذا شيئاً ليثرثروا حوله.

أو قد تقول: «أنتَ تقلق كثيراً بشأن المال». فكانوا يومئون، وكأنّه نوعٌ من الوحي أو الإشارة، قبل أن يسلّموها المال.

الجزء المزعج كان أنّه بعد مغادرتهم، كانت تواصل لعب الدور. هل كانت تؤمن حقّاً بالأحمق، وملك السيوف، والموت(*)، التي طالما قالت إنّها تمثّل حقّاً حياةً جديدة؟ يُفترض بها أن تكون أكثر حنكة. لأنَّ يسوع لم يأتِ على ذكر أوراق الحظ، والقدّيس بولس لم يعبث في حياته بالعظام الجافة لقطٍّ نافق، على حدِّ علم كارولينا. فلتغفر السماء لكارولينا لقولها شيئاً مثل هذا، لكنَّ أختها كانت كومةً من القرف.

والآن، صدّقوا أو لا تصدّقوا، تريد ألانا أن تتولّى ابنتها سونيا، إدارة بيت **أوراق الحظ**، كي تهذر بنفس الهراء إلى المزيد من البيض المنتشين.

(*) أوراق من أوراق الحظ – المترجم.

كانت سونيا قد كبرت بالفعل، وهي مديرة مكتب إعداد الضرائب في الجوار. لديها أطفالٌ وزوجٌ وحياة - ما الذي قد تحتاجه من بيت **أوراق الحظ؟**

لكن حين تحدّثت كارولينا عن كلّ ذلك، ماذا قالت ألانا؟ سألتْ لماذا تتدخل كارولينا في شؤون الآخرين. قالت ألانا إنَّ السبب في ذلك ربّما هو أنَّ ابنَي كارولينا قد كبرا، وغادرا، وهما يرعيان الآن أسرتيهما في ريفرسايد وسان لويس. لم يعودا إلى البيت أبداً، ولم يهتمّا بوالدتهما العجوز الفضولية، ولذا كان عليها أن تتدخّل وتقول للجميع كيف يجب أن يعيشوا حياتهم. إذ إنَّ حشر أنفها في الأماكن التي لا ينتمي إليها كان أكثر ما تجيد فعله.

حين وصل الاستدعاء إلى هيئة المحلّفين، تركتْه كارولينا على طاولة المطبخ ليراه الجميع. خلال أسبوعين، لاحظ أيُّ شخصٍ مرَّ بمطبخها ختم ولاية كاليفورنيا على الظرف. وقد غضبت لدى إعراب أيٍّ كان - جار، صديق، ألانا، سونيا - عن تعاطفه مع حظّها التعِس لاضطرارها إلى هذه الخدمة. هي لم تُجبر تحت تهديد السلاح على الذهاب إلى هيئة المحلّفين، بل كانت تقوم بما يجدر بكلِّ أمريكيٍّ القيام به. كان هذا بمثابة طقسٍ لا يقلُّ أهمية عن طقس أداء قسم المواطَنة الذي أقسمتْه عام 1964. ليس في هذا ما يدعو للشكوى، بل إنّه امتيازٌ فازت به بجدارة عبر خمسةٍ وأربعين عاماً من دفع الضرائب، والامتثال للقوانين، وحبِّ البلد الذي تزوّجت فيه، وربّت ولدين، وأصبحتْ أرملةً شابّة، ثمَّ عجوزاً أكبر سنّاً وأكثر صحّة ممّا كان عليه والداها يوماً. إذا أرادت أختها التشبّث بحياة الاحتيال المحرجة وغير الأخلاقية، فهنيئاً لها بتلك الحياة. لكنَّ كارولينا، وفي الثانية والثمانين من عمرها، كانت لا تزال قادرةً أن

تُظهر لسونيا أنَّه يوجد في الخارج عالمٌ واسع ورحب، وأنّه حين تقول ولاية كاليفورنيا إنّها في حاجةٍ لمساعدتك في تحديد ما إذا كان مواطنٌ آخر مذنباً أم بريئاً، فعليكِ أن تذهبي.

بعد كلِّ هذا، كان لدى أختِ كارولينا الغبية الجرأة لتقول إنَّ كارولينا كانت تفعل ذلك فقط لأنّها تحبُّ إطلاق الأحكام على الناس وحسب.

كانت كارولينا أول محلّف تمَّ اختياره. لذا فقد جلست في اليوم الأول تحلُّ ألغاز السودوكو، بينما كان المحلّفون الآخرون يتوافدون واحداً تلو الآخر.

أولّهم كان المحلّف 158. بدا أشبه بدودة كتب. كان يرتدي ملابس أنيقة، وهو شيءٌ تقدّره كارولينا.

كانت أولى كلماته لها: «هل أنتِ عرّافة؟».

كيف عرف ما كانت تفكّر به؟ شعرتْ بالغباء حين نظرت للأسفل ولاحظت أنّها كانت تحمل حقيبة متجر بيت **أوراق الحظ**. كان من المضحك أنّها استعارت اليوم، من بين كلِّ الأيّام، إحدى حقائب أختها كي تحمل فيها مجلاتها للألغاز والكلمات المتقاطعة. كان بيت القصيد من كلِّ هذا أنَّ أخت كارولينا كانت تزعم بأنّها عرّافة، والسبب الرئيسي الذي جعل الأمر ينتهي بكارولينا هنا، في هذا المكان، هو إثبات أن أختها أخطأت.

- «أنا لا أؤمن بالحظّ»، قالت للمحلّف 158.

يا لها من مجموعة! تلك التي وضعوها معاً!

السيّدة اليهودية الحسّاسة، التي بدا أنّها لم تكن تقوى على

تحمّل الكثير من الهراء، لكنّها قامت مع ذلك بتنظيف قذارتهم كما لو كانوا جميعاً أطفالها. الرجل الأبيض العجوز المضحك الذي يقرأ روايةً ما دائماً، لا بدَّ أنّه مثليّ (في هذا السن!). الرجل الأبيض الأصغر سنّاً الذي أدّى وصلةً ترفيهية عبر ضرب الشباب الآخرين على ظهورهم. الرجل الصيني الذي سأل حاجب المحكمة ثلاث مرّات عن وقت انتهاء دوام المحكمة في العادة.

كوّنتْ كارولينا انطباعاً عنهم جميعاً قبل أن يتمكّنوا من تكوين انطباعاتٍ عن بعضهم البعض. وكان الشيء الرئيسي الذي ما انفكّت تفكرّ فيه هو: **ما نوع القدر المجنون الذي قد يضع هؤلاء الأشخاص معاً في نفس الغرفة؟**

ليس الأمر أنَّ أيّاً منهم كان يجعل كارولينا تشعر بالتوتُّر. لكن حالما تدمجهم معاً... حسنٌ، على نحوٍ ما، بدا الأمر أنَّ هؤلاء الأشخاص سيصطدمون ببعضهم مثل أحجار الصوان. وسيقذفون بعضهم بعضاً في اتّجاهات ما كانوا ليتوقّعوها.

لقد بدوا جميعاً أناساً محترمين، سيحاولون بذل ما في وسعهم لتحقيق العدالة من أجل فتاة ماتت قبل أن يتسنّى لأيٍّ منهم اللقاء بها. كان كلّ ما أرادوه هو تقديم المساعدة. جالت كارولينا بنظرها عبر غرفة المحلّفين ورأت أربعة عشر شخصاً لا يحملون شيئاً غير نواياهم الحسنة.

لماذا إذاً لم تستطع التخلّص من الشعور الذي كان ينبئها بأنّ أفضل نوايا زمرة الغرباء **هذه** كانت ستجعل الأمور أسوأ فحسب؟

- «أنا لا أؤمن بالحظ»، قالت للمحلّف 158.

لكنّها بدأت ترى لَمَ كان الناس يؤمنون به.

25

أطرافٌ مذنبة

الآن

صوَّتَ جاي كيم لصالح إنقاذ صبيٍّ من عقوبةٍ مدى الحياة بسبب سمعةٍ سيّئة.

صوَّتَ كال بارو لصالح إبقاء حالةٍ حسّاسة وحرجة بعيداً عن أيدي الشرطة الخشنة.

صوَّتتْ ياسمين صرّاف لصالح عدم جرِّ أحدٍ آخر إلى هذه الفوضى العارمة.

صوّتَ واين راسل لصالح القيام بما هو أفضل للمجموعة بأكملها.

صوَّتت تريشا هارولد لصالح عدم السماح لمجموعةٍ من الغرباء أن يقولوا لهم مَن يكونون.

صوَّتت فران غولدنبرغ لصالح وضع مصلحة آرون على رأس قائمة الأولويات.

صوَّتَ بيتر ويلكي لصالح ما ينقذ مؤخرته.

صوَّتت مايا سيل لصالح تصحيح خطئها الأصلي.

لثمانية أسباب مختلفة، صوَّتَ جميع الأعضاء السابقين بهيئة المحلّفين في قضيّة الشعب ضدَّ بوبي نوك بالإجماع على الكذب من أجل مستقبلٍ أكثر إشراقاً.

كانت القصّة التي اخترعوها معقَّدةُ الحبكة. بمجرّد أن اتُّخذَ القرار الصعب بإخفاء الحقيقة، كان الفعل الإبداعي للخروج بقصّة بمثابة شعورٍ لذيذٍ بالراحة. مَن سيكون الشرير؟ مَن سيكون صوتهم البطوليّ؟

في هذه النسخة من الحقيقة، كانت مايا بصحبة تريشا في الساعة التي قُتل فيها ريك. كانتا تتجادلان حول ما حدث حقّاً لجيسيكا سيلفر. لكن بعد مقتل ريك، واستناداً إلى تجربتهما السابقة مع القانون، لم تُرد أيٌّ منهما قول كلمةٍ واحدة للشرطة. كانت تريشا قد أسرَّت لفران بحجة غياب مايا في ذلك الصباح. ومن ثمَّ ستكون فران أوّل مَن سيفصح للسلطات عن هذا. ستعترف تريشا بعد ذلك أنّها أخفت الأمر. لم تكن قلّة صراحتها فيما يتعلّق بمايا شيئاً غير قانوني، ففي الواقع، أحد أسباب صمتها كان معرفتها أنَّ مايا بريئة، وهي تثق تماماً أنَّ نظام العدالة لن يجرِّم امرأةً بريئة.

كان ذلك أذكى هراءٍ توصّلوا إليه. وهي فكرة كال بالمجمل. بدلاً من التعبير عن حالة مكتَسبة من عدم الثقة بالنظام القضائي، أعلنت تريشا وفران أنَّ ثقتهما المطلقة بالنظام القضائي هي التي حرّضت صمتهما. كانتا تقولان ما معناه: **وثقنا بكم لتقوموا بالأمر على النحو الصحيح، لكنّكم لم تفعلوا، لذا كشفنا عمّا لدينا كي ننقذكم.**

كانوا يعرفون أنَّ هذه القصّة ستصبح علنية، لذا كان عليهم

جميعاً أن يشهدوا على صحّة هذه النسخة من الحقيقة للشرطة وللجميع، إلى الأبد.

كما كان الحال دائماً، كانوا أكثر تضامناً معاً حين قاموا بكسر القواعد وعصيان القوانين.

حين عادت ليلا وسمعتْ قرارهم، شرعت بالبكاء. ذهبتْ إليهم وأخذت تعانقهم واحداً تلو الآخر. كانت بطريقةٍ ما تخبرهم أنَّ آرون الآن أصبح ابنهم جميعاً. كانوا جميعاً يمنحونه الحياة التي عجز والده الحقيقيّ عن منحها له.

على الأقل، لقد خُلقت حياةٌ جديدة ضمن سُبحة الموت هذه. فكّرتْ مايا أنَّ على الأقل هناك في كل هذا شخصاً واحداً بريئاً بحقّ، في صميم وأعماق روحه.

التقت مايا بكريغ في مكتبه في صباح اليوم التالي للمداولات لتخبره بما «حدث حقاً». أوضحتْ أن ليس تريشا فقط ستشهد بأنّها كانت مع مايا وقت وفاة ريك، بل إنَّ فران ستشهد لتريشا بأنّها أكّدت لها تلك المعلومة في ذلك الصباح. لا أحد سيناقض قصّتهما.

حين انتهت، كان أوّل ما قاله: «هل أنتِ متأكّدةٌ أنّهما ستشهدان بهذا؟».

- «إنّهما تتّصلان بالشرطة هذا الصباح لفعل ذلك بالضبط».

- «وهل تريشا وفران - ناهيك عنك أنتِ - مدركتان للآثار القانونية المترتبة على هذا... الاعتراف؟».

- «نحن مدركات».

رفع كريغ حاجبه.

تابعتْ مايا: «هل تعتقد أنّهم سيسقطون التهم؟».

فكّر كريغ بالأمر. «ليس خلال أسبوع أو اثنين. سيضعون الضغط عليكِ، وعلى زميلتيك. سيرون إن كان في وسعهم جعل شيء يُفلت منكم. كما تعلمين، في حال كانت أيٌّ منكنَّ تكذب بشأن هذا - وأنا أعلم بالطبع أنّكنّ لا تكذبن - فسيحاولون دفع إحداكنَّ إلى الانهيار. أو أيّ واحدٍ من البقية. أيُّ تناقضٍ في القصّة سيفي بالغرض».

لم يرفّ لمايا جفن. «حسنٌ».

- «بعد إذنك، دعينا ننتظر حتّى تقدّما قصتهما للشرطة. حين تفعلان ذلك، سوف يتّصل بي المدّعي العام - سيتّهمني بلا شكّ بكلِّ تهم الخداع والاحتيال - وبالطبع سأقول إنّني لم أفعل شيئاً عدا الأخذ بكلام موكّلتي». صمتَ للحظة. «ثمَّ سأدخل معكِ. ستخبرينهم بما أخبرتني به للتوّ. ليس كلمةً واحدة أكثر من ذلك».

- «كريغ... شكراً لك».

بطريقةٍ ما، لم يُلهم الفهم المتبادل لحقيقة أنّها كانت تكذب عليه وأن كليهما يعرف ذلك، لم يُلهم أيّاً منهما لإظهار عواطفهما. «أنتِ على الرحب والسعة».

بعد أسبوعين، أسقطت ولاية كاليفورنيا جميع التهم الموجَّهة إلى مايا سيل. كان المدّعي العام قد سرَّب بالفعل قصّة المحلّفين إلى الصحافة، التي قامت بتشريحها بحماسةٍ كبيرة، كما لو كان الأمرُ فضيحةً تخص العائلة المالكة البريطانية.

أُعيد فتح التحقيق في وفاة ريك، لكنَّ المحقّقين لم يكونوا يأملون في إحراز المزيد من التقدّم.

مكث والدا مايا في لوس أنجلوس شهراً كاملاً. عندما أُسقطت

التهم، خرجت والدة مايا لتمشي. مشت مسافةً طويلة لوحدها. أرادت أن تجمع شتات نفسها وتستعيد تماسكها. ولم يعد والد مايا يشعر بالحرج من البكاء أمامها. لم يكن والداها غبيّين. لا بدَّ أنّهما عرفا أنَّ القصّة التي برَّأتِ ابنتهما كانت مجرّد كذبة. لكنّهما لم يسألا عن ذلك ولو مرّةً واحدة. كان هناك قدرٌ من الأكاذيب بين الطفلة ووالديها يُعتبَر مقبولاً - وقد تمَّ الاتّفاق عليه بطريقةٍ ما في العقد المبرم بينهم - وكانت هذه الكذبة صالحة لتستقرَّ في الكومة.

بعد أسبوعٍ من ذلك، استعدّت مايا للعودة إلى العمل. يمكنها الآن أن تتباهى بكونها مدَّعىً عليها إضافةً لكونها محلّفة. ستكون خبرتها الخاصّة والفريدة عاملاً في زيادة الطلب عليها. قرَّر كريغ رفع أجر ساعة عملها.

في الليلة التي سبقت عودتها إلى المكتب، خرجت لتناول عشاءٍ طويل مع كريستال. وبينما كانتا تتناولان المحار، حاولتْ مايا أن تتطرق إلى مسألة حجّة غيابها. لم تُرد أن تكون كريستال غاضبةً منها، لكنّها لم تكن قادرةً على إخبارها بالحقيقة أيضاً.

- «انظري، أنا أعلم أنَّ تلك القصّة عني وعن تريشا، ليلة الجريمة، كانت بمثابة مفاجأة كبيرة...».

- «أوه، ذاك الهراء؟»، قاطعتها كريستال ضاحكة. «إليكِ ما في الأمر، اتّفقنا؟ نحنُ هنا الآن. أنتِ لستِ في السجن. لذا، أنتِ تخبرينني بما تحتاجين إلى إخباري به فقط. وطالما بقيتِ بعيداً عن المشاكل، أعدكِ أنّني لن أسأل عن شيءٍ أبداً».

أخذت مايا نفساً عميقاً ثمَّ رفعت كأسها من نبيذ بروسيكو، فنقرتْه كريستال بكأسها من الماء الفوّار.

في صباح اليوم التالي، دخلت مايا مكتبها مجدّداً.
كان مايك ومايك هناك لاستقبالها. بدا أنّهما سعيدان بعودتها.
ما زالت لا تستطيع التميز بينهما.

بعد أسبوع، كتبت مايا رسالةً إلى ريك. جلست في فناء منزلها الخلفي، وكتبت الوداع الذي لم تُتَح لها الفرصة لقوله. سامحت ريك على كلّ شيء: على إدانته العلنية لها وتشهيره بها، على مطاردته لبوبي، وعلى محاولته ابتزاز لِيلا. اعتذرت منه عن التستّر على ملابسات وفاته. أمِلت أنّه إن كان هناك شخصٌ قد يتفهّم ذلك، فسيكون هو. شعرت أنّه لو هدَّد محلَّفٌ آخر ابن لِيلا، كان ريك سيصوِّت بنفس الطريقة التي صوَّتوا بها. أمِلتْ أنّهما لمرّة واحدة، كانا سيتّفقان على شيء.

قالت إنّها تمنّت لو أخبرتْه بأنّها أحبّتْه حين كانت الفرصة متاحة لذلك. تعتقد أنّه هو أحبّها ذات يوم أيضاً. لو لم يقف موت جيسيكا حائلاً بينهما، لربّما كانا لا يزالان يحبّان أحدهما الآخر. ولكن بالمقابل، لو لم تمت جيسيكا، فما كانا لِيلتقيا أبداً.

طوت مايا الرسالة ثمَّ أضرمت النار فيها. شاهدت رمادها يتطاير في الهواء، حيث حملتْه ريح الخريف بعيداً.

في اليوم التالي، عاود لو سيلفر أخيراً الاتّصال بمايا. أو بالأحرى فعلت إحدى مساعِداته ذلك. سألتْها المرأة إن كانت ترغب في القدوم والتحدّث مع لو شخصيّاً قائلة: «يودُّ السيّد سيلفر أن نرمي كل هذه الضغائن خلفنا».

كان ذلك عصر يوم جمعة حين شقّت مايا طريقها نحو سنتوري

سيتي. كان غروب الشمس مرئياً من كلّ واحدةٍ من النوافذ الممتدة من الأرض إلى السقف بينما كانت إحدى المساعدات تصطحبها إلى مكتب لو. كانت لوس أنجلوس تتوهج بوشاحٍ قرمزي. وهناك كان لو جالساً خلف مكتبه، أمامه بعض الأوراق والصور الفوتوغرافية المؤطّرة.

هل كان بوبي قد أخبرها الحقيقة بشأن إساءة لو لابنته؟

في المقابل، هل قالت جيسيكا الحقيقة لبوبي؟ أم أنَّ بوبي اختلقَ كلَّ ذلك ليبقي مايا في صفّه؟ كان على مايا قبول أنّها لن تعرف الحقيقة أبداً. في هذه المرحلة، قد تكون لا ترغب في ذلك حتى.

- «إذاً؟». قادها لو نحو مقعدٍ جلدي بجانب طاولة قهوةٍ كبيرة، ثمَّ جلس بجانبها. «هل ستقولينها؟».

كانت ستضحك لو أنَّ أشخاصاً مقرَّبين من كليهما لم يكونوا قد قُتِلوا.

- «لقد كنتَ على حقّ». نظرت مايا في عينيه. «كنتُ مخطئة».

أومأ لو برأسه أصغر إيماءة ممكنة. ثمَّ عبس، وكأنّه أصيب بخيبة أمل لكنّه لم يكن يعرف لماذا.

- «هل يساعد أن تعرف أنّكَ كنتَ على حقّ؟»، سألت مايا.

أمال رأسه. «لستُ متأكّداً من ذلك بعد».

- «لقد استغللتَني».

- «حقّاً؟».

- «أرسلتَني للعثور على بوبي نوك في إيست جيسوس. ثمَّ أرسلتَ المراسلين في إثري. وهكذا لا يعثرون عليه فحسب - بل يعثرون عليه معي».

- «أوه، نعم. لقد فعلتُ ذلك». لم تكن هناك نبرة خجلٍ في اعترافه. سيكون اكتشاف مكان بوبي قصّةً أهمَّ وأكبر إذا عُثر عليه بصحبة أحد محلّفيه السابقين. المزيد من الصحافة ستطارده عندئذٍ. كان هدف لو الأوحد هو تعذيب بوبي بكلّ طريقةٍ ممكنة، وكانت مايا قد ظهرت أمام بابه وقدّمتْ نفسها كأداةٍ مفيدة.

- «أنا غاضبةٌ حيال ذلك»، قالت مايا.

- «غاضبةٌ منّي؟».

- «نعم».

- «لا تبدين غاضبة»، قال لها.

ماذا كان يفترض بها أن تفعل؟ تصرخ في وجهه لتلاعبه بها سعياً وراء العدالة التي كانت قد حرمت ابنته المقتولة منها لزمنٍ طويل؟ «أظنُّ أنّه عليكَ أن تأخذ بكلمتي بهذا الشأن فقط».

- «لم أكن أنا الآخر محقّاً بشأن كلِّ شيء».

- «حقّاً؟».

- «بوبي نوك لم يقتل ريك ليونارد».

كانت هذه إشادةً كبيرة ببوبي من لو. إذ على الأقل تبيَّن وجود خطيئة كان بوبي بريئاً منها.

تابع لو: «لقد عثرت الشرطة على الصور، تلك التي التقطها «رفيق» بوبي أو ما شابه، المصوِّر الفوتوغرافي في الصحراء».

- «أروكَ الأختام الرقمية».

- «هذا صحيح. لذا فقد كنتُ مخطئاً بهذا الشأن».

- «حسنٌ، كنتَ محقّاً على الأقل في أنّي لم أفعل ذلك»، قالت مايا.

انحنى مقترباً. «هذا يجعل المرء يتساءل. مَن قتل ريك؟».

فهمتْ مايا الآن لمَ كان يتكرَّم عليها بهذا الاعتذار الصغير وغير المباشر. هو لم يكن يعرف الحقيقة بشأن موت ريك، لكنّه كان يعرف أنَّ قصّتها مجرّد هراء.

حياة ريك لم تكن لِتهمَّ لو بأيِّ شكلٍ من الأشكال. وحيث إنَّ بوبي لم يقتله، فإنَّ فضول لو حول مَن فعل ذلك كان فارغاً من أي معنى.

- «هل تعتقد أنّنا سنعرف يوماً»، سألتْه.

ظلَّ ساكناً تماماً. «هذا قاسٍ حقّاً. حالما أثبتنا على نحوٍ قاطع مَن قتل ابنتي... فقدنا أيَّ خيط يدلُّ على مَن قتل حبيبك».

إذا كانت هناك نبرةُ استهزاءٍ أو تعالٍ في إشارته إلى ريك على أنَّه «حبيبها»، فهي لم تتمكّن من التقاطها. مع ذلك، كانت هناك لسعةٌ مؤلمة في تلك الإشارة. «ربّما سأضطر إلى العثور على طريقةٍ للتصالح مع عدم المعرفة. لقد حصلتُ على الكثير من التدريب في هذا المجال».

- «أو ربّما ستكتشف الشرطة ما حدث».

- «أنا آمل ذلك».

- «آملُ أنَّ قاتل ريك سيحظى بهيئة محلّفين ممتازة».

قاطعهما رنين الهاتف. أجاب لو بفظاظة، ثمَّ قال لمن كان على الطرف الآخر إنّه سيكون هناك في الحال.

التفتَ إلى مايا. «هلّا تعذريني للحظة؟ يواجه شركاء الابتكار أزمةً مع ابتكاراتهم في وقتٍ متأخر من عصر يوم جمعة».

أشار بإصبعه بإيماءة «دقيقة واحدة»، ثمَّ تركها وحيدةً في مكتبه.

تمعَّنت في مشهد الغروب. كان المنظر خلّاباً من هذا الارتفاع. كانت الجهة الشرقية من المدينة قد أظلمت بالفعل، وإلى الغرب كانت

آخر خيوط الشمس على وشك الاختفاء خلف المحيط. كان غروب الشمس في لوس أنجلوس يأتي بالتدريج، ثمَّ ينتهي في لحظة.

دارت حول مكتب لو نحو النوافذ الغربية وهي تلحق بآخر أضواء النهار.

ثمَّ أخذت تنظر إلى الملفّات، والمجلّات، والصور الفوتوغرافية على المكتب.

كلُّ الصور كانت لجيسيكا.

كانت كلٌّ واحدةٍ منها تعود لمرحلةٍ مختلفة من حياتها القصيرة. صورة طفلةٍ رضيعة حيث الفتاة مغمضة العينين، ملفوفةٌ ببطّانية المستشفى، ومستلقية بين ذراعيّ إيلين. صورةٌ في الحضانة وهي تقفز على الترامبولين، وشعرها الأشقر يتطاير في كلِّ الاتّجاهات. صورةٌ في المدرسة الابتدائية حيث كانت تحاول الزحف داخل بيت دميةٍ كبيرٍ. صورةٌ في المدرسة الثانوية حيث تصطنع الفتاة المراهقة بزيّها المدرسيّ ابتسامةً في يوم الصورة المدرسية.

أدركتْ مايا كم كانت تعرف عن الأشهر الأخيرة من حياة جيسيكا، لكنّها أدركت أيضاً ضآلة معرفتها بالسنوات الخمس عشرة السابقة. هي لم تختبر أبداً جيسيكا التي كان لو وإيلين قد اختبراها. كانت مايا بطريقةٍ ما تعرف فقط الجانب المحدود من جيسيكا الذي لم يعرفاه.

تخيّلت مايا كيف هو الحال بالنسبة للو وهو يرى هذه الصور كلَّ صباح. أيّاً كان ما حدث بينهما خلف الأبواب المغلقة، فهو لم يكن يحاول الاختباء أو النسيان، كما قد يفعل الكثير من الناس. بدا الاحتفاظ بهذه الصور هنا عملاً جريئاً. فخوراً. لقد كانت هذه ابنته.

التقطتْ عينا مايا إحدى الصور التي لم تكن قد رأتها من قبل

- صورةٌ لجيسيكا مع عائلتها المبتسمة. لو وإيلين وجيسيكا التي كانت في العاشرة أو الثانية عشرة أثناء عطلةٍ على الشاطئ. ارتدى لو قميصاً بألوانٍ زاهية. بدت جيسيكا وإيلين وكأنَّهما نفس الشخص في مرحلتين مختلفتَين من حياتهما. كانتا ترتديان بذلتَيْ سباحة زرقاوين متطابقتين، وقبّعتين بيضاوين متطابقتين. وحول عنقيهما، قلادتان متطابقتان من الفضة.

أمسكت مايا بالصورة. شعرتْ بمذاقٍ معدنيٍّ مرٍّ في فمها.

تلك كانت القلادة التي ارتدتها جيسيكا يوم وفاتها. تلك التي رأتها مايا في الصور مليون مرَّة خلال المحاكمة. القلادة التي ظهرت ذات يوم غلاف مجلة تايم.

كان لدى إيلين واحدةٌ مطابقة.

كيف حدث أنَّ مايا لم تسمع أبداً، طوال ذلك الوقت، كلمةً واحدة عن وجود قلادة ثانية؟ قد لا يكون هناك شخص حيٌّ - باستثناء لو ربما - يعرف عن موت جيسيكا أكثر ممَّا كانت تعرف مايا. ومع ذلك، فهي لم تكن تعرف أنّ لهذا الدليل الرئيسي - الدليل الذي أثبت أخيراً بعد عقدٍ من الزمان أنَّ بوبي كان القاتل - لم تكن تعرف أنَّ لهذا الدليل نسخةً مطابقة؟

إذا كانت جيسيكا ووالدتها تمتلكان قلادتين متطابقتين، فمعنى ذلك...

رفعت مايا عينيها لدى سماعها صوت الباب يُفتَح.

حرّكتْ شفتيها كي تشرع في استجواب لو بشأن ما اكتشفتْه. لكن لم يكن لو سيلفر مَن دخل إلى المكتب.

لقد كانت إيلين.

كانت ترتدي بذلةً ناصعة البياض تتلاءم مع بياض شعرها

الأنيق. طقطق كعباها فوق الأرضية الخشبية إذ توقّفت لدى رؤية مايا هناك.

- «آنسة سيل!»، قالت إيلين متفاجئة. «لم أكن أعرف أنّكِ هنا».

بدأت إيلين تبتسم لمايا، ثمَّ انتبهت إلى التعابير على وجه هذه الأخيرة. «هل من مشكلة؟».

أدارت مايا الصورة حتّى تتمكّن إيلين من رؤيتها. «كانت لديكِ أنتِ وجيسيكا قلادتان متطابقتان».

ارتعشت شفتا إيلين قليلاً. «ربّما يجب أن أحضر زوجي».

- «أين هي قلادتكِ؟».

- «أنا واثقةٌ أنّني لا أعرف».

- «عشر سنوات ولم تخبري أحداً أنَّ هناك قلادتين؟».

- «لا بدَّ أنَّ زوجي قد خرج لتوِّه، سوف أعثر عليه».

- «إذا كانت جيسيكا قد لمست قلادتكِ، فمن السهل أن تحتوي على آثار حمضها النووي. ربّما حتّى القليل من شعرها. فلن يكون من الصعب أبداً زرع شعرةٍ فيها إن كان عليكِ ذلك».

شبكتْ إيلين يديها. «أنا لا أقدّر هذه النبرة. سأطلب منكِ المغادرة».

كانت يد مايا ترتعش. «أنتِ تعرفين بالضبط أين هي قلادتكِ... لأنَّ زوجكِ زرعها عند جثّة بوبي، بعد أن قتله».

ساد صمتٌ باردٌ في الغرفة. هبّت ريحٌ قويّة في الخارج، سمعتْ مايا صوتها وهي تضرب النوافذ خلفها.

- «دعينا نأخذ نفساً عميقاً قبل أن نقول شيئاً لا يمكننا سحبه».

- «أنتِ تعرفين بالضبط ما قد فعله زوجكِ. توقّفي عن الكذب لأجله. توقّفي عن مساعدته في التستّر على جرائمه».

- «جرائم؟».

- «كان محقّقو لو يلاحقون بوبي منذ أن عثر عليه ريك. لقد لاحقوني أيضاً حين قدتُ إلى هناك، ألم يفعلوا؟».

- «ليست لديَّ فكرة عمّا تتحدّثين».

- «كانوا يلاحقون بوبي حين وصل إلى ذلك النُزل في تكساس.. لهذا السبب لم يكن بإمكان لو أن يرسل الصحافة إلى إيست جيسوس قبل أن يرسلني إلى هناك أوّلاً. كان يحتاج طبقةَ حمايةٍ إضافية. لقد عثرتُ على بوبي، وعثرت الصحافة عليّ، فهرب بوبي مرّةً أخرى، ولحقت به جماعة لو. وصلوا إليه في النُّزل. جعلوه يكتب رسالة الانتحار. وحده لو سيلفر كان سيؤلّف هذه الملاحظة المثالية: «أنا آسفٌ جدّاً». قامت جماعة لو بشنق بوبي، ثم زرعوا القلادة الثانية في المكان. احتفظتِ بها لسنوات، أليس كذلك؟ هل كنتِ تعرفين ماذا سيفعل بها لو؟ لماذا انتظر كلَّ هذا الوقت؟ لماذا لم يُلصق هذا الدليل ببوبي قبل عشر سنوات؟ لماذا انتظر حتّى قُتِل ريك؟».

لو لم يقتل ريك. لذا عندما قام أحدٌ ما بقتله - دون أن يعرف لو مَن كان حتّى - وجد في ذلك فرصةً كي يقلب الوضع الرهيب رأساً على عقب ويحصل على ما كان يريده دائماً: عقوبةٌ على الجريمة التي كان لو لا يزال مقتنعاً أنَّ بوبي قد ارتكبها.

إلّا إذا.. إلّا إذا لم يكن بوبي هو ضحيّة لو الوحيدة.

- «لقد أخبرني بوبي عن إساءة المعاملة. ما فعله لو بجيسيكا، وما فعله بكِ. هل ما زال يفعل ذلك؟»، قالت مايا.

أصبح وجه إيلين أبيض كلون بذلتها.

- «أرجوكِ»، ناشدتْها مايا. «أنتِ الوحيدة التي تعرفين حقيقة زوجك. يمكنك الخروج إلى العلن. يمكنني مساعدتكِ».

- «أنا لا أعرف ما الذي تعتقدين أنّه يحدث هنا»، قالت إيلين بهدوء. «لكن مهما يكن الذي تشكّين به على نحوٍ خاطئ - فما كنتُ لأثير الكثير من الضجة حوله، ليس إن كنتُ في موقعك. أنتِ لا تملكين دليلاً واحداً».

لقد كانت محقّة. إنَّ مجرَّد وجود قلادة ثانية من شأنه فقط أن يثير التساؤلات، لكنّه لن يقترب حتى من إثبات أنَّ لو مذنبٌ بقتل بوبي، أو جيسيكا. لن يثبت حتّى أنَّ بوبي لم يقتل جيسيكا - وهي جريمة كان قد بُرِّئ منها قانونياً.

تابعت إيلين: «وبالطبع حتّى لو تمكّنتِ من إثبات شيءٍ ما، فإنَّ أيّة تساؤلات جديدة حول موتٍ ما سوف يثير بالضرورة التساؤلات حول موتٍ آخر».

كان ذلك المذاق المعدنيّ المرّ في فم مايا مقزّزاً وباعثاً على الغثيان. كانت إيلين نيّقةً وذكية - ولأوّل مرّة، كانت مرعبة.

لم تكن إيلين حمقاء. كانت مثل زوجها تعرف أنَّ مايا تخفي شيئاً ما. كانت إيلين تراهن على أنّه إذا قامت مايا بليِّ ذراع زوجها، فسيكون بإمكانهما عندئذٍ إجبار مايا على كشف ما هي بحاجةٍ ماسّة أن تبقيه سرّاً. لم تكن إيلين تحتاج لمعرفة مَن الذي تحميه مايا. هي تعرف أنَّ لدى مايا شيئاً قيّم يتوجّب عليها حمايته - وأيّاً يكن ذلك الشيء فإنّه يقدّم لها النفوذ الذي تحتاج إليه.

فهمت مايا الشروط المنضوية تحت تهديد إيلين لها. ستلزم مايا الصمت بشأن ما فعله لو، وإلّا فلسوف يكتشفان ومن ثمَّ يكشفان ما

كانت مايا طرفاً فيه. ستتمُّ مقايضة العدالة من أجل بوبي بالعدالة من أجل آرون. كانت الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يحظى بها ذلك الصبي بحياةٍ طبيعية هي أن يُفلت لو بجريمة قتل والده.

شعرت مايا بالغثيان. أرادت فقط أن تبتعد عن هؤلاء الأشخاص الفظيعين الذين كانوا قادرين على فعل أشياء بشعة كهذه... والتي كانت هي نفسها، على ما يبدو، قادرةً على القيام ببعضها. هل كرهت أنَّ إيلين كانت تساعد في التغطية على جرائم زوجها؟ أم كرهتْ حقيقة أنّها لم تكن هي نفسها أفضل منهما؟

- «لستِ مضطرة إلى فعل هذا»، قالت مايا. «لست مضطرة إلى التستّر على ما فعله زوجكِ. يمكنكِ تحرير نفسكِ من كلّ هذا».

أخذت إيلين خطوةً باتّجاه مايا. «أنا آسفة. يجب عليكِ أن تفهمي... أنا أفعل هذا فقط من أجل جيسيكا».

- «جيسيكا ميّتة. وكلُّ ما تفعلينه هو الحيلولة دون تبيان حقيقة ما حدث لها».

أمالت إيلين رأسها وكأنّها تحاول حلَّ لغزٍ آخر تماماً. «أوه. كنتُ أعتقد أنّه سبق لكِ واكتشفتِ الحقيقة حول ذلك».

لم يكن لدى مايا أيّة فكرة عما تتحدّث إيلين.

تكلّمت إليها إيلين وكأنّها توجّه حديثها إلى طفل صغير: «جيسيكا لا تزال على قيد الحياة».

- «هذا مستحيل».

أغلقت إيلين باب مكتب زوجها بحذر، ثمَّ أقفلتْه.

- «افتحي حقيبتكِ». كانت نبرة صوتها سريعة، مباشرة، وهادئة لدرجة تكاد لا تكون مسموعة.

انتزعت إيلين الحقيبة من كتف مايا قبل أن تتمكّن هذه الأخيرة من استيعاب ما يحدث. سحبت إيلين الهاتف المحمول من الحقيبة، وتأكّدت أنَّ مايا لم تكن تسجّل الحديث.

- «لقد ارتكب زوجي أخطاءً فادحة. لن ألتمس له الأعذار. لقد آذى ابنتنا. لقد آذاني. لكنّني عشت بقربه بما يكفي كي لا أستسلم وأهرب بعيداً. ما الذي سأفعله؟ أعود إلى فلوريدا مع أيِّ فضلاتٍ تُترَك لي بعد أن يكون محاموه قد انتهوا منّي؟ لا. أنا لن أعود من حيث أتيت. وأنا قادرةٌ على التحكّم في زوجي». أخذت نفساً. «لكن كان عليَّ حماية ابنتي».

- «أين هي؟».

هزَّتْ إيلين رأسها. «ماذا كنتِ ستفعلين لو أنَّكِ في مكاني؟ متزوّجةٌ بهذا الرجل الذي كان قادراً أن يكون على قدرٍ عظيم من اللطف والعطف، بالإضافة إلى لحظاته الأخرى... من التصرف على نحوٍ مختلف. أخبرتني جيسيكا أنَّها كانت تقضي وقتاً مع مدرّسها. حسنٌ، لقد عرفتُ عندها أنَّ الأمور ستأخذ منحىً سيّئاً. كانت ستخبر بوبي عن إساءة المعاملة، وكان سيُخبر المدرسة، وكنّا سنخسر كلّ شيء».

- «لقد أخبرتْه بالفعل».

اتَّسعتْ حدَقتا عينَيْ إيلين. لأوّل مرّة، كانت مايا تعرف شيئاً لا تعرفه إيلين، وقد بدا أنَّه يدعم موقفها. «إذاً فمن الجيّد أنّني تصرّفتُ في الوقت المناسب»، قالت إيلين.

- «كان اسم عائلتكِ اللعين أكثر أهمّية لكِ من حياة ابنتك؟».

- «هل رأيتِ ما يحدث لهؤلاء الرجال الذين يُتَّهمون بأشياء فظيعة؟ هل رأيتِ ما يحدث لزوجاتهم؟». كانت إيلين تهزُّ رأسها

وكأنّها تتخيّل المصير الكالح لتلك النساء الثريّات البائسات. «لم نكن لِنرضى أن ينتهي بنا المطاف مثلهن. لا وألف لا. كان لدى جيسيكا خطّة لحسن الحظ. لم تكن تلك فكرتي حتّى. لقد كانت فكرتها».

- «جيسيكا أرادت أن... تغادر؟».

أومأت إيلين برأسها وقد تشجّعت أكثر نتيجة فَهم مايا. «أرادت أن تذهب بعيداً، وتبدأ من جديد، كشخصٍ آخر».

قفز إلى ذهن مايا دليلٌ من المحاكمة كان قد تمَّ تجاهله لوقتٍ طويل. «تلك المكالمة من هاتف جيسيكا. بعد ظهر يوم اختفائها...». تذكّرت مايا الأيّام الطويلة التي قضوها وهم يشتغلون جنائياً على تحديد مكان الهاتف وقت إجراء المكالمة. لكنّهم أخطأوا تماماً في فهم النقطة المهمّة: لمَ قد تتّصل جيسيكا بالمنزل بينما هي تتعرَّض للقتل - وبعد ذلك لا تترك رسالة حتّى. «كانت تتّصلُ بكِ».

بدتْ إيلين سعيدة. «تلك كانت الإشارة. هكذا كنتُ سأعرف أنَّ خطّتنا كانت قيد التنفيذ. لم أكن أستطيع ضمان سلامتها هنا. لم أكن أستطيع حماية جيسيكا من والدها. لكنّي كنت أستطيع بناء حياةٍ جديدة لـ...». سكتت لحظة. «أوه. لكنّني بالطبع لن أخبركِ باسمها».

شعرتْ مايا برغبةٍ عارمةٍ في الصراخ. شعرت بالعجز. كانت عاجزة بالفعل. «أنتِ أرسلتها بعيداً لتبدأ حياةً جديدة... وألبستِ بوبي جريمة قتلها؟».

- «لا!»، قالت إيلين بإصرار. «مع عدم وجود جثّة، اعتقدنا أنَّ الأمر سينتهي كأيِّ حالة اختفاء لم تُحلّ. لكنَّ بوبي كذب على

الشرطة بشأن مكان وجوده! لمَ كذب؟ أفترض أنّه كان مذعوراً وهو يخضع للاستجواب من قِبل شرطة لوس أنجلوس، وحاول إخفاء علاقته بجيسيكا. كان عند كلِّ منعطف في القصّة يدقُّ مسماراً جديداً في نعشه وحسب. كان من المؤلم مشاهدة ذلك. وبمجرّد أن اكتشفت الشرطة أمر الرسائل النصّية، وأدركوا أنَّ مدرّساً أسود كان على علاقةٍ مع تلميذته البيضاء...». هزّت إيلين رأسها كما لو أنّها هي التي تعرّضت للظلم جرّاء كلِّ هذا.

- «لو لا يعرف»، أدركتْ مايا. «لقد اعتقد حقّاً أنَّ بوبي قتل جيسيكا. وأنتِ لم تخبريه أبداً بخلاف ذلك».

تذكَّرت مايا نظريّاتها التفصيلية حول وفاة بوبي. فكّرت وقتها إن كان من الممكن أنَّ قاتل جيسيكا قد ألصق التهمة ببوبي بواسطة القلادة، وقرّرتْ أنَّ هذا غير قابلٍ للتصديق. لكنّها كانت على حقّ: لقد أُلصِقت التهمة ببوبي. غير أنّ الذي ألصقها به لم يكن قاتل جيسيكا.

أدركت مايا أنّه لهذا السبب لم يقم لو بدسِّ القلادة كدليلٍ على بوبي قبل اعتقاله الأوّل: لأنّه آنذاك، عندما انعقدت المحاكمة الأولى، لم يكن لو يحاول إلصاق التهمة بأحد. كان حقاً يريد أن يصل إلى حقيقة ما حدث لابنته. الأرجح أنّه لم يكن قد فكّر في القلادة الثانية بعد.

هزَّت إيلين كتفيها. «لقد كذب زوجي أحياناً بشأن بعض الأشياء. لكن حقده على بوبي كان شيئاً حقيقياً تماماً».

- «إذاً، جلستِ تتفرَّجين بينما كان يُلقى القبض على بوبي. تفرّجت عليه فحسب - كلّ يوم - طوال المحاكمة».

أومأت إيلين. «ومن ثمَّ تفرّجتُ عليكِ تحرّرينه. هنا تكمن

المفارقة الحقيقية آنسة سيل». وضعت يدها على كتف مايا. «آمل أن يمنحكِ هذا بعض الراحة: لقد كنتِ على حقٍّ طوال الوقت».

شعرت مايا بمعدتها تتخبّط على نحوٍ عنيف.

تذكّرت تلك الصرخة التي صدرت من إيلين سيلفر لدى قراءة الحُكم بصوتٍ عالٍ في قاعة المحكمة. لم تكن تلك صرخة ألم، أليس كذلك؟ كانت صرخة انعتاق. **لقد أُقيم العدل، شكراً لله.**

- «لقد ساعدتِ زوجكِ في قتل بوبي».

لأوّل مرّة، بدت إيلين مذنبة. «لم أكن أعرف أنّه سيفعل ذلك. كان قد أخذ القلادة قبل بضعة أسابيع من خزانة ملابسي حيث كنتُ أحتفظ بها، لكنّي لم أكن أعرف ماذا سيفعل... كان ينبغي بي أن أعرف. لكن ما من شيءٍ يمكنني فعله حيال ذلك الآن، أليس هذا صحيحاً؟».

جعلت إيلين الأمر يبدو وكأن حياة بوبي لا تساوي أكثر من لبن مسكوب على أرضية مطبخها.

- «أين جيسيكا؟»، قالت مايا.

رفعتْ إيلين يدها مثل ناطور الطرقات. «هي تعيش في مزرعة، بعيداً عن هنا. لديها خيول، ولديها زوج. لديهما ابنة، حفيدتي. وهي، مثل والدتها، في مأمنٍ من كلِّ هذا».

بدتْ إيلين منفوخةً بالفخر. «إنّها سعيدة. وهذا كلُّ ما ستعرفينه».

ارتجّ مقبض الباب.

ثم جاء صوت قرعٍ من الخارج.

- «مرحباً؟». كان ذلك صوت لو. «مايا؟ هل أنتِ في الداخل؟».

التفتت إيلين نحو مايا وهمست: «إذا قمتِ بأيّة محاولة للعثور على ابنتي، فسوف أكتشف حقيقة ما حدث لريك ليونارد. إذا قلتِ أيّاً من هذا لأحد. . . ستحصلين على نفس النتيجة. سوف تساعدينني في كتمان هذا السرّ لأنّكِ كنتِ على حقّ منذ دقيقة إذ قلتِ إنّه يمكننا أن نساعد بعضنا. أنتِ وأنا في نفس الجانب. وأفضل شيءٍ لكلِّ المتورّطين - كلُّ الذين لا يزالون على قيد الحياة - هو الصمت».

في رفّة عين، أخذت إيلين الصورة من يد مايا ووضعتْها برفقٍ على مكتب زوجها. ثمَّ، وقبل أن تتمكّن مايا من قول أيِّ شيء، كانت إيلين قد فتحت الباب.

- «أوه! لم أكن أعرف أنّكِ س. . .». توقّف لو حين لمح مايا وراء زوجته. وإذ انتبه إلى تعابير وجه هذه الأخيرة قال: «ما الأمر؟».

- «لا شيء يا عزيزي»، قالت إيلين.

كان بإمكان لو رؤية أنَّ شيئاً ما قد حدث بين هاتين المرأتين بينما كان هو في الأسفل. لكنّه ربّما كان متزوّجاً منذ وقتٍ طويل بما يكفي ليعرف أنّه إذا قالت له زوجته إنَّ موقفاً جامحاً ما كان تحت السيطرة، فعليه أن يأخذ بكلامها وحسب.

بحثَ في وجه مايا المشمئزّ، محاولاً أن يتبيّن مقدار ما تعرفه.

نظرتْ بدورها إلى إيلين التي رفعت حاجبها وكأنّها تقول: **حسنٌ مايا، كيف سيكون الوضع؟**

لن يستغرق فضح جرائم إيلين سيلفر أمام لو، وجعل جرائم لو تخرج إلى العلن سوى القليل جدّاً من الوقت. . . الأمر الذي من شأنه أن يعرّض جيسيكا وآرون إلى أضرار لا تُحمد عقباها.

تضاعف الآن عدد الأرواح التي بين يديّ مايا - الأرواح التي سيحميها صمتُ مايا وتواطؤها. وأغرب شيءٍ كان أنَّ كل هذا، منذ البداية، قد حدث لأنَّ لو أوّلاً، ثمَّ الشرطة، ثمَّ مايا، ثمَّ ريك، ثمَّ مايا مجدّداً لم يتمكّنوا من منع أنفسهم من محاولة حلِّ ألغاز كان ينبغي تركها مغلّفة بسُحب الضباب.

- «مايا؟»، قال لو. «هل أنتِ بخير؟».

- «آنسة سيل؟»، قالت إيلين.

التفتت مايا نحو النوافذ. كانت السماء الآن سوداء كالحة. آخر أثرٍ للشمس كان قد اختفى. لم تستطع رؤية شيءٍ سوى بضعة أشكالٍ بشرية قاتمة تتحرّك على الرصيف في الأسفل.

وجدت مايا نفسها ترسم صورةً متخيَّلة لوجه جيسيكا سيلفر. ستكون الآن في الخامسة والعشرين من عمرها. كيف سيكون شكلها؟ إنْ لمحتْها مايا في الطريق ذات يومٍ، فهل ستتعرَّف عليها؟ على الأرجح لن تفعل.

تخيّلتْ مايا ابنة جيسيكا وابنَ بوبي بين تلك الأشكال البشرية على الرصيف. بعد عشرين عاماً من الآن، قد يكونا بالغَين يمرّ أحدهما بالآخر في شارعٍ مثل هذا تماماً. لن يلقي أحدهما على الآخر نظرةً ثانية. سيمضيان قُدماً في حياتهما غير عارفين بالجرائم التي ارتُكِبت باسمهما. مجرّدُ غريبَين بريئَين وسط حشدٍ مذنب.



غراهام مور

المُعْتَرِضَة

«لم أعد متأكِّدةً من أيِّ شيءٍ بعد الآن».

في طريق عودتها من المدرسة، تختفي جيسيكا سيلفر ذات الخمسة عشر ربيعاً، وهي وريثة أحد أغنى رجال الأعمال في المدينة، وسرعان ما تُوَجَّه الاتهامات لبوبي نوك، معلِّمها الأسود البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً. في نظر الادّعاء والرأي العام على حدٍّ سواء، بوبي نوك هو بلا شك قاتل جيسيكا، إلا أن مايا سيل، وهي امرأةٌ شابة ضمن هيئة المحلَّفين، واثقةٌ من براءته، فتقوم بإقناع بقية المحلَّفين بالدفع بحكم براءة الرجل، وهو قرارٌ مثيرٌ للجدل سوف يغيّر حياتهم إلى الأبد.

بعد مضي عشر سنوات، يقوم برنامج وثائقي بجمع هيئة المحلَّفين من جديد، مع التركيز بشكل خاص على مايا التي أصبحت محامية دفاع الآن. وحين يُعثَر على أحد المحلَّفين ميتاً داخل غرفتها في الفندق، تشير كلُّ الأدلة إليها، فيتعيّن عليها إثبات براءتها عبر التعمّق في قضيّة لا يبدو أنها أُغلِقت، والبحث في جميع الأسرار التي تستّر عليها المحلَّفون طوال هذه السنوات.

«خلطةٌ كثيرة التوابل مترعةٌ بالدسائس ومليئة بالأسرار الدفينة والدوافع غير المتوقَّعة».

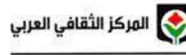
صحيفة نيويورك تايمز

«كتابٌ مبهج... لعبةُ قطٍّ وفأر جهنمية يلفّها الغموض ومفعمةٌ بالإثارة، وتحقيقٌ مُلحٌّ ومستفِزٌ يسبر أغوار العدالة (واللاعدالة) الأمريكية في القرن الحادي والعشرين».

آ. ج. فين







الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
markaz.casablanca@gmail.com